

ديوان بني أسد

أشعار أجاهلين والمخضرمين

مجمع وتحقيق ودراسة
الدكتور محمد علي دقمة

المجلد الأول

دار صادر
بيروت

ديوان بني أسد أشعاراً جاهليين والمُخَضَّمين

جمع وتحقيق ودراسة
الدكتور محمد علي دقة

المجلد الأول

دار طائر
بيروت

ديوان بني أسد
١

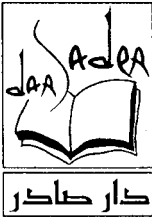
جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1999

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهرومستاتية ، أو أنثرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .

تأسست سنة ١٨٦٣



COPYRIGHT © DAR SADER Publishers
P.O.B. 10 Beirut, LEBANON

دار صادر للطباعة والنشر

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

فاكس (+961) 04.910270

e-mail: dsp@darsader.com

القسم الأول
دراسة تاريخية فنية مقارنة

مقدمة

كان للشعر الجاهلي سهم وافر من عملية إحياء التراث العربي، إذ نهض المحققون والباحثون يبعثون دفائنه، ويجمعون شوارده، ويشرحون غوامضه، ويوثقون مصادره. ودفعت مطابع الحرف العربي إلى قرائها كثيراً من نفائس هذا الشعر وغرره وعلائقه ودرره. وتناول الدارسون والنقاد بالدرس والتحليل، والتفسير والتعليل، والنقد والتقويم، أغراض هذا الشعر وفنونه، وعموده وبناءه، ولغته وأساليبه.

غير أن جمهرة هذه الدراسات، على ما قدمت من نفع جليل، تناولت الشعر الجاهلي كلاً واحداً، ولم تتصد إلا قلة منها إلى إبراز السمات والملامح الخاصة بشعر قبيلة بعينها، على ما لذلك من أهمية في رسم صورة للشعر الجاهلي على نحو أكثر دقة وتفصيلاً، ففي أمثال هذه الدراسات نتبين أثر لهجة القبيلة في شعرها، وأثر شعر القبيلة في تقريب لهجتها من لغة الثقافة السائدة من جهة، وأثره في صنع هذه الثقافة ولغتها من جهة ثانية، كما نتبين السمات والملامح التي تميزه من غيره من أشعار القبائل، فانتفاء هؤلاء الشعراء إلى قبيلة معينة، ووجودهم في بيئة خاصة، وخضوعهم لتقاليد بعينها، يوجد فيهم طابعاً عاماً يكون له أثره في ملامح شعرهم وسماته.

ولعل الضمور في الدراسات التي تتناول أشعار القبائل يعود إلى ضمور عملية الإحياء في هذا الجانب، فدواوين القبائل التي صنعها العلماء الأوائل طوتها يد الدهر، ولم يسلم منها سوى قسم من ديوان هذيل، ولقي هذا القسم العناية من شرح وتحقيق ودراسة وتقويم. وقد ظهرت في السنوات الأخيرة أشعار بعض القبائل التي جمعها باحثون معاصرون كشعر تميم، وعامر، وقشير، وضبة وعبس.

وإدراكاً لأهمية هذا اللون من الدراسات، وسعيًا لسد هذه الثغرة في دراسة الأدب الجاهلي، فقد عمدت إلى جمع أشعار بني أسد وشرحها وتحقيقها ودراستها.

ولعل من دوافع اختياري شعراء أسد أن أسداً قبيلة بدوية أعرابية ضاربة في قلب نجد، عرفت بالفصاحة واللسن، صريحة اللغة لم تهجنها مخالطة الحضرة ومجاورة العجم، وعن قيس وتميم أخذ معظم اللسان العربي، وعليها اتكل في الغريب والإعراب، فضلاً عن أنها ذات شوكة وحصى، كان لها أثر كبير في الأحداث التي شهدتها جزيرة العرب، إذ قوضت ملك كندة في الجاهلية، وقادت حركة الردة بنجد في الإسلام، وكان لرجالاتها مواقف مشهودة في معارك الفتح الإسلامي.

وعزمت على أن يكون عنوان الكتاب أشعار بني أسد في الجاهلية وصدر الإسلام. ولأن ثمة شعراء أسديين عاشوا في صدر الإسلام وعصر بني أمية، ومن غير المقبول أن يجزأ الشاعر، فتناول ما كان من شعره وأخباره في صدر الإسلام، وندع ما كان منها في عصر بني أمية، ولأن تناول أمثال هؤلاء الشعراء قد يجرنا إلى تناول شعراء آخرين ممن تلوهم وعاصروهم، فقد قصرت البحث

على الشعراء الأسديين الجاهليين والمخضرمين، ومن هؤلاء المخضرمين من أدرك العصر الأموي، وتركت خارج إطار البحث الشعراء الذين لم يضربوا بسهم في الجاهلية، وإنما نشؤوا في الإسلام، واشتهروا في عصر بني أمية كعبد الله بن الزبير وأيمن بن خريم.

وثمة شعراء اضطربت المصادر في ذكر العصر الذي عاشوا فيه، فروي أنهم جاهليون، وروي أنهم إسلاميون أمويون، فمن رجحت خضرته بعد النظر في أخباره وأخبار شعره ومناسباته كمضرّس بن ربّعي ونافع بن نفيح بن لقيط فقد تناولته بالبحث، وتركت خارج إطار البحث من ثبت أنه إسلامي أموي كالكميت بن معروف ومنظور بن مرثد.

ودأبت بصبر وأناة ألملم ما تناثر من شعر أسد وأخبارها وأخبار شعرائها في مصادر التراث المختلفة، أنقب في مجموعات الاختيارات الشعرية، ومعجمات الشعراء، وكتب الأدب واللغة والنحو، والتاريخ والتراجم والأنساب، والخيل والأنواء، ومعجمات اللغة والبلدان، حتى وقفت على تراجم وأخبار لمئة شاعر أسدي من غير أصحاب الدواوين، جمعت من أشعارهم بضع مئات وألف من الأبيات، واستدركت بعض الأشعار على أصحاب الدواوين.

ثم عكفت على الشرح والتحقيق والدراسة، فجعلت البحث في قسمين: الأول للدراسة والثاني للديوان. وبدأت بقسمه الثاني، فصنعت ديواناً لشعراء أسد من غير أصحاب الدواوين، وضمته ما استدركته من أشعار على ديواني عبيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم وشعر عمرو بن شأس.

وقسمت الديوان إلى جزأين، ضم الأول أشعار الجاهليين، وضم الثاني أشعار المخضرمين، ورتبت شعراء كل قسم حسب ما للشاعر من شعر، ولم

ألحظ في الترتيب ما نسب إلى الشاعر من شعر وليس له. وصدرت شعر كل شاعر بترجمة له، ولم أترجم لعبيد وبشر وعمرو بن شأس، لأن ثمة ترجمات وافية لهم في صدور دواوينهم.

وكان منهجي في الشرح والتحقيق أن أثبت في المتن الرواية التي تبدو أكثر صحة ومواءمة للسياق، مراعيًا قدم الرواية واطرادها وحظ راويها من الثقة، وأثبت في الحاشية الروايات المختلفة للبيت، ثم أشرحه معتمداً شروح القدماء ما أمكن ذلك، وأشير إلى نسبة بعض الأبيات إلى أكثر من شاعر، وأحيل القارئ إلى التخريج، وأضمت أجزاء القصيدة أو المقطعة المتفرقة بعضها إلى بعض على نحو يظهر الانقطاع بين الأجزاء، ولم أثقل الحواشي بتخريج الشعر، وإنما جعلته آخر الديوان. وذيلت الديوان بفهارس تفصيلية للشعر، والشعراء، والأعلام، والقبائل والأقوام، والمواضع والبلدان، والأيام، والخيل.

وبعد الفراغ من الديوان عكفت على الدراسة، ولم تقتصر على ديوان الشعر الأسدي الذي صنعه، وإنما شملت شعر أصحاب الدواوين؛ عبيد وبشر وعمرو بن شأس، وتوزعت هذه الدراسة على ثلاثة أبواب وخاتمة وذيل.

فكان الباب الأول لقبيلة أسد، وجعلته في أربعة فصول، تحدثت في الفصل الأول عن نسب أسد ومنازلها، وفي الفصل الثاني عن حياتها الدينية والاجتماعية، وفي الثالث عن علاقاتها السياسية والحربية في الجاهلية، وفي الرابع عن حياتها السياسية والحربية في الإسلام.

وكان الباب الثاني لمصادر شعر أسد وتوثيقه، وجعلته في فصلين، تحدثت في الفصل الأول عن مصادر الشعر الأسدي وضياعه، وفي الثاني عن الاضطراب في نسبة هذا الشعر، والمتهم المنحول فيه.

أما الباب الثالث فكان للدراسة الفنية المقارنة، وجعلته في أربعة فصول، تحدثت في فصوله الثلاثة الأولى عن شعرهم الجاهلي، وتحدثت في الفصل الرابع عن شعرهم الإسلامي. فعرضت في الفصل الأول لموضوعات الشعر الأسدي الجاهلي وقارنتها بموضوعات أشعار القبائل الأخرى. وتحدثت في الفصل الثاني عن الخصائص المعنوية لهذا الشعر، وأبرزت وجوه التشابه والاتفاق ووجوه التمايز بين مدني هذا الشعر ومعاني أشعار القبائل الأخرى. وتحدثت في الفصل الثالث عن الخصائص اللفظية واللغوية، فعرضت لخصائص بناء القصيدة، وبحث في لغة الشعر الأسدي، فتبينت ما وافق منها خصائص لهجة أسد وما خرج منها عن هذه اللهجة. وتحدثت في الفصل الرابع عن شعرهم الإسلامي، فعرضت لموضوعاته، وخصائصه المعنوية، وخصائصه اللفظية واللغوية، محاولاً في ذلك كله تبين الجديد الذي طرأ على هذا الشعر والقديم الذي امتد فيه، مقارناً إياه بالأشعار الإسلامية للقبائل الأخرى.

وذيلت الدراسة بشجرة نسب مفصلة لأصول القبيلة وفروعها، وثبت بأسماء المواضع والأماكن من ديار بني أسد.
وبعد..

فقد حاولت إحياء شعر بني أسد، ورسم صورة متكاملة الملامح واضحة القسمات لأسد وشعرائها وخصائص شعرها. فإن استقامت لي السبيل فيها ونعمت، وإن ضلت بي الطريق وشطت الغاية، فحسي النية الصادقة والجهد المخلص.

محمد علي دقة

دمشق في كانون الأول ١٩٩٠

أَلْبَابُ الْأَوَّلِ قَبِيلَةُ نَبِيِّ أَسَدٍ

الفصل الأول

نسب أسد ومنازلها

أولاً- نسب بني أسد:

كان للعصية القبلية التي تقوم أساساً على رابطة الدم أثر كبير في اهتمام العرب بأنسابهم وحفظها والتفاخر بها، وقلما نجد أمة من الأمم عنت بأنسابها عناية العرب بذلك، حتى صار علماً من علومها، يختص به نسابون أحاطوا بأنساب العرب بادية وحاضرة. ولما جاء الإسلام، وحارب العصية القبلية، ودعا العرب إلى الوحدة والوحدانية، ظلت الحاجة إلى معرفة الأنساب قائمة، لصلة الرحم ومعرفة المحارم، ففي الحديث: «تعلّموا من أنسابكم ما تصلّون به أرحامكم»^(١) وبقيت العرب متسبة لقبائلها حافظة لأنسابها، حتى كان عصر بني أمية، فاشتعلت جذعة نار العصيات القبلية، مما دعا النسابين إلى تدوين التصانيف والتأليف في أنساب القبائل ومناقبها ومثالبها. ولعل كتاب «جمهرة النسب» لابن الكلبي من أقدم هذه المصنفات وأوسعها، جمع أنساب العرب بشيء من التفصيل مشتملاً على الأصول والفروع. كما ألف أبو اليقظان

(١) جامع الأصول في أحاديث الرسول ٦: ٤٨٨-٤٨٩. مطبعة الملاح، دمشق،

النسابة «كتاب النسب الكبير»، وفيه نسب أسد بن خزيمعة.^(١) وألف ابن عبدة «كتاب نسب بني فقعس بن طريف بن أسد بن خزيمعة». ^(٢) ولم يصل إلينا الكتابان الأخيران.

وشط النسابون في النسب، فوصلوا أنساب العرب بالأقوام البائدة من عاد وئمود، بل اتصلت الأنساب عندهم بآدم أول الخلق فيما يزعمون. والذي ذكره ابن سلام عن أبي عمرو بن العلاء أن العرب لم يجاوزوا في أنسابهم وأشعارهم عدنان؛ اقتصروا على معدّ، فما فوق عدنان أسماء لم تؤخذ إلاّ عن الكتب، والله أعلم بها، ولم يذكرها عربي قط، وإنما كان معدّ بإزاء موسى بن عمران عليه السلام، أو قبله قليلا، وبين موسى وعاد وئمود، الدهر طويل الأمد بعيد.^(٣) كما ذكر اليزيدي عن عروة بن الزبير أنه قال: «ما وجدنا في علم عالم ولا شعر شاعر ما وراء معد بن عدنان».^(٤)

وإذا كان ثمة فساد واختلاط في أنساب بعض القبائل الحضرية، لنزوع الناس إليهم، حيث الزرع والضرع، يأنسون بهم، ويعيشون معهم، فتختلط أنسابهم، فإن بني أسد من القبائل الصريحة النسب لتبديها ونكد عيشها وشظف أحوالها، وقد ذكر ذلك ابن خلدون في مقدمته، فقال: «وأعتبر ذلك في مضر من قريش وكنانة وثقيف وبني أسد وهذيل ومن جاورهم من خزاعة، لما كانوا من أهل

(١) الفهرست لابن النديم: ٩٤. مكتبة حياط، بيروت، بلا تاريخ.

(٢) المصدر السابق: ١٠٥.

(٣) انظر طبقات فحول الشعراء، لابن سلام ١: ١٠-١١. تحقيق محمود شاكر، مطبعة

المدني، مصر، ١٩٧٤م.

(٤) الأمالي، لليزيدي: ٨٩. ط ١، جمعية دائرة المعارف، حيدر آباد، ١٣٦٧هـ.

شظف ومواطن غير ذات زرع وضرع، وبعثوا عن أرياف الشام ومعادن الأدم والحبوب، كيف كانت أنسابهم صريحة محفوظة لم يدخلها اختلاط ولا عُرف فيها شوب»^(١).

وبنوا أسد قبيلة عدنانية مضرية، فأسد هو بن خزيمة بن مذكاة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.^(٢) وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل بينهما ثلاثون أباً.^(٣)

وذكر ابن الكلبي أن أولاد خزيمه بن مدركة هم: كنانة، وأسد، وأسدة، وعبد الله، والهُون.^(٤) ولم يذكر عبد الله كل من مصعب وابن حزم وابن هشام،^(٥) وأثار ابن حزم شكاً بأسدة، فقال: «وقال قوم، وليس بشيء: وأسدة ابن خزيمة».^(٦)

وتشترك مع أسد في الاسم عدة من القبائل، منها: أسد بن ربيعة بن نزار، وأسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن قريش، وفي الأزد أو الأسد بالسين

(١) تاريخ ابن خلدون ١: ٢٣٠-٢٣١. دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٦.

(٢) جمهرة أنساب العرب: لابن حزم: ١١. تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، بمصر، ١٩٦٢م.

(٣) جمهرة النسب، لابن الكلبي ١: ١. تحقيق فردوس العظم، دمشق.

(٤) المصدر السابق ١: ٦.

(٥) نسب قريش، لمصعب الزبيري ١: ٨، تصحيح أ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٣م. وجمهرة ابن حزم: ١١، وسيرة ابن هشام ١: ٩٢-٩٣. تحقيق مصطفى السقا، ط ٢، البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٥هـ.

(٦) ابن حزم: ١١.

الساکنة، وهي قبيلة قحطانية، بطنان یقال لهما بنو أسد، وهما أسد بن شریک بعض بني فہم،^(١) وأسد بن الحارث بن العتيك،^(٢) وفي مذحج ثلاثة بطون یقال لهم بنو أسد، وهم: أسد بن مُسَلِّية بن عمرو بعض بني أدَد، وأسد بن عبد مناة ابن عایذ الله بن سعد العشيرة، وأسد بن مُرّ بن صُدّا.^(٣) وذكر السمعاني قبيلة باسم أسد بن دودان،^(٤) وما أحوال هذا إلّا وهما، ودودان هو ابن أسد بن خزیمة.

وقد یقع الباحث في الخلط والاضطراب لأن النسبة إلى هذه القبائل جميعها أسدي، كما أن النسبة من الأسد أسدي، بتسكين السين، وقد ترد في المصادر دون ضبط، مما یقتضي من الباحث الحذر والثبوت والمزيد من التدقيق والتمحيص. وأبناء أسد بن خزیمة، كما روى ابن الكلبي وابن حزم، هم: دُودان، وكاهل، وعمرو، وصَعْب وحُلْمة.^(٥) وفي العقد الفريد، أن بطون أسد هم: دُودان، وكاهل بن عمرو بن صَعْب، وحُلْمة.^(٦) ولم یذكر حُلْمة ابنُ درید

(١) الأنساب، للسمعاني ١: ٢٢٧، تحقیق عبد الرحمن الیماني، ط٢، بیروت، ١٩٨٠م.

(٢) الإبناس، للوزیر المغربي: ٧٨. تحقیق حمد الجاسر، دار الیمامة، الرياض، ١٩٨٠م.

(٣) الإبناس: ٧٨. وانظر الزهر، للسيوطي ٢: ٤٥٩. تحقیق المولى والبجاوي، دار إحياء

الكتب العربية، مصر، بلا تاریخ.

(٤) السمعاني: ٢٢٧.

(٥) ابن الكلبي ١: ٢٣٩، وابن حزم: ١٩٠. واشتقاق دُودان: فُعلان، من دُؤاد وأشباهه.

وكاهل: من كاهل الإنسان والدابة، وهو مَغْرَزُ العنق في الظهر.

(٦) العقد الفريد، ابن عبد ربه ٣: ٣٤٠. تحقیق أحمد أمين، ط٣، لجنة التألیف، القاهرة،

١٣٨٤هـ. ولعل هذا الوهم في العقد من فعل النساخ.

والنويري. ^(١) وذكرها ابن حبيب والوزير المغربي. ^(٢) وقال صاحب العقد: «فأما بنو حُلَمة فأفناهم امرؤ القيس بن حُجر بأبيه». ^(٣) وقال عنهم ابن الكلبي وابن حزم: «وهم أهل أبيات في بني جَذيمة بن مالك بن نَصْر بن قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد». ^(٤) ويبدو واضحاً أنه بقيت أبيات من بني حُلَمة، بعد أن أوقع بهم امرؤ القيس، عاشت في بني مالك بن نصر، ولعل ابن دريد والنويري أغفلا ذكر حلمة لأن جمهرتهم هلكت.

أما دُودان فولد: ثعلبة، وغنماً. وفي ثعلبة الكثرة والعدد وبطون أسد المشهورة وجماهيرها، ومنها: بنو سَعْد بن ثعلبة بن دُودان، منهم الشعراء عبيد الأبرص، وعمرو بن شأس، والكميت بن زيد. وبنو غاضرة بن مالك بن ثعلبة، منهم حَمَل بن فضالة وكان شريفاً، وزرّ بن حُبَيْش الفقيه، والحَكَم ابن عُبْدَل الشاعر. وبنو مالك بن مالك بن ثعلبة، وهم بنو الزُّنَيْة، منهم ضرار بن الأزور وحَضْرَمِيّ بن عامر الصحابيّان الشاعران. وبنو سعد بن مالك بن ثعلبة، منهم الأشعر الرّقبان الشاعر، وعمرو بن مسعود نديم الملوك الذي قتله المنذر بن ماء السماء. وبنو والبة بن الحارث بن ثعلبة، منهم الشاعر بشر بن أبي خازم، وأبو

^(١) انظر الاشتقاق، لابن دريد: ١٧٩. تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة السنة المحمدية،

مصر، ١٣٧٨هـ، ونهاية الأرب، للنويري ٢: ٣٣١. دار الكتب المصرية، ١٣٤٣هـ.

^(٢) انظر مختلف القبائل ومولفها، لابن حبيب: ٣٢٦. تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة،

الرياض، ١٩٨٠، والإيناس: ١٠٧.

^(٣) العقد الفريد ٣: ٣٤٠.

^(٤) ابن الكلبي ١: ٢٣٩، وابن حزم: ١٩٠.

الهِجَاجُ الَّذِي خَطَّ الْكُوفَةَ بِأَمْرِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. وَبَنُو قُعَيْنٍ^(١) بَنُ الْحَارِثِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، وَفِيهِمُ الْعَدَدُ وَالثَّرْوَةُ، مِنْهُمْ الْأَقْشَرُ صَاحِبُ لُؤَاءِ بَنِي أَسَدٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَذُؤَابُ بْنُ رُبَيْعَةَ قَاتِلُ عُتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابِ فَارَسِ بْنِ تَمِيمٍ. وَجَاءَ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ أَنَّهُمْ بَنُو «قُعَيْسٍ» بِالسِّينِ الْمَهْمَلَةِ^(٢) وَبَنُو الصَّيْدَاءِ^(٣) بَنُ عَمْرِو بْنِ قُعَيْنِ بْنِ الْحَارِثِ، مِنْهُمْ الْحَارِثُ بْنُ وَرْقَاءَ الَّذِي مَدَحَهُ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سَلَمَى، وَالصَّامِتُ بْنُ الْأَقْمِ قَاتِلُ رُبَيْعَةَ بْنِ مَالِكٍ وَالِدِ لَبِيدِ الشَّاعِرِ. وَبَنُو كَعْبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ قُعَيْنِ بْنِ الْحَارِثِ، وَهُمْ بَنُو دُبَيْرٍ، سُمِّيَ كَعْبٌ دُبَيْرًا لِأَنَّهُ دَبَّرَ مِنْ حِمْلِ السِّلَاحِ^(٤) وَبَنُو قُعَيْسٍ^(٥) بَنُ طَرِيفِ بْنِ عَمْرِو بْنِ قُعَيْنٍ، مِنْهُمْ طَلِيحَةُ بْنُ خُوَيْلِدٍ، وَخَالِدُ بْنُ نَضْلَةَ، وَأَبُو ثَوْرٍ قَاتِلُ صَخْرِ بْنِ عَمْرِو الشَّرِيدِ، وَمِنْهُمْ الشُّعْرَاءُ: الْكُمَيْتُ بْنُ ثَعْلَبَةَ، وَالْكُمَيْتُ بْنُ مَعْرُوفٍ، وَمَضْرُسُ بْنُ رَبِيعٍ.

وَأَمَّا غَنَمُ بْنُ دُودَانَ فُولَدُ: كَبِيرًا، وَعَامِرًا وَمَالِكًا. وَمِنْ كَبِيرِ بْنِ جَحْشٍ، وَهُمْ: عَبْدُ اللَّهِ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ، وَأَبُو أَحْمَدَ، وَزَيْنَبُ زَوْجُ الرَّسُولِ ﷺ، وَحَمْنَةُ، وَأَمَّهُمْ أُمَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهُمْ حُلَفَاءُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ^(٦).

(١) اشتقاق قُعَيْن: مِنَ الْقَعْنِ، وَهُوَ ارْتِفَاعٌ فِي أُرْنَبَةِ الْأَنْفِ.

(٢) الْعَقْدُ الْفَرِيدُ ٣: ٣٤٠ وما بعدها. وَلَعَلَّهُ تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ لَمْ يَتَنَبَّهُ إِلَيْهِ الْحَقِيقُ.

(٣) الصَّيْدَاءُ: أَرْضٌ غَلِيظَةٌ ذَاتُ حِجَارَةٍ. وَالصَّيْدَاءُ تَأْنِيثُ أَصَيْدٍ، وَالصَّيْدُ: دَاءٌ يَصِيبُ الْإِبِلَ فَتَلْتَوِي أَعْنَاقَهَا.

(٤) سَمَطُ اللَّالِي، لِلْبَكْرِ ٢: ٨٩١-٨٩٢. تَحْقِيقُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمِمْبَنِيِّ، لَجْنَةُ التَّأْلِيفِ، الْقَاهِرَةُ،

١٣٥٤هـ.

(٥) اشتقاق قُعَيْسٍ: مِنَ الْقُعَيْسَةِ، وَهِيَ اسْتِرْحَاءُ وَبِلَادَةٌ فِي الْإِنْسَانِ.

(٦) ابْنُ الْكَلْبِيِّ ١: ٢٦٤.

وأما عمرو بن أسد فمن ولده: سَعْدٌ وهو مُعَرِّضٌ، والقُلَيْبُ، والهَالِكُ، وكان الهالك أول من عمل الحديد من العرب فعَبَّرَ العرب بني أسد بالقيون، وإلى بني مُعَرِّضٍ ينتسب الأقيشر الشاعر، وإلى بني القُلَيْبِ ينتسب أَيْمَنُ بن خُرَيْم الشاعر.^(١) وفي العقد الفريد أن أَيْمَنَ بن خريم والأقيشر من بني غَنَمِ بن دودان،^(٢) وهذا وهم.

وولدَ كَاهِلُ بن أسد: مَازِنًا، ومنهم عِلْبَاءُ بن حارثة قاتل حُجْرٍ والد امرئ القيس.^(٣) وشهدت بنو أسد خروج بطون منها وانتساب بطون إليها، وهذه ظاهرة معهودة في الجاهلية، يدفع إليها اختلاف المصالح والأهواء بين أبناء القبيلة الواحدة، فترتحل بعض بطونها إلى قبائل أخرى تجاورها، وقد تحالفها، ومع امتداد الزمن وطول الحلف والجوار قد تنتسب إليها، ومن القبائل التي يقال إنها تحولت عن بني أسد جُذَامٌ، وذلك أن نَسَابِي مضر يزعمون أن جُذَامَ هو جُذَام ابن أسد بن خزيمه، وأنهم انتقلوا بنسبهم إلى اليمن.^(٤) وفي ذلك يقول رجل من القارة بن هَوْنِ بن خزيمه:

^(١) انظر ابن الكلبي ١: ٢٦٤-٢٦٧.

^(٢) انظر العقد الفريد ٣: ٣٤١.

^(٣) ابن حزم: ١٩٠-١٩١، وابن الكلبي ١: ٢٧٠. وانظر تفصيل أنساب بني أسد أصولاً وفروعاً في ابن الكلبي ١: ٢٣٩-٢٧٠، وابن حزم: ١٩٠-١٩٦.

^(٤) المتع في علم الشعر، للنهشلي القيرواني: ٢٤٠. تحقيق منجي الكعبي، الدار العربية، ليبيا - تونس، ١٣٩٨هـ. وانظر كنز الحفاظ، للتبريزي: ٥٤٣. تحقيق لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٨٩٥.

دَعُونَا قَارَةَ لَا تَنْفَرُونَا

فَتَنِيَّكَ الْقَرَابَةَ وَالذِّمَامَ

كَمَا جَلَّتْ بَنُو أَسَدٍ جُذَامًا

فَبَانَتْ عَنْ مَسَاكِينِهَا جُذَامٌ^(١)

وللكميت شعر في تحول جُذَام إلى اليمن.^(٢)

وذكر البلاذري أنَّ بعض بني أسد يزعمون أنَّ لخمًا وعاملة وجُذَام ليسوا من اليمن وإنما أولاد عمرو بن أسد بن خزيمه،^(٣) ويشهد على ذلك شعر لأبي السَّمَال الأسدي يزعم فيه أنَّ هذه القبائل من قومه.^(٤) وأما مصعب وابن حزم فقد ذكرا أنَّ قومًا يقولون إنَّ لخمًا هم وعاملة وجُذَام بنو أسدَة بن خزيمه.^(٥) وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ ابن حزم أثار الشك من قبل في أنَّ لخزيمه ولدًا يسمى أسدَة.^(٦) أما ابن الكلبي فقد ذكر أنَّ جُذَام ولد أسدَة ولم يذكر لخمًا وعاملة.^(٧)

ويقال: إنَّ جَذِيمَة بن رَوَاحَة العبسي هو ابن فُقَعَس بن طَرِيف بن عمرو

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ١: ٧٧. تحقيق محمد حميد الله، معهد المخطوطات العربية،

مصر، ١٩٥٩.

(٢) انظر المعاني الكبير، لابن قتيبة ١: ٥٢٤-٥٢٥. دار النهضة، لبنان، ١٩٥٣.

(٣) انظر أنساب الأشراف ١: ٣٧. والإصابة، لابن حجر ٢: ١١٤. المكتبة التجارية، مصر،

١٣٥٨هـ.

(٤) انظر القسم الثاني: مقطعة (٢٧٤).

(٥) نسب قريش ١: ٨، وجمهرة ابن حزم: ١١.

(٦) يمكن الرجوع إلى الصفحة: ١٣.

(٧) جمهرة النسب ١: ٦.

الأسدي، وقد روى التبريزي أن أبا رياش قال: «إِنَّ حَيَّةَ بِنْتَ مَالِكِ بْنِ مُرَّةٍ كَانَتْ تَحْتَ فَقْعَسٍ، فَمَاتَ عَنْهَا، فَخَلَفَ عَلَيْهَا رَوَاحَةُ، فَوَلَدَتْ حَزِيمَةَ عَلَى فَرَاشِهِ، فزَعَمُوا أَنَّهَا تَزَوَّجَتْهُ وَهِيَ حَبْلَى بِحَزِيمَةَ فَوَلَدَتْهُ لثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ، فَجَاءَ حَزِيمَةَ يَطْلُبُ مِيرَاثَ أَبِيهِ، فَقَالَ لَهُ أَغْيَا بْنُ طَرِيفٍ: مَا أَعْرَفَكَ وَلَا لَكَ عِنْدِي مِيرَاثٌ، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ أَعْطَيْتَنِي وَلَوْ بِكَرٍّ أَسْتَحِقُّ بِهِ النِّسْبَ، فَمَنْعَهُ، فَأَنْشَأَ حَزِيمَةَ يَقُولُ:

أَعْيَيْتَنِي كُـلَّ الْعِيَا

ءِ فَلَا أَغْرَرَّ وَلَا بَهِيْمُ

فسمي «أغْيَا» بهذا البيت، وثبت نسب حزيمة في بني عيس، ولذلك يقول قيس بن زهير:

وَجَدْنَا أَبَانَا فِي حَزِيمَةٍ ثَابِتًا

وَلَسْتُ بِعَيْسِيٍّ وَلَا مُتَعَبِّسٍ

ولكنني من فقْعَسٍ وابنِ فقْعَسٍ^(١)

ولطرفة الجذيمي أبيات عاتب فيها بني فقْعَسٍ، وذكر خروجهم منها.^(٢)
وروى ابن الكلبي أن الحارث ومالك وعقدة، ولد نُمَيْرُ بْنُ أَسَامَةَ بْنِ نَصْرٍ
ابن قعين، تحولوا عن بني أسد، ودخلوا في بني تغلب.^(٣)

^(١) شرح الحماسة للتبريزي ١: ٣٨٨. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٣٥٧هـ.

^(٢) انظر شرح الحماسة، للتبريزي ١: ٣٨٦-٣٨٧.

^(٣) جمهرة النسب ١: ٢٤٧.

وروي أن مالك أو الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان فارق قومه وتحول إلى قسر بعض قبائل اليمن، لكنه لم يحمد حوارهم، وظلموه، فعاد إلى قومه.^(١) وذكر المصادر أن أحياء من قبائل العرب هجرت أقوامها ودخلت في بني أسد وانتسبت إليها، منها بنو ناشرة بن أنمار بن مازن بعض بني سعد العشييرة، فقد روي أن زبيداً أكثر القتلى في بني مازن، فلحققت بنو مازن بمازن بن مميم، ولحقت ناشيرة بن أنمار ببني أسد، ولحقت فالج بن أنمار بسليم بن منصور.^(٢) ويقال إن مالك بن مالك بن ثعلبة بن دودان هو مالك بن سعد بن زيد مناة، وذلك أنه لما هلك سعد بن زيد مناة بن مميم، وعنده سلمى بنت مالك بن غنم ذهبت ومعها مالك بن زيد مناة، فتزوجها مالك بن ثعلبة بن دودان، فقالت لها نساء بني دودان: مازنيتك هذا الذي جئتنا به؟ فقالت: هذا زنيتي. ومنها عرف بنو مالك بن مالك ببني الزينة، وفي ذلك يقول الأسدي:

ليس بنو الزينة من حي أسد

حقاً ولا سعدٍ وليسوا من أحد

جاءت به سلمى إلينا من بعد

فأصبح الزينة فينا ذا عذد^(٣)

(١) نظر شرح أدب الكاتب، للجواليقي: ٢٨١. مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٠هـ.

(٢) الخزانة، للبغدادي ٦: ٣٦٤. تحقيق عبد السلام هارون، دار الكاتب العربي، القاهرة،

١٣٨٧هـ.

(٣) شرح المفضليات، للأتباري: ١٠٤. تحقيق كارلوس يعقوب لایل، مطبعة الآباء اليسوعيين،

بيروت ١٩٢٠م.

هذه التحولات القليلة عن بني أسد أو إليها، إن صحَّت لا تدل على فساد واختلاط في نسب القبيلة، بل خلاف ذلك، فهي من القلَّة والندرة ما يعطي الدليل على صريح النسب. وبطبيعة الحال فإنَّ صراحة النسب لا تعني نقاء دم القبيلة، فثمة تزواج واسع بين القبائل، ومنها بنو أسد، ومن النساء اللواتي تزوجن في أسد أميمة بنت عبد المطلب، وكانت عند جحش بن رثاب الغنمي، وولدت له عبد الله، وعبيد الله، وأبا أحمد، وزينب، وحمنة^(١). والصَّغِيَاء بنت الحارث بن حرب بن أمية، وتزوجت ابن أبي أكثم الغنمي^(٢) وهو بدري استشهد بخير. وأمَّ حَارِجَةَ البُحَلِيَّة التي ضرب المثل بسرعة نكاحها، تزوجت فيمن تزوجت مالك بن ثعلبة بن دودان فولدت له غاضرة بن مالك^(٣).

وكثيرات من بني أسد تزوجن في قبائل العرب، فحنيفة بنت كاهل بن أسد أعقبت في ثلاث قبائل، ونسب ولدها إليها، وهم: الدَّوْل بن حنيفة، وعامر بن حنيفة، وعدي بن حنيفة^(٤). وآمنة بنت وَهْب من نَصْر بن قُعين تزوجت ربيعة ابن عبد شمس^(٥). وهند بنت مازن الكاهلية كانت عند الحارث بن تميم بن سعد

(١) انظر المحرر، لابن حبيب: ٦٣. تصحيح إيلزة شتير، المكتب التجاري، بيروت، بلا تاريخ.

(٢) انظر أنساب الأشراف ١: ٩٠.

(٣) انظر الفاعر للمفضل بن سلمة: ٦٠. تحقيق عبد العليم الطحاوي، ط ١، طبعة عيسى البابي، مصر، ١٣٨٠هـ.

(٤) انظر نهاية الأرب ٢: ٣١٣.

(٥) انظر أنساب الأشراف، للبلاذري ٤: ١: ١. تحقيق احسان عباس، بيروت،

١٤٠٠هـ.

ابن هذيل.^(١) ومُفَدَّة بنت ثعلبة بن دودان كانت عند زيد مناة بن مميم، وولدت له مالكا وسعدا.^(٢) وزُهْرَة بنت عمرو الكاهلية هي أم خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي.^(٣) وغيرهن كثيرات.

وإذ أكتفي بهذا العرض لأصل بني أسد ومشاهير بطونها وأحيائها، وتزاورها مع قبائل العرب، أثبت بذيل هذه الدراسة شجرة نسب مفصلة لأصول القبيلة وفروعها، كما وردت في جمهرة النسب لابن الكلبي.

ثانياً - منازل بني أسد:

يواجه الباحث في مواطن القبائل العربية قبل الإسلام، ولا سيما البلوية منها صعوبات جمّة، على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها السلف الصالح من الجغرافيين العرب، فقد ذكرت معجمات البلدان أسماء الأماكن والمياه والجبال والوديان التي نزلت فيها القبائل، والمواقع التي كانت لهم فيها وقائع وأيام، وحاول الجغرافيون العرب تحديد كثير من المواقع والبلدان بما وصلت إليه معارف عصرهم «فلينة» مثلاً: هو المنزل الرابع لقاصد مكة من واسط.^(٤) وأثال: جبل لبني عبس بينه وبين الماء الذي ينزل عليه الناس إذا خرجوا من البصرة إلى المدينة ثلاثة أميال.^(٥) لكن الصعوبة تنشأ أولاً من قصور الدراسات الجغرافية الحديثة لجزيرة العرب ونقصها الفادح، فنحن لا نعرف اليوم على نحو الدقة منازل الحجاج القادمين من واسط إلى مكة ولا المسافرين من

(١) جمهرة النسب ١: ٤٩٨. ط الكويت.

(٢) النقااض، لأبي عبيدة ١: ٤٨٣. ليدن، ١٩٠٥.

(٣) جمهرة النسب ١: ٧٥.

(٤) معجم البلدان، لياقوت ٥: ٢٩. طبعة دار صادر، بيروت، ١٣٧٤هـ.

(٥) معجم البلدان ١: ٨٩.

البصرة إلى المدينة. وكثير من المواضع قد عفى عليها الزمن، أو تبدلت أسماءها، ولا
تمدنا الدراسات المعاصرة بالأسماء التاريخية لتلك المواضع. وتنشأ الصعوبة ثانياً من طبيعة
الحياة الرعوية للقبائل العربية القائمة على الحلّ والترحال بحثاً عن منابت الكلأ ومساقط
الغيث في جزيرة مزامية الأطراف غلبت عليها الصحارى الواسعة والمفايزات المهلكة.
ويزيد الأمر صعوبة حياة القلق والاضطراب والاحتراب التي شهدتها أرض العرب في
جاهليتها، فالقبائل ذات الشوكة والعدد تنزل مواطن غيرها من القبائل وتجلبها عنها،
وقد تفرق تلك القبائل وتشتت في المنازل والديار.

كل ذلك لا يعفينا من رسم ديار بني أسد، وتتبعها في هجرتها ونزوحها،
وتجمعها أو تفرقها، ولكن قد يكون لنا عذر أو بعض عذر في غياب بعض
الملاحح لتلك الصورة.

وقد كانت الحجاز منازل مضر وربيعة، وظلت القبيلتان فيها متجاورتين
حتى وقعت الحرب بين أفناء ربيعة، فارتحلت ربيعة من مكة نحو اليمامة ونجد.
وماصقبتها، ثم إلى الجزيرة الفراتية.^(١) وانقسمت مضر إلى قيس عيلان
وخندف، ثم احتزبت القبيلتان فرحلت قيس، وبقي جذما خندف طابخة
ومُدركة. ولم تلبث أن رحلت طابخة جهة نجد، وأقامت مدركة في تهامة وما
حولها.^(٢) فشغلت هذيل بن مدركة جبلاً من جبال السّراة وصدور أوديتها
وشعابها.^(٣) ونزلت خزيمة وهي أكبر بطون مدركة مكة وما حولها من جبال

(١) انظر معجم ما استعجم، للبكري ١: ٥، و ٨٥-٨٦. تحقيق مصطفى السقا، لجنة

التأليف، القاهرة، ١٩٤٥.

(٢) انظر المصدر نفسه ١: ٨٧.

(٣) انظر المصدر نفسه ١: ٨٨.

وشعاب ومسايل أودية، فكانت خزيمة أول من نزل مكة من مضر.^(١) ولأن مكة وادٍ غير ذي زرع شحيح المياه شديد الحرارة فقد هجره أبناء خزيمة كنانة وأسد وبقي فُهر بن مالك وهو قريش.^(٢) أما كنانة فلم ترحل بعيداً عن الحرم ونزلت جنوبي الحجاز إلى تهامة مجاورة هذيلاً في بعض جبال وأودية،^(٣) في حين ارتحلت أسد إلى نجد كما فعل من قبل غيرها من بطون مضر التي خرجت من الحجاز. وذكرت بعض المصادر أن خزاعة هي التي أجلت أسداً من نواحي الحرم، فأنجدت أسد وحالفت طيئاً، ثم حالفت فزارة من غطفان.^(٤) أما ابن سلمة فقد ذكر أن منازل أسد كانت تهامة حتى هلك الملك الكندي الحارث بن عمرو، فأخرجهم بنو كنانة من مكة.^(٥)

وانساحت أسد في معظم ديار نجد وشغلت أطرافاً من الحجاز مما يلي نجداً، فجاورت عيساً وغطفان، وأقامت حلفها في غطفان، وذكر البكري أن الله جاء بالإسلام، وقد نزل الحجاز من العرب أسد وعيس وغطفان وفزارة.^(٦) وكان

(١) انظر الطبقات الكبير، لابن سعد ١: ٣٩. طبعة ليدن، ١٣٢٢هـ.

(٢) انظر المصدر السابق ١: ٣٩.

(٣) انظر الجبال والأمكنة، للزمخشري: ١٢. تحقيق إبراهيم السامرائي، مطبعة السعدون،

بغداد، ١٩٦٨م.

(٤) انظر شرح الحماسة للتبريزي ١: ١٨٩-١٩١، واللسان، والتاج (حلف). وانظر

أبياتاً لقيس بن الحداية يذكر ذلك، في الأغاني، للأصفهاني، ١٤: ١٤٩. طبعة دار الكتب

المصرية، ط ١، القاهرة، ١٩٣٥م.

(٥) انظر الفاحر: ١٩٢.

(٦) انظر معجم ما استعجم ١: ٩٠.

لبنى أسد أسفل وادي الرُّمَّة، وهو فضاء تدفع فيه أودية كثيرة من الغور والحجاز، قال ياقوت: «والرُّمَّة تجيء من الغور والحجاز، فأعلى الرُّمَّة لأهل المدينة وبني سَلِيم، ووسطها لبني كلاب وغطفان، وأسفلها لبني أسد وعبس»^(١) وذكر ياقوت أنَّ ما ارتفع من بطن الرُّمَّة فهو نجد إلى ثنایا ذات عِرْق. ^(٢) ولبنى أسد الثُّعلبيَّة، وهي مائة من أعمال المدينة، منسوبة إلى ثعلبة بن مالك بن دودان، وهو أول من احتفرها. ^(٣) فإذا فارقتَ الحجاز إلى نجد وأنت صادر من النُّقرة كان على يمينك جبل قَطَن، وهو في ديار بني أسد. ^(٤) وقيل إنه لبني عبس بين الرُّمَّة وأرض بني أسد. ^(٥)

أما ديار بني أسد من ناحية الجنوب فتصل إلى حمى ضَرِيَّة، وهي من ضَرِيَّة إلى المدينة، وهي أرض منبات كثيرة العشب، دخل فيها من مياه بني أسد ستة أمواه، ومثلها لبني عبس. ^(٦) ولأسد «إمرءة» وهي أدنى حمى ضَرِيَّة تشاركها فيها غني ثم صارت إلى عامر بن صعصعة. ^(٧) وأقصى حمى ضرية جبل النير وهو لغاضرة من أسد. ^(٨)

(١) معجم البلدان ٣ : ٧٢.

(٢) معجم البلدان ٥ : ٢٦٢.

(٣) معجم ما استعجم ١ : ٣٤١.

(٤) معجم ما استعجم ٣ : ١٠٨٣.

(٥) معجم البلدان ٤ : ٣٧٤.

(٦) معجم ما استعجم ٣ : ٨٦٤.

(٧) معجم البلدان ١ : ٢٥٣.

(٨) صفة جزيرة العرب، للهمداني: ٣٢٨. تحقيق محمد الأکوع، دار اليمامة، الرياض، ١٣٩٤هـ.

وتمتد ديار أسد إلى جهة الشمال حتى جبلي طيئ أجا وسلمى، فأسفل مدافع السَّبْعان، وهو واد بين الجبلين لطِيئ، وادي الأَحْفَر لبني أسد، وأعلاه المَلَأ، وهو بَرث أبيض ليس برمل ولا جلد وأسفله الأَحْفَر، وكان لبني يَرْبُوع فحلّت به بنو جَذِيمَة بعض أسد أول الإسلام فانتزعتها منهم.^(١)

وتقع «فَيْد» شرقي جبل سلمى، وأول أجبلها على مظهر طريق الكوفة بين الأحفر وفَيْد جبل «عُنَيْزَة»، وهو لبني سعد بن ثعلبة بن دودان، وإلى جنبه ماء يقول لها الكَهْفَة، وماء يقال لها البعوضة لبني أسد، وبها قتل ضرار بن الأزور مالك بن نُويرَة في حروب الرُّدَّة. ويلي جَبِيل عُنَيْزَة عِقْر سَلَمَى لبني نِهْهان الطائيين، وهو عن يسار المصعد إلى مكة، ثم الغَمْر وهو جبل أحمر طويل لبني مخاشن بعض بني أسد، وإلى جنبه ماء يقال لها الرُّخَيْمَة وأخرى يقال لها التَّغْلِيَّة، وبين الغَمْر وفَيْد عشرون ميلاً. ثم الجبل الثالث قُنة عظيمة تدعى أذَنَة لبطن من أسد يقال لهم بنو القَرِيَّة، وفي ناحيتها ماء يقال لها نُجْر، وبين أذَنَة وفَيْد ستة عشر ميلاً. ثم يليها هَضْب الوراق لبني الطَّمَّاح الأسديين، وفي ناحيته ماء يقال لها أفعى، وأخرى يقال لها الوراقَة، ثم يلي هَضْب الوراق جَبَلان أسودان يدعيان القَرْنَيْن بينهما وبين فَيْد ستة عشر ميلاً، يطوهُما الماشي من فَيْد إلى مكة، وهما لبني ثعلبة بن دودان. أما عن يمين المصعد إلى مكة على بعد ستة وثلاثين ميلاً من فَيْد تقع صحراء الخَلَّة، وهي لبني ناشرة بعض أسد، ويلها الثَّلَم وهي إكام متشابهة سهلة مشرفة على الأحفر لبني ناشرة، وبين الثَّلَم وفَيْد خمسة عشر ميلاً.^(٢)

(١) معجم البلدان ٥ : ١٨٨-١٨٩.

(٢) معجم ما استعجم ٣ : ١٠٣٣-١٠٣٥.

ومن ديار أسد المشهورة الجُلُس، والقَنان وهو لبني فقعس، وأبَّانان، أبَّان الأبيض وأبَّان الأسود وهما جبلان،^(١) ووادي مُنْعِج وهو كثير المياه،^(٢) وبُزَاخَة وهي ماء، وكان عليها يوم للمسلمين على طليحة بن خويلد.^(٣) ولبني غاضرة خَزَازان وهما هضبتان طويلتان بين أبَّانين وبين مهب الجنوب على مسيرة يومين بوادي مُنْعِج.^(٤)

أما ما بين تيماء والكوفة من بلاد نجد فهي ديار لأسد وطىء، فإذا خرجت من تيماء قصد الكوفة فأنت في ديار بُحْتر من طىء إلى أن تقع في ديار أسد قبل الكوفة بخمس مراحل.^(٥)

وترتفع ديار أسد من نواحي الكوفة إلى ما بين الكوفة والبصرة، فقرية الغاضرة قرب كربلاء لبني غاضرة منسوبة إليهم.^(٦) ولهم جُفَاف الطَّير ومنه الثَّعلبية التي قرب الكوفة،^(٧) وذو أخْثال وهو واد فيما بين البصرة والثَّعلبية،^(٨) ولهم هضبات متفرقات بين البصرة والكوفة تدعى ذات فَرْقَيْن.^(٩)

(١) معجم ما استعجم ١: ١٣.

(٢) معجم البلدان ٥: ٢١٣.

(٣) معجم ما استعجم ١: ٢٤٧.

(٤) معجم البلدان ٢: ٣٦٥.

(٥) صفة جزيرة العرب: ٢٧٤.

(٦) معجم البلدان ٤: ١٨٣.

(٧) معجم البلدان ٢: ١٤٦.

(٨) المرصع، لابن الأثير: ٧٧. تحقيق إبراهيم السامرائي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩١ هـ.

(٩) معجم البلدان ٤: ٢٥٥.

وقد أحلى الملك الكندي حُجْر بن الحارث أسداً من نجد وطردَهم إلى تِهامة.^(١) غير أنَّ أسداً سرعان ما عادت إلى نجد وثارَت بحجرٍ وقتلته بأبرقي حُجْر.^(٢)

ونلاحظ من هذا العرض لمنازل بني أسد أنها انتشرت من تِهامة إلى نواحي الكوفة والبصرة. وبطبيعة الحال لم تشغل أسد تلك الأرضين الواسعة، وإنما حلت وارتحلت في تلك المواطن، مجاورة فيها غيرها من القبائل المقيمة والطائفة في نجد والحجاز وتِهامة.

ونزلت بنو أسد بعد الإسلام الكوفة، التي وضع خططها أبو الهيثاج الأسدي، لما عزم المسلمون على بنائها زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.^(٣) ولم ينزل أحد من بني أسد البصرة، أما خطة أسد بالبصرة فهي لبني أسد بن شريك بعض قبائل زهران بن كعب، وليس لبني أسد بن خزيمه خطة بالبصرة.^(٤) وبعد هذا التحديد العام لبلاد بني أسد، فقد أثبت في ذيل الدراسة ثبناً بأسماء المواضع والأماكن التي وقفت عليها في معجمات البلدان من بلاد أسد.

^(١) انظر الأغاني ٩ : ٨٢ وما بعدها.

^(٢) معجم البلدان ٢ : ٢٢٣.

^(٣) انظر تاريخ الطبري ٤ : ٤٤. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٤، دار المعارف بمصر ١٩٧٧م ومعجم البلدان ٤ : ٤٩٢.

^(٤) الاشتقاق، لابن دريد: ٥٠١. تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة السنة المحمدية، مصر، ١٣٧٨هـ.

الفصل الثاني

حياة أسد الدينية والاجتماعية

لدراسة الحياة الدينية في بني أسد لا بد من الوقوف على أهم النزعات الدينية والمعتقدات السائدة في جزيرة العرب قبل الإسلام، ولا سيما معتقدات المشركين، إذ كان أكثر العرب على الشرك. وتتناول هذه العقائد والملل على نحو مجمل، إلا ما كان يعيننا منها على معرفة المعتقدات السائدة في بني أسد، حتى لا نخرج عن الغاية.

كما سنحاول استجلاء جوانب الحياة الاجتماعية للقبيلة، فتبين ملامح عيشها، والمعارف والعلوم التي نبغت فيها، والخلال والصفات التي عرفت عنها.

١ - حياتها الدينية:

عرفت جزيرة العرب طوال القرن السادس وأوائل القرن السابع للميلاد، عقائد دينية مختلفة، بعضها عربي خالص انبثق من الفكر العربي، وبعضها وافد على الجزيرة بسبب اتصال العرب بحيرانهم. وفي القرآن الكريم ذكر لهذه الديانات جميعها، ففي سورة الحج يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا، وَالَّذِينَ هَادُوا، وَالصَّابِّينَ، وَالنَّصَارَى، وَالْمَجُوسَ، وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا، إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.^(١) وثمة آيات تشير إلى أن بعض العرب عبدوا الملائكة أو الجن: ﴿وَيَوْمَ

^(١) سورة الحج، الآية (١٧).

يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لِي أَيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلَيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ^(١).

وتحدث المسعودي عن ديانات العرب ومعتقداتها في الجاهلية، فبين أهم عقائد العرب، وميز بين طوائف المشركين، وذكر بعض الديانات الوافدة على الجزيرة، فقال: «كانت العرب في جاهليتها فرقا: منهم الموحد المقر بخالقه، المصدق بالبعث والنشور، موقناً بأن الله يثيب المطيع، ويعاقب العاصي، وقد تقدم ذكرنا، في هذا الكتاب وغيره من كتبنا، من دعا الله عز وجل ونبيه أقوامه على آياته في الفترة، كقُصِّ بن ساعدة الإيادي، ورثاب الشَّني، وبجير الراهب، وكانا من عبد القيس. وكان من العرب من أقر بالخالق، وأثبت حدوث العالم، وأقر بالبعث والإعادة، وأنكر الرسل، وعكف على عبادة الأصنام، وهم الذين حكى الله عز وجل قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(٢)، وهذا الصنف هم الذين حجوا إلى الأصنام وقصلوها، ونحروا لها البدن، ونسكوا لها النسائك، وأحلوا لها وحرّموا. ومنهم من أقر بالخالق، وكذّب بالرسل والبعث، ومال إلى قول أهل الدهر، وهؤلاء الذين حكى الله تعالى إلحادهم وخبر عن كفرهم بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ، وَمَالَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾^(٣). ومنهم من مال إلى اليهودية والنصرانية. ومنهم المارّ على عنجهيته الراكب لهجمته. وقد كان صنف من العرب يعبدون الملائكة، ويزعمون أنها بنات الله، فكانوا يعبدونها لتشفع لهم عند الله، وهم الذين أخبر الله عز وجل عنهم بقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَ وَلَهُمْ

(١) سورة سبأ، الآيتان (٤٠، ٤١).

(٢) سورة الزمر، الآية: (٣).

(٣) سورة الجاثية، الآية: (٢٤).

مايَشْتَهُونَ^(١) وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىَّ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ؟ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ؟ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾^(٢)». ^(٣)

وإذا كان الموحدون ممن طلبوا دين إبراهيم طبقة من الحكماء والعقلاء وذوي الثقافة ممن قرؤوا الصحف والأسفار، فإن طوائف الشرك كانت عامة العرب ودهماءها.

أما الديانات الوافدة على الجزيرة فلم يكن لها انتشار واسع، ولعل النصرانية أوسعها انتشاراً، إذ دانت بها بعض القبائل كغسان وتغلب، في حين انحصرت اليهودية في بعض قبائل اليمن كحمير، ولم تحظ عقائد المجوسية والزندقة والصابئة بقبول العرب وإن أخذ بها بعض الأفراد القلائل، فقد ذكر ابن حبيب ثمانية رجال من قريش دانوا بالزندقة، منهم أبو سفيان بن حرب.^(٤) وبالغ التوحيدي في انتشار هذه الديانات في أرض العرب، فقال: «وأما أديان العرب فإنَّ النصرانية كانت في ربيعة وغسان وبعض قضاة، واليهودية كانت في حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة، والمجوسية كانت في تميم منهم زُرارة بن عُلُس، وحاجب بن زُرارة، والأقرع بن حابس، وكانت الزندقة في قريش».^(٥)

ولا يمكننا أن نقر التوحيدي على ذلك، فلماذا كان بضعة رجال من تميم

^(١) سورة النحل، الآية (٥٧).

^(٢) سورة النجم، الآيات (١٩-٢٢).

^(٣) مروج الذهب، للمسعودي ٢: ١٢٦-١٢٧. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،

ط ٢، مطبعة السعادة، ١٣٦٧هـ.

^(٤) انظر المحبر: ١٦١.

^(٥) البصائر، للتوحيدي، مجلد ٢: ١: ٤٥. تحقيق إبراهيم الكيلاني، مكتبة أطلس،

دمشق، ١٩٦٤م.

ذكرهم بأسمائهم دانوا بالمجوسية، وبضعة آخرون من قريش تزندقوا، فهذا لا يعني أن القبيلتين دانتا بهاتين الديانتين، كما أن أخبار الجاهلية لا تشير إلى تهود كِنْدَة وكنانة وبلحارث، ولا نعهد مؤرخاً ذكر ذلك، وإنما الإجماع على أن اليهودية كانت في بعض قبائل اليمن.

وإذا كانت الديانات الوافدة محدودة الانتشار بين العرب، فإن أكثر العرب على الشرك، ويزعمون أنهم على دين إبراهيم، وقد يبين ابن الكلبي العلة في ذلك، فروى كيف بدأ الناس يتقربون إلى الأصنام، ويتعدون عن ملة أبيهم إبراهيم، فقال: «وكان الذي سلخ إلى عبادة الأوثان والحجارة، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم، تعظيماً للحرم وصباة بمكة، فحيثما حلّوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة، تيمناً منهم وصباة بالحرم وحباً له، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام».^(١)

ويدلو أن الناس مع الزمن استبدلوا حجارتهم بأصنام ونسوا العلة من تقديس هذه الحجارة، فصاروا إلى الشرك بعد التوحيد، وبقيت أمور من ديانة أبيهم يتنسكون بها، يقول ابن الكلبي: «وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتنسكون بها: من تعظيم البيت، والطواف والحج والعمرة، والوقوف على عَرَفة ومُزْدَلِفة، وإهداء البُذْن، والإهلال بالحج والعمرة، مع إدخالهم فيه ما ليس منه».^(٢) وإذا كان المشركون يرون في الأصنام وسيلة تقربهم إلى الله، فإنهم كانوا يرون أن الله أكبر من الأصنام وسائر المعبودات، فأوس بن حجر يقول:

(١) الأصنام، لابن الكلبي: ٦. تحقيق أحمد زكي باشا، ط٢، دار الكتب المصرية،

القاهرة، ١٩٢٤م.

(٢) الأصنام: ٦.

وباللاتِ والعُزَّى وَمَنْ دَانَ دِينَهَا

وبالله إنَّ الله مِنْهُنَّ أَكْثَرُ^(١)

والنابعة يقسم بالله الذي ليس بعده قسم أو ملجأ:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً

وليس وراء الله لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ^(٢)

ويتفاوت الناس في التمسك بهذه الأصنام وتعظيمها، فأهل البادية بطبيعتهم أقل تديناً من أهل الحاضرة، فإذا كان الدين راسخاً في مكة، والأصنام معظمة معبودة، فليس الأمر على هذا النحو عند الأعراب، وكثيراً ما يشور البلوي بربه فيزجره أو يأكله، وقد ذكر التوحيدي أن «بني حنيفة اتخذوا إلهاً من حَيْس فعبلوه دهرًا، ثم أصابهم مجاعة فأكلوهم»^(٣). وثورة امرئ القيس بذئ الخَلَصَة شائعة معروفة، حين استقسم عنده بالأزلام، فخرج السهم ينهاه عن الطلب بثأر أبيه، فقال:

لَوْ كُنْتُ يَازَا الْخَلَصِ الْمَوْتُورَا

مِثْلِي وَكَانَ شَيْخُكَ الْمَقْبُورَا

لَمْ تَنْهَ عَنِ قَتْلِ الْعُدَاةِ زُورَا^(٤)

(١) ديوان أوس: ٣٦. تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت.

(٢) ديوان النابعة: ٧٦. تحقيق شكري فيصل، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٨.

(٣) البصائر ٢: ١: ٤٥.

(٤) ديوان امرئ القيس: ٤٦٠. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر،

١٩٥٨م. وسيرة ابن هشام: ١: ٩١، والأصنام: ٣٥. ورويت أيضاً عن رجل من العرب.

وبنو أسد كانت على دين النبي شعيب، قال الحارث بن كعب المذحجي
لبنيه، لما حضرته الوفاة: «... وإني لعلى دين شعيب النبي عليه السلام، وما
عليه أحد من العرب غيري، وغير أسد بن خزيمه، وميم بن مُرّة، فاحفظوا
وصيتي، وموتوا على شريعتي»^(١) ولعل هذا ما يفسر لنا أن ابن الكلبي لم يذكر
في أصنامه صنماً عبده أسد، ولم يرد ذكر لهم عند ابن حبيب حين ذكر أصنام
العرب التي تعبدها أو تعظمها،^(٢) كما خلت المصادر الأخرى التي وقفت عليها،
وكذلك أشعار الأسديين من ذكر ذلك.

أما الأصنام التي مر ذكرها في شعرهم فهي غالباً ما كانت ترد في تشبيه أو
هجاء. فبشرٌ شبه قتيلاً تقيم الطير حوله ولا تدنو منه، بالنساء العوارك التي تقوم
بعيدة عن «إِسَاف»:

عَلَيْهِ الطَّيْرُ مَا يَدْنُونَ مِنْهُ

مَقَامَاتِ الْعَوَارِكِ مِنْ إِسَافٍ^(٣)

كما شبه مضرّس بن ربيعة قوماً حلولاً تلاقوا بِسِرْبٍ من نساء على طريق
كثير المسافرين بقبيلة «عَنْزَة» وهي تطوف حول صنمها «السُّعَيْر»، وتتعالى
أصواتها، وقد عثرت له العتائر:

(١) أمالي المرتضى ١: ٢٣٢.

(٢) انظر المحبر: ٣١٥.

(٣) ديوان بشر: ٢٣٣. تحقيق عزة حسن، ط٢، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٢م.
وإِسَاف: صنم بمكة، وهما صنمان إساف ونائلة، كانت العرب تنحر عندهما، وتمسح
بهما في الجاهلية.

فَلَمَّا تَعَالَتْ بِالْمَعَانِيكِ حِلَّةٌ
لَهَا سَابِقٌ لَا يَخْفِضُ الصَّوْتَ سَائِرُهُ
تَلَاقَيْنَ مِنْ ذَاتِ التَّنَائِيرِ سُورَةً
عَلَى ظَهْرِ عَادِيٍّ كَثِيرِ سَوَافِرُهُ
تَبَيَّنَتْ أَعْنَاقَ الْمَطِيِّ، وَصُحُفِي
يَقُولُونَ مَوْقُوفُ السُّعَيْرِ وَعَامِرُهُ^(١)
وسخر عبيد من حديلة طيئ لما أغارت بنو أسد عليها، وأخذت صنمها،
فأخذت حديلة «اليعبوب» صنماً تتعبد له بدلاً من صنمها القديم:
أُنْبِئْتُ أَنَّ يَزِي حَدِيلَةَ أَوْعَبُوا
نَفَرَاءَ مِنْ سَلَمَى، لَنَا وَتَكْتَبُوا
وَتَبَدَّلُوا الْيَعْبُوبَ بَعْدَ إِلَهِهِمْ
صَنَمًا، فَقَرُّوا يَا جَدِيلَ وَأَعْذِبُوا^(٢)

وكانت العرب في أداء مناسك الحج تقسم إلى حُمْسٍ وَحِلَّةٍ وَطُلَسٍ،
فالحمس هم قريش كلها، وخزاعة لنزولها مكة ومحاورتها قريشاً، وكل من
ولدت قريش من العرب، وكل من نزل مكة من العرب، وهم في منزلة أرفع من
باقي العرب لمحاورتهم بيت الله الحرام، وكانوا يميزون أنفسهم من باقي الحجاج
بأمور خصوا أنفسهم بها، ويُرجح أنهم شُموا حمساً لتشددهم على أنفسهم في

(١) معجم البلدان ٢: ٤٧، ويمكن العودة إلى القسم الثاني. ق (١٧٩).

(٢) ديوان عبيد: ٢-٣. تحقيق حسين نصار، ط ١، البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٧هـ.

دينهم.^(١) والطلس هم سائر أهل اليمن وأهل حضرموت وعك وعجيب وإياد ابن نزار. وكانت الطُّلُس بين الحِلَّة والحُمُس «يصنعون في إحرامهم ما يصنع الحلة ويصنعون في ثيابهم ودخولهم البيت ما يصنع الحمس».^(٢)

أما الحِلَّة فهم من سكن الحِلَّ وهو ما جاوز الحرم، وهم معظم قبائل العرب كتميم كلها، وربيعة بن نزار كلها، وقيس عيلان بأسرها، والأنصار، وكنانة وهذيل وأسد، وطيم، وغيرها.^(٣) فبنو أسد من الحِلَّة، «وكانت الحلة يحرمون الصيد في النسك ولا يحرمونه في غير الحرم، ولا يتواصلون، ويمنع الغني ماله أو أكثره في نسكه، فيسلأ فقراؤهم السمن، ويجتزون من الأصواف والأوبار والأشعار ما يكتفون به، ولا يلبسون إلا ثيابهم التي نسكوا فيها، ولا يلبسون في نسكهم الجدد، ولا يدخلون من باب دار ولا باب بيت، ولا يؤويهم ظل ما داموا محرمين، وكانوا يدهنون، ويأكلون اللحم، وأخصب ما يكونون أيام نسكهم. فإذا دخلوا مكة بعد فراغهم تصدقوا بكل حذاء وكل ثوب لهم، ثم استكروا من ثياب الحمس تنزيهاً للكعبة أن يطوفوا حولها إلا في ثياب جدد. ولا يجعلون بينهم وبين الكعبة حذاء يباشرونها بأقدامهم. فلما لم يجدوا ثياباً طافوا عراة. وكان لكل رجل من الحلة حرمي من الحمس يأخذ ثيابه. فمن لم يجد ثوباً طاف عرياناً. وإنما كانت الحِلَّة تستكري الثياب للطواف في رحوعهم إلى البيت لأنهم كانوا إذا خرجوا حجاجاً لم يستحلوا أن يشتروا شيئاً ولا

(١) المحبر: ١٧٩-١٨٠. وانظر أخبار مكة، للأزرقي ١: ١١١. طبعة الماحدية، مكة،

١٣٥٢هـ. وتاريخ اليعقوبي ١: ٢٥٦. دار صادر ودار بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٢) المحبر: ١٨١.

(٣) المحبر: ١٧٩، وتاريخ اليعقوبي ١: ٢٥٧.

يبعوه حتى يأتوا منازلهم إلا اللحم»^(١).

وكانت كل قبيلة لدى إحرامها تقف عند صنمها فتصلي عنده، ثم تنطلق قاصدة مكة، وهي تلي، متوجهة بتليتها إلى الله، رب البيت الحرام، وتلييات القبائل مختلفة وأغلبها تبدأ بعبارة «لَيْتَكَ اللَّهُمَّ لَيْتَكَ» وكانت تلية بني أسد:

لَيْتَكَ اللَّهُمَّ لَيْتَكَ

لَيْتَكَ رَبُّ أَقْبَلْتُ بَنُو أَسَدَ

أَهْلُ التَّوَانِسِي وَالْوَفَاءِ وَالْجَلْدِ

لَيْتَكَ^(٢)

ولأن أسداً على دين شعيب عليه السلام، فقد عظمت الحرم ورب الحرم، وتردد ذلك في أشعارهم، فبشر فخر بأنهم وقريشاً لهم الحل والحرم^(٣).

كما ترددت المعاني الدينية والتأله والقسم بالله عند عبيد، وقد لحظ المعري هذا الجانب في شعره فجعل له قصراً منيفاً في جنته، إلى حوار زهير بن أبي سلمى^(٤).

وكانت دهماء العرب ومنهم عامة بني أسد يتصورون أن ناقة الرجل إذا عقلت على قبره وتركت حتى تموت، فإنها تبعث معه وتكون مطية له في

(١) المحبر: ١٨٠-١٨١، وتاريخ اليعقوبي ١: ٢٥٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١: ٢٥٥.

(٣) انظر ديوان بشر: ٢٠٦.

(٤) رسالة الغفران للمعري: ١٧٣. تحقيق بنت الشاطئ، ط ٢، دار المعارف. بمصر، بلا

تاريخ.

الحشر، وقد ساق صاحب الملل والنحل وابن حبيب أبيات جريرة بن الأشيم
الفقعسي شاهداً على إيمان الجاهليين بالبعث وعقلهم البلايا، والأبيات:

يَا سَعْدُ إِمَّا أَهْلِكَ نَّ فَلِإِنِّي
أَوْصِيكَ إِنَّ أَخَا الْوَصَاةِ الْأَقْرَبُ
لَا تَتْرُكَنَّ أَبَاكَ يَغْثُرُ رَاحِلاً
فِي الْحَشْرِ، يُضْرَعُ لِلْيَدَيْنِ وَيُنْكَبُ
وَإِخْلُ أَبَاكَ عَلَى بَعِيرٍ صَالِحٍ
وَأَبْغِ الْمَطِيَّةَ، إِنَّهُ هُوَ أَصْوَبُ
وَلَعَلَّ لِي مِمَّا تَرَكْتُ مَطِيَّةً
فِي الْحَشْرِ أَرْكَبُهَا إِذَا قِيلَ أَرْكَبُوا^(١)
ولجريرة أبيات أخرى يخاطب فيها أولاده، فيدعو عليهم بالفقر أبد الدهر إن
لم يعقروا عليه مطيته:
وإِنْ أَنْتَ لَمْ تَعْقِرْ عَلَيَّ مَطِيَّتِي
فَلَا قَامَ فِي مَالٍ لَكَ الدَّهْرَ حَالِبٌ^(٢)

(١) الملل والنحل، للشهرستاني ٢: ٢٤٤. تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت،
بلا تاريخ. والمحرر ٣٢٣-٣٢٤. ويمكن الرجوع إلى القسم الثاني: ق (٢٦٦).
(٢) الحيوان، للحافظ ٦: ٤٥٣. تحقيق عبد السلام هارون، ط ١، مطبعة مصطفى البابي
الحلي، ١٣٥٦هـ.

وذكر الجميع الأسدي البلية في شعر له، يرثي به نضلة بن الأشتر، فشبه
الأرملة الفقيرة ذات الأسمال بتلك الناقة التي عقلت عند القبر مكومة متروكة لا
ماء ولا علف:

يَا نَضْلَ لِلضَّيْفِ الْغَرِيبِ، وَلِلـ

جَارِ الْمُضِيِّمِ، وَحَامِلِ الْغُرْمِ

أَوْ مَنْ لَأَشْغَتْ، بَعْلٍ أَرْمَلَةٍ

مِثْلِ الْبَلِيَّةِ، سَمَلَةِ الْهَيْدَمِ^(١)

ولا نجد أثراً لعبادة الأسلاف وتعظيم قبورهم في بني أسد، وقد ذهب جواد
علي إلى أن العرب عرفت شيئاً من آثار هذه العبادة،^(٢) وأكد وجودها عدد من
الباحثين المعاصرين، ونفاها آخرون،^(٣) والذي نجده عند بني أسد أن شاعرهم
غير حيرانهم بني لأم الطائيين وهجاهم لأنهم اتخذوا قبر حارثة بن بدر إلهما
يقسمون به:

^(١) شرح المفضليات: ٧٢٠. ويمكن الرجوع إلى القسم الثاني: ق (١٣).

^(٢) انظر الفصل، لجواد علي ٦: ٤٩، ط ١، دار العلم للملايين ومكتبة النهضة ببغداد،
١٩٧٠م.

^(٣) انظر أديان العرب في الجاهلية لمحمد نعمان الجارم: ١٢٤. ط ١، مطبعة السعادة، مصر
١٩٢٣. وفي طريق الميثولوجيا عند العرب، لمحمود سليم الحوت: ١٠٥. ط ٢، دار النهار،
بيروت، ١٩٧٩. والوثنية في الأدب الجاهلي، لعبد الغني زيتوني: ٩٥. وزارة الثقافة،
دمشق، ١٩٨٧م.

جَعَلْتُمْ قَبْرَ حَارِثَةَ بْنِ بَذْرِ
إِلْهًا تَحْلِفُونَ بِهِ فُجُورًا^(١)

كما أننا لا نجد في بني أسد أية تأثيرات دينية وافدة، وإنما نقع على صورتين مأخوذتين من مشاهدة الشعراء للنصارى في كنائسهم، الأولى لبشر، وشبهه فيها بني الحذاء وكانوا عرجاناً، بالصُّلبان وسط البيعة:

لِلَّهِ دَرُّ نَيْبِي الْحَدَاءِ مِنْ نَقْرِ
وَكُلُّ جَارٍ عَلَى جِوَارِنِهِ كَلْبٌ
إِذَا غَدَوْا وَعَصِي الطَّلَحِ أَرْجُلُهُمْ
كَمَا تَنْصَبُ وَسْطَ الْبَيْعَةِ الصُّلْبُ^(٢)

أما الصورة الثانية فهي لمضرّس، وشبهه فيها الأطباء بالنصارى السجّد:

وَسِخَالٍ سَاجِيَةِ الْعُيُونِ خَوَازِلُ
بِجَمَادٍ لَيْنَةٍ كَالنَّصَارَى السُّجْدِ^(٣)

ونلمس في أشعار الأسديين صدى المعتقدات الشائعة بين العرب كاعتقادهم بالجن، وكانوا يرون أنها تسكن المنازل المهجورة والفلوات الواسعة، لذلك وصفوا المجاهل المخيفة التي لا يسمعون بها إلاّ عزيف الجن، قال بشر:

(١) ديوان بشر: ٩١.

(٢) ديوان بشر: ٢٢٧.

(٣) معجم البلدان ٥: ٢٩، ويمكن الرجوع إلى القسم الثاني مقطعة (١٧٦).

وَحَرَقِ تَغْرِفُ الْجِنِّانُ فِيهِ

فَيَا فِيهِ يَطِيرُ بِهَا السَّهَامُ^(١)

ويرون أنَّ لكل شاعر من الإنس صاحباً من الجن، يعينه على إجادة الشعر والنبوغ فيه، وبطبيعة الحال كان لشعراء أسد شياطينهم، فهَبِيد بن الصلادِم كان شيطان عبيد، ثم صار شيطان بشر، ومُذْرِك بن وَاغِم كان شيطان الكميت.^(٢) ويعتقدون أن الجن تظهر لهم في صور مختلفة من صور الحيوان، وحديثهم عبيد بن الأبرص والشجاع الذي أبصره رَمِضًا، إذ روى صاحب الأغاني أنَّ عبيداً «سافر في ركب من بني أسد، فبينما هم يسرون إذا بشجاع يتمعك على الرمضاء فاتحاً فاه من العطش، وكان مع عبيد فضلة من ماء ليس معه غيرها، فنزل فسقاه الشجاع عن آخره حتى روي وانتعش، فانساب في الرمل، فلما كان من الليل ونام القوم ندت رواحلهم، فلم ير لشيء منها أثر، فقام كل واحد يطلب راحلته، ففارقوا، فبينما عبيد كذلك، وقد أيقن بالهلكة والموت إذا هو بهاتف يهتف به:

يَا أَيُّهَا السَّارِي الْمُضِلُّ مَذْهَبَهُ

دُونَكَ هَذَا الْبُكَرَ مِنَّا فَارَكِبَهُ

^(١) ديوان بشر: ٢٠٣. والسَّهَام: لعاب الشمس، وهي شيء مثل نسج العنكبوت، تراه ينحدر من السماء إذا حميت الشمس وركد الهواء.

^(٢) جمهرة أشعار العرب، للقرشي: ٤٤. تحقيق علي محمد الجاوي، ط ١، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٣٨٧هـ.

وَبَكَرَكَ الشَّارِدَ أَيْضاً فَاجْتَبِهْهُ
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ تَحَلَّى غَيْهَبَهُ
فَحُطَّ عَنْهُ رَحْلُهُ وَسَيَّيَبَهُ

فقال له عبيد: يا هذا المخاطب، نشدتك الله إلا أخبرني: من أنت؟ فأنشأ
يقول:

أنا الشُّجَاعُ الَّذِي أَلْفَيْتُهُ رَمِضاً
فِي قَفْرَةٍ بَيْنَ أَحْجَارٍ وَأَعْقَادٍ
فركب البكر وجنب بكره، وسار فبلغ أهله مع الصبح، فنزل عنه، وحل
رحله، وخلا فغاب عن عينه، وجاء من سلم من القوم بعد ثلاث^(١).
وكانت العرب تؤمن بالكهانة والعرافة، واشتهر بنو أسد بذلك^(٢) حتى
ساقهم الجاحظ مثلاً للبراعة فيها، فقال: «ولو توجهت لكهان بني أسد على
دهاة قريش، لقد كان ذلك من تدبيرهم نادراً بديعاً، ولكن في مكائدهم شاذاً
غريباً»^(٣). ومن كهانهم عوف بن ربيعة بن سؤاة بعض بني مالك بن ثعلبة،
وهو الذي تكهن لأسد بقتلهم حجراً^(٤). والكاهن المزدجر، وهو الذي زجر

(١) الأغاني ٢٢: ٨٥-٨٦، وانظر جمهرة أشعار العرب ١: ٥٦-٥٨.

(٢) الكهانة: هي المعرفة بخبر الجن، فالكاهن له رأي من الجن يعلمه أخبار الغيب.
والعراف دون الكاهن.

(٣) رسائل الجاحظ ١: ٢٥٦-٢٥٧. تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٩٩هـ.

(٤) انظر الأغاني ٩: ٨٤، وابن الأثير ١: ٣٠٦، وفيهما «سؤادة» بالذال، والصواب عن ابن

الكلبي ١: ٢٥٩.

لبنى أسد بعد أن حبسوا حجراً ليروا رأيهم.^(١) وطليحة بن خويلد، وكان كاهناً قبل الإسلام، ثم أسلم، ثم ارتد وأدعى النبوة.^(٢) ومن اشتهر فيهم بالعرافة حُلَيْس الخطاط، والأبْلَق الأسدي، وكان عراف نجد، وعُروّة بن زيد، وهو الذي ذكره جيبهء الأشجعي في قوله:

أَقُولُ وَعُروّةُ الأَسَدِي يُرْقِي
أَتَاكَ بِرُقِيّةِ المَلِّقِ الكَذُوبِ
لَعَمْرُكَ مَا التَّأَوُّبُ يَا بَنَ زَيْدٍ

بَشَافٍ مِنْ رُقَاكَ وَلَا مُجِيبٍ^(٣)

وقد سأل وفد بني أسد رسول الله ﷺ لما قدموا عليه عن الكهانة والعيافة وضرب الحصى، «فنهاهم عن ذلك كله، فقالوا: يا رسول الله إن هذه أمور كنا نفعلها في الجاهلية».^(٤)

وبذلك نجد أن بني أسد كانوا على الشرك كمعظم عرب الجاهلية، يؤمنون بالله والبعث والحساب، ويعظمون البيت الحرام، ويمحجون له، ثم يشركون بالله فيعبدون الأصنام. ولم يكن الأسديون من المتشددین في الدين فهم من الحلة. غير أنهم اشتهروا بكثرة الكهان والعراف.

(١) انظر الأغاني ٩ : ٨٦.

(٢) تاريخ ابن خلدون ٢ : ٨٦٩. دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٦ م.

(٣) الحيوان ٦ : ٢٠٤-٢٠٥.

(٤) عيون الأثر، لابن سيد الناس: ٢ : ٢٥٠. مكتبة القدسي، مصر، ١٣٥٦ هـ.

٢- الحياة الاجتماعية:

بنو أسد قبيلة أعرابية رعوية عاشت في ديار شحيحة الموارد قليلة المياه، لا تملك تجارة كأبناء العمومة قريش، ولا زراعة كثيف وأهل يثرب، وإنما موارد رزقها الرعي والغزو، لذلك طبع الفقر حياتها بعلامح قاسية، وترك الرواة صوراً قائمة عن سوء عيشها وشظفها، يشركها في ذلك سائر القبائل البدوية، فقد ذكر أن من طعام فقرائهم في سنوات القحط «الْقُرَّة»، وذلك «أن أهل اليمن كانوا إذا حلقوا رؤوسهم. غنى وضع كل رجل منهم على رأسه قبضة دقيق. فإذا حلقوا رؤوسهم سقط ذلك الشعر مع الدقيق، ويجعلون الدقيق صدقة، فكان ناس من أسد وقيس يأخذون ذلك الشعر بدقيقه فيرمون بالشعر، ويتنفعون بالدقيق»^(١).

وكانت فقراء بعض القبائل ومنها فقراء أسد تأكل في السنين العجاف «العِلْهَز» وهو «قُردان تعالج بدم الفصد مع شيء من وبر، وكانوا يدخرون ذلك لزمان الجذب»^(٢). كما أكل هؤلاء المعدمون في السنة «العِجَى»، وهي الجلود اليابسة يطبخونها، وفي ذلك قال أبو المهورش:

وَمُعَصَّبٍ قَطَعَ الشَّتَاءَ وَقُوْتُهُ

أَكَلُ الْعِجَى وَتَكَشَّبُ الْأَشْكَادُ^(٣)

(١) التكملة، للصفاني ٣: ١٦٤، تحقيق عبد العليم الطحطاوي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م. وانظر الحيوان ٥: ٣٧٨، والمعاني الكبير ١: ٤٢٦، والمرصع: ٢٧٩.

(٢) المعاني الكبير ١: ٤٢٦.

(٣) اللسان (عجا)، ويمكن الرجوع إلى القسم الثاني: مقطعة (٢٨٧). والمعصَّب: الذي يعصب بطنه بحجر لشدة الجوع. والشكد: العطاء.

وَأَكَلُوا «النَّبِيحَ»، وهو الوبر يخاض في اللبن ويؤكل بالمجدح،^(١) وقيل: «هو اللبن إذا جدحته بعود في طرفه فُلْكَه حتى يصير ثُملاً فيؤكل به التمر يُجْتَحَف اجتحافاً، ولا يفعل ذلك أحد من العرب إلاّ بنو أسد».^(٢)

ونبغت أسد في معارف وعلوم فاقت بها غيرها من قبائل العرب، واشتهرت بها شهرة واسعة، من ذلك معرفتهم الدقيقة بالخيل، واقتناؤهم لكرائمها وعتاقتها، فمن أفراسهم «أعوج» وكان من نتاجه «لاحق وداعق والوجيه والعسجدي».^(٣) ولخيولهم نتاج كريم في قبائل العرب، يدل على ذلك قول النابغة:

فِيهِمْ بَنَاتُ الْعَسْجَدِيِّ وَلَا حِقِ
وَرُقَا مَرَاكِهََا مِنَ الْمِضْمَارِ^(٤)

وفي نتاج «الوجيه ولاحق» يقول الكميّ بن معروف:

نَجَائِبُ مِنْ آلِ الْوَجِيهِ وَلَا حِقِ
تُذَكِّرُنَا أَحْقَادَنَا حِينَ تَصْهَلُ^(٥)

(١) اللسان (نبج). والمجدح: عود بمنح الرأس يساط به الشراب.

(٢) معجم البلدان ٥: ٢٥٥. وثمرال: قليل الماء.

(٣) الأنوار للشمشاطي ١: ٢٧١. تحقيق السيد محمد يوسف، مطبعة حكومة الكويت،

١٣٩٧هـ.

(٤) ديوان النابغة: ١٠١.

(٥) أنساب الخيل، لابن الكلبي: ٣٤. تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية

١٩٤٦م.

وخيول أسد العتاق الجياد كثيرة، ذكر شعراؤهم ثلاثين فرساً منها،^(١) ونسب الجبوري في معجم الخيل العربية المنسوبة عشرين فرساً لهم.^(٢) ومن خيولهم التي لم يرد ذكر لها في أشعارهم، ولم ينسبها الجبوري في معجمه «الغَمَامَة» وهو فرس خالد بن نُضْلَة،^(٣) و«قُدَيْد» فرس قيس بن عبد الله الغاضري،^(٤) و«المُكَبَّس» فرس عمرو بن صُحَار بن الطَّمَّاح،^(٥) و«ذو اللَّمَّة» فرس عُكَّاشَة بن مِحْصَن،^(٦) و«ذو المَوْتَة» وكان من نسل «الحَرُون»،^(٧) و«سَنَخُوب».^(٨)

أما معرفتهم بالخيل فذائعة مشهورة، وهم أعرف الناس بها، وأعظمهم حظاً منها، وكانت العرب تخاف أن تشتري الفرس منهم، قال ابن قتيبة: «روى الهيثم عن ابن عياش أنه قال: لا تشتري حمساً من خمسة، لا تشتري فرساً من أسدي، ولا جملاً من نهدي، ولا عنزاً من عيممي، ولا عبداً من بَحَلِي. ونسي الهيثم

(١) يمكن الرجوع إلى القسم الثاني (الديوان): فهرست الخيل.

(٢) انظر معجم الخيل العربية للجبوري: ١٣٣ وما بعدها. بذيّل كتاب الحلبة في أسماء الخيل للتاجي. النادي الأدبي، الرياض، ١٤٠١هـ.

(٣) الحلبة، للتاجي: ١١٣.

(٤) التكملة ٢: ٣١٧.

(٥) التكملة ٣: ٤١٩.

(٦) حلية الفرسان، لابن هذيل الأندلسي: ١٥٢. تحقيق عبد الغني حسن، دار المعارف،

القاهرة، ١٩٥١م. وأنساب الخيل: ٣٠.

(٧) التكملة ١: ٣٤١.

(٨) أسماء الخيل للغندجاني: ١٠٥. تحقيق محمد علي سلطاني، مؤسسة الرسالة، دمشق،

بلا تاريخ.

الخامس». (١) وسئل أسدي عن معرفته بالفرس الكريم، فقال: «أعرف الجواد المبرّ من المبطي المقرف، أما الجواد المبرّ فالذي لَهَزَ لَهَزَ العير، وأنف تأنيف السَّير، الذي إذا عدا اسلَهَبَ، وإذا قُيِدَ اجلَعَبَ، وإذا انتصب اتلأَبَ، وأما البطيء المقرف فالمذكوك الحَجَبَة، الضخم الأرنبَة، الغليظ الرقبة، الكثير الجَلَبَة، الذي إذا أمسكته قال أرسلني، وإذا أرسلته قال أمسكني». (٢)

وبرع الأسديون بالزجر والعيافة، حتى قيل «الكهانة لليمن والزجر لبني أسد»، (٣) وذكر ابن حزم بطناً من الأزد، فقال: «وهم وبنو أسد بن خزيمة أعيف العرب». (٤)

وبنو أسد كسائر النجديين يتيمنون بالسائح، ويتشاءمون بالبارح، ويخالفهم في ذلك أهل الحجاز فيتشاءمون بالسائح ويتيمنون بالبارح. (٥) واشتهر الأسديون بمعالجة الكسور، وجبر ما صعب منها، فكان لهم في هذه الصناعة نبوغ وبراعة فائقة، وذكر المبرد أن الأصمعي، قال: «وفي بني أسد

(١) المعاني الكبير ١: ١١٠.

(٢) المعاني الكبير ١: ١٠٩، والعقد الفريد ١: ١٥٦-١٥٧. ولَهَزَ لَهَزَ العير، أي: ضُبرَ حلقه تضبير الحمار. وأنف: قُدَّ وحُدَّ كالسَّير المقدود. والمسلَهَبَ: الماضي الذاهب. والمجلَعَبَ: الممتد. والمتلَعَبَ: المستقيم المستوي. والمذكوك الحَجَبَة: الذي ليس لحجته إشراف فهي ملساء مستوية. والحَجَبَة: ما أشرف على صفاق البطن من وركيه.

(٣) مروج الذهب ٢: ١٦٩.

(٤) جمهرة أنساب العرب: ٣٧٦.

(٥) التنبهات، لعلي بن حمزة: ١٢٥. تحقيق عبد العزيز الميمني، دار المعارف، مصر،

حذاقة بالجبر. قال: سمعت أعرابياً من بني أسد يقول: أنا أحير الناس لِفَكِّيٍّ أو تَرْقُوتِ. قال الأصمعي: وهما أشد مأجِبَر. (١)

وعمل منهم في صناعة الحديد بنو الهالك بن عمرو بن أسد، ونسبوا إليها ف قيل لهم «القيون» وعرف أبوهم عمرو بن أسد «بالقَيْن». (٢)

وعُرفت أسد بخلال وصفات كريمة حسنة، ففيها اللسن والفصاحة، والخطابة، والبلاغة والحكومة والرئاسة، ووصفها صعصعة جد الفرزدق أمام النبي ﷺ بأنها لسان مضر. (٣) وقال عمر بن عبد العزيز ؓ: «ما كَلَّمَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُسْدٍ إِلَّا تَمَنَيْتُ أَنْ يُمَدِّدَ لِي فِي حِجَّتِهِ حَتَّى يَكْثُرَ كَلَامُهُ فَأَسْمِعَهُ». (٤) ومن خطبائهم البلغاء وحكامهم الرؤساء ربيعة بن حُذار أحد بني دودان ، وهو الذي احتكم إليه القعقاع بن مَعْبَد بن زُرَّارة الدَّارمي وخالد بن مالك بن سَلْمَى النهشلي، (٥) وتحاكم إليه في الشعر الزبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم، وعبدية ابن الطيب، والمُخْبَل السعدي. (٦) وهو أول من حكم بالرحم في الزنا في تاريخ

(١) التعازي والمراثي، للمبرد: ٢٩. تحقيق محمد الديساحي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٦هـ.

(٢) انظر ابن حزم: ١٩١، والمعاني الكبير ١: ٤٨١.

(٣) انظر المنطق، لابن حبيب: ٩. دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٨٤هـ. وأنساب السمعاني ١: ٦٢.

(٤) البيان والتبيين، للجاحظ ١: ١٧٤. تحقيق عبد السلام هارون، لجنة التأليف، القاهرة، ١٣٦٧هـ.

(٥) انظر المعمرين والوصايا، للسجستاني: ١٩. تحقيق عبد المنعم عامر، البابي الحلبي، مصر، ١٩٦١. وشرح سقط الزند للمعري ١: ٧٥٩. دار الكتب المصرية القاهرة، ١٩٤٥م.

(٦) انظر الموشح، للمرزباني: ٧٥. المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٣هـ.

العرب.^(١) وقد خلف ربيعة في الحكومة ابنه سويد بن ربيعة، فكان من حكام بني أسد المعروفين.^(٢)

وعُرف فيهم سادة رؤساء وأجواد كرماء، ومنهم من لُقّب بلقب الملوك لمجده وسودده ورئاسته كَلَقِيط بن مالك، الذي كان واحداً من ستة من سادات العرب الذين عرفوا بهذا اللقب.^(٣) أما جودهم وكرمهم وقراهم الضيف، فحكى عنه دِغْفِيل النسابة حين قال له معاوية: «أخبرني عن بني أسد، قال: كانوا يطعمون السُديف، ويكرمون الضيوف، ويضربون في الزُّحُوف».^(٤) ومن أجوادهم المعروفين فَضَالَة بن كَلْدَة المالكي، الذي أصفاه أوس بن حجر مدائحه ومراثيه.^(٥)

ولعل يونس بن حبيب أوجز فأوعب حين قال: «ليس في بني أسد إلاّ خطيب، أو شاعر، أو قائف، أو زاجر، أو كاهن، أو فارس».^(٦) ولهذا الخصال والخلال ألف محمد بن عبد الملك كتاب «مآثر بني أسد وأشعارها»،^(٧) ورأى ابن رشيّق أنّ أسداً من القبائل التي لم يُحك فيها هجاء إلاّ قليلاً، فقال: «وليس من العرب قبيلة إلاّ وقد نيل منها وهجيت وعُيّرت، فحط الشعر بعضاً منها بموافقة الحقيقة، ومضى صفحاً عن الآخر ما لم يوافق الحقيقة، ولا صادف موضع الرّمية. فمن الذين لم يُحك فيهم هجاء إلاّ قليلاً على كثرة ما قيل فيهم: تميم بن

(١) انظر الأوائل، للعسكري ١: ٩٠. تحقيق محمد المصري، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٥م.

(٢) انظر المحبر: ١٣٤.

(٣) انظر التكملة ١: ٤٠٦.

(٤) ذيل الأمالي، للقالي: ٢٥. ط ٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٤هـ.

(٥) انظر ديوان أوس: ١٠-١٢، ١٩، ١٠٢-١٠٦، ١٠٧-١٠٨.

(٦) البيان والتبيين ١: ١٧٤.

(٧) الفهرست: ٤٩.

مُرَّ، وبكر بن وائل، وأسد بن خزيمه، ونظراؤهم من قبائل اليمن»^(١).
ولعل أكثر ما هجيت به أسد أنه قيل لهم في الهجاء «عبيد العصا»، لأنَّ
عُصَيَّة الكندية أخذت لهم الأمان من الملك الكندي الحارث بن عمرو، قال
الحارث بن ربيعة يهجو أسدياً:

اشدُّ يَدَيْكَ عَلَى الْعَصَا، إِنَّ الْعَصَا

جُعِلَتْ أَمَارَتُكُمْ بِكُلِّ سَبِيلٍ^(٢)

وهجيت أسد بكثرة الصياح والجلبة في المحافل،^(٣) كما هجيت بقله
مآثرها.^(٤)

(١) العمدة، لابن رشيقي ٢: ١٨٢. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٥، دار الجيل، بيروت، ١٤٠١هـ.

(٢) مجمع الأمثال، للميداني ٢: ١٩-٢٠. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٣، دار الفكر، دمشق، ١٣٩٢هـ. والمستقصى للزحشري ٢: ٣٩٨. دار الكتب العلمية، ط ٢، بيروت، ١٣٩٧هـ. وانظر ما قيل لهم في الهجاء بالقله والمذلة، رسائل الجاحظ ٢: ٣٥٩، وشرح الحماسة للمرزوقي ٣: ١٤٨٣ - ١٤٨٤. تحقيق أحمد أمين، ط ١، لجنة التأليف، القاهرة، ١٣٧٢هـ.

(٣) انظر نواذر المخطوطات ١: ١٤٩. تحقيق عبد السلام هارون، ط ٢، البايي الحلبي بمصر، ١٣٩٢هـ. والحيوان ٦: ١١٢.

(٤) انظر شرح الحماسة للتبريزي ٤: ٣٠.

الفصل الثالث

علاقات أسد وأيامها

لعل الرواة والأخباريين العرب، في تناقلهم لأخبار القبائل، التفتوا إلى الجوانب الحربية من حياتها، ولم يولوا جوانب الحياة السلمية وصورة العلاقات السياسية المسألة الاهتمام نفسه. حتى بات من يطالع أخبار العرب في جاهليتها يرى أنها سلسلة لا تنتهي من حروب ودماء. وقد يعود السبب في ذلك إلى القبائل نفسها، التي حفظت أخبار أيامها وانتصاراتها، حتى أدتها إلى الرواة والمدونين، لأن أخبار الأيام أدخل في مآثرها ومفاخرها من أخبار السياسة في سلمها وأمنها. وقد دخلت هذه الأخبار مبالغات كثيرة لأن «الحروب في جاهليات الأمم من حيز الفخر أكثر منها من حيز التاريخ»،^(١) وليست حياة القبائل قتالاً دائماً، ولم يسقط في كثير من معاركهم أعداد كبيرة من القتلى. غير أن هذا لا يعني أن حياة القبائل، ولا سيما البدوية منها، لم تتسم بالصراع الدموي، فثمة عوامل ومؤثرات طبيعية ومعاشية دفعت القبائل إلى الاحتراب والقتال، فقبيلة تهاجم لا تتزاع مراتع الخصب، وقبيلة تدافع عن هذه المراتع، والاكسباب بالسيف حق لا ينازع فيه، فهو قانون الجاهلية. ولعل أسداً من أكثر القبائل تعرضاً لتلك المؤثرات، فقد تعرضت للذل

(١) تاريخ الجاهلية، لعمر فروخ: ٨١. دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨م.

والهوان من ملوك كندة، وهي في تهامة، ولأنها كانت يومئذ قليلة غير مرهوبة الجانب نازعتها خزاعة على ديارها، فرحلت إلى نجد وجاورت طيماً، ثم أراد لها حجر بن الحارث الكندي أن تنحدر ثانية إلى تهامة، فبقيت في نجد، بجذ السيف وشدة الفتك، وقد عزت وكثرت، ودفعت ثمن الحفاظ على وجودها وديارها غالياً من دماء أبنائها.

وتحلى رجال أسد وحكماؤها بحنكة سياسية، ورؤية صائبة مكنتهم من النفاذ إلى جوهر الصراع الذي يدور على أرض العرب، فعرفوا متى ينهضون لمقاومة النفوذ اليمني ويشورون به ثورة تقوض أركانه.

ولرسم صورة واضحة المعالم عن علاقات بني أسد السياسية والحربية لا بد من الحديث عن حكم كندة أسداً، وثورة الأسديين بها، وعلاقة أسد بملوك المناذرة والغساسنة، الذين حاولوا بعد كندة إخضاع أسد لنفوذهم، وكذلك لا بد من الحديث عن العلاقات بين أسد وحليفاتها طيى وذبيان، والعلاقات الحربية بين أسد والقبائل البدوية الأخرى كعامر وقيم والأبناء وحشم وسليم وغني وبكر وتغلب، وكانت أيام أسد وأشدّها تلك التي حرت بينها وبين عامر وقيم.

ونبدأ الحديث بأقدم الأحداث وأبرزها في تاريخ أسد تلك التي كانت بينها وبين ملوك كندة.

أسد وكندة:

كندة قبيلة يمانية أقامت مملكتها على أرض نجد والحجاز، وحكمت قبائل معدّ. وتعددت الروايات حول نشوئها، فذكر ابن خلدون أن حسان تبع «لما دوّخ بلاد العرب وسار في الحجاز وهم بالانصراف، ولّى على معد بن عدنان

كلها أخاه حجر بن عمرو، وهو آكل المرار، فدانوا له وسار فيهم أحسن سيرة. ثم هلك وملك من بعده ابنه المقصور».^(١) أما ابن الأثير فذكر أن بكر بن وائل سارت إلى بعض تبابعة اليمن وطلبت منه أن يملك عليهم ملكاً يأخذ للضعيف من القوي، فملك عليهم حجراً. فلما مات حجر ملك ابنه عمرو المقصور، وقيل له المقصور لأنه قصير على ملك أبيه.^(٢)

وإذا كانت رواية ابن خلدون باللغة الواضحة في أن قيام مملكة كندة كان تعزيزاً لسيطرة اليمن على عرب الشمال وامتداداً لها، فإن رواية ابن الأثير تشف عن ذلك، فالقارئ يستشف منها أن نفوذ اليمن كان قوياً في الشمال، وأن قيام مملكة كندة كان تعزيزاً لهذا النفوذ.

وملك بعد عمرو المقصور ابنه الحارث بن عمرو، وكان شديد الملك بعيد الصيت، فسار إلى الحيرة، وقاتل الملك اللخمي النعمان بن امرئ القيس، فقتله، وملك الحيرة.^(٣) وزعمت رواية أن قباز ملك الفرس دان بالمزدكية، ودعا المنذر ابن النعمان، وأمه ماء السماء، إلى المزدكية، فامتنع، وأجابه إلى ذلك الحارث بن عمرو، فاستعمله على الحيرة وطرد المنذر.^(٤)

وأغلب الظن أن هذه الرواية من صنع المناذرة أو من والاهم للتشهير بالملك الكندي، فمن المستبعد أن يقبل عربي بمشاعة النساء، التي قالت بها المزدكية، وفي العرب غيرة شديدة على أعراضها وحرمتها.

(١) تاريخ ابن خلدون ٢: ٥٦٩.

(٢) انظر ابن الأثير ١: ٣٠٤.

(٣) انظر ابن خلدون ٢: ٥٧٠.

(٤) انظر الأغاني ٩: ٧٩، وابن خلدون ٢: ٥٧١، وابن الأثير ١: ٣٠٤.

ولما هلك قباذ، وولي ابنه أنوشروان «ردَّ ملك الحيرة إلى المنذر، وصالحه الحارث على أن له ما وراء نهر السواد، فاقسما ملك العرب. وفرَّق الحارث ولده في معدّ، فملك حجراً على بني أسد، وشَرَحِيل على بني سعد والرباب، وسلّمة على بكر وتغلب، ومعدّ يكرب على قيس وكنانة».^(١)

وقيل إنَّ المنذر بن ماء السماء لاحق الحارث، وكان بالأنبار، فهرب إلى ديار كلب وهلك فيها. وكان قد ملَّك الحارث أولاده على أحياء العرب لما كان في الحيرة.^(٢)

وفي عهد الحارث أو عهد أبيه عمرو المقصور غزت قبائل عظيمة من اليمن، عليها حسان بن عبد كلال بن مَثُوب الحميري، مكة، تريد الكعبة بشراً، فخرجت لها قريش وأسد وكنانة تدافع عن ديارها وحرمة كعبتها، وذكر الطبري عن ابن اسحاق أنَّ حسان «أقبل من اليمن مع حمير وقبائل من اليمن عظيمة، يريد أن ينقل أحجار الكعبة من مكة إلى اليمن، ليجعل حج الناس عنده ببلاده، فأقبل حتى نزل بنخلة، فأغار على سرح الناس، ومنع الطريق، وهاب أن يدخل مكة، فلما رأت ذلك قريش وقبائل كنانة وخزيمة وأسد وحُذام ومن كان معهم من أفناء مضر، خرجوا إليه، ورئيس الناس يومئذ فُهر بن مالك، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فهُزمت حمير، وأسر حسان بن عبد كلال ملك حمير».^(٣)

ويبدو أنَّ هذه الحملة تمت في عهد عبد كلال بن مَثُوب، لأن ولده حسان

^(١) ابن خلدون ٢: ٥٧١.

^(٢) انظر الأغاني ٩: ٨٠ وما بعدها، وابن الأثير ١: ٣٠٥.

^(٣) تاريخ الطبري ٢: ٢٦٢، وابن الأثير ٢: ١٧.

لم يُملك على اليمن،^(١) وما وصفه به الطبري من أنه «ملك حمير» هو من قبيل إطلاق الصفة على الأسرة المالكة. وعبد كلال كان على دين النصرانية،^(٢) لذلك يرجح أن غاية هذه الحملة هدم الكعبة لا نقلها إلى اليمن.

ولعل وقوف الأسديين في وجه الغزو اليمني النصراني لبيت الله ومحج العرب ترك في نفوس كندة ضغناً على أسد، حتى سنحت لهم الفرصة فأذلوا أسداً وساموها الهوان، فقد روى المفضل بن سلمة أن «ابناً لمعاوية بن عمرو بن معاوية حجَّ ففقد، فاتهم به، رجل من بني أسد يقال له جبال بن نصر بن غاضرة، فأخبر بذلك الحارث بن عمرو، فأقبل حتى ورد تهامة أيام الحج، وبنو أسد بها، فطلبهم وأمر بقتلهم، فقالت له امرأة من كندة من بني وهب بن الحارث يقال لها عُصَيَّة، وأخوالها بنو أسد: أبيت اللعن هبهم لي فلأنهم أحوالي، قال: هم لك، فأعتقتهم، فقالوا: إنا لا نأمن إلا بأمان الملك، فأعطى كل واحد منهم عصاً. وبنو أسد يومئذ قليلون فأقبلوا إلى تهامة ومع كل رجل منهم عصاً، فلم يزلوا بتهامة حتى هلك الحارث، فأخرجهم بنو كنانة من مكة، وسُمُوا «عبيد العصا» بعُصَيَّة التي أعتقتهم، وبالعصا التي أخذوها».^(٣)

وروى غير المفضل أن الذين أجلوهم عن مكة خزاعة لا كنانة، وإنما اتخذت كنانة موقفاً محايداً في النزاع، فحذلت حليفها خزاعة، ولم تناصر شقيقتها أسداً، فقد روي أن كنانة حالفت خزاعة على التناصر والتعااضد على

(١) انظر قائمة ملوك اليمن في العمدة ٢: ٢٢٥ وما بعدها، وانظر ابن خلدون ٢:

٥٦٩-٥٧٠.

(٢) انظر العمدة ٢: ٢٢٦.

(٣) الفاجر: ١٩٢، والميداني ٢: ١٩.

سائر الناس، فلما اقتلت خزاعة وأسد، اعتلتها أسد، فطلبت خزاعة العون من حليفتها فحذلتها كنانة لقرايتها من أسد، وقال الشدّاخ بن يعمر الكناني:

قَاتِلِي الْقَوْمَ يَا خُزَاعَ وَلَا
يَدْخُلُكُمْ مِنْ قِتَالِهِمْ فَشَلُّ
الْقَوْمَ أَمْشَالَكُمْ لَهُمْ شَعْرٌ
فِي الرَّأْسِ لَا يُنْشَرُونَ إِنْ قُتِلُوا
أَكَلْنَا حَارِبَتَ خُزَاعَةَ تَحْ—

لِدُونِي كَأَنِّي لِأُمِّهِمْ جَمَلٌ

وغضبت أسد إذ لم تنصرها كنانة، وهما جنما خزيمة، فارتحلت إلى أرض نجد.^(١)
ومن الواضح أنَّ القبائل طمعت بأسد بعد أن أذلّها ملك كندة الحارث بن عمرو فكان أن نازعتها خزاعة أو كنانة ديارها حتى أجلتها عن الحرم، فاضطرت إلى أن تتخذ من نجد موطناً لها.

ولما ولي حُجْر بن الحارث الملك على بني أسد ساءت سيرته فيهم، وسامهم العسف والهوان وفرض عليهم الجزية والإتاوة، يجبيها في وقت معلوم كل عام، فغبر ذلك دهرًا، ثم أرسل حجر رسله وجاييه الذي كان يجيبهم، فمنعوه الإتاوة وضربوا الرسل وضربوهم ضرباً شديداً قبيحاً، فبلغ ذلك حجراً، وكان يومئذ بتهامة، فسار إلى أسد بجند من ربيعة وجند من جند أخيه قيس وكنانة، فأتاهم

(١) انظر شرح الحماسة للتبريزي ١: ١٩٠-١٩١. وذكر قيس بن الخدادية في شعره إجلاء خزاعة أسداً عن تهامة، انظر الأغاني ١٤: ١٤٨-١٤٩.

فأخذ سراتهم، وجعل يُقتلهم بالعصا، وأباح أموالهم، وأغار عليهم في نسائهم، وسيرهم إلى تهامة، وآلى بالله ألا يساكنهم في بلد أبداً، واحتبس من أشرفهم عبيد بن الأبرص الشاعر وعمرو بن مسعود، وسارت بنو أسد ثلاثة أيام نحو تهامة. ونهض عبيد بن الأبرص شافعاً لقومه عند حجر، فأنشده قصيدة بكى بها قومه وأظهر ندامتهم، ورقق قلب حجر، ورجاه أن يتحلل من أليته بالآ يساكنهم بلداً.^(١) فرق لهم حجر، وأرسل من يردهم، فلما صاروا على مسيرة يوم منه، تكهن كاهنهم عوف بن ربيعة أحد بني ثعلبة بن دودان بقتلهم حجراً. وذكر الأصفهاني والبغدادي أن كاهنهم لما تكهن بذلك كانوا على مسيرة يوم من تهامة، وهذا وهم، فحجر كان بنجد ونفاهم إلى تهامة، فساروا، حسب رواية الأصفهاني والبغدادي ثلاثة أيام، ثم عفا عنهم، وعادوا، وفي طريق عودتهم أمرهم الكاهن بقتل حجر، وكان مقتله بأبرقي حُجر، وهما جبلان على طريق حاج البصرة بين جديلة وفلجة، كان حجر يحلُهما.^(٢)

وتروي الأخبار أن بني أسد بعد نبوءة كاهنهم ركبوا إلى حجر كل صعب وذلول فما أشرق النهار حتى أتوا على عسكره وهجموا على قبته، فخيم عليه حجابيه بنو خلدان الأسديون ليمنعوه ويجبروه، فطعنه علباء بن الحارث الكاهلي من خللهم فأصاب منه مقتلاً، وقيل إن حجراً كان قد قتل أباه، فلما رأت ذلك قيس وكنانة انتهبت أسلابه، وأجار عمرو بن مسعود عياله.^(٣)

(١) انظر ديوان عبيد: ١٢٥ وما بعدها.

(٢) انظر معجم البلدان ٢: ٢٢٣.

(٣) انظر الأغاني ٩: ٨٢ وما بعدها، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١: ١٠٥ وما بعدها، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٣٨٦هـ. وابن الأثير ١: ٣٠٥-٣٠٦، وابن خلدون ٢: ٥٧٣، وشرح أبيات المغني للبغدادي ٣: ٨٠-٨١. تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد دقاق، ط ١، دار البيان، دمشق، ١٣٩٣هـ.

وثمة روايات أخرى في مقتل حجر، ذكرها الأصفهاني جميعها، وعزا كل رواية إلى صاحبها، وتجمع هذه الروايات على أن علباء بن الحارث هو الذي قتل حجراً أو حرض على قتله.^(١)

وبعد مقتل حجر قدم على امرئ القيس وفد من وجوه بني أسد وأشياخها، فيهم المهاجر بن خِدَاش ابن عم عبيد الشاعر، وقُبَيْصَة بن نُعَيْم، فحَيَّروه خللاً ثلاثاً: إما أن يختار رجلاً من أشرف بيوتات أسد وأعلاها في بناء المكرمات فيبوء به بدم حجر، وإما أن يقبل فداء الملوك، ونعم بني أسد ألوف تجاوز الحِسْبَة، وإما أن يوادعهم حتى تضع الحوامل ويتهيؤون للقتال. وقبل امرؤ القيس المواجهة.^(٢)

ونفض امرؤ القيس للثأر بأبيه، فنزل ب بكر وتغلب، وسألمهم النصرة فأجابوه، وسار إلى بني أسد، فلجؤوا إلى كنانة، وأشار عليهم علباء أن يرحلوا ليل ولا يعلموا كنانة، فارتحلوا، وأقبل امرؤ القيس بجموعه حتى انتهى إلى كنانة فوضع السلاح فيهم، وهو يظنهم بني أسد، فلما تبين له أنهم ليسوا ثأره تبع بني أسد ففاتوه ليلتهم، وقال في ذلك:

(١) انظر الأغاني ٩: ٨٥ وما بعدها، والشعر والشعراء ١: ١١٥، وشرح سقط الزند ٤: ١٨٤٦، وجمهرة الأمثال، للعسكري ٢: ٤٣١. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، المؤسسة العربية القاهرة، ١٣٨٤هـ. وابن الأثير ١: ٣٠٦.

(٢) انظر الأغاني ٩: ١٠٣ وما بعدها، وصبح الأعشى، للقلقشندي ٢: ٢١٦ وما بعدها، (نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية)، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، بلا تاريخ. والمثل السائر، لابن الأثير ١: ٤٣ وما بعدها. تحقيق محمد الحوفي وبدوي طبانة، ط ١، مطبعة نهضة مصر، ١٣٨٠هـ.

أَلَا يَآلَهْفَ هُنْدٍ إِثْرَ قَوْمٍ

هُمُ كَانُوا الشُّفَاءَ فَلَمْ يُصَابُوا^(١)

وأدرك بني أسد ظهراً وهم على الماء فقاتلهم حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم، وحجز الليل بينهم، وهربت بنو أسد. فلما كان الصباح أراد اللحاق بهم فأبت عليه بكر وتغلب، وقالوا له: قد أصبت ثأرك، وكانوا قد كرهوا وقعتهم ببني كنانة فانصرفوا عنه.^(٢)

وذهب ابن خلدون إلى أن امرأ القيس لم يظفر ببني أسد، فقال: «وأوقع امرؤ القيس في كنانة فأتحن فيهم. ثم سار في اتباع بني أسد إلى أن أعيا ولم يظفر منهم بشيء ورجعت عنه بكر وتغلب». ^(٣) وأنكر عليه بنو أسد أنه ظفر بهم، وقال شاعرهم عبيد:

يَا إِذَا الْمُخَوِّفْنَا بِقَتْلِ

لِأَيِّهِ إِذْ لَأَوْحَيْنَا

أَزَعَمْتَ أَنَّكَ قَدْ قَتَلْنَا

سَرَاتِنَا كَذِباً وَمَيْنَا^(٤)

وتجمع الروايات على أن امرأ القيس، لما انصرفت عنه بكر وتغلب، سار إلى

^(١) ديوان امرأ القيس: ١٣٨، والأغاني ٩: ٩٠-٩١.

^(٢) انظر الأغاني ٩: ٩١ وما بعدها، وابن الأثير ١: ٣٠٧.

^(٣) ابن خلدون ٢: ٥٧٣.

^(٤) ديوان عبيد: ١٣٦، وانظر الشعر والشعراء ١: ١٠٨.

اليمن فاستنصر أزدشنوءة فأبوا نصرته، ونصره مرثد الخير أحد أقيال اليمن بخمسمائة رجل، وجمع شذاذاً من شذاذ العرب، واستأجر رجالاً من القبائل وسار بهم إلى بني أسد.^(١)

وخشي المناذرة والفرس أن يتمكن امرؤ القيس من بني أسد، ويسترد السيطرة المفقودة عليهم، والمناذرة حريصون على أن يكون مقتل حجر نهاية لهذه المملكة ذات الهوى الرومي التي طالما نافستهم في السيطرة على قبائل ربيعة ومضر، وسلبتهم ملكهم إلى حين. لذلك تهيأ المنذر بن ماء السماء لقتال امرئ القيس فجمع جيشاً من إياد وبهراء وتنوخ، وأمدّه كسرى بجيش من الأساورة، والتقى الجيشان فانهزم امرؤ القيس ومن كان معه.^(٢) وقيل إن امرأ القيس لما سمع بجمع المناذرة له تفرقت عنه حمير، ونجا هو في جماعة من أهله.^(٣)

وذهبت رواية إلى أن امرأ القيس بعد أن جمع جموع حمير وذؤبان العرب لحق ببني أسد، فظفر بهم وقتل فيهم مقتلة عظيمة، وأبار حُلْمَة بن أسد، ومثّل في عمرو وكاهل، وجعل يسمل أعينهم، ويحمي الدروع فيلبسهم إياها، وأنه ذبحهم على الجبل، ومزج الماء بدمائهم إلى أن بلغت الحضيض، وأصاب قوماً من جُدَام كانوا في بني أسد.^(٤)

ولعل في هذه الرواية خلطاً بالذي روي عن يوم أواراة الأول، وفيه ذبح المنذر بن ماء السماء أسارى بكر على رأس جبل أواراة، وجعل يسفح الماء فوق

(١) انظر الأغاني ٩: ٩٢، وابن الأثير ١: ٣٠٨، وابن خلدون ٢: ٥٧٣.

(٢) ابن خلدون ٢: ٥٧٣.

(٣) انظر الأغاني ٩: ٩٣، وابن الأثير ١: ٣٠٨.

(٤) انظر الخزائن ٨: ٣٥٤-٣٥٥، ومعجم البلدان ٢: ٣٨٤.

الدماء حتى بلغت الحضيض.^(١)

وألح المنذر في طلب امرئ القيس، وتقلب امرؤ القيس في قبائل العرب طالباً
الإحارة والحماية، حتى أودع السموعل صاحب حصن الأبلق بتيماء أهله
وأدراعه، وسار إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، ثم عمد إلى قيصر الروم.
وخبر وفادته على القيصر شائع معروف.^(٢)

وروي أن الطَّمَّاح بن قيس الأسدي أبا الجُمَيْح هو الذي أَلَبَّ القيصر على
امرئ القيس، وفي وصول الطَّمَّاح إلى القيصر، روايات مختلفة، وتجمع هذه
الروايات على أن الطَّمَّاح نجح في وفادته على القيصر، فأفسد على امرئ القيس
أمره، وتسبب في وفاته غريباً في بلاد الروم.^(٣)

ولعل في تاريخ العلاقة بين أسد وكندة صورة لتاريخ العلاقة بين عرب
الشمال وعرب الجنوب، فقد كان قيام مملكة كندة في نجد والحجاز يمثل ذروة
الغلبة اليمانية على المَعْدِيَّة وظهوراً للنفوذ الرومي على النفوذ الفارسي في قلب
الجزيرة العربية. وظلت هذه المملكة طوال قيامها تجدد في اليمن الموالية للأحباش
عوناً وسنداً، وفي الغساسنة والروم مؤيداً ونصيراً. ولا يخفى أن اليمن كانت

(١) انظر العمدة ٢: ٢١٦.

(٢) انظر الأغاني ٩: ٩٩ ومابعدهما، وابن الأثير ١: ٣٠٨ ومابعدهما، والخزانة ٨: ٥٤٦
ومابعدهما، وشرح أبيات المغني ٥: ١٧٩ ومابعدهما، وبيعض الإيجاز في ديوان امرئ القيس:
١٠٨، وابن خلدون ٢: ٥٧٣، وشرح سقط الزند ٤: ١٧٤١.

(٣) انظر الأغاني ٩: ٩٩، وديوان امرئ القيس: تعليقة ٤٦، وابن الأثير ١: ٣٠٨،
وشرح اختيارات المفضل، للتبريزي ١: ١٥١. تحقيق فخر الدين قباوة، بجمع اللغة العربية،
دمشق، ١٣٩١هـ. وشرح أبيات المغني ٥: ١٧٩، والخزانة ٨: ٥٤٩.

رومية الهوى منذ أن غزاها الأحباش أول مرة حتى زمن متأخر في الحقبة الجاهلية، حين تمكن سيف بن ذي يزن بمعونة الفرس من طرد الأحباش إلى غير رجعة فصارت فارسية الهوى، وذلك لستين خلنا من ولادة النبي ﷺ.^(١)

وظلت غلبة اليمن على عرب الشمال قائمة إلى أن عزّت هذه القبائل واشتدت شوكتها، وأخذت مشاعرها تتجه نحو وحدة كبرى لمقاومة النفوذ اليمني. في ذلك الوقت كان الصراع الذي نشب في اليمن بين الأحباش ومن تنصر من أهل اليمن وبين ملوك حمير الذين اتخذوا من اليهودية سلاحاً يناهضون به النفوذ الحبشي، قد بدأ ينجلي عن انحسار النفوذ الأجنبي عن اليمن.

وبرهن رجال بني أسد وساستها المخنكون أنهم أكثر نفاذاً إلى فهم حركة الصراع في الجزيرة العربية من رجال القبائل العدنانية الأخرى، فرأوا ببصيرتهم النافذة في معطيات الأحداث أن الوقت حان لثورة قبائل مضر وربيعة على ملوك كندة والقضاء على النفوذ اليمني في قلب الجزيرة. فكان بنو أسد طلائع هذه الثورة الشاملة، إذ ثاروا بمليكم حجر فقتلوه، وحرضوا كنانة وقيساً على نهب أسلابه، ليضعوا هاتين القبيلتين في مواجهة أمراء كندة ويدفعوهم إلى التمرد والثورة. وسرعان ما انخرق ملك كندة وضاع في أحياء مضر وربيعة، قال ياقوت: «فقتلت بنو أسد حجراً.. ونهضت بنو عامر على شراحيل فقتلوه.. وقتلت بنو تميم مُحَرِّقاً، وقتلت وائل شَرَحِيل». ^(٢) فلما آلت كندة إلى ما آلت إليه قام عمرو أفحل بن أبي كَرَب بن قيس بن سَلَمَة، فقال: «يا معشر كندة! إنكم قد أصبحتم بغير دار مقام. وقد ذهب أشرافكم وانخرق ملككم، ولا آمن العرب عليكم،

^(١) انظر مروج الذهب ٢: ٥٨ وما بعدها، وابن خلدون ٢: ٦٤ وما بعدها.

^(٢) معجم البلدان ٢: ٣٦٥، وذكر ابن حبيب نحواً من ذلك، انظر المحرر: ٣٧٠.

فالحقوا بقومكم» فرحلوا فلاحقوا بحضرموت فهم بها إلى اليوم.^(١)

وتنبه الدكتور البهيبي إلى أن سقوط ملك كندة توافق مع خروج الحبشة من اليمن، فقال: «وليس من قبيل المصادفة أن يسقط ملك كندة النصرانية، الرابض على قلب الجزيرة في هذه الفترة مع آخر ملك حبشي في اليمن. وإنما هي أمور تجري في نسق واحد، ويحكمها منطق عملي واحد».^(٢)

وثورة بني أسد التي أدت إلى تقويض ملك كندة عجلت في نهوض القبائل النزارية وتوجهها نحو الوحدة لمواجهة السيطرة اليمنية والإجهاز على نفوذها، فكان يوم خزازي أول يوم اجتمعت فيه قبائل ربيعة ومضر وسائر معد، تحت راية كليب وائل، وقيل كان كليب على ربيعة والأحوص بن جعفر العامري على مضر،^(٣) وانتصرت هذه القبائل في ذلك اليوم على اليمن، قال ياقوت: «إنه مما دفع بملوك اليمن إلى تجريد حملتهم على نزار مقتل حجر بن الحارث أبي امرئ القيس بيد أسد، وكان من أعقاب ذلك وقعة خزاز.. وكان يوم خزاز أعظم يوم للعرب في الجاهلية»،^(٤) وقال: «إن نزاراً لم تكن تستنصف من اليمن، ولم تزل اليمن قاهرة لها في كل شيء، حتى كان يوم خزاز، فلم تزل ممتعة قاهرة لليمن في كل يوم التقوا به بعد خزاز حتى جاء الإسلام».^(٥)

(١) المحبر: ٣٧٠.

(٢) تاريخ الشعر العربي، للبهبيبي: ٣٢-٣٣. دار الكتب المصرية، ١٩٥٠ م.

(٣) انظر معجم البلدان ٢: ٣٦٦.

(٤) معجم البلدان ٢: ٣٦٦.

(٥) المصدر السابق. وانظر يوم خزاز في العمدة ٢: ٢١٢، ومعجم ما استعجم ١:

٤٩٦، ونهاية الأرب، للقلقشندي ١٥: ٤٢٠. المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٤٩ م.

أسد والمناذرة:

نشأت مملكة المناذرة في الحيرة في كنف الامبراطورية الساسانية، وكان للفرس مصلحة في استقرار ملوك الحيرة، وتوطد حكمهم، ليقوموا بدور الحراسة على حدودها الغربية ضد اعتداءات الروم وصنائعها من الغساسنة، ولضبط القبائل العربية، وكبح جماحها عن التطاول على سواد العراق والتربع فيه، كما أنَّ اللخمين أقدر من الفرس على سياسة القبائل العربية والتعامل معها، لما هم عليه من خبرة في الحياة القبلية. لذلك عمد الفرس إلى اصطناع اللخمين وساعدوهم في إنشاء مملكتهم، ووضعوا كتيبة من الجند تحت إمرتهم وقاموا بتقديم المساعدات المالية والأعطيات السنوية لهم.

وعندما أخذت القبائل النزارية تتجه نحو الوحدة، وثارَت بالنفوذ اليمني حالفتها المناذرة لتقويض ملك كندة، وباركت انتصارها على جموع اليمن يوم خزازي، وعلى أثر خزازي تكتلت القبائل الشمالية حول كليب وظهرت النواة الأولى لوحدها في قيام مملكة ضمت ربيعة كلها بزعامه كليب وأهل. ولما رأى المناذرة هذا التوجه السريع نحو الوحدة القومية انقلبوا إلى خصوم لتلك القبائل، وعمدوا إلى بث الفرقة وتأريث نار الحرب فيما بينها، لتضعف وتشتت أهواؤها، ومن ثم يحكمون سيطرتهم عليها. وفطن عقلاء القبائل وحكماؤها وشعراؤها إلى ما ترمي إليه سياسة المناذرة من فرقة وتشتت وضعف، فناهضوا تلك السياسة وناصروها العداء.

وبطش المناذرة بعدد كبير من شعراء القبائل وذوي الرأي فيها من الذين ثاروا باللخمين وظلمهم، فقتلوا طرفة بن العبد البكري، والمنخل اليشكري البكري.^(١) وهرب المتلمس الضبعي البكري إلى الشام وظل منفياً طريداً إلى أن

(١) انظر مقتل المنخل في الشعر والشعراء ١: ٤٠٥.

مات،^(١) كما هرب من ظلمهم يزيد وسُوَيْد ابنا حَذَّاق الشَّنيَّان، وعامر بن جُوَيْن الطائي، والمرقش الأصغر.^(٢)

وتمكن المناذرة من السيطرة على بكر وتغلب بعد اشتعال حرب البسوس التي تفانى فيها جذما ربيعة بكر وتغلب، ومن ثم تم لهم السيطرة على القبيلتين. كما أدخلوا تميماً في طاعتهم، وأبت أسد أن تدين لهم، فالأسديون الذين ثاروا بملوك كندة وقوضوا ملكهم لينعموا بالحرية يأبون الانضواء في دين المناذرة والخضوع للسيطرة من جديد، ودفعت أسد ثمن سياستها هذه أول ما دفعت ضحيتين من كبار رجالاتها، وساداتها، وهما عمرو بن مسعود - الذي احتبسه من قبل حُجْر رهينة مع عبيد الشاعر - و«السيد الصَّمَد» خالد بن نُضْلة الشاعر، اللذان قتلها المنذر بن ماء السماء، لأنهما أيا دخول أسد في طاعته. ولعل من المفيد أن أثبت خير مقتلها كما أورده ابن حبيب بتمامه لأهميته وصدق دلالته، قال: «ومنهم عمرو بن مسعود وخالد بن نضلة الأسديان، وكان يفدان على المنذر الأكبر اللخمي في كل سنة، فيقيمان عنده وينادمانه. وكانت أسد وغطفان حلفاء لا يدينون للملوك، ويغيرون عليهم، فوفدا سنة من السنين ومعهما سيرة بن عمير^(٣) الشاعر الفقعسي، وحبيب بن خالد، فنادم المنذر عمراً وخالد بن نضلة، فقال المنذر يوماً لخالد، وهم على الشراب: يا

^(١) انظر خبر طرفة والمتلمس، في ديوان المتلمس: ٤٩ وما بعدها، والشعر والشعراء:

١٧٩ وما بعدها.

^(٢) انظر على التوالي شرح اختيارات المفضل ٣: ١٢٧٧ وما بعدها، وذيل الأمالي:

١٧٧ وما بعدها، والشعر والشعراء ١: ٢١٧.

^(٣) كذا في أسماء المغتالين والصواب (ابن عمرو).

خالد، من ربك؟ فقال خالد: عمرو بن مسعود ربّي وربك. فأمسك عليهما، ثم قال لهما بعد: ما يمنعكما من الدخول في طاعتي، وأن تذبّوا عني كما ذبّت تميم وربيعة؟ فقالا: أبيت اللعن، هذه البلاد لا تلائم مواشينا، ونحن مع هذا قريب منك، نحن بهذا الرمل، فإذا شئت أجبناك. فعلم أنّهم لا يدينون له، وقد سمع من خالد الكلمة الأولى، فأومأ إلى الساقبي فسقاها سماً. فانصرفا من عنده من السكر على خلاف ما كانا ينصرفان، فلما كانا في بعض الليل أحس حبيب ابن خالد بالأمر، لما رأى من شدة سكرهما، فنادى خالداً فلم يجبه، فقام إليه فحرّكه فسقط بعض جسده، وفعل بعمرو مثل ذلك، وكان حاله كحال خالد. فأصبح المنذر نادماً على قتلهما، فغدا عليه حبيب بن خالد، فقال: أبيت اللعن، وأسعدك الأهل، نديماك وخليلاك تتابعا في ساعة واحدة. فقال له: يا حبيب أعلى الموت تستعديني، وهل تراني إلّا ميتاً وأخا ميت وأبا ميت؟ ثم أمر فحفر لهما قبران ودُفنا فيهما، وبنى عليهما الغريين، وعقر على كل قبر خمسين فرساً وخمسين بعيراً، وغرّاهما بدمائهما، وجعل يوم نادمهما يوم نعيم، ويوم دفنهما يوم يؤس.^(١) وقيل إنّ الذي قتلهما هو النعمان الأكبر،^(٢) وقيل النعمان بن المنذر،^(٣) وذكر القالي والأصفهاني أن قتيلي المنذر هما عمرو بن مسعود وخالد ابن المضلل.^(٤)

(١) أسماء المغتالين: ١٣٣-١٣٤، وعزّانة الأدب ١١: ٢٦٩-٢٧٢، وانظر الأغاني ٢٢:

٨٦، ومعجم البلدان ٤: ١٩٨، ومقدمة ديوان عبيد: ٢٦.

(٢) انظر فصل المقال: ٤٤٥.

(٣) انظر السيرة ١: ٥٧٢.

(٤) انظر ذيل الأمالي: ١٩٥، والأغاني ٢٢: ٨٦، ٩٠.

ولم يمض وقت طويل على فجيرة أسد بسيدتها ورجلي الرأي والسياسة فيها حتى فجعها المنذر من جديد بشاعرها وحكيمها عبيد بن الأبرص، فقد زعم الرواة أنَّ المنذر بعد أن جعل يوم نادم الأسديين يوم نعيم ويوم دفنهما يوم بؤس، كان يعطي أول من يطلع عليه يوم نعيمه مائة من الإبل، ويذبح أول من يطلع عليه يوم بؤسه، ويغري بدمه «الغريين». ولبت بذلك برهة من دهره، ثم كان عبيد أول من أشرف عليه في يوم بؤسه، فعزم على قتله، وخبره أي قتلة يحب، فقال عبيد: رَوَّني الخمر ثم افصدني، فسقاه الخمرة حتى ذهلت ذواهله، ثم أمر به فقصده، فلما مات غري بدمه «الغريين».^(١)

ونسب المفضل بن سلمة والثعالبي والميداني قتل عبيد إلى النعمان بن المنذر.^(٢) وهذا وهم، فالنعمان آخر ملوك المناذرة.^(٣) أما عبيد فشاعر قديم عاصر حجراً وامراً القيس المعاصرين للمنذر بن ماء السماء، فلا يصح قتله من قبل النعمان إلا إذا صدقت الرواية التي تزعم أنَّ عبيداً عمراً ثلاثمائة سنة.^(٤) ولعل اهتمام الرواة والأخباريين كان بالحكايات الطريفة المسلية، يجعلونها أسباباً لأحداث ذات دلالة تاريخية هامة، وحكاية مقتل عبيد لا تعدو أن تكون

^(١) انظر تفصيل الخبر في الأغاني ٢٢: ٨٧ وما بعدها، والفاخر ٢٥٠-٢٥١، وذيل الأمالي: ١٩٦، ومختارات ابن الشجري ٢: ٣٤-٣٥، وجمع الأمثال ١: ٢١، ومقدمة ديوان عبيد: ٢٧-٢٨، ومعجم البلدان ٤: ١٩٨ وما بعدها، وزهر الأكم ١: ٦٢، وبإيجاز في أسماء المغتالين: ٢١١.

^(٢) انظر الفاخر: ٢٥٠، وثمار القلوب: ٢١٥، وجمع الأمثال ١: ٢١.

^(٣) انظر قائمة ملوك الحيرة في تاريخ يعقوبي ١: ١٦٩ وما بعدها، والعمدة ٢: ٢٢٩-٢٣٠.

^(٤) انظر العمدة ١: ١٠٣، والمزهر ٢: ٤٨٦، والخزانة ٢: ٢١٥.

من هذا القصص الشعبي، فمن غير الممكن أن نفسر مقتل شاعر أسد وذي الرأي الحكيم فيها بعد أعوام قليلة من مقتل صاحبيه على يد الملك اللخمي نفسه بهذه المصادفة العجيبة، وهي أن يكون عبيد أول طالع على الملك في هذا اليوم البائس من العام كله، هذا إذا وثقنا بحكاية يومي البؤس والنعيم!

وإن نجح الملك اللخمي بالبطش غدرًا برحالات بني أسد، فإنه أخفق في بسط سلطانه على القبيلة، التي حرصت على مقاومة كل سلطان مستبد، سواء أكان يمانياً رومياً أم لخمياً فارسياً.

وبقيت بنو أسد عصية على المناذرة، لقاحاً لا تدين للملوك، وحاول عمرو ابن هند بعد أبيه أن يدخل أسداً وذيان في دينه فأبى الحليفان، وتهيأ للقتال، فصد عنهم وكره قتالهم.^(١) ولم تتمكن المناذرة منهم حتى أوقع بهم الأسود بن المنذر بشطّ أريك، وذلك أن الحارث بن ظالم بعد أن قتل خالد بن جعفر بن كلاب في حوار الأسود وهرب، أخذ الأسود جارات للحارث وأخذ أموالهن، وبلغ الخبر الحارث فلحق ببلاد قومه متخفياً حتى أتى زوجة سنان بن أبي حارثة المُرِّي، وهي سلمى بنت كَثير بني غَنَم بن دُودَان، وكان عندها ولد للأسود يدعى شُرْحَبِيل ترضعه فاحتال عليها وأخذ الولد وذهب به ناحية فقتله وهرب، فغزا الأسود بني أسد وذيان بشطّ أريك، فقتل فيهم قتلاً ذريعاً وسبى واستاق أموالهم، وفي ذلك قال الأعشى:

وَشُيُوخٌ صَرَعَتِ بِشَطِّ أَرِيكِ

وَنِسَاءٌ كَأَنَّهُنَّ السَّعَالِي

^(١) انظر شرح أبيات المغني ٨: ١٠.

مِنْ نَوَاصِي دُودَانَ إِذْ نَقَضُوا الْعَهْدَ

سَدَ وَذِيَّانَ وَالْهَجَّانِ الْغَوَالِي^(١)

ولا نقع بعد ذلك على أخبار بين أسد والمناذرة إلى عهد النعمان بن المنذر آخر ملوك الحيرة إذ يطالعا المرزباني بخبر صغير عن إغارة قيس بن هلال الغاضري على إبل للنعمان.^(٢) كما نجد وفادة لبني غنم بن دودان على النعمان، حيث جرت ملاحاة بينهم وبين خالد بن معاوية السعدي، وبدا ميل النعمان إلى السعدي جلياً واضحاً في وصفه لخالد مخاطباً بني غنم: «أَمَا وَاللَّهِ لَتَجِدُنَّهُ أَلْوَى بَعِيدَ الْمُسْتَمَرِّ».^(٣)

أسد والغساسنة:

تشابه الأسباب والعوامل في نشأة كل من مملكتي المناذرة في الحيرة والغساسنة في الشام، إذ ساعد الروم الغساسنة في إنشاء إمارة قوية على أطراف البادية، ليقوموا بحراسة الحدود ومراقبتها ومنع الأعراب من الإغارة والسلب أو التناول على الأرض الخصيبة والتربع فيها.

وتطاولت بنو أسد على حمى الغساسنة، فعل غيرها من القبائل في سنوات القحط إذ تجد نفسها مدفوعة إلى الشمال بحثاً عن الكلاء والماء. وأوقعت بها الغساسنة في تلك المراحل أحياناً، وسيرت إليها الجيوش لتأديبها وإخضاعها في عقر

(١) انظر الأغاني ١١: ١٠٦ وما بعدها، والخزانة ٩: ٥٧٤ وما بعدها، وبيحجاز في معجم ما استعجم ١: ١٤٤. وقيل إن الحارث قتل خالد بن جعفر في حوار النعمان بن المنذر، انظر الأغاني ١١: ٩٥ وما بعدها، وابن الأثير ١: ٣٣٨ وما بعدها.

(٢) انظر معجم الشعراء: ٢٠٣.

(٣) فصل المقال: ١٧٩ وما بعدها.

دارها أحياناً أخرى. وكثرت الوقعات والأيام بين الغساسنة وبني أسد في عهد الحارث بن أبي شمر، وهو الحارث الأعرج، وكان من أشد ملوك الغساسنة، ومن هذه الأيام التي جرت في عهد الحارث «يوم الفرات»، وكان لأسد على الغساسنة، فقد سَير الحارث حملة لقتال بني أسد، وجعل عليها ابن أخته عَدِيًّا، فلقيته بنو أسد بالفرات ورئيسهم ربيعة بن حُذَار، فاقتلوا قتالاً شديداً، فقتلت بنو سعد بن ثعلبة عَدِيًّا، قتله عَمْرُو وَعُمَيْر ابنا حذار أخوا ربيعة.^(١)

وفي شعر عبيد ذكر لوقائع عديدة كانت بين الفريقين، منها «يوم المَرار» ويبدو أنه كان لأسد على الغساسنة، إذ فخر به عبيد، فقال:

حَتَّى تَعَاطَيْنَ غَسَّانًا فَحَرْبَهُمْ
يَوْمَ الْمَرَارِ وَلَمْ يَلُؤُوا عَلَى أَحَدٍ
غَوَتْ بنو أسدٍ غَسَّانَ أُمْرَهُمْ
وَقَلَّ مَا وَقَفَتْ غَسَّانُ لِلرَّشَدِ^(٢)

ولما توعد امرؤ القيس أسداً بحرب مبيرة، بعد قتلهم أباه، رد عليه عبيد وفخر بقومه وذكر حملة لهم أوقعوا فيها بالغساسنة حلفاء كندة:

وَجَمُوعَ غَسَّانَ الْمَلُوءِ
لَكَ أَتَيْنَهُمْ وَقَدِ انْطَوَيْنَا^(٣)

^(١) انظر ديوان عبيد: ١١٦.

^(٢) ديوان عبيد: ٦٠، وغَوَتْ: أَضَلَّت.

^(٣) ديوان عبيد: ١٣٧. وَأَتَيْنَهُمْ، أَي: الْخِيل. وَاِنْطَوَيْنَ، أَي: انْطَوَيْنَ مِنَ الضُّمْرِ.

ونقع في شرح ديوان عبيد على ذكر لحملات قادها الحارث الأعرج، فأوقع
بيني سعد بن ثعلبة قوم عبيد خسائر عظيمة، وترك ديارهم أطلالاً دوارس،
وأشار عبيد إلى ذلك، بقوله:

ديارُ بني سَعْدِ بن ثَعْلَبَةَ الأَلَى

أَذَاعَ بِهِمْ ذَهْرٌ عَلَى النَّاسِ رَائِبٌ
فَأَذْهَبَهُمْ مَا أَذْهَبَ النَّاسَ قَبْلَهُمْ

ضِرَاسُ الحُرُوبِ وَالْمَنَائِسِ العَوَاقِبُ^(١)

ولعل هذه الهجمات شنها الأعرج على أسد ثاراً بحليفه المقتول حجر
الكندي، ومحاولة منه لإعادة أسد إلى الخضوع للملك كندة أو بسط سلطانه
عليهم.

وفي عهد النعمان بن الحارث أغار حصن بن حذيفة في الحليفين أسد
وغطفان على بعض نواحي الشام فنزلوا «ذا أقر»، وهو واد مملوء حمضاً ومياهاً،
وتربعوا فيه، فنهاهم النابغة عن ذلك وحذرهم إغارة الملك الغساني، فعصوه،
فبعث إليهم النعمان جيشاً عليه ابن الجلاح الكلبي، فأوقع فيهم.^(٢)

وفي وقعة أخرى تربعت أسد وفزارة حمى للنعمان، فبعث إليهم بخيله، ونذر
الحليفان بها فارتحلا قارباً الزوراء، وهي ماء لبني أسد، ثم قال حصن بن حذيفة

^(١) ديوان عبيد: ٨، وانظر الصفحتين ١٠-١١. وأذاع بهم: فرّقهم. ورائب: شديد.

^(٢) انظر شرح أدب الكاتب للحواليقي: ٣٠٥، وباختلاف في مناسبة القصيدة في ديوان
النابغة: ٨٠.

سيد فزارة، وكان فيه غدر، لرجلين من فزارة: «اذهبا حتى تردا الزوراء، ثم اعمدا إلى أملاً حوض عليها وأعظمه فافجراه حتى تلقيا نبي مدمين، ففعلا ما أمرهما به. فلما لقيه رجع بالناس، وقال: لا أرد الزوراء اليوم، اعتللاً لما خاف من الشر. فلما انصرف ببني فزارة أغارت خيل النعمان على بني أسد فاستاقوا النعم وقاتلوا من وجدوا وسبوا». ووصف النابغة تلك الواقعة بأسد فقال:

فَإِذْ وَقِيتَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَعْتَهُ

فَانْجِي فَزَارَ إِلَى الْأَطْوَادِ فَالْلُوبِ

وَلَا تَلَاقي كَمَا لَأَقَى بَنُو أَسَدٍ

فَإِنَّهُمْ قَدْ لَقُوا حَرَّ الشَّائِبِ^(١)

ولما مات النعمان بن الحارث تولى أخوه عمرو بن الحارث الملك، وفي عهده تهيأ الحليفان أسد وذبيان لحرب الغساسنة، فأوقع بهم الملك الغساني وعاد بالأسراء والسبايا، وسعى النابغة فيهم فوهبهم له.^(٢)

أحلاف أسد:

خرجت أسد من الحرم وما والاه من تهامة، قليل عديدها، مفلولة شوكتها، فنزلت نجداً ووجدت نفسها بين قبائل ذات شوكة وحصى، كهوازن وغطفان وطيب وسليم، وأدرك أشياعها المخاطر التي تحيق بها، فانتهجوا سياسة حكيمة،

^(١) ديوان النابغة: ق ٩. والأطواد: الجبال. واللوب: الحرار. والشايب: السحاب القليل

العرض الشديد الوقع، مفردها شوبرة.

^(٢) انظر ديوان النابغة: ق ٥، والصفحة: ٩٣.

شدت من أود القبيلة ومكنت لها في موطنها الجديد، إذ سعى حكماء القبيلة وأشياخها، إلى إقامة الأحلاف فحالفوا طيئاً وحالفوا ذبيان، وواجهوا القبائل الأخرى أقوياء بحلفائهم أشداء بفتكهم.

الحليفان أسد وطيئ:

حَلَّتْ أسد بأكثاف طيئ، وقيل إنَّ أسداً كانت أسبق من طيئ بسكناها نجداً، وإنَّ الجبلين كانا لأسد ثم غلبتها طيئ عليهما، قال ابن خلدون: «ويقال: إنَّ بلاد طيئ كانت لبني أسد. فلما خرجوا من اليمن غلبوهم على أجا وسلمى، وجاؤوا واصطلحوا وتجاوروا لبني أسد».^(١)

وكان أول حلف عقدته أسد حلفها مع طيئ،^(٢) وشهد هذا الحلف بشر بن أبي خازم وابنه نوفل،^(٣) وتعززت القبيلتان بهذا الحلف، وهما الوحيدتان اللتان لا تربطهما مع جيرانهما روابط نسب فكانتا أحوج ما تكونان إلى التحالف والتساند.

ولعل أبرز الأيام التي شهدها الحليفان معاً «يوم الجفار» و «يوم النصار»، وانتصرا بهما على بني عامر وتميم يشاركهم في انتصارهم هذا ذبيان الحليفة الثانية لأسد.^(٤) كما شهد الحليفان وضبة موقعة مع يربوع وسعد التميميين، بموضع يدعى «رجلة التيس»، وكان النصر حليف حبيي تميم. وكانت ضبة قد

(١) ابن خلدون: ٢: ٦٦٢، وصبح الأعشى: ١: ٣٤٩

(٢) انظر النقائض: ١: ٢٣٨، واللسان، والتاج (حلف).

(٣) انظر الخزانة ٤: ٤٤١.

(٤) انظر الأنوار: ١: ١٤١

تحولت عن بني ثميم إلى طيئ.^(١)

ولم يحل تحالف أسد وطيئ دون وقوع غزوات بين بطون من القبيلتين، ولعل هذا التحالف كانت تتراخى عراه ويعتريه الوهن، وتشدد أواصره وتتعرز حسب مصالح القبيلتين وأهواء ساداتهما وأشياخهما، فقد كان زيد الخيل الطائي مُلِحًا في غاراته على بني أسد، ثم على بني الصيِّداء منهم، وفيهم يقول:

ضَجَّتْ بَنُو الصَّيِّدَاءِ مِنْ حَرْبِنَا

وَالْحَرْبُ مَنْ يَحْلُلُ بِهَا يَضْجَرُ^(٢)

وكانت أحياء من أسد تغير على بعض من طيئ ولا سيما قوم زيد الخيل لغاراته على بني الصيِّداء، ولزيد أبيات يطلب فيها من أقياس بني أسد أن يردّوا على قومه نساءهم وأبناءهم ويستمتعوا بالإبل التي أخذوها:

أَلَا أَبْلَغِ الْأَقْيَاسِ قَيْسَ بْنَ نَوْفَلٍ

وَقَيْسَ بْنَ أَهْبَانَ وَقَيْسَ بْنَ جَابِرٍ

فَرَدُّوا عَلَيْنَا مَا بَقِيَ مِنْ نِسَائِنَا

وَأَبْنَائِنَا، وَاسْتَمْتَعُوا بِالْأَبْغَاةِ^(٣)

ولم يقتصر الاحتراب بين القبيلتين على الغارات والغزوات، وإنما كان بينهما يوم ظُهر الدهناء.

(١) انظر معجم ما استعجم: ٢: ٦٤٠

(٢) الأغاني ١٧: ٢٤٧.

(٣) شرح أبيات سيبويه للسرياني ٢: ٢٧٨. وَبَقِيَ: بقي، وهي لغة طيئ.

يوم ظَهر الدهناء:

وسبب ذلك اليوم أن أوس بن حارثة سيد جديلة وحاتم بن عبد الله سيد بني عدي الطائيين وفدا على النعمان بن المنذر، وقد اجتمعت عنده وفود العرب، فدعا بجلة من حلل الملوك، وقال للوفود: «احضروا في غد فلإني ملبس هذه الحلة أكرمكم»، وكان أن ألبسها لأوس بن حارثة. فحسده رهط من قومه، لعلمهم بنو عدي رهط حاتم، فدفعوا بشر بن أبي خازم إلى هجائه، وأعطوه ثلاثمائة ناقة، فهجاه وذكر أمه سعدى، فلما عرف أوس ذلك أغار على النوق فاكتسحها، وطلب بشراً، فهرب منه والتجأ إلى عشيرته من أسد، فمنعوه، ورأوا تسليمه إليه عاراً، فجمع أوس جديلة طيئ وسار بهم إلى أسد، فالتقوا بظهر الدهناء تلقاء تيم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت بنو أسد وقتلوا قتلاً ذريعاً، وهرب بشر فجعل لا يأتي حياً يطلب جوارهم إلا امتنع من إجارتهم على أوس، ثم نزل على جندب بن حصن الكلابي بأعلى الصَّمان. فأرسل إليه أوس يطلب منه بشراً فأرسله إليه، فلما قدم به على أوس أشار عليه قومه بقتله، فدخل على أمه سعدى يستشيرها، فأشارت أن يرد عليه ماله، ويعفو عنه ويحبوه، فإنه لا يغسل هجاءه إلا مدحه، فقبل ما أشارت به، وأطلق بشراً وحمله على فرس جواد، وردَّ عليه ما كان أخذ منه، وأعطاه من ماله مائة من الإبل، فقصر بشر مديحه على أوس.^(١)

(١) انظر ابن الأثير ١: ٣٨٢-٣٨٣. وروي في تمكن أوس من بشر غير ذلك، انظر

مختارات ابن الشجري ٢: ٢٤، ونضرة الأغريض: ٣٤٩.

الحليفان أسد وذييان:

كان الصراع بين القبائل قوياً والتنافس على السيادة شديداً، يزيد من أواره سياسة المناذرة في بث الفرقة بين هذه القبائل. وكانت محاولات المناذرة والغساسنة لا تفتر لإخضاعهم وإدخالهم في طاعتهم وسلطانهم. لذلك وجد سادة القبائل وذوو الرأي فيها أن عليهم أن يوفروا أسباب المنعة والقوة لقبائلهم، فسعوا إلى شد الأحلاف مع القبائل التي يربطها بها مصالح مشتركة، وشهدت الجزيرة العربية في جاهليتها المتأخرة حركة قوية نحو قيام تحالفات كبيرة.

واتجه سادة بني أسد وأشرافها إلى عقد حلف مع ذييان، يتعززون به، فضلاً عن حلفهم في طيئ.^(١) وتمكن الأسديون بحكمتهم وحسن سياستهم من إقامة علاقة متوازنة بين حليفتيهما طيئ وذييان، ولعل خير مثال على تلك السياسة موقف بني أسد الذي عبّر عنه بشر لما بغت طيئ على آل بدر الفزاريين، فقد روي «أن قوماً من آل بدر الفزاريين جاوروا بني لأم من طيئ، فعمد بنو لأم إلى الفزاريين فحزروا نواصبيهم، وقالوا: قد مننا عليكم ولم نقتلكم. فغضبت بنو أسد لأجل ما صنع بالبدريين، وقال بشر يخاطب طيئاً:

إِذَا جُزَّتْ نَوَاصِي آلِ بَدْرِ

فَأَدُّوْهَا وَأَسْرَى فِي الْوَثَاقِ

وإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّا وَأَنْتُمْ

بُعَاةٌ مَا بَقِينَا فِي شِقَاقِ^(٢)

(١) انظر البيان والتبيين ٣: ٩، وجمهرة اللغة ٢: ١٧٦، واللسان، والتاج (حلف).

(٢) شرح أبيات سيبويه للسرياني ٢: ١٣-١٤، وانظر البيت في ديوان بشر: ١٦٥.

وشكلت أسد وحليفتها قوة ذات تأثير في الصراع الدائر على أرض الحجاز ونجد، وقد «سأل معاوية شيخاً من بقايا العرب: أي العرب رأيته أضخم شأنًا، قال: حصن بن حذيفة، رأيته متوكماً على قوسه يَقسِم في الحليفين أسد وغطفان»^(١).

وذكر أبو عبيدة أنَّ التحالف بين أسد وطئى وبين غطفان قام في زمن حصن بن حذيفة، «وهو الذي أمر سُبَيْعاً الثعلبي الديلمي أن يحالف بينهم، فحالف بينهم وبين بني أسد بن خزيمه. وكانت بنو أسد وطئى قد اختلفوا قبل ذلك فسموا الأحاليف، وذلك بعد قتل حذيفة بن بدر»^(٢).

غير أنه ما إنْ نطالع في أخبار داحس والغبراء ونرى نذر الخلاف بين حذيفة وقيس بن زهير حتى نجد أنَّ التحالف بين أسد وذبيان قائم. ولا نستطيع أن نعود بهذا التحالف إلى أبعد من زمن حذيفة، لأنه لم يكن قائماً في رئاسة أبيه بدر بن عمرو، إذ قاد غطفان لبني أسد فالتقى الفريقان في «أجبال»، فقتلت أسد بداراً، قتله خالد بن الأبحج، ودفن هناك^(٣).

وإذا عدنا إلى حرب داحس والغبراء فإننا نجد أنه لما جرى السباق بين «داحس» فرس قيس و«الغبراء» فرس حذيفة، أقام حذيفة رجلاً من بني أسد في الطريق وأمره أن يلقي داحساً في وادي «ذات الإصا» إن مرَّ به سابقاً فيرمي به إلى أسفل الوادي، فلما هبط داحس في الوادي عارضه الأسدي فلطم وجهه

(١) البيان والتبيين ٣: ٩.

(٢) النقااض ١: ٢٣٨، وشرح المفضليات: ٣٦٤.

(٣) انظر طبقات فحول الشعراء: ٩٥، والمخير: ٢٤٨، ومعجم ما استعجم ١: ١١٢.

وأجبال: موضع في ديار أسد.

فألقاه في الماء، فكاد يغرق هو وراكبه، ولم يخرج إلّا وقد فاتته الخيل.^(١)
وبعد مقتل مالك بن حُذيفة جمع حذيفة ذبيان وأسدًا وأشجع، وسار بهم،
فالتقى عبساً على ماء العقيقة، وهناك مشى بينهم السفراء فاصطلحوا. ثم غدر
حذيفة بالعهد وقتل رهائن عبس، فجمعت عبس وجمع حذيفة الجموع من أسد
وذبيان وساروا إلى عبس، ونجحت خطة دبّرها قيس بن زهير، فانشغلت أسد
وذبيان بالنهب، وانشغل كل إنسان بما غنم، فكرت عليهم عبس، وهم على
حال تفرق وتشتت، فأوقعت فيهم. ولحقوا بحذيفة فأدركوه على جفر الهباءة
فقتلوه وأحياه حملاً واستبقوا حصن بن حذيفة لصباه. وكان عدد القتلى في هذه
الوقعة من فزارة وأسد وغطفان نيفاً وأربعمائة، وقتل من عبس ما يزيد على
عشرين رجلاً. وكانت فزارة تسمى هذه الوقعة البوار،^(٢) وقال الأصفهاني
«وكان ذلك اليوم يوم ذي حُساء».^(٣) من هذه الأخبار نستنتج أنّ الحلف بين
أسد وذبيان كان قائماً في زمن حذيفة بن بدر خلاف ما ذكره أبو عبيدة.

وبعد مقتل حذيفة بن بدر ورجال كثير من ذبيان وأسد طمع الملك اللخمي
عمرو بن هند فيهم ورغب في بسط سلطانه عليهم، إذ ذكر البغدادي عن
صعوداء أن «عمرو بن هند حين قتل حُذيفة طمع في حصن وفي غطفان أن
يصيب بعد حذيفة صاحبه، وكان حصن والحليفان لقاحاً لم يدينوا للملك قط،
فأرسل إلى حصن: إني مُبِدُّكَ بخيل فادخل في مملكتي، وأجعل لك ناحية من

^(١) انظر ابن الأثير ١: ٣٤٧. وقيل إن الرجل ثعلبي ذيباني، انظر الأغاني ١٧: ١٩١.

^(٢) انظر ابن الأثير ١: ٣٥١-٣٥٣؛ ولم يذكر الأصفهاني مشاركة أسد في هذه الموقعة،

انظر الأغاني ١٧: ٢٠٢-٢٠٥.

^(٣) الأغاني ١٧: ٢٠٨.

الأرض. فأرسل إليه حصن: إني ما كنت قط أفرغ لحربك مني اليوم، ولا كنت قط أيسر عدة مني اليوم، فإن كنت لا يكفك ما جرّب أبوك، فدونك لا تعتل، فإنه ليس لي حصن إلا السيوف والرماح، وأنا لك بالفضاء، وأقبل حصن بالخليفين حتى نزل زُبالة، فصَدَّ عنه عمرو بن هند، وكره قتاله.^(١) وقال زهير ابن أبي سلمى في ذلك:

وَمَنْ مِثْلُ حِصْنٍ فِي الْحُرُوبِ، وَمِثْلُهُ
لَا نَكْأِرُ ضَيْمٍ، أَوْ لَأْمُرٍ يُحَاوِلُهُ
عَزِيزٌ، إِذَا حَلَّ الْخَلِيفَانِ حَوْلَهُ
بِذِي لَجَبٍ لَجَأَتْهُ، وَصَوَاهِلُهُ^(٢)

وقيل إنَّ الذي طمع في الخليفين هو النعمان بن الحارث الغساني لا عمرو ابن هند.^(٣) وشهد الخليفتان مواقع وأياماً كثيرة فضلاً عما ذكرناه من مواقع مع الغساسنة والمانذرة، وحرب داحس والغبراء، ولعل أبرزها يوم «شُعْب جَبَلَة» وكان لعامر على الخليفين وميم،^(٤) ويوم الجِفَار والنَّسَار، وكان للأحلاف على عامر وميم.^(٥) وسيأتي تفصيل ذلك في موضع لاحق.

غير أنَّ ما تجدر ملاحظته في العلاقة بين الخليفين هو أنَّ أسدًا التي قدمت في

(١) شرح أبيات المغني ٨ : ١٠.

(٢) شعر زهير: ٥٦.

(٣) انظر شعر زهير: ٥٧.

(٤) انظر العقد الفريد ٥ : ١٤١.

(٥) انظر الأنوار ١ : ١٤١.

نصرة فزارة ماقدمت، لقيت من حليفها حصن وابنه عيينة مالقيت، واحتملت تلك المشقة لحاجتها القوية إلى حليف تتعزز به في غمرة الصراع القبلي، وقد رأينا غدر حصن بأسد قرب الزوراء لما اعتلّ بالخوف من الشر وانصرف وقومه، وترك أسداً طعمة لجند الغساسنة.^(١)

واتصف حصن وعيينة بنكران الجميل والتحلل من العهود والمواثيق، فهماً بقطع حلفهما في بني أسد لولا النابغة رجل الحزم الذي جنب قومه الغدر بالخلفاء والوقوع في مصائد الأعداء، فقد بعث زُرْعَة بن الصَّعِق الكلابي، وكان سيد بني عامر، إلى حصن بن حذيفة وعيينة بن حصن، يطلب إليهما أن تقطع ذييان حلفها في بني أسد، وأن تُلحق أسداً بأبناء عمومتهما كنانة بن خزيمة، وتحالف بنو عامر ذييان، فهم أحقّ بحلفها لصلات القرابة، وأخذ سيدا ذييان بذلك وهماً بقطع حلفهم. وأدرك النابغة مايرمي إليه بنو عامر، وقد سبق غدرهم، لما ضمن زُرْعَة وعامر بن مالك للنابغة ألاّ يغيروا على ذييان،^(٢) وشق عليه خروج أسد منهم، ورأى أن ترك بني أسد هو الجهل الذي يضر بقومه أبلغ الضرر، فقال لـ حصن: يأمرونا بترك هؤلاء الذين أحسنوا عنا الدفاع، وكثر بهم الانتفاع. وسأله أن يطلب من بني عامر أن تخرج من فيها من الحلفاء، وتخرج ذييان حلفاءها! فلما بعثت ذييان بذلك إلى بني عامر، أبوا أن يخرجوا حلفاءهم.^(٣) فقال النابغة يحكي جهل حصن وعيينة، وقوة أسد، وحرص ذييان على حلفها فيهم:

(١) انظر ص: ٧٣-٧٤.

(٢) انظر ديوان النابغة: ١٥٢.

(٣) انظر شرح أبيات سيويه للسرياني ٢: ٢١٨، والخزاعة ٢: ١٣٢ وما بعدها.

قَالَتْ بُنُو عَامِرٍ خَالُوا بَنِي أَسَدٍ
يَا بُؤْسَ لِلْجَهْلِ ضَرَّاراً لِأَقْوَامٍ
يَأْبَى الْبَلَاءُ فَمَا نَبْغِي بِهِمْ بَدَلاً
وَمَا نُرِيدُ خِلَاءَ بَعْدَ إِحْكَامٍ^(١)

وحين قتلت أسد رجلين من بني عبس لأنَّ حابس بن وَرْدَ العبسي قتل
نَضْلَةَ الأسدي،^(٢) أراد عيينة بن حصن أن يخرج بني أسد من ذبيان، ويعاون بني
عبس عليهم، بعد البلاء الذي أبلته أسد في الدفاع عن حليفها، واندفع في هذا
الأمر بطيش وحماسة شأن فتیان الحرب، فشق ذلك على النابغة، وأدرك بحزمه
ونفاذ بصيرته أنَّ هذا الأمر سيجلب الشرَّ والضُّرَّ على ذبيان، وأنه ليس من
حسن الرأي أن يقطع قومه حلفهم بعد الذي بذلته أسد في نصرتهم، فقال:

أَلِكُنِّي يَا عَيْنِينَ إِلَيْكَ قَوْلًا
سَأُبْدِيهِ إِلَيْكَ، إِلَيْكَ عَنِّي
أَتَخَذُلُ نَاصِرِي وَتُعِزُّ عَبْسًا
أَيُّرْبُوعَ بْنَ غَيْظٍ لِلْمِعَنِ

(١) ديوان النابغة: ٢٢٠. وخَالُوا: تَخَلَّوْا من حلفهم. والخِلَاءُ: المُتَارِكَةُ.

(٢) انظر شرح الحماسة للمرزوقي ١: ٤١٨، والتبريزي ١: ٣٩٢. وقال التبريزي إن
رجلاً من عبس اجتمعوا على قتل نضلة، انظر شرح اختيارات المفضل ٣: ٣٦٦.

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فَجُوراً
فإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنِّي
هُمُ دِرْعِي الَّتِي اسْتَلَأْتُ فِيهَا
إِلَى يَوْمِ النَّسَارِ وَهُمْ مِجَنِّي
وَلَوْ أَنِّي أُطِيعُكَ فِي أُمُورٍ
عَضَضْتُ أَنَا مِلي وَقَرَعْتُ سِنِّي^(١)

ونوه الجاحظ بما لقيت بنو أسد من عَيِّنة ومشقة ذلك على النابغة، فقال: «لقيت ضُبَّةً من سعد، وعبس من عامر، وأسد من عيينة بن حصن مَالِقُوا. وقد رأيت مشقة ذلك على النابغة، وكيف كره خروج أسد من بني ذبيان. وعيينة بن حصن وإن كان أسود من النابغة وأشرف، فإنَّ النابغة كان أحزم وأعقل».^(٢)

كما أنَّ الحلف بين القبيلتين لم يكن ليحول في بعض الأحيان من قيام غزوات صغيرة بين بطون من القبيلتين، وقد أغار الحارث بن ورقاء الصَّيدَاوي الأسدي على بني عبد الله بن غطفان، فاستاق إبلاً لزهير بن أبي سُلمى وراعيه يساراً.^(٣) ولم يمنع الحلف بني مرةً من أخذ إبلاً لبعض بني قعين، وقعت في

^(١) ديوان النابغة: ق ٤٤، وانظر الخزانة ٥: ٦٩. والمعن، هنا: عَيِّنة. واستلأمت: لبست الدِرْع.

^(٢) الحيوان ١: ٣٦٢.

^(٣) انظر الأغاني ١٠: ٣٠٧-٣٠٨، والفاخر: ١٧٦-١٧٧، وجمهرة الأمثال ١: ١١٦، وشرح أبيات المغني ٥: ٢٠٢، والخزانة ٥: ٤٥٣، وديوان زهير: ق ٥، ٦، ٧، ٨.

بلادهم.^(١) وذكر البكري موضعاً اختلفت عنده أسد وغطفان،^(٢) ولعل هذا الأمر قديم قبل شد الحلف بينهما.

ومن الطريف أن نختتم الحديث عن الحليفين بما رُوي عن عيينة بن حصن سيد الحليفين من جفاء وتعصب قبلي مقيت، فقد سمع النبي ﷺ يقول: «(غفار وأسلم ومزينة وجهينة خير من الحليفين أسد وغطفان)، فقال: والله لأن أكون في النار مع هؤلاء أحب إلي من أن أكون في الجنة مع أولئك».^(٣)

أسد والقبائل الأخرى:

حاولت فيما مضى من حديث رسم صورة للعلاقات السلمية والحربية بين أسد وكندة والمناذرة وآل جفنة، وبين أسد وحليفتيها طيئ وذبيان. وجهدت ما استطعت تتبع تلك العلاقات في سياقها التاريخي. ولاستكمال الحديث نستعرض علاقات أسد مع القبائل الأخرى في الحجاز ونجد وغيرها، وجلُّها أيام ووقائع وغزوات وغارات.

وعُرفت بنو أسد بالجرأة وشدة الفتك وبعد المغار، وقد ذكروا أنَّ عامر بن الطفيل سأل زيد الخيل الطائي، وكان لحق به زيد طالباً إياه: «من أنت؟ قال: أسدي، قال عامر: لا والله، ما أنت من المتكورين على ظهور الخيل!».^(٤) وطالت بنو أسد كثيراً من سادات القبائل وفرسانها، موطنه بذلك لنفسها موقعاً متميزاً في الصراع القبلي الدائر على أرض العرب، يقول الجاحظ: «وبنو أسد

(١) انظر الخير في أمثال العرب: ٤٨-٥٠، وجمهرة الأمثال ١: ١٣٨-١٣٩.

(٢) انظر معجم ما استعجم ٢: ٤٨٤.

(٣) الاشتقاق: ٢٨٥، وانظر أنساب الأشراف ٥: ١٠٠.

(٤) الأغاني ١٧: ٢٦٣، ولباب الآداب: ٢١٩.

أُسْدُ الْغِيَاضِ وَأَشْبَهَ شَيْءٌ بِالْأُسْدِ، فَلِذَلِكَ تَشْتَهِي مِنَ اللَّحْمَانِ أَشْهَاهَا إِلَى الْأُسْدِ. وَالِدَلِيلِ عَلَى أَنَّهُمْ أُسْدٌ. وَفِي طَبَاعِ الْأُسْدِ، أَنَّكَ لَوْ أَحْصَيْتَ جَمِيعَ الْقَتْلَى مِنْ سَادَاتِ الْعَرَبِ وَفِرْسَانِهِمْ، لَوَجَدْتَ شَطْرَهَا أَوْ قَرِيباً مِنْ شَطْرَهَا لِبَنِي أُسْدٍ»^(١).

لِذَلِكَ كَثُرَتْ أَيَّامُ أُسْدٍ وَوَقَائِعُهَا وَغَزَوَاتُهَا وَغَارَاتُهَا، وَلَعَلَّ أَشَدَّهَا وَأَبْعَدَهَا صَيْتاً تِلْكَ الْأَيَّامِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي عَامِرٍ، أَوْ شَارَكَتْ فِيهَا أُسْدُ حَرْبِ بَنِي عَامِرٍ.

أَيَّامُ أُسْدٍ وَعَامِرٍ:

يَوْمَ ذِي عَلَقٍ: ^(٢) (لَأُسْدٍ عَلَى عَامِرٍ)

لَعَلَّ هَذَا الْيَوْمَ أَوَّلُ يَوْمٍ وَصَلَتْ إِلَيْنَا أَخْبَارُهُ بَيْنَ الْقَبِيلَتَيْنِ، قَالَ عَنْهُ ابْنُ الْأَثِيرِ: «وَهُوَ يَوْمُ التَّقَى فِيهِ بَنُو عَامِرٍ بَنُوعُ صَعْصَعَةٍ وَبَنُو أُسْدٍ بِذِي عَلَقٍ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالاً عَظِيماً، قُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ رِبِيعَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ كِلَابِ الْعَامِرِيِّ أَبُو لَبِيدٍ الشَّاعِرِ، وَانْهَزَمَتْ عَامِرٌ فَتَبِعَهُمْ خَالِدُ بْنُ نُضْلَةَ الْأُسْدِيِّ وَابْنُهُ حَبِيبٌ وَالْحَارِثُ ابْنُ خَالِدِ بْنِ الْمُضَلَّلِ، وَأَمْعَنُوا فِي الطَّلَبِ فَلَمْ يَشْعُرُوا إِلَّا وَقَدْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ أَبُو بَرَاءٍ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ مِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ لَخَالِدٍ: «يَا أَبَا مَعْقِلٍ إِنَّ شَيْئاً أَجْزَتَنَا وَأَجْزَنَّاكَ حَتَّى نَحْمَلَ جِرْحَانَا وَنُدْفِنَ قَتْلَانَا، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ فَتَوَاقَفُوا. فَقَالَ لَهُ أَبُو بَرَاءٍ: هَلْ عَلِمْتَ مَا فَعَلَ رِبِيعَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ تَرَكْتُهُ قَتِيلاً، قَالَ: وَمَنْ قَتَلَهُ؟ قَالَ: ضَرَبْتُهُ أَنَا وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ صَامِتُ بْنُ الْأَفْقَمِ - أَحَدُ بَنِي

^(١) الحيوان ٢: ١٦٠.

^(٢) ذو علق: جبل في ديار بني أسد. البكري ٣: ٩٦٤.

الصَّيْدَاءُ^(١) -، فلما سمع أبو براء بقتل ربيعة حمل على خالد هو ومن معه، فمانعهم خالد وصاحبه وأخذوا سلاح حبيب بن خالد، ولحقهم بنو أسد فمنعوا أصحابهم وحموهم^(٢).
 وذكر ابن قتيبة أنه يقال إنَّ الذي قتل ربيعة بن مالك هو الجميع منقذ بن طريف^(٣)، وقال في ذلك اليوم:

سَائِلٌ مَعْدًا مِّنَ الْفَوَارِسُ لَا

أَوْفَوْا بِجِيرَانِهِمْ وَلَا غَنَمُوا^(٤)

ويبدو أنَّ هذا اليوم وقع بعد مقتل حجر بن الحارث بزمن غير بعيد، لأسباب منها ما يدفعنا إلى عدم الإيغال في الجاهلية، وهو أنَّ ربيعة بن مالك أبو ليلى، وليد شاعر مخضرم. ومنها ما يمنعنا من الاعتقاد بأنَّ هذا اليوم كان بعد مقتل حجر بزمن طويل، وذلك لأنَّ خالد بن نضلة فارس ذي علق مات مسموماً عند المنذر بن ماء السماء^(٥).

غير أنَّ المرء لا يمكنه الاطمئنان إلى ما يصل إليه من نتائج في تسلسل أحداث

(١) انظر الشعر والشعراء ١: ٢٧٤.

(٢) ابن الأثير ١: ٣٩٢، وانظر شرح المفضليات: ٤١ وما بعدها، وشرح اختيارات المفضل ١: ١٩٩-٢٠٠، وبليجاز في ديوان ليلى: ٤٩، والعمدة ٢: ٢١٧، ومعجم ما استعجم ٣: ٩٦٤.

(٣) الشعر والشعراء ١: ٢٧٤.

(٤) انظر القسم الثاني: ق (١٠).

(٥) انظر ص: ٦٧-٦٨.

الجاهلية للاضطراب الكبير في رواياتها وأخبارها، فأخبار الأيام تروي أنَّ خالد ابن نضلة كان رئيس بني أسد يوم النصار، وهو يوم بعد يوم جبلة،^(١) ويوم جبلة كان في عهد النعمان بن المنذر.^(٢)

على أية حال فإنَّ يوم جبلة كان بعد يوم ذي علق، وقد شهد الجميع بن طريف الشاعر يوم ذي علق، وقتل يوم شِعْب جبلة كما ستبين في حديث ذلك اليوم.

يوم شِعْب جبلة: ^(٣) (لعامر وعبس على تميم وأسد وذيان)

وهو من عظام أيام العرب، وكانت عظام أيام العرب ثلاثة: يوم كُلاب ربيعة، ويوم جبلة، ويوم ذي قار.^(٤) وكان قبل الإسلام بسبعة وخمسين عاماً،^(٥) وقيل بخمسة وأربعين عاماً،^(٦) وقيل بأربعين عاماً،^(٧) وهو بعد رَحْرَحان بسنة كاملة. وقد خرج فيه لقيط بن زرارة التميمي يجمع الجموع للثأر بأخيه معبد الذي أسرته بنو عامر يوم رحرحان ومات في القِدِّ، فاجتمعت إليه ذبيان لعداوتها في عبس حلفاء بني عامر، وأسد لحلفها في ذبيان، وعمرو ومعاوية ابنا الجون الكلبي ملك هجر، وحسان بن وبرة الكلبي أخو النعمان بن المنذر لأمه.

^(١) انظر النقاظ ١ : ٢٣٨ وما بعدها، وشرح المفضليات : ٣٦٤.

^(٢) انظر العقد الفريد ٥ : ١٤١، والعمدة ٢ : ٢٠٣.

^(٣) جبلة: جبل ضخيم على مقربة من أضاخ، بين الشريف ماء لبني عامر، وبين الشرف، ماء لبني كلاب. البكري ٢ : ٣٦٥.

^(٤) الأغاني ١١ : ١٣١.

^(٥) انظر العمدة ٢ : ٢٠٤، ومعجم البلدان ٢ : ١٠٤.

^(٦) انظر الخزنة ٦ : ٣٧٠.

^(٧) انظر العقد الفريد ٥ : ١٤١، والخزنة ٦ : ٣٧٠.

وعقد معاوية بن الجون الألوية، فكانت أسد وفزارة بلواء معاوية بن الجون، وسارت الجيوش إلى بني عامر وعبس، فأشار قيس بن زهير على بني عامر أن يدخلوا شعب جَبَلَة بالعيال والأموال فيقاتلوا القوم من وجه واحد، وألاً تُرعى الإبل ولا تُسقى وأن تُعقل، وتُجعل الذراري وراء ظهورهم، فإذا دخلت عليهم الجيوش الشعب حَلَّ الرّجالة عقل الإبل ولزموا أذنانها، فإنها تنحدر عليهم ولا يرد وجهها شيء، وتخرج الفرسان في إثر الرّجالة الذين خلف الإبل فإنها تحطم مالقيت، وتقبل عليهم الخيل وقد حُطّموا من عُلّ. وأخذت بنو عامر برأي قيس.

فلما أقبلت تميم ومن معها ووجدوا بني عامر قد دخلوا الشعب، قال لهم رجل من بني أسد: خذوا عليهم فم الشعب حتى يعطشوا أو يخرجوا، فوالله ليتساقطن عليكم تساقط البعر من است البعير. فأتوا حتى دخلوا الشعب عليهم وحلّت عامر عقل الإبل فأقبلت تهوي، فدقّت كل مالقيت، وانهمزت الأحلاف لا تلوي على شيء، وقُتل لقيط بن زرارة، وأسر أخوه حاجب، وأسر سنان بن أبي حارثة المُرّي، وقتل معاوية بن الجون، كما قتل الجميح بن طريف الشاعر الأسدي.^(١)

وذكر أبو عبيدة أن بني أسد تشاءمت من ذلك اليوم، فرجعت ولم تشهد جبلة، إلا نفر يسير، منهم شأس بن أبي بُلَيٍّ ومعقل بن عامر المالكي،^(٢) ويمكننا

(١) انظر النقائض ٢: ٦٦٠ ومابعداها، والأغاني ١١: ١٣١ ومابعداها، وابن الأثير ١:

٣٥٥ ومابعداها، والعقد الفريد ٥: ١٤١ ومابعداها، والعمدة ٢: ٢٠٣ ومابعداها، ومعجم

ما استعجم ٢: ٣٦٥ ومابعداها.

(٢) انظر النقائض ٢: ٦٦١، والأغاني ١١: ١٤٠.

أن نذكر منهم الجميع الذي أجمعت المصادر على أنه قُتل في ذلك اليوم.^(١)
ولعل رجوع بني أسد جعل دختنوس بنت لقيط تقول في رثاء أبيها:

فَرَّتْ بَنُو أَسَدٍ فَرًّا

رَ الطَّيْرِ عَنِ أَرْبَابِهِ^(٢)

يوم النّسار:^(٣) (لأسد وغطفان وطئى على بني عامر وتميم)

قال الشمشاطي: «كان سبب يوم النّسار أن بني تميم كانوا يأكلون عمومهم بني ضبة وبني عبد مناة، فأصابوا رهطاً من بني تميم، فطلبتهم تميم، فلحقت الرّباب ببني أسد بن خزعة، وهم يومئذ حلفاء لبني ذبيان بن بغيض بن غطفان، وحلفاؤهم أيضاً بنو طئى. ورئيس ذبيان حصن بن حذيفة بن بدر، ورئيس بني أسد عوف بن عبد الله بن عامر بن جذيمة بن نصر بن قعين، ويقال خالد بن نضلة الأسدي. ورئيس الرّباب يوم النّسار الأسود بن المنذر أخو النعمان.. وبلغ بني تميم أن الرّباب قد لحقت ببني أسد وأحلافها، فاستمد بنو تميم بني عامر بن صعصعة، فأمدوهم، وعلى بني تميم حاجب بن زُرارة، وعلى بني عامر شريح بن مالك القشيري، أو مالك بن كعب أحد بني أبي بكر بن كلاب، فسار هؤلاء وهؤلاء، حتى التقوا بالنّسار، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فصبرت بنو عامر يومئذ، فاستحرفهم القتل، وانفضت بنو تميم وواغلت لا تُلوي على أحد، ولم يُصَبْ منهم كثير،

^(١) انظر المفضليات: ٤٥، والعقد الفريد ٥: ١٤٣، والتنبيه على الأمالي: ١٢٧، وحاشية على شرح بانت سعاد ١: ٤٥١.

^(٢) الحيوان ٥: ٢٩٣، والعقد الفريد ٥: ١٤٤، والممتع: ٢٩١.

^(٣) النّسار: أجبل صغار، شُبّهت بأنسر واقعة، من رسم ضرية. أنظر البكري ٤: ١٣٠٦.

فَهُزِمُوا وَقُتِلُوا وَسُبُّوا.. وَقَتَلَ قَدْ بْن مَالِك الْوَالِي ثُمَّ الْأَسَدِي شُرَيْح بْن مَالِك الْقَشِيرِي رَأْسَ بَنِي عَامر.. وَقَتَلُوا عُبَيْد بْن مَعَاوِيَةَ بْن كَلَاب، وَقَتَلُوا الْهَضَّانَ وَهُوَ عَامر بْن كَعْب، مِنْ بَنِي أَبِي بَكْر بْن كَلَاب.. وَسَبُّوا نِسْوَةَ مِنْهُمْ، فَصَارَتْ سَلْمَى بِنْتُ الْمُحَلَّقِ لَعْرُوءَ بْن خَالِد بْن نَضْلَةَ، وَصَارَتْ الْعَنْقَاءُ ابْنَةُ هَمَّامٍ مِنْ بَنِي أَبِي بَكْرِ ابْنِ كَلَاب، لَزِيَادِ بْنِ دُبَيْرٍ^(١) بْنِ وَهْبِ بْنِ أَعْيَا بْنِ طَرِيفِ الْأَسَدِي، وَصَارَتْ أُمُّ حَازِمِ بِنْتُ كَلَابٍ لِأَرْطَاةِ بْنِ مُنْقِذِ الْأَسَدِي، وَصَارَتْ رَمْلَةُ بِنْتُ صُبَيْحٍ لِلْحَارِثِ ابْنِ حَزْرَاءِ بْنِ جَحْوَانَ الْأَسَدِي..»^(٢)

وَتَزَعَمُ الرَّبَابُ أَنَّ يَوْمَ النَّسَارِ كَانَ قَبْلَ يَوْمِ جَبَلَةَ، وَقَدْ سَاقَ أَبُو عُبَيْدَةَ حَجَجًا لَتَفْنِيدِ هَذَا الزَّعْمِ.^(٣) غَيْرَ أَنَّ مَا تَجَدَّرُ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ أَنَّ خَالِدَ بْنَ نَضْلَةَ الَّذِي شَهِدَ هَذَا الْيَوْمَ وَعُبَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي شَعْرِهِ قَتْلَهُمَا الْمُنْذِرَ بْنَ مَاءِ السَّمَاءِ،^(٤) وَأَنَّ أَسَدًا وَغُطْفَانَ تَزَعَمَانِ أَنَّ الْأَسَدَ بْنَ الْمُنْذِرِ لَمْ يَشْهَدْ هَذَا الْيَوْمَ، وَأَنَّ شَعْرَ عَوْفِ بْنِ عَطِيَّةِ بْنِ الْخَرَجِ التِّيمِيِّ فِي ذَلِكَ مُصْنُوعٌ.^(٥) وَمِنْهُ يُمْكِنُ الْإِفْتِرَاضُ بِأَنَّ هَذَا الْيَوْمَ وَقَعَ قَبْلَ يَوْمِ جَبَلَةَ لِأَنَّهُ وَقَعَ قَبْلَ عَهْدِ النِّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ

^(١) فِي الْأَنْوَارِ: «زُبَيْر»، تَصْحِيفٌ.

^(٢) الْأَنْوَارُ ١ : ١٤١ وَمَابَعْدَهَا، وَانْظُرِ النِّقَاطُضَ ١ : ٢٣٨ وَمَابَعْدَهَا، وَشَرَحَ الْمَفْضِلِيَّاتُ: ٣٦٤، وَابْنُ الْأَثِيرِ ١ : ٣٧٦ وَمَابَعْدَهَا، وَيَلْبِجَازُ فِي السِّيَرَاتِ ١ : ٢٨١، وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ ٥ : ٢٤٨، وَمَعْجَمُ مَا اسْتَعْجَمَ ٤ : ١٧٣، وَفَصَلُ الْمَقَالِ: ٢٧٢-٢٧٣، وَجُمْهُرَةُ ابْنِ حَزَمٍ: ٢٨٤، وَشَرَحَ أَدَبُ الْكَاتِبِ: ١٧٣، وَمَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٥ : ٢٨٣-٢٨٤.

^(٣) انْظُرِ النِّقَاطُضَ ١ : ٢٣٩، وَشَرَحَ الْمَفْضِلِيَّاتُ: ٣٦٤.

^(٤) انْظُرْ ص: ٦٨.

^(٥) انْظُرِ النِّقَاطُضَ ١ : ٢٤٠، وَشَرَحَ الْمَفْضِلِيَّاتُ: ٣٦٥.

الذي بعث أخاه حسان في جمع يوم جيلة^(١) غير أن هذا لا يخرج عن دائرة الافتراض والاحتمال، فثمة مصادر هامة لم تذكر مشاركة أخي النعمان في يوم جيلة^(٢) وعليه فمن الممكن أن يكون يوم جيلة قبل عهد النعمان بن المنذر، كما أن ثمة مصادر ذكرت أن الذي قتل خالد بن نضلة وعمرو بن مسعود وعبيد بن الأبرص هو النعمان بن المنذر^(٣) وبذلك يظل الاضطراب قائماً في معرفة التسلسل التاريخي لهذا اليوم.

يوم الجفار: (لأسد وغطفان وطئ على عامر وتميم)

قال ابن الأثير: «لما كان رأس الحول من يوم النّسار اجتمع من العرب من كان شهد النّسار وكان رؤسائهم بالجفار الرؤساء الذين كانوا يوم النّسار إلّا أن بني عامر قيل كان رئيسهم بالجفار عبد الله بن جعدة بن كعب بن ربيعة، فالتقوا بالجفار واقتتلوا، وصيرت تميم فعظم فيها القتل وخاصة في بني عمرو بن تميم، وكان يوم الجفار يسمى الصيّلم لكثرة من قتل به»^(٤). وذكر أن تميمًا غضبت لبني عامر لأنّ عامراً ثبتت يوم النّسار فقتلت قتلاً شديداً، فتجمعوا وساروا إلى بني أسد فالتقوا في الجفار، فلقوا أشد مما لقيت عامر^(٥) وأكثر بشر من الفخر بهذين اليومين^(٦).

(١) انظر العقد الفريد ٥ : ١٤١، والعمدة ٢ : ٢٠٣.

(٢) النقاتض ٢ : ٦٦٠ وما بعدها، والأغاني ١١ : ١٣١ وما بعدها، وابن الأثير ١ : ٣٥٥ وما بعدها.

(٣) انظر ص : ٦٨.

(٤) ابن الأثير ١ : ٣٧٨، وانظر الأنوار ١ : ١٤٩.

(٥) انظر الأنوار ١ : ١٤٣، ومعجم ما استعجم ٤ : ١٣٠٦، وفصل المقال : ٢٧٣.

(٦) انظر ديوان بشر : ١٦، ٢٢، ٩٢، ١٣٥، ١٤٠، ١٨٠، ١٩٠.

وثمة أيام أخرى بين القبيلتين كيوم غَسْل، وكان لأسد على عامر،^(١) ويوم الشُّرَيْف،^(٢) وكان لعامر على أسد،^(٣) ويوم الرِّشَاء،^(٤) وكان لأسد على عامر،^(٥) كما كان بينهما غارات وغزوات.^(٦)

أسد والأبناء:

ثمة موقعة بين بني أسد وأشقاء بني عامر، وهم الأبناء من بني صعصعة بن معاوية، وهو يوم في «تَرْج».

يوم «تَرْج»: ^(٧) (وقتل فيه بشر بن أبي خازم)

قال ابن حبيب: «أغار بشر بن أبي خازم في قعنب من قومه على الأبناء من بني صعصعة بن معاوية - وكل بني صعصعة، إلا عامر بن صعصعة يدعون الأبناء، وهم: وائلة، ومازن، وسلول - فلما جالت الخيل مر بشر بغلام من بني وائلة فقال له بشر استأسر، فقال له الوائلي: لتذهبن أو لأرشقنك بسهم من

^(١) انظر معجم ما استعجم ٣: ٩٩٧. وغَسْل: موضع في ديار بني أسد.

^(٢) الشُّرَيْف: ماء لبني غنم. معجم البلدان ٣: ٣٤١.

^(٣) انظر الأغاني ٥: ٢٥.

^(٤) الرِّشَاء: موضع بين ديار بني أسد وديار بني عامر. البكري ٢: ٦٣٥.

^(٥) انظر معجم الشعراء: ١٧٦. والذي في معجم الشعراء «الرِّشَاء» بضم الراء. والرِّشَاء،

بالضم: ماء له جبل أسود لبني غنم. معجم البلدان ٣: ٤٥. ولعل الصواب في اسم اليوم

مأثنتاه ولا سيما أنَّ سحيماً عبد بني أسد فخر يوم «الرِّشَاء» بكسر أوله. انظر ديوان

سحيم: ٤٩، والبكري ٢: ٦٥٣.

^(٦) انظر أمثال العرب: ٨٠، والأغاني ١٠: ١٥، وكثر الحفاظ: ٦٣٨.

^(٧) تَرْج: واد إلى جنب تبالة على طريق اليمن. معجم البلدان ٢: ٢١.

كناني: فأبى بشر إلا أسره، فرماه بسهم على ثنودته فاعتنق بشر فرسه وأخذ الغلام فأوثقه، فلما كان في الليل أطلقه بشر من وثاقه وخلّى سبيله، وقال: أعلم قومك أنك قتلت بشراً، وهو قوله:

وَأَنْ الْوَائِلِيَّ أَصَابَ قَلْبِي

بِسَهْمٍ لَمْ يَكُنْ نِكَسًا لُغَابًا^(١)

وذكر الأنباري أنَّ قاتل بشر هو عيس بن حذار من وائلة أو غاضرة بن صعصعة، ويدعى ذا العُنُق.^(٢) أما المرزباني فذكر أنه عمرو بن حِذَار الوائلي.^(٣) في حين ذكر ياقوت أنَّ الذي رمى بشراً فأصاب منه مقتلاً هو نُعَيْم بن عبد مناف بن رياح الباهلي، وقد أصيب بترج، ومات بالرَّذَّة من بلاد قيس فدفن هناك.^(٤)

أسد وجُشَم:

يوم بُسَيان:^(٥) (لأسد وذيان على جشم)

وكان من حديثه «أنَّ بني جشم بن معاوية أسهلوا يطلبون المرعى، فأفلت «حُمَيْرَة» فرس شيطان بن مُدْلِج الجشمي، فجاء شيطان يطلبها عامة نهاره حتى

(١) أسماء المغتالين: ٢١٤-٢١٥، والشعر والشعراء ١: ٢٧١، والخزانة ٤: ٤٤١-٤٤٢،

وانظر البيت في ديوان بشر: ٢٥، وهو من القصيدة الخامسة، وهي في رثاء نفسه.

(٢) انظر شرح المفضليات: ٣١.

(٣) انظر معجم الشعراء: ٣٧.

(٤) انظر معجم البلدان ٢: ٢١، وانظر ديوان بشر: ق ٥، البيت ٦.

(٥) ضبطه البكري بضم الباء، وضبطه العسكري وصاحب التاج بفتح الباء «بُسَيان».

أخذها. وخرجت بنو أسد وذبيان غارّين، فرأوا آثار حُميرة، فقالوا: إِنَّ هَؤُلَاءِ
 لقريب منكم، فاتبعوا آثارها حتى هجموا على الحي فغنموا».^(١)
 أما البكري فذكر أَنَّ هذا اليوم كان لبني قُشَيْر على بني أسد، وفخر به
 دريد بن الصَّمّة فقال:

رَدَدْنَا الْحَيَّ مِنْ أَسَدٍ بِضَرْبٍ
 وَطَعْنٍ يَتْرُكُ الْأَبْطَالَ زُورًا
 تَرَكْنَا مِنْهُمْ سَبْعِينَ صَرَعًا
 يُسْـَٔيَانِ وَأَبْرَأْنَا الصُّدُورًا^(٢)

أسد وسليم:

يوم ذات الأُنَـل: ^(٣) (وقتل فيه أسد صَخَر بن عمرو الشَّريد)
 «قال أبو عبيدة: غزا صخر بن عمرو، وأنس بن عَبَّاس الرَّعْلِيّ، من بني
 سليم، بني أسد بن خزيمَة، في بني عوف وبني خُفَاف، وكانا متساندين، صخر
 على بني خُفَاف، وأنس على بني عوف، فاكسحا أموال بني أسد وسببا
 ومضيا، فأتى بني أسد الصريخ، فتبعوهم حتى لحقوهم بذات الأُنَـل، فاقتتلوا قتالاً
 شديداً، وطعن ربيعة بن ثور الأسدي صخراً في جنبه، فأدخل جوفه حلقاً من
 الدَّرْع، فاندمل عليه، قال: الموت أهون مما أنا فيه وأمر بقطعها، فأحموا له شفرة

(١) جمهرة الأمثال ١: ٣٨٠-٣٨١، وانظر الحلبه في أسماء الخيل: ٦٤.

(٢) معجم ما استعجم ١: ٢٥٠.

(٣) ذات الأُنَـل: موضع بين ديار أسد وديار سليم.

فقطعوها، فُئِس منه،.. ومات فدفن قريباً من عَسِيب».^(١) وبكته الخنساء بكاء
ذائعاً مشهوراً.

وذكر ابن حبيب أن أبا ثور قاتل صخر هو ابن ربيعة بن نعلبة بن
الأشتر.^(٢) وقال العسكري هو ربيعة بن حوط الفقعسي.^(٣)

أسد في يوم الفجار:

شاركت أسد في يوم الفجار فجار البرأض، وفيه اجتمعت قريش وكنانة
والأحابيش كلها ومن لحق بهم من أسد مع مُهَيَّر بن أبي خازم أخي بشر،
وبطون من تميم، وخرجت قيس وهوازن وسُلَيم وثقيف وأحلافها من جَسْر بن
محارب وغيرهم. فلما وافى الفريقان عكاظاً نهضت الناس بعضها إلى بعض
فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم تنادوا إلى الصلح، فاصطلحوا على أن يعدُّوا القتلى فمن
كان له الفضل ودى الطرف الآخر فضله.^(٤)

أسد وغني:

لم تذكر المصادر وقعات بين القبيلتين سوى يوم حقل، وفيه قتلت بنو أسد

^(١) الأنوار ١: ١١٠-١١١، وانظر أسماء المقتالين: ٢١٧، والأغاني ١٥: ٧٧، والعقد
الفريد ٥: ١٦٦-١٦٧، وجمع الأمثال ٢: ٩٦-٩٧، وجمهرة الأمثال ١: ٣٧٢،
والمصون: ١٧٧، والمستقصى ٢: ٦٩، ومعجم ما استعجم ١: ١٠٧، والخزانة ١: ٤٣٦،
ومعاهد التنصيص ١: ٣٤٩-٣٥١، والمرصع: ٨٢.

^(٢) انظر أسماء المقتالين: ٢١٧، والتعليقات والنوادر ٢: ١٨٩.

^(٣) انظر جمهرة الأمثال ١: ٤٦٣.

^(٤) انظر المنق: ١٩٠ وما بعدها، والأغاني ٢٢: ٥٦ وما بعدها، والعقد الفريد ٥: ٢٥٦

وما بعدها، وابن الأثير ١: ٣٥٨ وما بعدها، وإباجاز في العمدة ٢: ٢١٩.

الحارث بن مُؤَيْلِكَ الْغَنَوِي. ^(١)

أيام أسد وتميم:

ذكرنا في الحديث عن أيام أسد وعامر يومي النصار والجفار وأنَّ تميمًا شهدتهما إلى جانب بني عامر، ورأينا أنَّ تميمًا لقيت في الجفار أشد مما لقيت عامر في النصار، وبعد الجفار كان بين أسد وتميم يوم ذات الشقوق.

يوم ذات الشقوق:

بعد يوم الجفار حرَّم ضَمْرَة بن ضَمْرَة النَّهْشَلِي على نفسه الخمر حتى يكون لتميم يوم يكافئه، فأغار ضمرة على الأحلاف يوم ذات الشقوق فقتلهم. ^(٢)

يوم خَوّ: ^(٣) (وقتل فيه أسد عَتِيْبَة بن الحارث فارس تميم)

قال ابن عبد ربه: «قال أبو عبيدة: أغارت بنو أسد على يربوع فاكتسحوا إبلهم، فأتى الصريخ الحي، فلم يتلاحقوا إلّا مساء بموضع يقال له «خَوّ». وكان ذؤاب بن ربيعة الأشتر على فرس أنثى، وكان عتيبة بن الحارث بن شهاب على حصان، فجعل الحصان يستنشق ريح الأنثى في سواد الليل ويتبعها، فلم يعلم عتيبة إلّا وقد أقحم فرسه على ذؤاب بن ربيعة الأشتر، وعتيبة غافل لا يبصر ما بين يديه في ظلمة الليل، وكان عتيبة قد لبس درعه وغفل عن جُرْبَانِهَا حتى أتى الصريخ فلم يشده، وراه ذؤاب، فأقبل بالرمح إلى ثُغْرَةِ نَحْرِهِ، فخر صريعاً قتيلاً. ولحق الربيع بن عتيبة فشده على ذؤاب فأسره وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه،

^(١) فرحة الأديب: ٤٤ وما بعدها، ومعجم البلدان ٢: ٢٨٠. وحقيل: موضع في ديار

أسد.

^(٢) فصل المقال: ٢٧٣.

^(٣) خَوّ: واد بين التينين، وهما جبلان، في ديار أسد.

فكان عنده أسيراً حتى فاداه أبوه ربيعة بإبل معلومة قاطعه عليها، وتواعدا سوق عكاظ في الأشهر الحرم أن يأتي هذا بالإبل ويأتي هذا بالأسير. وأقبل أبو ذؤاب بالإبل، وشغل الربيع بن عتيبة فلم يحضر سوق عكاظ. فلما رأى ذلك ربيعة أبو ذؤاب لم يشك أن ذؤاباً قد قتلوه بأيهم عتيبة فرثاه، وقال:

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ هَتَكْتَ عَرُوشَهُمْ

بُعْتِيَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ

بِأَحَبِّهِمْ فَقَدْ أَلَى أَعْدَائِهِ

وَأَشَدِّهِمْ فَقَدْ أَلَى الْأَصْحَابِ

فلما بلغهم الشعر قتلوا ذؤاب بن ربيعة^(١).

وبذلك نجد أن بني أسد طالت «صياد الفوارس» عتيبة بن الحارث الذي ذاع صيته في جزيرة العرب، وكان من فرسانها المعدودين، حتى قالت العرب فيه: «لو أن القمر سقط من السماء ما التقفه غير عتيبة لثقافته»^(٢).

يوم ذات الحناظل: (لتميم على أسد)

قال الشمشاطي: «بعد يوم الجفار أغار عمرو بن أبير، في بني كعب بن

^(١) العقد الفريد ٥: ٢٤٩-٢٥٠، وسمط اللآلي ٢: ٧٠٦-٧٠٧، وكتاب الخيل لابن جُزَي: ١١٦-١١٧، وباختلاف في الرواية في أسماء القتالين: ٢٣٤-٢٣٥، وشرح شواهد الشافية ٤: ٤١٤، وبإيجاز في الموتلف والمختلف: ١٨٣، وشرح الحماسة للتبريزي ٢: ٣٢٢-٣٢٣، ومعجم البلدان ٢: ٤٠٧.

^(٢) مجمع الأمثال ٢: ٨٦، وانظر فروسية عتيبة في البيان والتبيين ١: ٢١، و٣: ٢٢، والاشتقاق: ٢٢٦، والعقد الفريد ١: ١١٧، والعمدة ٢: ١٩٢، والأنوار ١: ٢٤٧.

سعد بن زيد مناة بن تميم على بني أسد، فصادفهم بذات الحناظل، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل عمرو بن أبيير مَعْقِلَ بن عامر، وانهزمت بنو أسد وقُتِل نفر منهم، وأصاب تميم سبياً ونعماً.. وقال عمرو بن أبيير في ذلك:

يَنِي أُسْدُ إِنَّا تَرَكَنَا سَرَاتَكُم

غَدَاةَ التَّقِينَا حَوْلَهَا الطَّيْرُ تَحْجِلُ^(١)

ولأسد على تميم يومان قديمان هما يوم الهبير ويوم الشعبية، ذكرهما حبيب ابن خالد بن المضلل، فقال:

أَلَا أُبْلِغُ تَمِيمًا عَلَى حَالِهَا

مَقَالَ ابْنِ عَمٍّ عَلَيْهَا عَتَبُ

فَنَحْنُ فَوَارِسُ يَوْمِ الْهَبِيرِ

وَيَوْمِ الشُّعْبِيَّةِ نَغَمَ الطَّلَبُ

فَجِئْنَا بِأَسْرَاكُمُ فِي الْحَبَالِ

وَبِالْمُرْدَفَاتِ عَلَيْهَا الْعُقَبُ^(٢)

وكذلك كان بين أسد وبين تميم وعامر يوم النّباج.^(٣)

(١) الأنوار ٢: ١٥٥-١٥٦.

(٢) القسم الثاني: مقطعة (٩٢). وقطع همزة الوصل لضرورة الشعر، وهذا جائز. والهبير: رمل على طريق مكة. والشعبية: واد أعلاه من أرض كلب. والعُقَب: الجمال والصباحه.
(٣) انظر ثمار القلوب: ٦٤١. والنّباج: آكام عالية في ديار بني سعد. معجم البلدان.

وذكرت المصادر بعض الغارات الصغيرة بين القبيلتين.^(١) كما ذكروا غارة لتميم على أسد أصابت فيها بنو يربوع وبنو سعد أسداً وطَيْئاً وضبة، برجلَةٍ التيس. وكانت ضبة قد تحولت عن بني تميم إلى طيء.^(٢)

وروي أنه في أول الإسلام حلت بنو جَلَيْمة بعض أسد على الأجر، فانتزعتهم من بني يربوع، وصار لسوءة ونُمير من أسد.^(٣)

أسد وبكر وائل:

يوم قَلَاب: ^(٤) (لأسد على بكر)

لعله أقدم الأيام التي وصلت إلينا أخبارها بين أسد وبكر، وفيه قتلت أسد بشر بن عمرو بن مرثد سيد ضُبَيْعة، وكان من حديث هذا اليوم أنَّ حياً من بني الحارث بن ثعلبة بن دُودان غزوا، وعليهم خالد بن نضلة بن الأشتر بن جَحْوان ابن فقعس، ثم نزلوا قارات بينهن غدير من ماء السماء، فاستقى القوم وسقوا وأكلوا ثمراً من زادهم. فاعترض بشر بن عمرو لآثارهم، فقال: هذه آثار بني أسد، هذه بنو الحارث بن ثعلبة، يأسر أحدهم عقاصُ المرأة، ويفدي بالمائة، عليكم بالقوم. فقال له ابنه: إنَّ في بني الحارث بن ثعلبة بني فقعس، وإنَّ تلقهم تلق القتال. فقال: اسكت، فإنَّ وجهك شبيه بوجه أمك عند البناء. فنَفَذَ القوم.

فلما التقوا هُزِمَ جيش بشر، فأتبعته الخيل، حتى توالى في أثره ثلاثة فوارس وما بينهم قريب فكان أولهم سَبْع بن الحسحاس الفقعسي، وأوسطهم عُميلة بن

^(١) انظر ذيل الأمالي: ٩١، والمؤتلف: ٣١.

^(٢) انظر معجم ما استعجم ٢: ٦٤٠. ورجلة التيس: موضع بين بلاد طيء وديار أسد.

^(٣) انظر معجم البلدان ٥: ١٨٨-١٨٩.

^(٤) قَلَاب: جبل في ديار بني أسد.

المقتبس الوالي، وآخرهم خالد بن نضلة. فأدركت نبل الوالي الأوسط فرس
بشر بن عمرو برمية رماه بها فعقرته ولحقه سبع فاعتنقه، وجاء خالد، وقال:
ياسبع لا تقتله فإننا لانطلبه بدم، وعنده مال كثير، وهو سيد من هو منه.
فأجلساه بينهما واعتزل الوالي، ثم إن أسدياً هم أن يوجه إليه السنان، فنشز
خالد على ركبته، وقال: اجتنب إليك أسيري. فغضب سبع أن يدعيه خالد،
فدفع سبع في نحر بشر فوق مستلقياً فأخذ برجله ثم أتبع السيف فرج الدرع
حتى خاض كبده. فقال بشر: أجيروا سراويلي فلاني لم أستعن. ثم أرسله،
وعمد إلى فرسه فاقتاده.^(١)

وقيل إن الذي قتل بشراً هو غميلة بن المقتبس،^(٢) وقالت الخرنق زوج بشر
في ذلك:

غَمِيلَةُ بَوَّاهُ السُّنَّانَ بِكَفِّهِ

عَسَى أَنْ تُلَاقِيَهُ مِنَ الدَّهْرِ نَائِبَةً^(٣)

وروي أن قاتله خالد بن نضلة، وقال المرار بن سعيد الفقعسي يذكر أن
جده خالداً قتل بشراً:

^(١) انظر فرحة الأديب: ٣٨-٣٩، وباختلاف في الرواية، في ديوان الخرنق: ٥-٧،

والخزانة ٤: ٢٨٨.

^(٢) انظر معجم ما استعجم ٣: ١٠٨٨.

^(٣) ديوان الخرنق: ٨.

أَنَا ابْنُ التَّارِكِ الْبَكْرِيِّ بِشَرِّ

عَلَيْهِ الطَّمِيرُ تَرْقُبُهُ وَقَوَعَا^(١)

وذكر البغدادي أنَّ بشرًا وعمرو بن عبد الله بن الأشثل غزيا أسداً
متساندين يوم قُلاب، بشر على بني مالك وبني عتاب بن ضبيعة، وعمرو على
بني مالك وبني رُهم، فقتل بشر بن عمرو وبنوه، وفرَّ عمرو بن عبد الله بن
الأشثل^(٢).

يَوْمَ هَرَشَى: (لضبيعة على أسد)

وهو يوم ثارت فيه بنو ضبيعة لقتلها يوم قُلاب، فقد روى البكري
والبغدادي أنَّ بني ضبيعة أصابوا بني أسد بهَرَشَى وأدركوا بثأرهم، فقال: وائل
ابن شرحبيل بن عمرو بن مرثد:

أَبِي يَوْمَ هَرَشَى أَذْرَكَ الْوَتَرَ فَاشْتَفَى

يَوْمَ قُلابِ وَالصُّرُوفُ تَدُورُ^(٣)

ولعل الخرنق أرادت هذا اليوم في قولها:

أَلَا لَا تَفْخَرَنَّ أَسَدٌ عَلَيْنَا

يَوْمَ كَانَ حَيْنًا فِي الْكِتَابِ

^(١) ديوان الخرنق: ٧. ويروى «بشراً» بالنصب، والبيت شاهد نحوي، انظر السمراني ١:

١٠٦، وفرحة الأديب: ٣٧، والخزانة ٤: ٢٨٤. والمرار بن سعيد: شاعر إسلامي.

^(٢) انظر الخزانة ٥: ٥١.

^(٣) معجم ما استعجم ٣: ١٠٨٨، والخزانة ٥: ٥٤.

فَقَدْ قُطِعَتْ رُؤُوسٌ مِنْ قُعَيْنِ
 وَقَدْ نُقِعَتْ صُدُورٌ مِنْ شَرَابِ
 وَأُرْدِينَا ابْنَ حَسْحَاسٍ فَأَضْحَى
 تَجُولُ بِشِلْوِهِ نُحْسُ الذِّئَابِ^(١)

يوم المَعَى: ^(٢) (لضيعة على أسد)

«قال أبو عبيدة: أغار المنبطح الأسدي على بني عباد بن ضبيعة، فأخذ نَعْمًا لبني الحارث بن عباد، وهي ألف بعير، فمر ببني سعد بن مالك بن ضبيعة وبني عجل بن لحيم، فتبعوه حتى انتزعوها منه، ورئيس بني سعد حُمران بن عبد عمرو، فأسر أقتل بن حسان العجلي المنبطح الأسدي، ففداه قومه، ولا أدري كم كان فداؤه، واستنقذوا السبي».^(٣)

يوم خَوَي: ^(٤) (لقيس بن ثعلبة على أسد ويربوع)

سار عبد عمرو بن بشر بن مرثد، حتى إذا كان بخوي عرض له المنبطح الأسدي، في بني أسد، وزيد الفوارس بن حصين بن ضرار، في بني ضبة، ويزيد بن القحارية اليربوعي. وكانت هذه القبائل اجتمعت يوم النصار، واصطلحت، فقال بنو قيس: نحن مجتازون، ولسنا نريد الغارة، فخلوا سبلنا. وكان ضبيعة بن شريحيل ابن عمرو بن مرثد أسر قبل ذلك اليوم ييسر هرثمة بن الحصين أخوا زيد الفوارس

^(١) يوان الخرنق: ١٦.

^(٢) المَعَى: موضع في ديار بكر.

^(٣) العقد الفريد ٥: ٢٤٦-٢٤٧. وانظر معجم ما استعجم ٤: ١٢٤١.

^(٤) خَوَي والنصار موضع واحد.

فمنَّ عليه وأطلقه بلا فداء، فلما عرف زيد الفوارس بني قيس اعتزل قومه تشكراً لهم لما كان منهم إلى أخيه، وشد يزيد بن سلمة اليربوعي في بني يربوع وبني أسد، على بني قيس بن ثعلبة، وكانت أسد ويربوع تضعف على بني قيس في العدد، فاقتلوا قتالاً شديداً، وزيد الفوارس واقف بين ضبة سحابة يومهم، فلما ولَّى النهار وطال الشر بينهم انهزمت بنو أسد، واتبعتهم يربوع وجرح يزيد بن سلمة وأسر، وباتت ضبة ناحية وبنو قيس بن ثعلبة ناحية، وكانت قد أصابت والل بن شَرْحِبِيل ابن عمرو بن مرثد اثنتا عشرة جراحة فتركه بنو قيس بن ثعلبة عند زيد الفوارس إلى أن يعافى من جراحاته، ومات يزيد بن سلمة بيطن حوَيٍّ، فدفنوه ومضوا.^(١)

يوم الكَيْب:

وكان بين بني أسد وبني عَجَل بن لُحَيْم بعض بكر، وفيه قتلت أسد سَلْهَباً وأبا سَلْهَب، وهما السَّلْهَبَان.^(٢)

غارة لشييان على أسد:

أغار همَّام بن مُرَّة الشيباني على بني أسد، وكانت أمه أسدية، وهي لبنى بنت الحرْمِز بن كاهل، فجعل يسي النساء ويخبطهنَّ، فقالت امرأة منهن: أبجالاتك تفعل هذا ياهمَّام؟! فقال: «كُلُّ ذات صِدَارٍ خالَةٌ»، فأرسلها مثلاً.^(٣)

(١) انظر الأنوار ١: ١٠٥ وما بعدها.

(٢) المثنى: ٨. وثمة يوم آخر يسمى «يوم الكَيْب»، وكان لتغلب على مراد. انظر الأنوار

١: ٢٢٩-٢٣٤. وانظر شرح الحماسة للبريزي ٢: ٢٧٢.

(٣) أمثال العرب: ٥٤، وجمهرة الأمثال ٢: ١٤٠، وفصل المقال: ١٦١، والمستقصى ٢: ٢٢٦.

أسد وتغلب:

يوم عاقل: ^(١) (لتغلب على أسد)

أغار الهذيل بن هبيّرة التغلبي على بني أسد، يوم عاقل، ومع بني أسد يومئذ طوائف من بني كنانة بن خزيمة، فلما التقى القوم حمل عبّاد بن عامر أخو بني الدّيل على قيس بن جابر فارس بني كاهل فصرعه، ونادى الحارث بن ورقاء: يال أسد، ونادى الهذيل: يال تغلب، واشتد الأمر بين الحيين، وقُتل من بني الصّيداء وائل بن الحارث، وفقعس بن عرينة، ومن بني كاهل عمرو بن زيد، وسفيان بن الأزرق، في جماعة كثيرة، وأصيب نساء من بني غاضرة وبني الصّيداء، وحمى القوم بني كاهل حتى حجز الليل بينهم، وعبّاد يكرّ عليهم سواد الليل، ثم انصرفت تغلب. ^(٢)

أسد ومذحج:

ذكر ابن دريد أنّ بني أسد قتل في الجاهلية مرّسوع بن الحارث من بني سعد العشيرة. ^(٣)

أسد وكنانة:

أسد وكنانة قبيلتان شقيقتان، لا تقع على ذكر لأيام ووقائع بينهما، خلا ما قيل من أنّ كنانة هي التي أخرجت أسداً من الحرم. ^(٤) غير أنّ نار الشر كادت

^(١) عاقل: واد بنجد أعلاه لغني وأسفله لضبة وأبان بن دارم.

^(٢) انظر الأنوار ١: ٢٣٩-٢٤٢. وثمة يوم آخر يسمى «يوم عاقل» وكان بين حنظلة وهوازن. انظر العمدة ٢: ٢٠٧، وجمع الأمثال ٢: ٤٣٥.

^(٣) الاشتقاق: ٤٠٠.

^(٤) انظر ص: ٢٤.

أن تشتعل جَذعة بين الشقيقتين فأطفأتها كنانة بإذعانها للحق وأكثر منه، إذ روي أن هلال بن أمية الخزاعي، وكان حليفاً لبني كنانة قتل عبدة بن مُرارة الأسدي، وذلك أنهما كانا عند أحد الملوك فحبا الملك الأسدي حباً كثيراً، ولم يحب هلالاً شيئاً، فأقفلا حتى إذا كانا بوادي طُفَيل غدا الخزاعي على عبدة وهو راقد فقتله وأخذ ما حُبِّي به. فلما سمعت بذلك بنو أسد نهضوا إلى بني كنانة، فقالوا حليفكم هذا قتل أخانا، فإن تدوه دية الملوك نقبل، وإن تأبوا نقتل. فودوه دية الملوك ألف بغير.^(١)

^(١) انظر أسماء المغتالين: ١٢٣-١٢٤، وبإيجاز في معجم البلدان ٥: ٢٤.

الفصل الرابع

قبيلة أسد في الإسلام

بزغ فجر الإسلام على الجزيرة لينقل العرب من الشرك إلى الوجدانية ومن التشتت القبلي والتمزق السياسي إلى الوحدة.

وكان الصراع شديداً بين المسلمين وكفار قريش حتى كان فتح مكة. وبعد الفتح وفدت وفود القبائل من كل حذب وصوب على النبي ﷺ تعلن طاعتها ودخولها في الدين الجديد، ولكن سرعان ماظهرت الردّة في بعض القبائل، فلما قبض النبي ﷺ استفحل أمر المرتدين وخاض المسلمون حرباً شديدة تم لهم فيها القضاء على الردة، وبسط الإسلام سلطانه على الجزيرة كلها. وخرجت جيوش العرب المسلمين من الجزيرة إلى العراق والشام مجاهدة فاتحة.

وكان لبني أسد مشاركة فعالة في أحداث هذه الحقبة، إذ كان لحي منهم سابقة في الإسلام، أسلمت وهاجرت وشهدت المشاهد مع رسول الله، أما عامة أسد فأسلمت بعد الفتح، ثم ارتدت وسارت وراء طليحة بن خويلد الذي قاد المرتدين في نجد، ثم كان لأسد بلاء حسن في الفتوحات الإسلامية.

وسنعرض في هذا الفصل إلى تلك القضايا الثلاث، ونبدؤها بأسد في عصر النبي (ﷺ).

أسد في عصر النبي ﷺ:

لعل الشائع المشهور أن بني أسد هم رجال الردة الذين ساروا وراء المتنبئ طليحة بن خويلد، وهذا الأمر على ذبوعه فيه كثير من الغبن والنظرة المتعجلة. فثمة أحياء من أسد كان لهم سابقة في الإسلام، وثمة رجال ذوو شأن من أسد أسلموا وهاجروا وشهدوا المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، فقد نزل مكة قبيل الإسلام جحش بن رثاب بن يَعمَر الغنمي، فحالف أمية بن عبد شمس، وصاهر عبد المطلب بن هاشم، فتزوج أميمة بنت عبد المطلب،^(١) وولدت له أميمة، وعبد الله، وعبيد الله، وعبدًا، وهو أبو أحمد الضيرير الشاعر، وزينب زوج رسول الله ﷺ، وحمنة، وأم حبيب.^(٢) وكان عبيد الله مع النفر القرشيين الذين فارقوا الشرك قبل الإسلام.^(٣) وما إن ظهرت الدعوة المحمدية في بطاح مكة حتى كان أولاد جحش من السابقين إليها، فأسلم عبد الله وأبو أحمد بدعاء أبي بكر،^(٤) كما أسلم عبيد الله وزينب وحمنة، ثم أسلمت بنو غنم كلها، وبسبب إسلام بني جحش دخل في الإسلام بنو قعين وآل علباء بعض بني كاهل.^(٥)

ولما هاجر نفر من المسلمين الأوائل إلى الحبشة هرباً من أذى قريش كان فيهم رجال ونساء من بني غنم، منهم: عبد الله وعبيد الله وأبو أحمد أولاد جحش، ومع أبي أحمد أخته، وقيس بن عبد الله بن رثاب، وآمنة بنت قيس بن

(١) انظر المنطق: ٤٤٥.

(٢) انظر أنساب الأشراف ١: ٨٨.

(٣) انظر المنطق: ١٧٥ وما بعدها.

(٤) انظر السيرة ١: ٢٥٧، والعقد الثمين ٥: ١١٩.

(٥) انظر المنطق: ٣٠٢-٣٠٣.

عبد الله، وكان قيس وامرأته ظئري عبيد الله بن جحش، ومالك بن عمرو،
وشجاع بن وهب.^(١)

ولما كانت هجرة المسلمين إلى المدينة احتمل بنو غنم كلهم، قال ابن
هشام: «وكان بنو غنم بن دودان أهل الإسلام قد أوعبوا إلى المدينة مع رسول
الله ﷺ هجرةً، رجالهم ونساؤهم: عبد الله بن جحش، وأخوه أبو أحمد بن
جحش، وعكاشة بن مِخْصَن، وشجاع وعقبة ابنا وهب، وأربد بن حُمَيْرَة».^(٢)
وذكرت كتب تراجم الصحابة كثيراً من مهاجرة بني أسد إلى المدينة غير هؤلاء
منهم: مُحَرِّز بن نَضْلَة، ويزيد بن رُقَيْش، وسعيد بن رقيش، وسَخْبَرَة بن عمرو،
والزُّبَيْر بن عُيَيْدَة، ونَمَام بن عُيَيْدَة، وصفوان بن عمرو. وذكرت من نسائهم:
زينب وحَمْنَة وأم حبيب بنات جحش، وحُدَامَة بنت وَهْب، وأم قيس بنت
مِخْصَن، وآمنة بنت رُقَيْش، وأم حبيبة بنت نُبَاتَة وغيرهن.^(٣)

وفرغت دار بني جحش بمكة حتى أغلقوا أبوابها، ويروى «أنَّ عُتْبَة بن
ربيعَة، والعباس بن عبد المطلب، وأبو جهل بن هشام، مرُّوا بها فنظر إليها عتبة
تحقق أبوابها ليس فيها ساكن، فلما رآها كذلك تنفَّس الصُّعْدَاء، ثم قال:

^(١) انظر على التوالي السيرة ١: ٣٢٤، والإصابة ٤: ٨٢٣، و٤: ٢٢٠، و٣: ٣٢٩،
و٢: ٣٧.

^(٢) السيرة ١: ٤٧٢، وانظر أسد الغابة ٢: ٢٦٢.

^(٣) انظر على التوالي السيرة ١: ٤٧٢، والإصابة ٢: ١٦، والاستيعاب ١: ٥٦٥، والعقد
الشمين ٥: ٤٣، و٤: ٥٥٨، والإصابة ٣: ١٥، و٤: ٤٢٣، والاستيعاب ٤: ٢٥٤، والعقد
الشمين ٨: ٣٤٦.

وَكُلُّ دَارٍ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهَا

يَوْمًا سَتُذَرُّهَا النَّكْبَاءُ وَالْحُوبُ

ثم قال: أصبحت دار بني جحش خلاء من أهلها! فقال أبو جهل: وما تبكي عليه من قُلِّ بن قُلِّ.. ثم قال: هذا من عمل ابن أخي هذا، فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وقطع بيننا»^(١).

وفي رجب من السنة الثانية للهجرة بعث النبي ﷺ عبد الله بن جحش في أحد عشر رجلاً إلى نَخْلَةٍ، فلقوا عير قريش، فقتلوا ابن الحضرمي وأسروا نفرًا من القرشيين واستاقوا العير، وقسم عبد الله الغنيمة وأخرج منها الخمس، قبل أن ينزل القرآن بذلك، فعزله رسول الله ﷺ حتى جاء الإذن من الله فأنقذه، وسمي عبد الله في هذه الغزاة أمير المؤمنين، فكان أول من سمي بهذا الاسم، وكانت غنيمته أول غنيمة غنمها المسلمون،^(٢) ولواؤه أول لواء عقد في الإسلام.^(٣)

وكان يوم نخلة السبب في غزوة بدر الكبرى أول المعارك بين المسلمين وقريش، وشهد هذه المعركة نفر كثير من مهاجرة بني أسد، منهم أبو سفيان بن وهب، ويزيد بن رُقَيْش، وسَبْرَة وخُرَيْم ابنا فاتك، وثور بن ثُلدة الشاعر،^(٤)

(١) السيرة ١: ٤٧٠-٤٧١، وأسد الغابة ٥: ١٣٣-١٣٤، وانظر أنساب الأشراف ١: ٢٥٩.

(٢) انظر التتبيه والأشراف: ٢٠٣، وعيون الأثر ١: ٢٢٧-٢٣٠، والعقد الثمين ٥: ١٢٠.

(٣) انظر مختصر تاريخ دمشق ٥: ١٠٠.

(٤) انظر على التوالي الإصابة ٤: ٩٢، والاستيعاب ٣: ٦١١، و٢: ٧٤، وأسد الغابة ١:

كما شهدها عبد الله بن جحش، وعكاشة بن مِخْصَن، وأخوه أبو سنان، وابنه سنان، ومُحَرِّز بن نَضْلَة، وربيعة بن أَكْثَم، وثَقَف ومالك ومُدْلَج أبناء عمرو بن شميْط.^(١)

وفي يوم بدر أبلى عكاشة بن مِخْصَن بلاءً حسناً، ويُروى أنه انكسر سيفه فأعطاه رسول الله ﷺ عوداً، فصار بيده سيفاً أبيض طويلاً، فقاتل به المشركين ولم يزل عنده حتى هلك.^(٢) وقُتِلَ عكاشة من المشركين في هذه الغزاة معاوية ابن قيس حليف بني عامر بن لؤي، كما قتل يزيد بن رُقَيْش حليفاً طائياً لبني مخزوم.^(٣) وأسر عبد الله بن جحش الوليد بن المغيرة.^(٤) وصار أبو عزيز بن عُمَيْر أحد بني عبد الدَّار بن قُصَيٍّ إلى مُحَرِّز بن نَضْلَة.^(٥)

وشهد يوم أحد من صحابة رسول الله ﷺ من بني أسد عمرو بن مِخْصَن، وعبد الرحمن بن قيس، وأخوه زيد، وصفوان بن عمرو، وهَب بن مِخْصَن، وابنه سنان، وربيعة بن أَكْثَم، وشجاع بن وهَب، وأخوه عقبة اللذان شهدا المشاهد كلها مع رسول الله،^(٦) وغيرهم.

وذكر الواقدي أنَّ عكاشة بن مِخْصَن كان يوتر قوس رسول الله ﷺ يوم

(١) انظر المغازي ١ : ١٥٤، والسيرة ١ : ٦٧٩-٦٨٠.

(٢) انظر المغازي ١ : ٩٣، والعقد الثمين ٦ : ١١٦.

(٣) انظر أنساب الأشراف ١ : ٣٠٠، والمغازي ١ : ١٥٢.

(٤) المغازي ١ : ١٤٠-١٤١، وانظر أنساب الأشراف ١ : ٣٠٠.

(٥) المغازي ١ : ١٤٠.

(٦) انظر على التوالي الاستيعاب ٢ : ٤٩٩، والإصابة ٢ : ٣٩١، والعقد الثمين ٥ : ٤٣،

و ٤ : ٣٩١، والاستيعاب ٢ : ٨٧، و ٢ : ١٥٧، و ٣ : ٤٢٢.

أحد، قال: «وباشر رسول الله ﷺ القتال، فرمى بالنبل حتى فنيت نبله وتكسرت سيّة قوسه، وقبل ذلك انقطع وتره، وبقيت في يده قطعة تكون شبراً في سية القوس، وأخذ عكاشة بن محصن يوتره له، فقال: يارسول الله، لا يبلغ الوتر. فقال رسول الله ﷺ: مده، يبلغ! قال عكاشة: فوالذي بعثه بالحق، لمددته حتى بلغ وطويت منه كِيتين أو ثلاثة على سيّة القوس».^(١)

وكان عبد الله بن جحش الغنمي ابن عمه رسول الله من شهداء المسلمين يوم أحد، قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق.^(٢) وقال عبد الله بن الزبيري شاعر المشركين يصور فرحة قريش بمقتله ومقتل حمزة بن عبد المطلب:

قَتَلْنَا ابْنَ جَحْشٍ فَأَعْتَبْنَا بِقَتْلِهِ

وَحَمْزَةَ فِي فُرْسَانِهِ وَابْنَ قَوْقَلٍ^(٣)

وفقدت حمزة بنت جحش في ذلك اليوم ثلاثة شهداء أعزّة على قلبها، وهم أخوها عبد الله وخالها حمزة وزوجها مُصْعَب بن عُمَيْر.^(٤) وإذا كان بنو غنم وقُعين وبعض بني كاهل قد أبلوا فأحسنوا البلاء في نصرة الإسلام، فإنّ الأحياء الأخرى من بني أسد مازالت على الشرك، لذلك ما إنّ تناهى إليها ماحل بالمسلمين يوم أحد حتى طمعت فيهم، فسار طليحة وسلمة ابنا خويلد الأسدي في قومهما ومن أطاعهما يريدون المدينة.

(١) المغازي ١: ٢٤٢.

(٢) انظر أنساب الأشراف ١: ٣٢٨.

(٣) السيرة ٢: ١٦٦.

(٤) انظر الطبري ٢: ٥٣٢.

وقدم المدينة رجل من طيء فنزل على صهره الذي هو من أصحاب رسول الله ﷺ، فأخبره خبر طليحة، فجاء به إلى النبي فأخبره، فدعا النبي أبا سلمة بن عبد الأسد، وعقد له لواء، وبعثه في سرية عدتها خمسون ومائة رجل، وقال له: «سر حتى ترد أرض بني أسد، فأغر عليهم قبل أن تلاقى عليك جموعهم». فخرج أبو سلمة ومعه الطائي دليلاً، فأغذوا السير حتى انتهوا إلى أدنى قطن وهو ماء من مياه بني أسد، فوجدوا سرحاً لأسد فأغاروا عليه فضموه وأخذوا رعاء لهم، وتفرقت الأعراب من بني أسد وغيرهم، ولم يلق المسلمون كيداً، وعادوا إلى المدينة.^(١)

وشهد طليحة بن خويلد في أعراب بني أسد حرب النبي ﷺ مع أبي سفيان في غزوة الخندق، وذلك أن قريشاً بعد انتصارها في أحد جمعت الجموع من قبائل العرب في محاولة منها للإجهاز على المسلمين واستئصال شأقتهم، فسارت إلى المدينة في ثلاثة عساكر تضم عشرة آلاف مقاتل من قريش وأسد وسليم وغطفان، يقود بني أسد طليحة بن خويلد، وفزارة عيينة بن حصن، وعناج الأمر إلى أبي سفيان بن حرب.^(٢) ولكن الأمور جرت على غير ما أرادت قريش وأحلافها، ورجعت الجموع خائبة إلى مكة.

ثم كانت غزوة بني قريظة في السنة الخامسة للهجرة، وشارك فيها من فرسان المسلمين عكاشة بن محصن الغنمي،^(٣) كما شهدها أخوه أبو سنان بن

^(١) انظر المغازي: ٣٤٠ وما بعدها، وبإيجاز في أنساب الأشراف ١: ٣٧٤-٣٧٥.

وقطن: جبل بناحية فيد به ماء لبني أسد.

^(٢) انظر المغازي ٢: ٤٤٣ و ٤٧٠، وشرح سقط الزند ١: ٤٤٣.

^(٣) انظر المغازي ٢: ٤٩٨.

مِخْصَنَ الذي وافته المنية في الحصار، فدفنه رسول الله ﷺ هناك. ^(١) ولما انتصر المسلمون وقسم النبي المِغْنَمَ أسهم لأبي سنان. ^(٢)

وفي السنة السادسة للهجرة، بعد ستة أشهر من غزوة بني قريظة خرج النبي ﷺ غازياً بني لحيان، وبعد عودته إلى المدينة بأيام قلائل أغار عُيَيْنَةُ بن حصن في خيل غطفان على لقاح النبي في ذي قَرَد، فلما أتى المدينة الصريخ ترامت الخيول إلى رسول الله ﷺ، وكان أول فارس لحق بالقوم مُحَرِّز بن نَضْلَةَ الأسدي، فكان بينه وبين عبد الرحمن بن عيينة الفزاري حولة استشهد فيها محرز. وأدرك عكاشة بن محصن أوباراً الفزاري وابنه عمرو بن أوبار على بعير واحد فانتظهما بالرمح فقتلهما جميعاً، واستنقذ المسلمون بعض اللقاح، وولى المشركون هارين. ^(٣)

وذكر بعض المؤرخين أنَّ قاتل مُحَرِّز هو مَسْعَدَةُ بن حكمة، وكان يوم قتل ابن سبع وثلاثين أو ثمان وثلاثين. ^(٤) وقيل إنَّ قاتله أوبار وقتله عكاشة بن مِخْصَن. ^(٥)

وذكر ابن الأثير عن سلمة أنَّ غزوة ذي قَرَد كانت بعد مقدم النبي ﷺ

^(١) انظر السيرة ٢: ٢٥٤، والمغازي ٢: ٥٢٩.

^(٢) انظر المغازي ٢: ٥٢٢.

^(٣) انظر السيرة ٢: ٢٨١-٢٨٥، والطبري ٢: ٦٠١ وما بعدها، وابن خلدون ٢: ٧٨٠-٧٨١، والإصابة ٣: ٣٤٨.

^(٤) انظر المغازي: ٥٤٢، والاستيعاب ٣: ٤٢٣، والعقد الثمين ٧: ١٣٦.

^(٥) انظر المغازي ٢: ٥٤٣، وفيه أن اسمه «أوثار» بالشاء، تصحيف، والصواب عن سائر

المصادر.

المدينة منصرفاً من الحديبية.^(١) في حين ذهبت سائر المصادر إلى أن عمرة الحديبية كانت بعد يوم ذي قَرَد.^(٢)

وفي عمرة الحديبية بلغ النبي أن رسوله إلى قريش عثمان بن عفان ؓ قد قُتِل، فقال: لانبرج حتى نناجز القوم، ثم دعا الناس إلى البيعة، وهي بيعة الرضوان، فكان أول من بايعه سنان بن أبي سنان بن مِحْصَن الأسدي: «قال: يا رسول الله أبايك على ما في نفسك. فكان رسول الله ﷺ يسايح الناس على بيعة سنان بن أبي سنان.^(٣)

وفي السنة نفسها بعث النبي ﷺ عكاشة بن مِحْصَن في سرية عدتها أربعون صحابياً، منهم شجاع بن وهب ويزيد بن رُقَيْش الأسديان، إلى الغمر وهو ماء لبني أسد على ليلتين من فَيْد. فنزل عكاشة على مياههم وبعث الطلائع، فأصابوا عيناً فدلهم على بعض نعمهم فوجدوا فيها مائتي بعير، فحذروها إلى المدينة.^(٤) وفي غزوة خيبر استشهد من بني أسد ربيعة بن أكثم بن سَخْبَرَة، قتله بالنَّطَاة الحارث اليهودي، وكان ربيعة شهد مع النبي ﷺ بدرأً وأحداً والخندق والحديبية.^(٥) كما استشهد في ذلك اليوم رِفاعَة بن مَسْرُوح الأسدي،^(٦) وثَقَف

(١) انظر ابن الأثير ٢: ١٢٩.

(٢) انظر مصادر الحاشية رقم (٣) في الصفحة السابقة.

(٣) المغازي ٢: ٦٠٣، وانظر السيرة ٢: ٣١٦، والأوائل ١: ٣٠٤-٣٠٥، وابن الأثير ٢: ١٣٨.

(٤) انظر المغازي ٢: ٥٥٠، وأنساب الأشراف ١: ٣٧٦-٣٧٧، والطبري ٢: ٦٤٠،

والتنبيه والأشراف: ٢١٩.

(٥) انظر المغازي ٢: ٦٩٩، والعقد الثمين ٤: ٣٩٠-٣٩١.

(٦) انظر المغازي ٢: ٧٣٧، والاستيعاب ١: ٤٩٢.

ابن عمرو بن شمييط الغنمي الأسدي، قتله أسير بن رازم اليهودي، وكان ثقف قد شهد بداراً هو وأخواه مدلج ومالك.^(١)

وبعث النبي في ربيع الأول سنة ثمان للهجرة شجاع بن وهب الأسدي في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمع من هوازن بالسِّي من بلاد عامر، وأمره أن يغير عليهم، فخرج، فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم وهم غارون، فأصاب نِعماً كثيراً وشاء، واستاق ذلك كله حتى قدم المدينة، فكان نصيب الرجل من الغنيمة خمسة عشر بعيراً وغابت السرية خمس عشر ليلة.^(٢)

وقبل غزوة الفتح بعث النبي ﷺ معقل بن سنان الأسدي إلى أشجع لتقدم إلى المدينة، ثم سارت الكتائب من المدينة إلى مكة، ولما كان الفتح ودخلت الكتائب على راياتها، مرت أشجع في ثلاثمائة رجل معهم لواءان، لواء يحمله معقل بن سنان ولواء يحمله نعيم بن مسعود.^(٣)

وبعد فتح مكة وإسلام ثقيف وغزوة تبوك بدأت وفود العرب تضرب إلى النبي ﷺ من كل وجه تدخل في دين الله أفواجا، وقدم وفد بني أسد، وذلك في السنة التاسعة، في عشرة رهط، فيهم: حضرمي بن عامر الشاعر، وضرار بن الأزور الشاعر، وأبو مَكَيْع الشاعر، وسَلَمَة بن حُبَيْش، ووابصة بن معبد، وطليحة بن خويلد. وكان رسول الله ﷺ جالسا في المسجد مع أصحابه فسلموا وتكلموا، فقال متكلمهم: «يا محمد أتيناك نتدرع الليل البهيم في سنة شهباء ولم ترسل إلينا، ونحن منك تجمعنا خزيمة، حمانا منيع ونساؤنا مواجد وأبنائنا أنجاد

(١) انظر الإصابة ١: ٢٠٤.

(٢) انظر المغازي ٢: ٧٥٣-٧٥٤، والطبري ٣: ٢٩، وأنساب الأشراف ١: ٣٨٠.

(٣) انظر المغازي ٢: ٧٩٩ و٨١٨-٨١٩.

أجماد». ودعاهم رسول الله إلى الإسلام، فقالوا: «نسلم على أن صدقات أموالنا لفقرائنا وإن أُسنت بلادنا رحلنا إلى غيرها» وأسلموا وبايعوا. وكتب رسول الله كتابه لهم، فجاء فيه: «إلى بني أسد بن خزيمه ومن تألف إليهم من أحياء مضر: إنَّ لكم محاكم ومرعاكم، ولكم مفيض السما حيث اشتهى، وصديق الأرض حيث ارتوى، ولكم مهيل الرمال ومحازت، وتلاع الحزن وماجاورت»^(١).

وكان في الوفد قوم من بني الزنبة، وهم بنو مالك بن ثعلبة بن دودان، فسألهم النبي ﷺ: من أنتم؟ قالوا: نحن بنو الزنبة، فقال: بل أنتم بنو الرشدة، قالوا: لاندع اسم أبينا ولا نكون كبني مُحَوَّلة، يعنون بني عبد الله بن غطفان، وكانوا بني عبد العزى فسماهم رسول الله ﷺ بني عبد الله، فغيروهم.

وقال الوفد للرسول ﷺ «جئناك ولم تبعث إلينا» فنزلت فيهم الآية الكريمة: ﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ﴾.^(٢) وذكر الفراء أنَّ الله أنزل في أعراب بني أسد الآية الكريمة: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾.^(٣) وفي ختام الحديث عن إسلام بني أسد لابد من التنويه بما كان للمسلمين الأسديين الأوائل من مكانة عند رسول الله ﷺ، فالأخرم محرز بن

(١) البصائر والذخائر ١: ٢٦٤-٢٦٥.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٧. وتم توليف خبر الوفد من الطبري ٣: ٩٦، وابن خلدون ٢: ٨١٩، وابن الأثير ٢: ١٩٥، وأسد الغابة ٢: ٢٩، وعيون الأثر ٢: ٢٥٠-

٢٥١.

(٣) معاني القرآن ٣: ٧٣، والآية من سورة الحجرات، الآية: ١٤.

نضلة شهيد يوم ذي قَرَد كان يقال له فارس رسول الله،^(١) وشجاع بن وهب كان سفير النبي إلى جَبَلَة بن الأيهم الغساني يدعوه إلى الإسلام،^(٢) وعكاشة بن مِحْصَن كان عامله على السَّكَّاسك والسَّكُون،^(٣) وهو من السبعين ألفاً من المؤمنين الذين يدخلون الجنة بغير حساب،^(٤) وقد قبض النبي ﷺ في بيت زينب بنت جحش،^(٥) وكانت من أحب نسائه إليه تسامي عائشة في الخطوة والمنزلة.^(٦)

وليس من قول أدل من قول الشعبي على مآثر بني أسد في الإسلام، حين قال: «أتاني عامري وأسدي، قال: وقد أخذ العامري بيد الأسدِي فهو لا يفارقه، قال: فقلت له يا أخا بني عامر إنه قد كانت لبني أسد ست خصال لا أعلمها كانت بحِي من العرب: كانت امرأة زوجها الله عز وجل نبيّه ﷺ من السماء، والسفير بينهما جبريل، أفكانت هذه لقومك؟ وكان أول لواء عقد في الإسلام لواء عبد الله بن جحش، أفكانت هذه لقومك؟ وكان منهم رجل يمشي بين الناس مُقَنَّعاً، وهو من أهل الجنة عكاشة بن مِحْصَن الأسدي أخو بني

(١) انظر الاستيعاب ١: ٨٦.

(٢) انظر المحبر: ٧٦، والسيرة ٢: ٦٠٧، وقيل إنه بعث إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر، انظر الطبري ٢: ٦٥٢، والإصابة ٢: ١٣٧. وقيل إلى الحارث بن أبي شمر، انظر ابن خلدون ٢: ٤٦٢، والكمال ٢: ١٤٣ وصباح الأعشى ٦: ٣٥٨.

(٣) انظر الطبري ٣: ٣٣٠.

(٤) انظر الفاخر: ٣١١، والمستقصى ٢: ١١٦، والإصابة ٢: ٤٨٧-٤٨٨.

(٥) انظر الطبري ٣: ١٨٧.

(٦) انظر أنساب الأشراف ١: ٤١٧، وشذرات الذهب ١: ١: ٣١.

غَنَمَ بن دودان، فكانت هذه لقومك؟ وكان أول من بايع بيعة الرضوان أبو سنان عبد الله بن وهب، فقال: يا رسول الله ابسط يدك أبايعك. قال: على ماذا؟ قال: على ما في نفسك. قال: وما في نفسي؟ قال: فتح أو شهادة. قال: نعم. فبايعه. قال: فجعل الناس يبايعونه ويقولون: على بيعة أبي سنان على بيعة أبي سنان، فكانت هذه لقومك؟ وكانوا سبع المهاجرين»^(١).

ولعلنا نتبين من هذه الشهادة ومن الأخبار التي سبقتها بالمقارنة مع خبر الوفد الأسدي على النبي ﷺ الفارق الكبير بين المسلمين الأوائل من أسد الذين هاجروا وجاهدوا واستشهدوا، وبين أعراب بني أسد وعامتها الذين ارتدوا بعد إسلامهم وساروا وراء طليحة بن خويلد، وإن كانت تلك الردة لاتنفي أن رجالاً من سادة أسد وفرسانها وشعرائها ممن أسلموا بعد الفتح قد حسن إسلامهم وجاهدوا في سبيل الدين الجديد وحاربوا المرتدين من قومهم فأحسنوا البلاء والدفاع عن الدين الحنيف أمثال ضرار بن الأزور وأخيه زيد وحضرمي ابن عامر وغيرهم كثير ممن ستبينهم في حديث الردة.

أسد في الردّة:

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾^(٢). هذه الآية الكريمة أفصح بيان عن حقيقة إسلام القبائل الأعرابية عام الفتح، فالقبائل البدوية التي وفدت من كل حذب وصوب إلى المدينة، تعلن للنبي ﷺ دخولها في الدين الجديد، لم يكن يعني إسلامها هذا عند كثير منها إلاّ الدخول في طاعة النبي ﷺ

^(١) مختصر تاريخ دمشق ٥: ١٠٠-١٠١.

^(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

ودينه بوصفه رجل الجزيرة العربية القوي بعد أن هزم قريشاً سيدة العرب وفتح مكة محجة العرب. والأعراب بطبعها تدين بالولاء والطاعة للملك القوي وما إن تلمس فيه ضعفاً أو تراخياً أو تمكنها الفرصة منه حتى تثور به وتثب عليه، وقد عز على كثير من سادة القبائل ورجالها أن يكون من قريش نبي ولا يكون منهم نبي، تدفعهم إلى ذلك العنجهية الأعرابية وضيق الأفق القبلي والتعصب المقيت، كما أن بعضاً منهم رأى في الزكاة إتاوة يدفعونها في غير وجه حق.^(١) لذلك لما سمعت الناس بوجع النبي ﷺ في المرض الذي مات فيه وثب الأسود العنسي باليمن ومسيلمة الحنفي باليمامة، ثم لم يلبث طليحة الأسدي إلا قليلاً حتى ادعى النبوة وعسكر بسميراء، واتبعه عوام بني أسد واستكثف أمره.^(٢)

وارتد عن الإسلام حامية بن سبيع بن الحسحاس الأسدي عامل النبي ﷺ على صدقات بني أسد ولحق بطليحة.^(٣) وبعث طليحة ابن أخيه حبلاً إلى رسول الله يدعوهم إلى المودعة ويخبره خبره.^(٤) وكان سنان بن أبي سنان الغنمي عامل النبي ﷺ على بني مالك الأسديين قد كتب إلى رسول الله ﷺ بخبر طليحة،^(٥) وقيل إن أول من كتب إلى النبي بذلك قضاعي بن عامر الدؤلي عامله على بني الحارث بعض بني أسد.^(٦)

(١) انظر في ذلك قولاً لقرّة بن هُبيرة، في الطبري ٣: ٢٥٩.

(٢) انظر الطبري ٣: ١٨٦، وابن خلدون ٢: ٨٤٧. وسميراء: منزل بطريق مكة بعد توز منجداً وقبل الحاجر. البلدان ٣: ٢٥٥.

(٣) انظر تاريخ الخميس ٢: ٢٠٧.

(٤) انظر الطبري ٣: ١٨٦، وابن خلدون ٢: ٨٤٨.

(٥) انظر الطبري ٣: ١٨٧.

(٦) انظر الإصابة ٣: ٢٢٧.

ووجه رسول الله ﷺ ضرار بن الأزور إلى عماله على بني أسد لملاقاة المرتدين، ونزل المسلمون بواردات، فمازال المسلمون في ازدياد والمرتدون في نقصان حتى هم ضرار بالمسير إلى طليحة، وأتى المسلمين خبر موت النبي ﷺ فارفض الناس إلى طليحة واستطار أمره، وأعادت أسد حلفها في طي فأرسل إليهم ثمامة بن أوس ابن لأم الطائي: «إنّ معي في جديلة خمسمائة، فإنّ دهمكم أمر فنحن بالقرذودة والأنسر ذوّين الرمل» وأرسل إليهم مُهلِل بن زيد الخيل الطائي: «إنّ معي حد الغوث، فإنّ دهمكم أمر فنحن بالأكناف بحيال فيد»، وقام عيّنة بن حصن فجدد الحلف بين غطفان وأسد وتبع طليحة، وقال: «والله لأنّ تتبع نبياً من الحليّفين أحب إلينا من أن تتبع نبياً من قريش، وقد مات محمد، وبقي طليحة».^(١)

فلما اجتمعت غطفان على المطابقة لطليحة هرب إلى أبي بكر ضرار وقُضاعي وسان ومن كان قام بشيء من أمر النبي ﷺ في بني أسد.^(٢)

وخرج من بني أسد وجوه وشعراء انحازوا عن طليحة، وحرصوا الناس على لزوم الإسلام، كحبيش وولديه غسان وعبد الرحمن،^(٣) وغالب بن بشر،^(٤) ويزيد بن حذيفة،^(٥) وولده زفر بن يزيد،^(٦) وجَعَونة بن مرثد،^(٧) وعبد الرحمن بن الأزور.^(٨)

(١) الطبري ٣: ٢٥٧-٢٥٨، وانظر ابن الأثير ٢: ٣٣٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الإصابة ١: ٣٧٣، وانظر أسد الغابة ١: ٣٧٦.

(٤) انظر الإصابة ٣: ١٨٩-١٩٠.

(٥) انظر الإصابة ٣: ٦٣٤.

(٦) انظر الإصابة ١: ٥٦١.

(٧) انظر الإصابة ١: ٢٦٢.

(٨) انظر الإصابة ٣: ١٩٦.

وجّه أبو بكر الجيوش لحرب المرتدين، وعقد لخالد بن الوليد على الناس، وأمره أن يصمد لطليحة وعيينة، وهما على بُزاحة. وسار خالد حتى إذا دنا من القوم بعث عكاشة بن محصن الأسدي وثابت بن أقرم البلويّ طليعة أمامه، فلقىهما جبال بن خويلد،^(١) فقتلاه، وخرج طليحة وأخوه سلمة وقد بلغهما الخبر فلقيا عكاشة وثابتاً، فلم يلبث سلمة أن قتل ثابتاً، ونادى طليحة أخاه: أن أعني على الرجل فإنه قاتلي. فاعتونا على عكاشة فقتلاه. ثم التقى المسلمون وعدوهم، واستحر القتل، وقاتل عيينة في سبعمائة من فزارة قتالاً شديداً، وطليحة متلف في كساء له في بيت شعر يتنبأ لهم، فلما رأى عينية سيوف المسلمين قد استلحمت المرتدين، كرّ على طليحة وقال له: هل جاءك جبريل بشيء، قال: نعم جاءني، فقال: «إنّ لك رَحاً كرحاه، ويوماً لاتنساه»، فقال عينية: «والله إنّ لك يوماً لاتنساه، يابني فزارة هذا كذاب» وولّى عن عسكره، فانهزم الناس وظهر المسلمون، وأسر عينية، ووثب طليحة على فرسه وأحقب امرأته خلفه ونجا بها، فلحق بالشام.^(٢)

ثم سار خالد إلى «الغمر»، وقد اجتمع عليه جماعة من بني أسد وغطفان وغيرهم وعليهم خارجة بن حصن، فقاتلهم المسلمون، فقتلوا جماعة منهم وانهزم الباقون.^(٣)

^(١) قيل إنه أخو طليحة، وقيل إنه ابن أخي طليحة. انظر مصادر الحاشية التالية.

^(٢) انظر الطبري ٣: ٢٥٤ وما بعدها، وفتوح البلدان: ١٣٣ وما بعدها، وابن خلدون ٢:

٨٧٠، وأسد الغابة ٣: ٦٥ وما بعدها، وابن الأثير ٢: ٢٣٤ وما بعدها، ومعجم البلدان ١:

٤٠٨، وإيجاز في التنبيه والأشراف: ٢٤٧.

^(٣) انظر فتوح البلدان: ١٣٥.

واجتمعت فلأل غطفان بعد بُزاحة إلى ظَفَر، وبها سلمى بنت مالك بن حَذِيفَة، فاجتمعوا إليها وأمرتهم بالحرب، فتأوب إليها الشرءاء من أسد وغطفان وطئى وهوازن وسليم، واستكف أمرها وغلظ شأنها، فسار إليها خالد، فاقتل المسلمون المرتدون قتالاً شديداً، حتى اجتمع على جملها فوارس فعقروه وقتلوا. وقتل حول جملها مائة رجل.^(١)

وبذلك انتهت ردة بني أسد وحلفائهم من غطفان وطئى. ورأينا أن الذين ساروا وراء طليحة هم عامة بني أسد، في حين كان ذوو الرأي فيها من حكماء وسادة وشعراء في جيش المسلمين يقاتلون طليحة وغيره من الذين ارتدوا عن الإسلام.

وشهد كثير من مسلمي أسد يوم اليمامة، حيث اشتد القتل والقتال بين الفريقين حتى سميت الحديقة التي قتل بها مسلمة الحنفي حديقة الموت، وكانت من قبل تسمى حديقة الرحمن.^(٢) وكان من أمراء جند المسلمين ضرار بن الأزور، وشهد ذلك اليوم في جيش المسلمين من بني أسد سفيان بن حبس الغاضري،^(٣) وزيد بن الأزور أخو ضرار، الذي استشهد في ذلك اليوم.^(٤) كما استشهد الصحابي البدري يزيد بن رُقَيْش الأسدي،^(٥) وعبد الله بن عثمان

^(١) انظر الطبري ٣: ٢٦٣-٢٦٤، وابن خلدون ٢: ٨٧١-٨٧٢، وابن الأثير ٢:

٢٣٦.

^(٢) انظر معجم البلدان ٢: ٢٣٢.

^(٣) انظر الإصابة ٢: ١١٢-١١٣.

^(٤) انظر الإصابة ١: ٥٤٢.

^(٥) فتوح البلدان: ١٢٤.

الأسدي،^(١) والصحابي البدرى شجاع بن وهب الأسدي سفير رسول الله ﷺ إلى الملك الغساني.^(٢)

وبالقضاء على ردة مسيلمة بن حبيب الحنفي قصم ظهر الردة في جزيرة العرب، ولم يمض وقت طويل حتى انضوت الجزيرة كلها تحت راية الإسلام، وانطلق العرب إلى العراق والشام فاتحين مجاهدين.

أسد في الفتوحات الإسلامية:

خرج العرب للناس من جزيرتهم أمة واحدة تحت راية الدين الجديد، يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر، فتتهدأ تحت ضربات سيوفهم أعظم إمبراطوريتين في ذلك الزمن، وتدوس سنانك خيلهم مدائن كسرى وقصور الشام. وما أخطأ هذا الشرف بني أسد، إذ سار مقاتلتها فرساناً ورجالاً في جيوش المسلمين، وكان لهم وقفات مشهودات.

ولم يلتفت المؤرخون إلى الحديث عن أثر القبائل في الفتوحات، لأنها فتوحات عربية إسلامية، وإنما كان الحديث ينصب على جيش المسلمين، وقد يرد ذكر القبائل في تلك المعارك عرضاً أو في مواطن قليلة اقتضت طبيعة المعركة وسير الأحداث الحديث عنها. لذلك لا يمكننا الحديث حديثاً دقيقاً عن بني أسد في تلك الفتوحات. وإنما هي في أغلبها تنف وأخبار موجزات متفرقات وذكر لرجال من القبيلة كانوا من أمراء الجند أو أهل النجدة والبلاء.

وقد انتهت حروب الردة في السنة الحادية عشرة للهجرة، وسير الخليفة

(١) الاستيعاب ٢: ٣٦٠، وأسد الغابة ٣: ٣٠٤.

(٢) انظر أنساب الأشراف ١: ٢٠٠، وفتوح البلدان: ١٢٤، والمغازي ٢: ٧٥٤، والإصابة ٢: ١٣٧.

الراشدي الأول جيوش الفتح، فسار خالد بن الوليد بجنده من اليمامة إلى العراق، ودخل باتفيا وباروسما وأليس صلحاً، وقاتل الفرس في ذات السلاسل، ثم في وقعة المذار، وكان على الفرس «قارن بن قريانس»، فقتله مبارزة معقل بن الأعشى بن النبّاش الأسدي، وقُتِل فارس مقتلة عظيمة. ثم فتح خالد أمغيشيا، وسار بعدها إلى الحيرة، وذلك في السنة الثانية عشرة للهجرة، وكان ابن الهذيل الأسدي الكاهلي وضرار بن الأزور الأسدي المالكي من أمراء الجند في جيش خالد.^(١) وبعد فتح الحيرة بعث خالد بن الوليد بالفتح والهدايا إلى أبي بكر مع الهذيل الأسدي.^(٢)

ولما كانت أيام القادسية في السنة الرابعة عشرة للهجرة،^(٣) شهداها من المسلمين بضعة وثلاثون ألفاً، منها ثلاثة آلاف من بني أسد، نزلت من فروع الحزن،^(٤) وكان أمير الرّجالة في جيش المسلمين حمّال بن مالك الأسدي،^(٥) ومن طلائع الجيش طليحة بن خويلد، ومن أهل النجيدات والرأي الذين يعتمد عليهم سعد بن أبي وقاص جملة من رجال بني أسد، منهم: عاصم بن عمرو، وجابر، وقيس بن هبيرة،^(٦) والمغيرة بن زرارة بن النبّاش الذي بعثه سعد إلى

^(١) انظر على التوالي الطبري ٣: ٣٧١، وابن الأثير ٢: ٢٦٦.

^(٢) انظر الطبري ٣: ٣٦٢.

^(٣) وقيل في السنة الخامسة عشرة، وقيل في السنة السادسة عشرة. انظر مروج الذهب

٢: ٣٢٨.

^(٤) انظر الطبري ٣: ٤٨٧، وابن خلدون ٢: ٩١٧.

^(٥) انظر الطبري ٣: ٤٨٩، وابن الأثير ٢: ٣١١.

^(٦) انظر الطبري ٣: ٥١١، وابن الأثير ٢ / ٣١٨.

يزدجرد كسرى الفرس، يدعوهُ إلى الإسلام أو الجزية أو الحرب.^(١) كما شهد القادسية الشاعر الأسدي عمرو بن شأس.^(٢)

ونزلت جيوش سعد «شَراف»، وكان للفرس رابطة بقصر ابن مقاتل عليها النعمان بن قبيصة الطائي، فدخل عبد الله بن سنان الأسدي على النعمان قُبته، فقتله، ولحق بسعد فأسلم.^(٣)

وكان يوم أرمات أول أيام القادسية، وبعث سعد إلى الجند أهل الرأي والفضل والنجدة، فساروا في الناس فذكروهم وحرضوهم على القتال، وكان في هذا البعث من بني أسد قيس بن هُبيرة، وطليحة بن خويلد، وابن الهذيل، وعاصم بن عمرو. فلمّا كان القتال برز أهل النجدات فأنشبو القتال، وخرج إليهم أمثالهم من الفرس، فخرج هرمز إلى غالب بن عبد الله الأسدي، فأسره غالب وجاء به إلى سعد، ثم انصرف إلى المطاردة.^(٤)

وحمل أصحاب الفيلة على كتائب المسلمين، ففرقت بينهم وتفرقت الخيل، وكادت بَجيلة أن توكل، فأرسل سعد إلى بني أسد: «ذُيّبوا عن بَجيلة ومن لافّها من الناس، فخرج طليحة بن خويلد وحُمّال بن مالك وغالب بن عبد الله والرّبيل بن عمرو في كتائبهم، فباشروا الفيلة حتى عدلها ركبائها».^(٥) وقام الأشعث بن قيس خطيباً في قومه، فقال: «يامعشر كندة، لله درُّ بني أسد! أي

(١) انظر ابن الأثير ٢: ٣١٥.

(٢) انظر مروج الذهب ٢: ٣٢٧-٣٢٨.

(٣) انظر الطبري ٣: ٥٧٢-٥٧٣، وابن الأثير ٢: ٣١٣.

(٤) انظر الطبري ٣: ٥٣٦، ومروج الذهب ٢: ٣٢٠، وابن الأثير ٢: ٣٢٥-٣٢٦.

(٥) الطبري ٣: ٥٣٨.

فَرَيَ يَفْرُونَ، وَأَيَّ هَذِهِ يَهْدُونَ عَنْ مَوْقِفِهِمْ مِنْذَ الْيَوْمِ».^(١) وَلَمَّا رَأَتْ الْفَرَسَ مَا تَلْقَى الْفِيلَةَ مِنْ كَنِيَّةِ أَسَدٍ رَمَوْهُمْ بِشَوْكِهِمْ وَعَلَيْهِمْ ذُو الْحَاجِبِ وَالْجَالْنُوسِ، فَاجْتَمَعَتْ حَلْبَةُ فَارَسٍ عَلَى بَنِي أَسَدٍ وَمَعَهُمْ تِلْكَ الْفِيلَةُ، فَزَحَفَ الْمُسْلِمُونَ وَرَحَى الْحَرْبُ تَدْبُورَ عَلَى أَسَدٍ، فَأَحْجَمَتِ الْخَيْلُ وَحَادَتِ عَنِ الْفِيُولِ، فَذُبَّتْ رِمَاةُ بَنِي تَمِيمٍ رُكْبَانَ الْفِيلَةِ عَنْ بَنِي أَسَدٍ، وَاسْتَدْبَرَ الْفِيلَةَ آخَرُونَ فَقَطَّعُوا وَضَنَها، فَعَرَّيْتُ وَقُتِلَ أَصْحَابُها، وَتَقَابَلَ النَّاسُ فَنَفَسَ عَنْ بَنِي أَسَدٍ وَرَدُّوا الْفَرَسَ عَنْهُمْ، وَاقْتَتَلَ الْجَيْشَانِ حَتَّى ذَهَبَتْ هَدَاةُ مِنَ اللَّيْلِ ثُمَّ رَجَعَ هَوْلَاءُ وَهَوْلَاءُ، وَأَصِيبٌ مِنْ أَسَدٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ خَمْسَمِائَةَ مَقَاتِلَ، وَكَانُوا رَدَّاءَ لِلنَّاسِ.^(٢)

وَيُرَوَّى أَنَّ أَوَّلَ فَارَسِينَ شَدَّاءَ عَلَى أَحَدِ الْفِيلَةِ هُمَا الرَّبِيعُ بْنُ عَمْرٍو وَحَمَّالُ ابْنِ مَالِكِ الْوَالِبِيَّانِ الْأَسَدِيَّانِ، وَتَبِعَهُمَا الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو التَّمِيمِيُّ وَأَخُوهُ عَلَى الْفِيلِ الَّذِي يَأْزِئُهُمَا.^(٣)

وَفِي يَوْمِ أَغَوَاتٍ وَصَلَ إِلَى الْقَادِسِيَّةِ رَسُولُ الْخَلِيفَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَعَهُ أَرْبَعَةُ أَسْيَافٍ وَأَرْبَعَةُ أَفْرَاسٍ يَقْسِمُها فِيمَنْ انْتَهَى إِلَيْهِ الْبَلَاءُ، فَدَعَا حَمَّالُ بْنُ مَالِكٍ وَالرَّبِيعُ بْنُ عَمْرٍو وَطَلِيحَةُ بْنُ خُوَيْلِدٍ وَعَاصِمُ بْنُ عَمْرٍو التَّمِيمِيُّ، فَأَعْطَاهُم السَّيُوفَ، فَذَهَبَتْ بَنُو أَسَدٍ بِثَلَاثَةِ أَرْبَاعِ السَّيُوفِ.^(٤)

^(١) الطبري ٣: ٥٣٩، وابن الأثير ٢: ٣٢٦. والفري: الأمر العظيم، والهد: القطع السريع.

^(٢) انظر الطبري ٣: ٥٣٩-٥٤١، والمسعودي ٢: ٣٢١، وابن خلدون ٢: ٩٢٩-٩٣٠، وابن الأثير ٢: ٣٢٦-٣٢٧، وشعر عمرو بن شأس: ٨٦ وما بعدها.

^(٣) انظر الطبري ٣: ٥٥٦.

^(٤) انظر الطبري ٣: ٥٤٤-٥٤٥.

وكان في فيلة الفرس فيلان يعلمان الفيلة، فلما كان يوم القادسية حملوهما على القلب، فأمر بهما سعد حَمَّالاً والرَّييل والقعقاع وعاصماً، ففَقَّوْا أعينهما وقطعوا مشفريهما، فوَلَّى الفيلان فاتبعتهما الفيلة، فخرقت صف العجم، وخلص المسلمون بأهل فارس بعد ذهاب الفيول، واشتد القتال وصبر الفريقان، وطعنوا في الليل فسميت ليلة الهَرِير.^(١)

وذكر ابن الأثير أنَّ هذا اليوم هو «يوم عُمَّاس» خلافاً لما ذكره الطبري، أما يوم القادسية أو ليلة الهَرِير فهي الليلة التي قُتِلَ فيها رستم.^(٢) وفي تلك الليلة عبر طليحة بن خويلد المخاضة، وأتى الفرس من خلفهم، وطاردتهم أهل النجدات وأمراء الأعشار، ومنهم من أسد: مسعود بن مالك، وقيس بن هبيرة، وطليحة، وغالب بن عبد الله، وحَمَّال بن مالك، وكان صليل الحديد في تلك الليلة كصوت القيون، وبدا الصبح وتواصل القتال حتى قُتِلَ رستم قائد الفرس، وعبر الجالينوس الرُّذَم، فأدركه المسلمون وقتلوه.^(٣) وكان طليحة في أوار المعركة قد ضرب الجالينوس ضربة قدت مِغْفَرَه ولم تعمل في رأسه، فقال:

أَنَا ضَرْبْتُ الْجَالِنُوسَ ضَرْبَةً

حِينَ جِيَاذُ الْخَيْلِ وَسَطَ الْكَبَّةِ^(٤)

(١) انظر الطبري ٣: ٥٥٦-٥٥٨.

(٢) انظر ابن الأثير ٢: ٣٣١ وما بعدها.

(٣) انظر ابن الأثير ٢: ٣٣٤-٣٣٧، وانظر ابن خلدون ٢: ٩٣٠-٩٣٤.

(٤) فتوح البلدان: ٣٦٣، وانظر البيت في القسم الثاني: م(٣٠٧). والكَبَّة: الحملة في

الحرب.

وذكر المسعودي أنه تُنَزَّعُ فيمن قتل رستم، ومنهم من يرى أن قاتله رجل من بني أسد، لذلك قال عمرو بن شأس:

قَتَلْنَا رُسْتَمًا وَبَيْنَهُ قَسْرًا

تُثِيرُ الْخَيْلُ فَوْقَهُمُ الْهَيْالًا^(١)

في حين أجمعت المصادر على أن قاتل رستم هو هلال بن علقمة أحد بني تميم الرُّباب.^(٢)

وبعد القادسية فتح المسلمون المدائن وجلولاء، وذلك في السنة السادسة عشرة للهجرة، وكان على جند المسلمين القعقاع بن عمرو فاستمد سعداً، فأمدّه بمائتي فارس ثم مائتين، ثم مائتين، وكان في المدد طليحة بن خويلد.^(٣) ولما جمعت الغنائم في فتح المدائن ذهب بغنائم الفتح إلى الخليفة عمر رضي الله عنه حُلَيْس ابن فلان الأسدي.^(٤)

وبعد جلولاء بعث سعد جيشاً إلى ماسبذان عليه ضرار بن الخطاب، وعلى مقدمته ابن الهذيل الكاهلي، ففتحها، ونزل ضرار الكوفة، واستخلف على ماسبذان ابن الهذيل.^(٥)

^(١) انظر مروج الذهب ٢: ٣٢٧، وشعر عمرو بن شأس: ٨٧. والهيال: مانهال من الرمل.

^(٢) انظر مروج الذهب ٢: ٣٢٧، وابن خلدون ٢: ٩٣٣، وابن الأثير ٢: ٣٣٥.

^(٣) انظر الطبري ٤: ٢٧، وابن خلدون ٢: ٩٣٥ وما بعدها.

^(٤) انظر ابن الأثير ٢: ٣٦١.

^(٥) انظر الطبري ٤: ٣٧، وابن الأثير ٢: ٣٦٦.

وفي السنة الحادية والعشرين للهجرة كان الفرس يقاتلون بعضهم ويجمعون
جموعهم لموقعة نهاوند، وفي هذه الأثناء ثار الجراح بن سينان الأسدي في نفر
بسعد بن أبي وقاص، فألبوا عليه الناس وسعوا به لدى الخليفة عمر، ولم يشغلهم
ما شغل الناس من التهيو للقتال، وادعى أن سعداً لا يحسن الصلاة ولا يقاتل مع
الناس ويلهيه الصيد.^(١) وقال رجل من أسد:

نُقَاتِلُ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ

وَسَعْدٌ بِيَابِ الْقَادِسِيَّةِ مُعَصِّرٌ

فَأُنَبَّا وَقَدْ آمَتْ نِسَاءٌ كَثِيرَةٌ

وَنِسْوَةٌ سَعْدٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أَيُّمٌ^(٢)

وأخفق الجراح في شغبه على الأمير.

ولما اجتمعت جيوش العجم في نهاوند سار إليهم النعمان بن مقرن المزني،
فالتحم الفريقان، ودام القتال ثلاثة أيام شداد انجلت عن انتصار المسلمين،
واستشهد في هذه الوقعة الأمير النعمان بن مقرن.^(٣) وذكر ابن العماد الحنبلي أن
طليحة بن خويلد فارس أسد استشهد في هذه الموقعة.^(٤) وهذا أمر فيه خلاف
نتحدث عنه في ترجمة طليحة.

(١) انظر الطبري ٤: ١٢١-١٢٢، وابن الأثير ٣: ٢.

(٢) القسم الثاني: م (٣٦٧).

(٣) انظر الطبري ٤: ١٢٧ وما بعدها، وابن الأثير ٣: ٢ وما بعدها، وشذرات الذهب ١:

٣٢: ١.

(٤) انظر شذرات الذهب ١: ١: ٣٢.

وبعد فتح نهاوند فتح المسلمون أصبهان، وكان أمير الجند عبد الله بن ورقاء الرياحي، وعلى مجنبته عبد الله بن ورقاء الأسدي.^(١)

وفي السنة الثانية والعشرين للهجرة فتح المسلمون هَمَذان وجرجان وطبرستان، وكان من أمراء الجند في هذه الفتوحات سِماك بن مَخْرَمَة الأسدي، وبعد فتح هَمَذان كان سِماك من الذين ولُّوا مسالح دَسْتَبِي وقاتلوا الدَّيْلَم «بواج الروذ» في موقعة عظيمة تعدل يوم نهاوند، فلما انتصر المسلمون قدم وفد في الأحماس على عمر رضي الله عنه، وفيهم سِماك بن مخرمة وسماك بن عبيد العبسي وسماك ابن خُرْشَة الأنصاري، فنسبهم عمر رضي الله عنه فانتسبوا إليه، فقال: «بارك الله فيهم، اللهم اسمك بهم الإسلام، وأيدهم بالإسلام».^(٢)

وإذا كان بلاء القبيلة في الفتوحات الإسلامية في العراق وبلاد فارس، فإنَّ بعض فرسانهم شهد فتوحات الشام، فكان مِحْصَن بن الحارث الأسدي في جيش خالد بن الوليد، لما سار خالد من الحيرة إلى الشام في ثمانمائة رجل.^(٣) كما كان ضرار بن الأزور أحد أمراء هذا الجند.

(١) انظر معجم البلدان ١: ٢٠٩.

(٢) انظر الطبري ٤: ١٤٧-١٤٩، ١٥٢.

(٣) انظر الأوائل ٢: ١٥ وما بعدها.

الباب الثاني مصادر شعر أسد وتوثيقه

الفصل الأول

مصادر شعر أسد وضياعه

لدراسة شعر أسد دراسة علمية موثقة نحتاج قبل كل شيء إلى معرفة المصادر التي أخذ عنها هذا الشعر، وعصرها ومصنفاتها ومناهجها وقيمتها العلمية، والمقدار الذي حفظته منه، والضياع الذي لحق بهذه المصادر، لتبين من ثم الضياع الذي لحق بالشعر الذي نحن بصدد دراسته.

كما نحتاج إلى إخضاع المادة الشعرية التي بين أيدينا إلى التحليل والنقد والتوثيق، فتميز الشعر الصحيح من المتهم، وننظر في الشعر المضطرب النسبة بين شعراء أسد وشعراء القبائل الأخرى، فتميز شعر الأسديين من الأشعار التي نسبت إليهم وليست لهم.

وإذ نعرض في هذا الفصل إلى مصادر شعر أسد وضياعه، فإننا سنعرض في فصلين لاحقين إلى الشعر المضطرب النسبة بين أسد وغيرها، والشعر المتهم المنحول أسداً.

أولاً- مصادر شعر أسد:

لعل مصادر الشعر أهم قضية يواجهها الباحث في شعر القبائل، ذلك أن مجموع أشعار القبائل التي صنعها العلماء الأوائل تصرف بها عوادي الدهر، ولم يسلم منها إلا بعض شعر هذيل. أما أشعار الشعراء فقد انصبت عناية الرواة والمدونين والشرح على دواوين الفحول منهم، ولم يلق شعراء القبائل من غير الفحول كبير عناية، مع ما لهذا الشعر من أهمية وثائقية للباحث في الأدب واللغة

والتاريخ وعلم المجتمعات، لتبين جوانب الحياة الأدبية والاجتماعية والاقتصادية للقبيلة.

وصار لزماً على الباحث في أشعار القبائل أن يلملم مادون منها في كتب التراث المختلفة، ينقب بصير ودأب في مجموعات الاختيارات الشعرية، ومعجمات الشعراء، وكتب الأدب واللغة والنحو، والتاريخ والتراجم والأنساب، والخيل والأنواء، ومعجمات اللغة والبلدان.

ولا يظفر الباحث في هذه التأليف ببيغته كاملة، وإنما يجد مقطعة هنا، وبيتاً مفرداً هناك، ويستشهد هذا بخبر أو يسوق طرفة، ويُعنى ذاك بمدلولات البيت اللفظية، لأنّ كلاً من أصحاب هذه التصانيف استخدم المادة الشعرية في غرضه الذي قصد إليه في تصنيفه.

ولا يمكننا أن نأخذ على هؤلاء العلماء طرائقهم في التأليف، فالمنهج التاريخي في البحث والتأليف لم يكن قد عرف وشاع في تلك العصور. وعلى الرغم من ذلك لا يمكننا إلّا الإقرار بأنّ هذه التصانيف والتأليف بما حوته من تعليقات وشروح وأخبار تعيننا إلى حد كبير على فهم كثير من هذا الشعر، فضلاً عن كونها حفظت لنا قدراً طيباً منه.

ومن الإنصاف القول إنّ شعر بني أسد لقي عناية الأوائل من الرواة والشراح وعلماء اللغة، ذلك أنّ أسداً قبيلة مضرية أعرابية، حجازية نجدية، يقع الاحتجاج بأشعارها في النحو والغريب. وقد ذكر ابن النديم في الفهرست أنّ أبا سعيد السكري (ت ٢٧٥هـ) صنع أشعار بني أسد،^(١) وذكر الآمدي (ت ٣٧٠هـ) في غير موضع أنّه تنحل من كتاب بني أسد أشعاراً وأخباراً

(١) الفهرست: ١٥٩.

حساناً،^(١) ولعل الوزير المغربي (ت ٤١٨هـ) صنع كتاباً لبني أسد، أو أنه كان يعتزم صنعه، إذ قال في ترجمة الزبير بن الأشميم: «وذكره مستقصى في كتاب (بني أسد)، إن شاء الله». ^(٢) ونقل الصغاني (ت ٦٥٠هـ) عن «أشعار بني الطَّمَّاح»،^(٣) كما أخذ النمري (ت ٣٨٥هـ) نقولاً عن «أشعار بني فقّس». ^(٤)

ومما لاشك فيه أن أهم مصادر شعر القبيلة ديوانها ودواوين شعرائها، فهي أوفرها نفعاً وأحقها بالرجوع إليها والاعتماد عليها، غير أنه لم يسلم لنا سوى ديواني عبيد بن الأبرص، وبشر بن أبي خازم، وعبيد من أقدم شعراء أسد وأعظمهم شأنًا، لذا نبدأ الحديث عنه.

ديوان عبيد:

أخرجه المستشرق «سير تشارلس ليال» عام ثلاثة عشر وتسعمائة وألف عن مخطوطة وحيدة محفوظة بالمتحف البريطاني. ثم أخرجه الدكتور حسين نصار عام سبعة وخمسين وتسعمائة وألف، ونشرته مكتبة مصطفى البايي الحلبي بمصر، واعتمد فيه على نسخة ليال وعلى مخطوطة «منتهى الطلب» لابن ميمون التي لم يطلع عليها ليال، وحوث ثلاث عشرة قصيدة لعبيد،^(٥) وجدها تصحح كثيراً من شعر الديوان، وتزوده بروايات جديدة.

وأثبت الدكتور نصار في أول الديوان مقدمة ليال كاملة. وعالجت هذه

(١) المؤلف: ١١٦، ٢٠٢.

(٢) الإيناس: ١٦٤.

(٣) العباس الزاخر: ٧٠.

(٤) الملمع: ٧١.

(٥) انظر مخطوطة منتهى الطلب: ١٢٣-١٣٦.

المقدمة أموراً ذات أهمية، منها بحث في شعر عبيد ورواته وصحته وانتحاله. وذهب إلى أنه ليس من سبب للشك في صحة جمهرة قصائد الديوان، وحدد القصائد القليلة التي شك فيها لأسباب ذكرها في ترجمة كل قصيدة. وقد استدركت على الديوان ثمانية عشر بيتاً منسوبة إلى عبيد في المطان المختلفة، وأربعة أبيات منسوبة إلى هبيد شيطان عبيد. من هذه الأشعار بيت ورد في خبر عبيد الذي ساقه جامع الديوان المخطوط، ولم يرد في متن الديوان، وبيت نسب إلى عبيد وليس له.^(١) كما وقعت على تخريجات لأبيات كثيرة من أشعار الديوان إضافة إلى ما أثبتته الأستاذ الدكتور نصار من تخريج، ولم أشأ إثباتها في المستدرك خشية الإطالة بما قد يكون قليل النفع.

وفي عام ١٩٨٩ صدر عن وزارة الإعلام بالكويت كتاب «عبيد بن الأبرص شعره ومعجمه اللغوي» للدكتور توفيق أسعد، وبين المؤلف موضوع كتابه ومنهجه في المقدمة، فقال: وهي دراسة تشمل توثيق النص،.. ويقوم التوثيق على أساس منهجي بين موقف القدماء والمحدثين من شعر الشاعر، ويرصد مختلف الروايات في البيت أو الكلمة.^(٢)

وجعل الباحث كتابه في بابين، الأول ضم شعر عبيد، وسماه «النص الموثق»، والثاني ضم معجمات الألفاظ والأعلام والأدوات التي وردت في الشعر. أما الباب الأول فكان أشبه بنقل لتحقيق الدكتور نصار بعد أن أسقط منه مقدمات المحقق والمستشرق وجامع المخطوط، وأجواء القصائد وشرح الشعر. وبإسقاط الدكتور أسعد مقدمة ليال وتقديم نصار لقصائد الديوان ضاع كل

(١) انظر القسم الثاني: م (١٥٩) - م (١٧٠).

(٢) مقدمة الكتاب: ٥.

حديث أو إشارة إلى المنحول المتهم من هذا الشعر، والمضطربة نسبته، والضياح الذي لحق ببعضه، ولا سيما أنه لم يناقش في مقدمته آراء سابقيه، ولم يشر أدنى إشارة إلى المتهم منه وكأن هذا الشعر كله من الصحيح، وزاد الطين بلة أنه سمي باب الشعر «النص الموثق»!

ولم يستدرك أسعد على الديوان أية أشعار، أما اختلاف الروايات والتخرجات التي أضافها على تحقيق الدكتور نصار فقليلة نادرة، وكان من الممكن أن تكون تخرجاته أكثر لو رجع حقاً إلى كتب ذكرها في ثبت مصادره،^(١) فضلاً عن أن مصادره التي بلغت اثنين وثمانين مصدراً غير كافية، فثمة تخرجات وروايات غير قليلة أثبتتها على نسخة الديوان لدي مما وقفت عليه في المصادر المختلفة.

(١) من مصادر الباحث كتاب «تهذيب اللغة» للأزهري، واستدركت منه على تحقيق الباحث التخرجات التالية: في ج ١: ٥٨ وج ١٥: ٩، الأبيات (١، ٦، ٢٢) وعجز البيت (٢) من القصيدة الثالثة. وفي ج ١٤: ٤٢٦، البيت (٧) من القصيدة الثامنة. وفي ج ١٢: ٣١٠ البيت (٧)، وج ٨: ٢٨ عجز البيت (١٣)، وج ٩: ١١٣ عجز البيت (١٦) من القصيدة الحادية عشرة. وفي ج ٦: ١٨٣ وج ١١: ٢١ البيتان (٩، ١٣) من القصيدة الثالثة عشرة. كما استدركت الروايات التالية: رواية للبيت (١٣) من القصيدة (١١) في ج ٨: ٢٨. ورواية للبيت (٦) من القصيدة (٢٢) في ج ١: ٢٥٠. ورواية للبيت (١٠) من القصيدة (٤٢) في ج ١٥: ٣٩٢.

ومن مصادره «اللسان» واستدركت منه بيتين على الديوان ورواية للبيت (١٠) من القصيدة (١١). ومنها الأغاني واستدركت منه بيتاً على الديوان. ومن الجدير بالملاحظة أن الدكتور نصار أغفل ذكر مخطوط منتهى الطلب في مصادر القصيدة (٣٤)، فتبعه في ذلك الباحث، على الرغم من أنه ذكر في مقدمته أن هذه المخطوطة إحدى مخطوطات ثلاث اعتمدها في عمله.

ديوان بشر بن أبي خازم:

ذكر البغدادي أن أبا عبيدة (ت ٢١٠هـ) شرح ديوان بشر، وظل هذا الشرح إلى زمن متأخر، فالبغدادي (ت ١٠٩٣هـ) كان يملك نسخة منه بخط أبي عبيدة نفسه، وهو خط كوفي.^(١) وذكر ابن النديم في الفهرست أن أبا سعيد السكري عمل شعر بشر، وأشار إلى أن الأصمعي وابن السكيت صنعا ديوان بشر أيضاً.^(٢) ولم يصل إلينا عمل هؤلاء العلماء، وإنما وصل إلينا الديوان من عمل متأدب مجهول. وقام الدكتور عزة حسن بتحقيق هذا الديوان، ونشرته وزارة الثقافة بدمشق سنة ستين وتسعمائة وألف. واعتمد المحقق في عمله على مخطوطتين مجهولتي اسم الصانع والناسخ وتاريخ النسخ، ونظر في شعر بشر في كتب اللغة والأدب ومختارات الأشعار، فقابله على شعر الديوان، ويّسن اختلاف الروايات، وألحق الأبيات التي وجدها في هذه المصادر زائدة على نسخة الأصل في مواضعها من القصائد، وبلغت قرابة عشرة أبيات.^(٣) وذيل الديوان بملحق للشعر الذي نسب إلى بشر وليس في الديوان، وبلغ خمسة عشر بيتاً وشطر بيت.

وفي الطبعة الثانية من الديوان سنة ١٩٧٢م ذيله المحقق بملحق بالزيادات التي وجدها في مخطوطة مكتبة آل باش أعيان في البصرة من ديوان بشر، وبلغت ستة وثلاثين ومائة بيت،^(٤) وصفها بأنها أشعار غثة مرذولة «لم يرو منها شيء في

(١) الخزانة ٤: ٤٤٠.

(٢) الفهرست: ١٥٨.

(٣) مقدمة ديوان بشر: ٤٧.

(٤) انظر ديوان بشر: ٢٨٧-٢٩٨.

أي كتاب من كتب الشعر أو اللغة أو الأدب أو غيرها».^(١)

وفي عام ١٩٨٨م نشر الشيخ حمد الجاسر، في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، أشعاراً ومقدمات قصائد لبشر، لم ترد في الطبعة الثانية من ديوانه، وذلك عن مخطوطة عمانية ضمت بعض الدواوين منها ديوان بشر. ولاحظ الأستاذ الجاسر أن هذه الأشعار ملحقة بديوان بشر المخطوط بصيغة تدل على أن الديوان من عمل إنسان لم تثبت لديه تلك الزيادات. وبلغت أشعار المخطوط التي نشرها الشيخ الجاسر ولم ترد في الطبعة الثانية من ديوان بشر (٦٣) بيتاً، في قصيدتين ومقطوعة وثلاثة أبيات تضاف إلى إحدى قصائد الديوان.^(٢)

واستدركت على ديوان بشر بطبعته وعلى مانشره الشيخ الجاسر أربعة وثلاثين بيتاً منسوبة إلى بشر،^(٣) منها بيت نسب إليه وإلى غيره، وأربعة أبيات نسبت إليه وليست له، كما وقفت على مقطوعة لبشر،^(٤) منها بيتان هما الأول والثالث من القصيدة الأولى من زيادات مخطوطة آل باش أعيان، وبقية أبياتها من القصيدة التاسعة من متن الديوان. وهذا أمر يدعو إلى التحفظ على الحكم الذي أطلقه أستاذنا الدكتور عزة حسن على الزيادات التي وردت في هذه المخطوطة. ومن الجدير بالذكر أن بعض مصادر في المستدرک على الديوان مصادر رجع إليها المحقق.^(٥)

(١) مقدمة ديوان بشر: ٦.

(٢) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٦٣، الجزء ٤.

(٣) انظر القسم الثاني: م (١٣٤) - م (١٥٨).

(٤) انظر ابن الأثير ١: ٣٨٣.

(٥) من هذه المصادر الأنواء، والمفضليات، وجمهرة اللغة، والتاج، والمقاصد النحوية،

والكامل لابن الأثير.

شعر عمرو بن شأس:

روى ابن النديم أنَّ السكري صنع ديوان عمرو،^(١) غير أنَّه ضاع، وكان ابن ميمون الذي توفي في القرن السادس، اختار تسع قصائد من الديوان، بلغ مجموع أبياتها أربعة وعشرين ومائتي بيت، أودعها موسوعته الشعرية الكبرى «منتهى الطلب من أشعار العرب».

وفي عام ستة وسبعين وتسعمائة وألف أخرج الدكتور يحيى الجبوري شعر عمرو بن شأس، وطبع بمطبعة الآداب في النجف الأشرف. وصدر الأستاذ المحقق عمله بحديث عن حياة عمرو وشعره، تضمن بعض أخبار بني أسد، وأخبار عمرو، وآراء القدماء في شعره. وجعل الشعر في قسمين، القسم الأول للقصائد المختارة في مخطوط منتهى الطلب، وقابلها المحقق على ما وقف عليه من شعر عمرو في كتب اللغة ومعجماتها وكتب الأدب ومختارات الأشعار، فبيّن اختلاف الروايات، وشرح بعض الألفاظ الغريبة. أما القسم الثاني فضم أشعار عمرو من غير المخطوطة، وقاربت التسعين بيتاً، مما وقع عليه المحقق في المصادر المختلفة.^(٢) وأثبت اختلاف الروايات وشرح بعض الألفاظ الغريبة.

واستدركت على مآجمه الدكتور الجبوري تسعة أبيات وبيتاً نسب إلى عمرو وليس له.^(٣) كما استدركت عليه تخريجات كثيرة.

وذهب الدكتور المحقق في مقدمته إلى «أنَّ عمل السكري في ديوان عمرو لم يكن كاملاً، فقد ذكر السيرافي في شرح أبيات سيبويه شعراً أولاً:

(١) الفهرست: ١٥٦.

(٢) مقدمة شعر عمرو: ٢٢.

(٣) انظر القسم الثاني: م (٣٦٨) - م (٣٧٥).

وَلَمْ أَرَ لَيْلَى بَعْدَ يَوْمٍ تَعَرَّضَتْ

لَهُ يَنْ أَبْوَابِ الطَّرَافِ مِنَ الْأَدَمِ

وقال: «وجدت هذا الشعر في الكتاب منسوباً إلى عمرو بن شأس، ولم أجد في شعره».^(١)

ولا أدري ما الدوافع التي حدث بالأستاذ الجبوري إلى بتر كلام أبي سعيد السيرافي، ومن ثم استخلاص حكم قاس على أبي سعيد السكري، فقد تابع السيرافي كلامه، فقال: «والشعر لمضرس بن ربعي الأسدي».^(٢) وهذا ما يفسر عدم ورود الأبيات في ديوان عمرو، لأنها ليست له في رأي السكري والسيرافي. ولم يذكر الجبوري في تخريج هذه الأبيات أن السيرافي نسبها إلى مضرس.^(٣) وقد وصلتها بأربعة أخرى، ووقفت على استدراقات كثيرة على تخريجها رجحت نسبتها إلى مضرس.

ثانياً- ضياع شعر أسد:

قال ابن سلام: «لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب».^(٤) وقال أبو عمرو بن العلاء: «ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير».^(٥) ولعلنا نخلص من كلا القولين إلى أن ما جمعه

(١) مقدمة شعر عمرو: ٢١.

(٢) شرح أبيات سيبويه ١: ٤٥٥.

(٣) انظر شعر عمرو: ١٠٣.

(٤) طبقات فحول الشعراء ١: ٣.

(٥) المصدر السابق ١: ٢٥.

الأوائل من شعر أسد لم يحط به، وليس فيه من أشعارها إلا أقله. وهذه المصادر التي حفظت قليلاً من شعر القبيلة لحقها الضياع، فضاعت «أشعار بني أسد» التي صنعها السكري، وضاعت دواوين القبيلة خلا ديواني عبيد وبشر. وليس هذا إلا جانب من جوانب ضياع الشعر الأسدي، أما الجانب الثاني فهو الضياع الذي لحق بكثير من مصادر اللغة والأدب ومختارات الأشعار التي حوت في طياتها بعض أشعار أسد، ولعل من الأمثلة على ذلك ما ذكره الآمدي في ترجمته لابن خِذام الأسدي حين قال: «وهو مرداس بن خِذام، لأعرف من أي بطون أسد هو، إسلامي كان ينزل الكوفة، وكان تزوج امرأة من أهل الرّي، يقال لها دُختكا، كثيرة المال، وله فيها أشعار كثيرة، يصف فيها ذكره وهنّها، وذكر ذلك في كتاب المفاحشات».^(١) وضاع كتاب المفاحشات، وفقدنا بضياعه جانباً طريفاً من شعر القبيلة. ومن الكتب الضائعة «شرح أبيات المفصل» لابن المستوفى، وذكر البغدادي أن ابن المستوفى أورد فيه ستة عشر بيتاً من قصيدة لمضرّس.^(٢)

أما الجانب الثالث من ضياع الشعر الأسدي فهو أن الأمر لم يقتصر على المصنفات التي فقدت أو فقدت أجزاء منها، بل إن ثمة مصادر نظن أنها وصلت إلينا كاملة سالمة من عبث الدهر، ثم نقف على أقوال وإشارات، تبين منها أن ما خلتها سالمًا طالت يد الضياع أطرافاً منه، ومن ذلك مجموعة الأصمعيّات، إذ أورد البغدادي بيتين من قصيدة مضرّس، التي ذكر أن ابن المستوفى أورد أبياتاً منها، وقال: «وهما من قصيدة لمضرّس الأسدي، أوردتها الأصمعي في

(١) المؤلف: ١٥٥.

(٢) الخزنة ١٠: ١٠٤.

الأصمعيات».^(١) وليست القصيدة في الأصمعيات المطبوعة ولا في المفضليات التي تداخلت معها. كما أنَّ دالية عبيد، وهي القصيدة السادسة عشرة في ديوانه، قال عنها البغدادي في الخزانة: «أوردها الأصمعي في الأصمعيات»،^(٢) ولم نجد لها في الأصمعيات ولا في المفضليات.

وفي المصادر ذكر لكثير من القصائد والأشعار لشعراء أسديين مما لم نقع عليه، إذ سبقتنا إليه يد الدهر، والشواهد على ذلك كثيرة، منها شعر حضرمي ابن عامر الذي قاله في الفتوحات، فقد روى البغدادي عن معجم الشعراء قول المرزباني: «كان حضرمي يكنى أبا كِدَام، ولما سأله عمر بن الخطاب عن شعره في حرب الأعاجم، أنشده أبياتاً حسنة في ذلك»،^(٣) ولم نقف على هذه الأبيات. وذكر ابن حجر في ترجمة عبد الرحمن بن الأزور، أنَّ طليحة لما ادعى النبوة فارقه عبد الرحمن، «وقال يخاطب أخاه ضراراً، ليحرض الأنصار على جهاد مَنْ بالبُطاح من أهل الردة بقصيدة أولها:

قَدْ قُلْتُ لِلْمَرْءِ الشَّقِيقِ ضَرَارَ

طَالَ الْبُكَاءُ لِفُرْقَةِ الْأَنْصَارِ»^(٤)

(١) المصدر نفسه.

(٢) الخزانة ١١: ٢٥٦.

(٣) الخزانة ٣: ٤٢٨. والأبيات من القسم الضائع من معجم الشعراء، ولم نقف عليها في

أي من المصادر التي رجعنا إليها.

(٤) الإصابة ٣: ٩٦.

ولم نقف علي شيء من هذه القصيدة، ولا من شعر عبد الرحمن كله، إلاّ على هذا البيت.

كما ذكر ابن حجر أنّ زُفَرَ بن زيد الأسدي «رد على طليحة في خطبة طويلة وشعر يقول فيه:

لَهْفِي عَلَى أَسَدٍ أَضَلَّ سَبِيلَهُمْ

بَعْدَ النَّبِيِّ طَلِيحَةَ الْكَذَّابِ»^(١)

ولم نقف على بقية الشعر، ولا على شعر آخر لزفر.

ومن الشعراء من اشتهر بكثرة الشعر وجودته، ولم يصل إلينا من شعره إلاّ نتف قليلة، فمُرَّة بن الرُّوَّاح شاعر قديم الذكر، وصفه المرزباني بأنه «كثير الشعر».^(٢) ولم نقف إلا على تسعة أبيات من شعره. ومثله أخوه كعب بن الرُّوَّاح الذي أورد له الآمدي خمسة أبيات في الغزل، يبدو أنّها مطلع إحدى قصائده،^(٣) ولم نقف على سواها من شعره. أما شاعر الرثاء الأسدي أهبان بن خالد الذي ذكر الآمدي أنه كان يقال له «النَّوَّاح لحسن مرثيته»،^(٤) فلم نجد من رثائه إلا مقطعة عدتها تسعة أبيات، اضطربت نسبتها بينه وبين شعراء آخرين.^(٥)

(١) الإصابة ١: ٥٦١-٥٦٢.

(٢) معجم الشعراء: ٢٩٤.

(٣) المولف: ١٨٦.

(٤) المولف: ٣٤.

(٥) يمكن النظر في تخريج المقطعة (٨٠).

كما أنَّ ثمة شعراء عديدين لم نقف إلا على بيت أو بيتين من أشعارهم، بل إنَّ ثمة شاعراً ترجم له المرزباني في معجمه ولم يورد شيئاً من شعره، وهو مَعْقِل ابن عامر الموقد، وكان رئيس بني أسد في حروبهم،^(١) ولم أقع على شعر له البتة في أي من المصادر التي رجعت إليها.

وإذا كان ديوان القبيلة ودواوين شعرائها فقدت، ولم يسلم منها سوى ديواني عبيد وبشر، فإن شعر عبيد أصابه السقوط والذهاب، وهذا أمر قديم تحدث عنه ابن سلام.^(٢)

هذه بعض الجوانب التي تكشفت لنا من ضياع الشعر الأسدي، وثمة قضية أخرى تعرّض لها هذا الشعر، وهي الاضطراب في نسبة بعضه، إذ اضطربت نسبة أشعار بين شعراء أسد وبين شعراء القبائل الأخرى، واضطربت نسبة أشعار بين الشعراء الأسديين أنفسهم.

(١) معجم الشعراء: ٢٧٥.

(٢) انظر فحول الشعراء: ٢٣.

الفصل الثاني

المضطرب والمتهم في أشعار أسد

إلى جانب ضياع كثير من شعر القبيلة، تطالعنا قضية الشعر المضطربة نسبته، ولعل كثيراً من هذا الاضطراب يعود إلى أن شعر أسد، خلا شعر عبيد وبشر، لم يصل إلينا في دواوين مفردة، وإنما أخذناه من مصادر التراث المختلفة.

والناظر في هذه القضية يجد نفسه أمام قضية ذات حدين، حد خارجي، وهو الأهم وعليه المعول، ذلك هو الشعر الذي اضطربت نسبته بين شعراء القبيلة وبين شعراء القبائل الأخرى. وحد داخلي، وهو أقل أهمية من سابقه، لا يشكل خطورة على صحة الدراسة والنتائج والأحكام التي قد تطلق على هذا الشعر، ذلك هو الشعر الذي اضطربت نسبته بين شعراء القبيلة نفسها. ولعل من المناسب أن نبدأ الحديث عن الشعر المضطرب بين أسد وغيرها، ثم نعرض للشعر المضطرب بين الشعراء الأسديين.

أولاً- الشعر المضطرب بين شعراء أسد وغيرهم:

يمكننا تصنيف الاضطراب في هذا الشعر في ثلاثة أبواب، أولها الشعر المنسوب إلى بني أسد وليس لهم، وثانيها الشعر الأسدي المنسوب إلى غيرهم وهو لهم، وثالثها الشعر المضطرب النسبة دون دليل يقطع بأصحابه.

أ- الشعر المنسوب إلى بني أسد وليس لهم:

ولعل أول ما يستوقفنا في هذا الشعر اضطراب بين الجميع وذو الرمة في نسبة البيت التالي:

إذا ذاتُ أهوالٍ تُكُولُ تَغَوَّلْتُ

بها الرُّبْدُ فَوْضَى والنَّعَامُ السَّوَارِحُ^(١)

إذ نسبه الأزهري (ت ٣٧٢هـ)، والصَّغَانِي (ت ٦٥٠هـ)، والزَّيْدِي (ت ١٢٠٥هـ)، إلى الجميع.^(٢) ونسبه الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) إلى ذي الرمة.^(٣) ونسبه ابن منظور (ت ٧١١) في موضع من اللسان إلى الجميع،^(٤) وفي موضع ثانٍ إلى ذي الرمة.^(٥)

وترجح نسبة البيت إلى ذي الرمة لأسباب، أولها أنَّ البيت في ديوانه، وهو البيت (٣٥) من القصيدة (٢٧)، وهو متمكن في موضعه من القصيدة. وثانيها أنَّ الذين نسبوا البيت إلى الجميع ساقوه مفرداً، ومن يروي البيت مفرداً قد تكون روايته مضلة في عزو البيت، وثالثها أنَّ الذين نسبوا البيت إلى الجميع من اللغويين، واللغويون قد يهتمون بموضع الشاهد أكثر من الاهتمام بصاحب الشاهد، وإذا وقع وهم في نسبة الشاهد عند أحدهم، فقد يتناقلون ذلك عنه.

^(١) القسم الثاني: م (٤).

^(٢) انظر على التوالي تهذيب اللغة ١٠: ١٨٠، والتكملة، والتاج (ثكل).

^(٣) أساس البلاغة (غول).

^(٤) اللسان (ثكل).

^(٥) اللسان (غول).

ومثل ذلك ما نجده من اضطراب بين الجميع والمتنخل الهذلي في نسبة عجز
بيت يقول:

وَالشَّوْكَ فِي وَضَحِ الرَّجُلَيْنِ مَرْكَوزٌ^(١)

إذ نسبته ابن دريد (ت ٣٢١) في موضعين من الجمهرة إلى المتنخل^(٢). ونسبه
الأزهري إلى الجميع^(٣)، وعنه أخذ النسبة ابن منظور والزيدي في مادة (وضح)،
ثم نسباه في مواضع أخرى إلى المتنخل^(٤). وصدر البيت في ديوان الهذليين:

حَتَّى يَجِيءَ وَجِنُّ اللَّيْلِ يَوَغِلُهُ^(٥)

وترجح نسبة البيت إلى المتنخل لسببين أولهما أن أقدم المصدرين نسب البيت
إليه، وثانيهما أن البيت ورد في ديوان الهذليين من قصيدة للمتنخل، وهو متمكن في
موضعه منها، أما الذين رووه للجميع فقد نسبوا إليه شطر البيت وحسب.
ومن ذلك ما نجده من اضطراب بين معقل بن عامر الأسدي ونهشل بن
حرّيّ في نسبة البيتين التاليين:

وَيَوْمٍ كَأَنَّ الْمُصْطَلِينَ بِحَرِّهِ
وَإِنْ لَمْ تَكُنْ جَمْرٌ وَقُوفٌ عَلَى جَمْرٍ

(١) القسم الثاني: م (١٧).

(٢) جمهرة اللغة ١: ٥٦ و ٣: ١٥١.

(٣) تهذيب اللغة ٥: ١٥٨.

(٤) اللسان، والتاج (حنن) و(وغل)، والتاج (وكر).

(٥) ديوان الهذليين ٢: ١٦.

صَبْرَنَا لَهُ حَتَّى تَجَلَّى وَإِنَّمَا

تَفَرَّجُ أَيَّامُ الْكَرِيهِةِ بِالصَّبْرِ^(١)

فالعبدي، وهو من رجال القرن الثامن، نسبهما إلى معقل بن عامر الأسدي.^(٢) ونسبهما ابن قتيبة، وابن عبد ربه (ت ٣٢٨)، والمرزوقي، وابن ظفر الصقلي، وابن قضيب البان، إلى نهشل بن حرّي.^(٣) وترجح نسبة البيتين إلى نهشل لأن سائر المصادر قديهما ومتأخرها أجمعت على نسبتهما إليه.

واضطربت نسبة بيت بين بشر وأمية بن أبي الصلت، والبيت:

وَكَأَنَّ بَرَقَعَ وَالْكَوَائِبُ وَسَطَهَا

سَدِيرٌ تَوَاكَلَهُ الْقَوَائِمُ أَجْرَبُ^(٤)

فالمعري نسبته إلى بشر،^(٥) ونسبه ابن دريد، وابن سيده، والجوهري والمقدسي، وابن منظور، والزيدي، إلى أمية.^(٦) وليس البيت في ديوان بشر، ولم

(١) القسم الثاني: م (٩١).

(٢) التذكرة السعدية: ١٦٩.

(٣) انظر على التوالي عيون الأخبار ١: ١٥٢، والشعر والشعراء ٢: ٦١٩، والعقد الفريد ١: ١٠٧، وشرح الحماسة ١: ٣٩١، وسلوان المطاع: ٧٦، وحل العقال: ١٤٠.

(٤) القسم الثاني: م (١٥٥).

(٥) الفصول والغايات: ١٧٨. وبرقع: اسم سماء الدنيا، عبراني أو سرياني. السدير: اسم للبحر لم يسمع به إلا في شعر أمية. والقوائم، أراد: الرياح.

(٦) انظر على التوالي جمهرة اللغة ٣: ٣٠٨، والمخصص ٩: ٦، والصحاح ٢: ٦٨٠، و٣: ١١٨٥، و٤: ١٦١١، والبداء والتاريخ ٢: ٧، والمزهر ١: ٥٩٩، واللسان، والتاج (برقع) و(سدر) و(ملك).

ينسبه أحد غير المعري إليه. والبيت في ديوان أمية وهو البيت (١٦) من القصيدة (١٠)،^(١) وهو متمكن في موضعه من القصيدة، مما يدل على نحو قاطع أن البيت لأمية لا لبشر.

ومن ذلك ما نجده من اضطراب بين بشر وكثير عزة في نسبة البيت التالي:

فِشْرَاجُ رِيْمَةٍ قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا

بِالسَّفْحِ يَنْ أُنْثِيلٍ قَبَعَالٍ^(٢)

فالزبيدي نسبه مفرداً إلى بشر.^(٣) ونسبه البكري، وياقوت مع أبيات إلى كثير.^(٤) وليس البيت في ديوان بشر، وهو البيت الثاني من القصيدة (٤٤) في ديوان كثير،^(٥) والبيت متمكن في موضعه من القصيدة. لذلك يمكن الجزم بأن البيت لكثير لا لبشر.

ومثل ذلك ما وقع من اضطراب بين بشر وأمие بن أبي عائد الهذلي، في نسبة هذا البيت:

وَتَأْوِي إِلَى نِسْوَةٍ بَائِسَاتٍ

وَشُعْنًا مَرَاضِيْعَ مِثْلَ السَّعَالِي^(٦)

(١) ديوان أمية: ٣٥٨.

(٢) القسم الثاني: م (١٥٧).

(٣) التاج: (أئل).

(٤) انظر على التوالي معجم ما استعجم ٢: ٤٣٩، ومعجم البلدان ١: ٩٣، و٣: ١١٥.

(٥) ديوان كثير: ٢٨٤.

(٦) القسم الثاني: م (١٥٤).

فالنحاس نسبه إلى بشر.^(١) ونسب في كتاب سيبويه إلى أمية، وكذلك نسبه الأعلام، والسيرافي، والعيني، إلى أمية.^(٢) ونسبه ابن منظور والزيدي إلى الهذلي دون تخصيص.^(٣) وليس البيت في ديوان بشر، وهو في شعر الهذليين من قصيدة لأمية،^(٤) والبيت متمكن في موضعه من القصيدة، مما يدل على نحو قاطع أنه لأمية الهذلي لا لبشر.

وتم اضطراب بين عبيد ومهلل في نسبة البيت الثالث من مقطوعة عدتها ثلاثة أبيات، وهي:

أَلَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُرْسِلُ —
قَوَافِي وَذُو الْأُمْرِ وَالنَّائِرَةِ
فَهَلْ لَكَ فِينَا وَمَاعِنَدَنَا
وَهَلْ لَكَ فِي الْأُدْمِ الْوَافِرَةِ
وَحَيْلٍ تَكْدَسُ بِالذَّارِ عِي —
— مِنْ مَشْيِ الْوُعُولِ عَلَى الظَّاهِرَةِ^(٥)

(١) شرح أبيات سيبويه للنحاس: ١٨٠.

(٢) انظر على التوالي الكتاب ١: ٣٩٩، وشرح الأعلام ١: ١٩٩، و١: ٢٥٠، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ١: ١٤٦، وشرح شواهد الكبرى ٤: ٦٣.

(٣) اللسان، والتاج (رضع).

(٤) شرح أشعار هذيل ٢: ٦٣.

(٥) المقطعة (١٦٥) من القسم الثاني. وهي من المستدرک على ديوان عبيد.

إذ نسب ابن السكيت (ت ٢٤٤) البيت الثالث إلى عبيد،^(١) وساق التبريزي (ت ٥٠٢) في كنز الحفاظ الأبيات الثلاثة لعبيد.^(٢) وليست الأبيات في ديوانه. ونسب ابن قتيبة (ت ٢٧٦)، والبكري (ت ٤٨٧)، والزبيدي (ت ١٢٠٥)، البيت الثالث إلى مهلهل.^(٣) وساقه السندوبي وشيخو مع بيتين آخرين لمهلهل.^(٤) وذكر الأزهري (ت ٣٧٢) نسبه «لعبيد أو مهلهل»،^(٥) كما نسبه ابن منظور (ت ٧١١) في موضع لعبيد،^(٦) وفي موضع ثان لمهلهل.^(٧) وقال الصغاني (ت ٦٥٠): «هو لمهلهل لا لعبيد».^(٨)

والاضطراب في نسبة البيت وقع في القرن الثالث بين ابن السكيت وابن قتيبة، وتبعتهما في ذلك بقية المصادر.

وترجح نسبة البيت إلى مهلهل لأسباب عدة أولها أن الصغاني نسبه إليه ونفى نسبه إلى عبيد بعبارة جازمة، ولا بد أنه وقف على مصادر ليست في أيدينا جعلته يصدر حكماً قاطعاً. وثانيها أن ثمة انقطاعاً في المعنى بين البيت وسابقه في المقطوعة التي ساقها التبريزي لعبيد. وثالثها أننا لا نجد انقطاعاً في

(١) تهذيب الألفاظ: ١٧١.

(٢) كنز الحفاظ: ٢٧٦.

(٣) انظر على التوالي المعاني الكبير: ٤٠، ٣٧١، ٣٧٦، والسمط: ١٦٩، والتاج (كس).

(٤) انظر على التوالي المراقبة: ٥٤، وشعراء النصرانية: ١٨٠.

(٥) تهذيب اللغة ١٠: ٤٦، وانظر ٦: ٢٥٠.

(٦) اللسان (كس).

(٧) اللسان (ظهر).

(٨) العباب الزاخر: ٣٤.

المعنى بين البيت والبيتين الآخرين في المقطوعة التي رواها السندوبي وشيخو
لمهل.

وتخلص نسبة البيتين (١، ٢) من المقطوعة إلى عبيد، وإن لم يكونا في
ديوانه، لأنهما لم ينسبا إلى غيره.

ومن ذلك ما نجد من اضطراب بين عبيد وبين عدي بن زيد والأعشى في
نسبة هذا البيت:

أَيُّ قَوْمٍ قَوْمِي إِذَا عَزَّتِ الْخَمُّ

رُ وَقَامَتْ زَقَاقُهُمْ وَالْحِقَاقُ^(١)

فالزجاجي نسبته إلى عبيد بن الأبرص،^(٢) ونسبه الأزهري وابن منظور إلى
عدي،^(٣) ونسبه الزبيدي إلى الأعشى.^(٤) وليس البيت في ديوان عبيد، ولم يصل
إلينا ديوان عدي، والمعاصر الذي جمع شعره أورد البيت له مفرداً عن اللسان.^(٥)
ونجد البيت في قصيدة للأعشى وردت في ديوانه،^(٦) والبيت متمكن في موضعه
من هذه القصيدة، مما يدل على أن البيت للأعشى، والصحيح ما قاله الزبيدي
وإن كان متأخراً.

(١) القسم الثاني: م (١٦٩).

(٢) اشتقاق أسماء الله: ٣٠٩.

(٣) انظر على التوالي تهذيب اللغة ٣: ٣٨٠، واللسان (حقق).

(٤) التاج (حقق).

(٥) ديوان عدي: ١٥٥، جمعه محمد جبار المعبيد.

(٦) ديوان الأعشى: ٢١٣.

ومثل ذلك الاضطراب في النسبة نجده في شعر مضرّس بن ربعي الأسدي،
إذ وقع اضطراب بينه وبين طفيل الغنوي في نسبة بيت من أبيات الشواهد، وهو
أول بيتين رويَا لمضرّس، وهما:

فَهْيَاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعْتُ
مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ
فَمَا حَسَنٌ أَنْ يَعْزِرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ
وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَازِرٌ^(١)

فالزحخشري نسب البيت إلى طفيل الغنوي.^(٢) أما البغدادي فأنشد البيت،
وقال: «والبيت أنشده أبو تمام في باب الأدب من الحماسة.. مع بيت ثان:
(البيت الثاني)، ونسبهما إلى مضرّس بن ربعي الفقعسي».^(٣) ثم قال: «وأورده
أبو تمام في كتاب مختار أشعار القبائل لطفيل الغنوي الجاهلي من جملة أبيات،
كذا: «.. فساق خمسة أبيات رويها راء مضمومة وهاء ساكنة، والشاهد هو
البيت الثالث منها، وروايته:

وإِيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَرَاخَبْتُ
مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ مَصَادِرُهُ^(٤)

(١) القسم الثاني: م (١٧٨).

(٢) الأساس: (رحب).

(٣) شرح شواهد الشافعية ٤: ٤٧٦.

(٤) شرح شواهد الشافعية ٤: ٤٧٦-٤٧٧.

ومن الملاحظ أنَّ البغدادي لم ينسب البيت إلى مضرّس، وشعر مضرّس في حوزته، إنّما نقل ذلك عن الحماسة، ثم عاد ونسبه إلى طفيل عن كتاب أبي تمام الآخر، وهو كتاب ضائع. وإذا عدنا إلى باب الأدب من الحماسة وجدنا البيتين دون نسبة، وإنّما قال قبلهما: «قال آخر»،^(١) مما يشير إلى أنَّ نسخة الحماسة التي اطلع عليها البغدادي تختلف عن النسخ الخطية التي اعتمدت أصولاً للمطبوع من الحماسة. ولكن بما أنَّ البغدادي ذكر أنَّ أبا تمام نسب البيت إلى طفيل الغنوي في مختار أشعار القبائل، وكذلك نسب الزمخشري البيت إلى طفيل، فمن المرجح أن يكون البيت له لا لمضرّس. ولا يستبعد أن يكون مضرّس وهو مخضرم قد اقتبس البيت من طفيل، وهو جاهلي، ولا سيما أنَّ ثمة اختلافاً في رواية البيت وقافيته بين الشاعرين.

ومن ذلك أبيات ذكر البكري أنّه رآها منسوبة إلى مضرّس، وهي:

لَا أَذْفَعُ ابْنَ الْعَمِّ يَمْشِي عَلَى شَفَا
وإِنْ بَلَغْتَنِي مِنْ أَذَاهُ الْجَنَادِغُ
وَلَكِنْ أُوَسِّيهِ وَأَنْسَى ذُنُوبَهُ
لِتَرْجِعَهُ يَوْمًا إِلَى الرَّوَاجِغِ
وَحَسْبُكَ مِنْ ذُلٍ وَسُوءٍ صَنِيعَةٌ
مُنَاوَاةُ ذِي الْقُرْبَى وَإِنْ قِيلَ قَاطِعُ

^(١) شرح الحماسة للمرزوقي: ١١٥٢، والتبريزي ٣: ١٥١.

وإنَّ امرأً في النَّاسِ يُعْطِي ظِلَامَةً
وَيَمْنَعُ نَصْفَ الْحَقِّ مِنْهُ لَوَاضِعُ
أَبَا لَمَوْتَ يَخْشَى أَنْكَلَ اللَّهِ أُمَّهُ
أُمُّ الْعَيْشِ يَرْجُو نَفْعَهُ وَهُوَ ضَائِعٌ^(١)

وأجمعت المصادر على نسبة الأبيات إلى محمد بن عبد الله الأزدي، فأبو تمام
أنشد الأبيات الثلاثة ونسبها إلى الأزدي،^(٢) وأنشد ابن منظور والزيدي البيت
الأول ونسبها إلى الأزدي،^(٣) وقال البكري: «وهذه الأبيات لمحمد بن عبد الله
الأزدي، هكذا نسبه أبو تمام، وقد رأيتُه منسوباً إلى مضرّس بن ربعي، ويوصل
به أبيات، منها (البيتان: ٤، ٥)، والصحيح ماقاله أبو تمام».^(٤)

فالأبيات لم تنسب إلى مضرّس إلّا في رواية ساقها البكري وردها حين قال:
«والصحيح ماقاله أبو تمام»، لذلك فالأبيات لمحمد بن عبد الله الأزدي، ولا سيما
أنّ البكري لم يمرّض عبارته، وإنّما رد الأبيات بعبارة جازمة قاطعة.
ووقع اضطراب بين مضرّس وبين عدد من الشعراء في نسبة هذا البيت:

وَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى
كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرُ^(٥)

(١) القسم الثاني: م (١٨٨).

(٢) شرح الحماسة للمرزوقي ٢: ٤٠٣، والتبريزي ٢: ٣٨٠.

(٣) اللسان، والتاج (جندع).

(٤) سمط اللآلئ ٢: ٨٥٦.

(٥) القسم الثاني: م (١٩٦).

إذ أنشد الجاحظ البيت مفرداً ونسبه إلى مضرّس في البيان،^(١) ثم نسبه إلى راشد بن عبد الله السُّلَمي في رسالة العصا.^(٢) ولم ينسبه غير الجاحظ إلى مضرّس. وورد البيت في مصادر عديدة في جملة أبيات اضطربت نسبتها بين عدد من الشعراء، ليس مضرّس منهم، إذ نسبه أبو عبيدة، وأبو الفرج، والآمدي إلى مُعَقَّر ابن حمار البارق، وساق أبو الفرج القصيدة التي منها البيت وعدتها (٢٣) بيتاً،^(٣) ونسب ابن منظور البيت إلى معقّر، ثم نقل عن ابن بري روايات مختلفة في نسبته، فنسبه ابن بري بعارة جازمة إلى عبد ربه السُّلَمي، ثم ذكر رواية تنسبه إلى سُليم ابن ثُمّامة الحنفي، من شعر روى أوله ومناسبته، ثم نسبه عن الآمدي إلى معقّر وذكر البيت الذي قبله حسب رواية الآمدي.^(٤) أما ياقوت فأنشده مع ثلاثة أبيات وعزاها إلى سليمان بن ثُمّامة،^(٥) ونسبه ابن حجر إلى راشد بن عبد ربه السُّلَمي،^(٦) ونسبه العبيدي في التذكرة إلى مرداس بن أبي عامر،^(٧) ونسبه الحاتمي إلى الطُّرّاح،^(٨) وورد البيت في مصادر كثيرة دون نسبة.^(٩)

(١) البيان والتبيين ٣: ٤٠.

(٢) نوادر المخطوطات ١: ١٩٣.

(٣) انظر على التوالي النقائض ٢: ٦٧٦، والأغاني ١١: ١٦٠، والمؤتلف: ١٢٨.

(٤) انظر اللسان (عصا).

(٥) معجم البلدان ٣: ٢٩٩.

(٦) الإصابة ٢: ١٨٥.

(٧) التذكرة السعدية: ٤٩١.

(٨) حلية المحاضرة ٢: ٢٤٥.

(٩) انظر التخريج رقم (١٩١).

ونخلص من هذا العرض إلى أنَّ البيت ليس لمضرّس لسبيين أولهما أنَّ الجاحظ تفرد في نسبة البيت إلى مضرّس، واضطرب في تلك النسبة فنسبه إلى مضرّس في كتاب ونسبه إلى غيره في كتاب آخر. وثانيهما أنَّ الجاحظ ساق البيت مفرداً، أما الذين نسبوا البيت إلى الشعراء الآخرين فساقوه في شعر، ومن روى البيت مفرداً قد تكون روايته مضلة في عزو البيت، أما من وراه في قصيدة فهو أكثر تثبّاتاً، ولا سيما حين ترتبط القصيدة بأخبار أو حوادث. وقد ترجع نسبة البيت إلى معقّر لأنَّ أبا عبيدة والأصفهاني والآمدي، وهم أقدم المصادر، نسبوا البيت إليه في شعر، وجاء البيت متمكناً في موضعه من الأبيات.

ومن ذلك ما نجده من اضطراب بين فضالة بن شريك وبين عمرو بن معدٍ يكرب ودريد بن الصَّمّة في نسبة هذا البيت:

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا

وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تَنَادِي^(١)

إذ نسبته ابن برهان العكبري (ت ٤٥٦) في شعر لابن فضالة بن شريك.^(٢) ونسبه صاحب الحماسة البصرية إلى فضالة بن شريك في جملة أبيات من قصيدة له.^(٣)

ورواه ابن نباتة (ت ٧٦٨) مع بيت ثان، وهو:

(١) القسم الثاني: ق (٢١٢)، البيت (٤).

(٢) شرح اللمع ١: ٧٢.

(٣) الحماسة البصرية ٢: ٣٠١.

وَلَوْ نَارٌ نَفَخَتْ بِهَا أَضَاءَتْ

وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادٍ

ونسبهما إلى عمرو بن معد يكرب، وقال: «ويروى لدريد بن الصَّمَّة».^(١)
ورواه مفردا الطبرسي، وابن حيان الأندلسي ولم ينسباه.^(٢)

وأثبت جامع شعر عمرو بن معد يكرب البيتين، ملحقين بمقطوعة لا يربطهما بها إلا الوزن والقافية، وقال: «فقد أضيفا في وقت متأخر، عزاهما ابن نباتة إلى عمرو أو دريد».^(٣)

وليس البيت لفضالة لسببين أولهما أنَّ البيت مقحم على القصيدة غير مستقر في موضعه. وثانيهما أنَّ مصادر القرنين الثالث والرابع وماتلاها من مصادر أغفلت هذا البيت،^(٤) وانفرد بروايته ابن برهان (ت ٤٥٦) والبصري (ت ٦٤٧).

وأغلب الظن أنَّ البيت وقرينه من الشعر المنحول، لا هما لعمرو ولا لدريد، إذ لم يروهما متقدم ولم ينسبهما إليهما إلا ابن نباتة في القرن الثامن. ونجد مثل هذا الاضطراب في شعر حضرمي بن عامر، إذ اضطربت نسبة بيتين، هما السابع والثامن، من مقطعة عدتها ثمانية أبيات، بين حضرمي وبين عمرو بن معد يكرب وشعراء آخرين، ومطلع الأبيات:

^(١) سرح العيون: ٢٨٧.

^(٢) انظر على التوالي مجمع البيان ١: ٩٦، والبحر المحيط ١: ٣٧٢.

^(٣) شعر عمرو بن معد يكرب: ١١٣.

^(٤) انظر تخريج القصيدة (١٩٤).

أَلَا عَجِبْتَ عُمَيْرَةُ أَمْسِرَ لَمَّا
رَأَتْ شَيْبَ الذُّوَابَةِ قَدْ عَلَانِي^(١)

والبيتان هما:

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ
لَعَنُورُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ
فَكَانَ إِجَايَتِي إِيَّاهُ أَنِّي
عَطَفْتُ إِلَيْهِ خَوَّارَ الْعِنَانِ

فقد اضطربت نسبة البيت (٧) بين حضرمي وبين عمرو بن معد يكرب، وصحت نسبته إلى حضرمي.^(٢) واضطربت نسبة البيت (٨) بين حضرمي وبين عدد من الشعراء، ففي رواية السيوطي التي ساق فيها الأبيات الثمانية منسوبة إلى حضرمي، قال: «وقيل إلى عمرو بن معد يكرب».^(٣) والأبيات سبعة في رواية الخزانة، رواها البغدادي نقلاً عن المؤلف^(٤) وأبيات حضرمي التي رواها الآمدي في المؤلف أربعة فقط وهي خلو من البيت (٨)،^(٥) واستدرك البغدادي في شرح أبيات المغني، فنقل الأبيات الأربعة عن المؤلف، وقال: «ونقل

(١) شرح شواهد المغني ١: ٢١٦-٢١٧. وهي المقطعة (٢٣٠) من القسم الثاني.

(٢) انظر ص: ١٩٩ وما بعدها.

(٣) شرح شواهد المغني ١: ٢١٦.

(٤) الخزانة ٣: ٤٢٦-٤٢٧.

(٥) المؤلف: ١١٥-١١٦.

السيوطي من غير روايته أكثر من هذه الأبيات»^(١).

وإذا نظرنا في البيت، وهو آخر أبيات المقطعة في روايتي السيوطي والبغدادي رأيناه منقطعاً عما قبله، فضلاً عن أنه روي في أشعار لعمر بن معد يكرّب، ولعنزة^(٢)، ولكثير بن الغريزة النهشلي^(٣). لذلك فمن الأرجح ألا يكون البيت لحضرمي، وإنما هو لأحد الشعراء الثلاثة، وكلهم من غير بني أسد.

ووقع اضطراب بين قرآن بن يسار الفقعسي والقتال الكلابي في نسبة مقطعة عدتها خمسة أبيات، وأولها:

خَلِيلَايَ لَا تَجْرِي الْحِرَابَةَ يُنَنَّا

شَرِيْعَتُنَا لَا يَنْنَا جَاءَ أَوَّلُ^(٤)

إذ نسبها ابن حبيب (ت ٢٤٥) إلى قرآن^(٥) ولم ينسبها أحد غير ابن حبيب إليه. ونسبها الجاحظ، وابن قتيبة، وأبو الفرج، وياقوت، وابن منظور، إلى القتال الكلابي^(٦). وفي شعر القتال الذي جمعه إحسان عباس وردت الأبيات في قصيدة

(١) شرح أبيات المغني ٢: ١٠٨.

(٢) انظر شعر عمر بن معد يكرّب: ١٧٥-١٧٧.

(٣) انظر الأغاني ١١: ٢٧٧، و ٢٧٩.

(٤) القسم الثاني: م (٣١٥). وخليلاي: جاء المثنى بالألف في النصب، على لغة بعض العرب التي تجري المثنى بالألف دائماً، انظر مغني اللبيب ١: ٣٨.

(٥) المحير: ٢١٦.

(٦) انظر على التوالي الحيوان ٦: ٢٥٢-٢٥٤، والشعر والشعراء ٢: ٧٠٥-٧٠٦، والأغاني ٢٤: ١٧٤-١٧٥، ومعجم البلدان ٤: ١٥٣، واللسان (جون).

عدتها (٣٢) بيتاً، والأبيات متمكنة في موضعها من القصيدة،^(١) لذلك ولأن سائر المصادر أجمعت على نسبتها إلى القتال فهي له لا لقرآن.

ومثل ذلك مايجده من اضطراب بين عبد الله بن جحش الأسدي وأبي بكر الصديق (رضي الله عنهما)، في نسبة ستة أبيات، أولها:

تَعْدُونَ قَتْلَى فِي الْحَرَامِ عَظِيمَةً

وَأَعْظَمُ مِنْهُ لَوْ يَرَى الرَّشْدَ رَاشِدٌ^(٢)

إذ نسبها ابن هشام (ت ٢١٨) إلى أبي بكر الصديق، ثم قال: «ويقال لعبد الله بن جحش». ^(٣) وتبعه في ذلك ابن سيد الناس (ت ٧٣٤). ^(٤) وترجح نسبة الأبيات لأبي بكر لسببين، أولهما أن ابن هشام نسبها إليه بعبارة حازمة، ثم روى قولاً ينسبها إلى عبد الله. وثانيهما أنه لم يؤثر عن عبد الله شعر، ولم يسلكه أحد بين الشعراء، وإنما الشاعر أخوه أبو أحمد عبد بن جحش. ووقع اضطراب بين عكاشة بن محصن الأسدي وبين عكاشة بن عبد الصمد العمي، في نسبة هذين البيتين:

مِنْ كَفِّ جَارِيَةٍ كَأَنَّ بَنَانَهَا

مِنْ فِضَّةٍ قَدْ طُرِفَتْ عُنَابَا

^(١) شعر القتال الكلابي: ٧٧.

^(٢) القسم الثاني: م (٣٣٨).

^(٣) السورة ١: ٦٠٥.

^(٤) عيون الأثر ١: ٢٢٩.

وَكَأَنَّ يُمْنَاهَا إِذَا نَطَقَتْ بِهِ

أَلَقْتُ عَلَى يَدِهَا الشُّمَالِ حِسَابًا^(١)

إذ نسبهما الجاحظ إلى عكاشة بن محصن،^(٢) وكذلك نسبهما ابن عبد ربه إلى عكاشة بن محصن، ولحق بالاسم بعض التحريف فصار «عكاشة بن الحصين».^(٣) ونسبهما أبو الفرج، والحصري، والرقيق النديم، إلى عكاشة بن عبد الصمد،^(٤) وكذلك نسب البكري البيت الأول لابن عبد الصمد.^(٥)

وترجح نسبة الأبيات إلى ابن عبد الصمد لأسباب أولها أن ابن محصن ليس بشاعر ولم يؤثر عنه شعر، وهو صحابي بدري شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.^(٦) وثانيها أن هذا الشعر أشبه بشعر المحدثين، وابن عبد الصمد شاعر عباسي. وثالثها أن صاحب الأغاني ترجم لابن عبد الصمد وساق البيتين في ترجمته،^(٧) ومن يروي الشعر وما يتعلق به من أخبار وحوادث يكون أكثر تثبتاً في نسبه.

وثمة اضطراب بين عمرو بن شأس وعلقمة الفحل في نسبة البيت التالي:

(١) القسم الثاني: م (٣٦٤).

(٢) رسائل الجاحظ ٢: ١٤٥.

(٣) العقد الفريد ٦: ٧٤.

(٤) انظر على التوالي الأغاني ٣: ٢٦٠، وزهر الآداب: ٦٠٩، وقطب السرور: ٥٢٨.

(٥) سمط اللآلي: ٥٢٦.

(٦) انظر ترجمته في الإصابة ٢: ٤٨٧-٤٨٨، والاستيعاب ٣: ١٥٥-١٥٦. وله أخبار

كثيرة في المغازي والسيرة وتاريخ الطبري.

(٧) انظر الأغاني ٣: ٢٥٧-٢٦٥.

وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنَعْمَةٍ

فَحَقُّ لِسَاسٍ مِنْ نَدَاكَ ذُنُوبٌ^(١)

إذ نسب الزمخشري إلى عمرو بن شأس^(٢) والبيت من قصيدة سائرة لعلقة
الفحل، قالها في مديح الحارث الغساني ليفتك أخاه شأساً وأسرى قومه،
ومطلعها:

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحِسَانِ طَرُوبٌ

بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصَرَ حَانَ مَشِيبٍ^(٣)

والبيت هو السابع والثلاثون من القصيدة، وعدتها تسعة وثلاثون بيتاً، وهي
القصيدة الأولى في ديوان علقمة. والبيت متمكن في موضعه منها، وللبيت خير
ذكره المورخون، ومفاده أن علقمة لما قال: «فَحَقُّ لِسَاسٍ مِنْ نَدَاكَ ذُنُوبٌ» قال
الحارث: «أي والله وأذنية» ثم أطلق شأساً^(٤) ويبدو أن ذكر شأس في البيت
أوهم الزمخشري بأن البيت لعمر بن شأس.

ب- الشعر الأسدي المنسوب إلى غيرهم وهو لهم:

ولعل أول ما يستوقفنا في هذا الشعر اضطراب بين الجميع وسلامة بن جندل
في نسبة البيت التالي:

(١) القسم الثاني: م (٣٧٥).

(٢) الأساس: (عبط) و(ذنب).

(٣) ديوان علقمة: ق ١.

(٤) انظر عبر القصيدة ومقالة الحارث في الكامل للمبرد ١: ١٩٤ وما بعدها، والشعر
والشعراء ١: ٢٢١ وما بعدها، والعمدة ١: ٥٧، وابن الأثير ١: ٣٢٨ وما بعدها.

فَاقْنِي لَعَلَّكَ أَنْ تَحْظَىٰ وَتَحْتَلِي

فِي سَحَبٍ مِنْ مَسُوكِ الضَّأْنِ مَنْجُوبٍ^(١)

إذ نسب ابن منظور والزبيدي إلى سلامة بن جندل.^(٢) ونسبه المفضل الضبي في قصيدة إلى الجميع. وكذلك نسبه البكري إلى الجميع.^(٣)

وترجح نسبة البيت إلى الجميع لأسباب، أولها أن أقدم المصادر وأكثرها ثقة نسبته إليه، وثانيها أنه ورد في مفضلية للجميع، وهو آخر أبياتها ومرتبطة بالبيت الذي قبله ارتباطاً وثيقاً، في حين ساقه الذين نسبوه إلى سلامة مفرداً، وثالثها أن الذين نسبوا البيت إلى سلامة من اللغويين، واللغويون قد يهتمون بموضع الشاهد أكثر من اهتمامهم بصاحب الشاهد. وقد ساق محقق ديوان سلامة البيت في ذيل الديوان، وأشار إلى أن البيت نسب خطأ إلى سلامة وهو للجميع.^(٤)

ووقع اضطراب بين مغلّس بن لقيط الأسدي ومغلّس بن لقيط السعدي في نسبة قصيدة عدتها ثلاثة عشر بيتاً، ومطلعها:

وَأَبَقْتُ لِي الْأَيَّامُ بَعْدَكَ مُدْرِكاً

وَمُرَّةً، وَالذُّنْيَا قَلِيلٌ عِتَابُهَا^(٥)

وبيتها التاسع شاهد نحوي، وهو:

^(١) القسم الثاني: ق(٢).

^(٢) اللسان، والتاج: (مسك).

^(٣) شرح المفضليات: ٢٩، وسمط اللآلي ٢: ٨٩٥، والتنبيه: ١٢٨.

^(٤) ديوان سلامة: ٢٣٧.

^(٥) القسم الثاني: ق(١٩).

وَقَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي تَطِيبُ لِضَغْمَةٍ

لِضَغْمَيْهِمَا هَا يَقْرَعُ الْعَظْمَ نَابَهَا

إذ نسب المرزباني (ت ٣٨٤)، والتوحيدي (ت نحو ٤٠٠) أبياتاً منها إلى مغلّس بن لقيط السعدي، ونقل البغدادي عن ابن هشام (ت ٢١٨) قوله في (شرح شواهد) عن البيت التاسع: «هو لمغلّس بن لقيط السعدي لا الأسدي».^(١) وورد بيتان منها في ثلاثة مواضع من كتاب «الجيم» لأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦) منسوبة إلى مغلّس دون ذكر لأي المغلّسين.^(٢)

أما ابن الشجري (ت ٥٤٢)، وصاحب الحماسة البصرية فنسباً أبياتاً منها إلى لقيط بن مرة الأسدي.^(٣) ونسب بعض أبياتها ابن برهان الأسدي (ت ٤٥٦)، والأعلم (ت ٤٧٦)، وابن منظور نقلاً عن ابن بري (ت ٥٨٢)، والبغدادي نقلاً عن الأسود الغندجاني (ت ٤٣٠)، والعيني، إلى مغلّس بن لقيط الأسدي.^(٤) وأورد البغدادي القصيدة بتمامها منسوبة إلى مغلّس الأسدي، عن «ضالة الأديب» للغندجاني، وهو كتاب ضائع، وذكر أن السيرافي (ت ٣٨٥) نسبها إلى مغلّس الأسدي، ثم ذكر ماوقف عليه من خلاف في نسبتها، وساق نسب مغلّس بن لقيط الأسدي، وترجمته ومناسبة الأبيات عن مصادر عديدة،

(١) انظر على التوالي معجم الشعراء: ٣٠٨، والبصائر ١: ٤٩٤، والخزانة ٥: ٣١٢.

(٢) الجيم ٢: ٢٧٩، ٢٨٠، ٣٢٩.

(٣) الأمالي الشجرية ٢: ٢٠١، والحماسة البصرية ١: ٩٩.

(٤) انظر على التوالي شرح اللمع ١: ١١٩، وشرح الأعلام ١: ٣٨٤، واللسان (ضغم)،

والخزانة ٥: ٣٠٣، وفرائد القلائد: ٣٤.

وختم حديثه بقوله: «هذا ماوقفت عليه، والله أعلم بحقيقة الحال»^(١).
 وإذا كانت أقدم المصادر روت الأبيات إلى مغلّس السعدي، فإنّ قدم
 المصادر وحده ليس كافياً للترجيح. فمعظم المصادر روت الشعر إلى الأسدي،
 والبغدادي الذي نقل مختلف الروايات رجح نسبتهما إلى مغلّس الأسدي بدليل أنّه
 ساق نسبه وترجمته ومناسبة قوله هذا الشعر، ولم يترجم لمغلّس السعدي، وانفرد
 الغندجاني برواية القصيدة كاملة ونسبها إلى مغلّس الأسدي وذكر خبرها.
 لذلك كله ترجح نسبة القصيدة إلى الأسدي لا السعدي، والله أعلم.
 ومن ذلك مايجده من اضطراب بين حاجب بن حبيب الأسدي وبين ليبد
 في نسبة هذا البيت:

وَلَا تُبَادِرُ بِالشُّتَاءِ وَلَيْدَنَّا

أَلْقَدَرُ تُنْزِلُهَا بَغَيْرِ جَعَالٍ^(٢)

إذ نسب ابن عصفور البيت إلى ليبد.^(٣) والبيت شاهد نحوي أهملت شروح
 الشواهد وكتب اللغة نسبته،^(٤) عدا أبي سعيد السيرافي الذي ساق الأبيات التي
 منها البيت ونسبها إلى «حاجب بن حبيب يرثي سلمى بنت حذيفة بن بدر،
 وكانت تحت مرثد بن جندب».^(٥)

(١) الخزانة ٥: ٣٠٣، ٣١١-٣١٢.

(٢) القسم الثاني: م(٤٧).

(٣) ضرائر الشعر: ٥٣.

(٤) انظر تخريج المقطعة (٤٧).

(٥) شرح أبيات سيبويه ٢: ٣٧٤.

وترجح نسبة البيت إلى حاجب لأسباب ثلاثة، أولها أنَّ السيرافي أقدم من ابن عصفور، وثانيها أنَّ السيرافي روى الأبيات التي منها البيت ومناسبتها، مما يدل على أنه أكثر تثبتاً في نسبة البيت من ابن عصفور الذي ساق البيت مفرداً ولم يذكر خبره، ومن يروي البيت مفرداً قد تكون روايته مضلة في عزوه، وثالثها أنَّ البيت ليس في ديوان لبيد.

ووقع اضطراب بين خالد بن قيس بن منقذ الأسدي وبين رجل من بني منقر في نسبة البيت الأول من مقطعة عدتها أربعة أبيات، والبيت:

أَرَى كُلَّ أَمْرِي إِلَى عَاصِمٍ

فَمَا أَنَا لَوْ كَانَ لَمْ يُؤَلَدِ^(١)

فالقالي أورد الأبيات ولم ينسبها.^(٢) ونسب البكري (ت ٤٨٧) البيت الأول منها إلى «رجل من بني منقر».^(٣) أما المرزوقي (ت ٤٢١) فنسب البيتين (١، ٤) إلى خالد بن قيس بن منقذ الأسدي، وروى خبراً طويلاً في مناسبة هذا الشعر.^(٤)

وترجح نسبة البيت إلى خالد بن قيس لأنَّ أقدم المصدرين روى البيت مع بيت آخر لخالد وذكر خبرهما، أما البكري فروى البيت مفرداً، ولم ينسبه إلى رجل بعينه من بني منقر، ولم يذكر مناسبة قوله.

(١) القسم الثاني: م (٧٧).

(٢) الأمازي ٢: ٢٩٣.

(٣) سمط اللآلي ٢: ٩٣٨.

(٤) الأزمنة ٢: ٢٧٨.

ومن ذلك ما نجد من اضطراب بين الأشعر الرِّقَبَان وعَمْرُو بن ثعلبة
الشييباني في نسبة شعر عدته ثمانية أبيات، وأوله:

تَحَانَفَ رِضْوَانٌ عَنِ ضَيْفِهِ

أَلَمْ يَأْتِ رِضْوَانٌ عَنِّي النُّذْرُ^(١)

إذ نسب المرزباني أبياتاً منها إلى الأشعر الرِّقَبَان،^(٢) ثم روى بعض هذه
الآيات لعمر بن ثعلبة عن رواية لثعلب، وقال: «وتقدمت هذه الآيات
لغيره». ^(٣) ونسب الآيات إلى الأشعر أبو زيد الأنصاري، والجاحظ، وابن قتيبة،
والأنباري، والميداني، والمعري، والآمدي، والبكري، وغيرهم علماء كثير.^(٤)

وترجح نسبة الآيات إلى الأشعر، لأن سائر المصادر أجمعت على نسبتها إليه.
وثمة اضطراب بين أم أَوْفَى الأسدية وبين الفارعة بنت معاوية القُشَيْرِيَّة في
نسبة مقطوعة عدتها أربعة أبيات، وهي:

ظَلَّتْ كِلَابٌ بِالنَّسَارِ وَكَعْبَهَا

وَنَمِيرُهَا جَزَرًا تُهَانُ وَتُشْطَرُّ

ضُبْعًا عِظَالٍ تَغْفِرَانِ اسْتِيْهُمَا

فَرَأَتْهُمَا أُخْرَى فَظَلَّتْ تَغْفِرُ

(١) القسم الثاني: م (٨٠).

(٢) معجم الشعراء: ١٩.

(٣) المصدر السابق: ٣٥.

(٤) انظر تخريج المقطوعة (٧٩).

مِنَّا فَوَارِسُ دَافَعُوا عَنْ كُلِّهِمْ
يَوْمَ النَّسَارِ وَلَمْ تُدَافِعْ أَشْطَرُ
وَعَلَى الْجِفَارِ تَمِيمُهَا وَرِبَابُهَا
عَفْرَى تَعُوذُهُمُ الضَّبَاعُ وَأَنْسُرُ^(١)

إذ نسبها الأنباري إلى أم أوفى الأسدية،^(٢) وكان قد نسب البيتين (٢، ٣) مع بيت آخر إلى الفارعة بنت معاوية القشيرية.^(٣) ونسب أبو عبيدة البيتين (٢، ٣) مع خمسة أبيات أخرى إلى الفارعة.^(٤) وترجح نسبة البيتين (١، ٤) إلى أم أوفى الأسدية، لأنهما لم يُنسبا إلى غيرها في أي من المصادر. وترجح نسبة البيتين (٢، ٣) إلى الفارعة القشيرية، لأن أبا عبيدة، وهو من علماء القرن الثاني للهجرة، نسبهما إليها، في حين اضطرب الأنباري في نسبتها بينها وبين أم أوفى.

ووقع اضطراب بين بشر وامرئ القيس في نسبة البيت التالي:

صَبْرْنَا عَنْ عَشِيرَتِنَا فَبَانُوا
كَمَا صَبَرَتْ خَزِيمَةٌ عَنْ جُذَامٍ^(٥)

(١) القسم الثاني: م (١٠٥).

(٢) شرح المفضليات: ٣٦٩.

(٣) شرح المفضليات: ٩٦٧.

(٤) النقااض ١: ٢٤٢.

(٥) القسم الثاني: م (١٥٢).

إذ رواه البلاذري (ت ٢٧٩هـ) مع هذا البيت:

وَكَانُوا قَوْمَنَا، فَبَغَوْا عَلَيْنَا

فَسُقْنَاهُمْ إِلَى الْبَلَدِ الشَّامِيِّ

ونسبهما إلى بشر بن أبي خازم.^(١) وليس البيت الأول في ديوان بشر، أما الثاني فهو البيت (١٦) من القصيدة (٤١) في ديوانه. وورد البيت الأول في ديوان امرئ القيس، ثاني بيتين، أولهما:

أَلَمْ تَرَيَا وَرَيْبُ الدَّهْرِ رَهْنٌ

بِتَفْرِيقِ الْعَشَائِرِ وَالسَّوَامِ^(٢)

غير أنه ورد في القسم الثالث من الديوان في زيادات ملحق الطوسي من المنحول الثاني على امرئ القيس. وورود البيت في هذا القسم ينفي صحة نسبته إليه، مما يرجح نسبته إلى بشر.

ومثل ذلك ماأنجده من اضطراب بين خالد بن نضلة الأسدي وعدد من شعراء بني أسد وبين سعد بن عبد الرحمن بن حسان الأنصاري والحماسي، في نسبة هذا البيت، وهو شاهد نحوي:

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عِدَى لَسْتَ مِنْهُمْ

فَكُلُّ مَا عُلِفَتْ مِنْ خَيْثٍ وَطَيْبٍ^(٣)

(١) أنساب الأشراف ١: ٣٦.

(٢) ديوان امرئ القيس: ٢٧٨.

(٣) القسم الثاني: م (٨٢).

إذ نسب الجاحظ، وعلي بن حمزة، واليوسي، البيت إلى خالد بن نضلة مع أبيات أخرى.^(١) ونسبه المرباني مع بيتين آخرين إلى الكميت بن زيد.^(٢) ونسبه البطليوسي إلى زُرارة بن سُبَّيع الأسدي.^(٣) ونسبه الجواليقي إلى الحارث ابن سعد بن ثعلبة الأسدي.^(٤) ونسبه التبريزي إلى دودان بن سعد بن ثعلبة الأسدي.^(٥) ونسبه الجوهرى (ت ٣٩٣) إلى سعد بن عبد الرحمن بن حسان الأنصاري.^(٦) ونسبه الزمخشري (ت ٥٣٨) إلى الحماسي.^(٧)

وترجح نسبة البيت إلى أحد الشعراء الأسديين لأسباب، أولها أن معظم المصادر نسبته إليهم، وثانيها أن أقدم المصادر نسبته إلى خالد بن نضلة الأسدي، وثالثها أن الذين نسبوا البيت إلى أحد الشعراء الأسديين رَوَوْه مع شعر، وبعضهم ساق مناسبة الأبيات، أما الذين نسبوه إلى شاعر غير أسدي فساقوه مفرداً.

ومثل ذلك ما نجد من اضطراب بين بشر وعوف بن الخَرَج في نسبة هذا البيت:

(١) انظر على التوالي الحيوان ٣: ١٠٣، والبيان ٣: ٢٥٠، والتبتيهات: ١٨٥، وزهر

الأكم ١: ٢٤٢.

(٢) معجم الشعراء: ٢٣٩.

(٣) الاقتضاب ٣: ٢٢٢.

(٤) شرح أدب الكاتب: ٢٨١.

(٥) تهذيب الاصلاح: ٢٥٤.

(٦) الصحاح (عدا).

(٧) الأساس (علف).

لَهَا رُسُغٌ مُكْرَبٌ أَيَّدُ

فَلَا الْعَظْمُ وَإِوْ لَا الْعِرْقُ فَارًا^(١)

إذ نسبته الأنباري (ت ٣٢٨) إلى بشر بن أبي خازم، وقال: «قال أحمد: ويروى لقيس بن الخرج»^(٢) وليس البيت في ديوان بشر. ونسبه ابن منظور إلى عوف بن الخرج^(٣).

وترجح نسبة البيت إلى بشر لأن الأنباري، وهو أقدم من ابن منظور، رجح نسبة البيت إلى بشر؛ لأنه نسبه إليه بعبارة قاطعة، ثم ساق نسبته إلى ابن الخرج رواية. ومن ذلك ما مجده من اضطراب بين مضرّس بن ربعي الفقيسي وبين يزيد بن الطثريّة في نسبة شاهد نخوي، وهو:

وَقُلْتُ لِحَاطِطِي لَا تَحْبِسَنِي

بِنَزْعِ أَصُولِهِ وَاجْدَزْ شَيْحَا

والبيت من قصيدة لمضرّس بن ربعي، أولها:

وَضَيْفٌ جَاءَنَّا وَاللَّيْلُ دَاجٍ

وَرِيحُ الْقَرِّ تَحْفِزُ مِنْهُ رُوحَا^(٤)

^(١) القسم الثاني: م (١٤٣). ومُكْرَبٌ: وثيق المفاصل. وأَيَّدُ: قويّ. وفَارًا: ظهر به نفخ أو عقْد.

^(٢) شرح المفضليات: ٦٢.

^(٣) اللسان: (فار).

^(٤) القسم الثاني: ق (١٧٣).

وأقدم مصدر ساق البيت، فيما وقفت عليه من مصادر هو «الصحاح» ونسبه إلى يزيد بن الطثريّة.^(١) وقال البغدادي: «البيت من أبيات للمضرّس بن ربعي الفقعسي الأسدي، وهي: (٧ أبيات من القصيدة)». ^(٢) وبعد أن ساق الأبيات وما قيل في الشاهد من شروح، قال: «وما ذكرناه من الشعر وقائله رواية الخالدين، ونسب الجوهرى البيت الشاهد إلى يزيد بن الطثريّة، ثم قال: «قال ياقوت فيما كتبه عن الصحاح: (هذا البيت الذي عزاه إلى يزيد بن الطثريّة وجدته لمضرّس بن ربعي الفقعسي.. بخط الخلّال أبي الغنائم، وذكر أنه نقله من خط اليزيدي)». ^(٣) ونقل البغدادي وابن منظور عن ابن بري (ت ٥٨٢) قوله في أماليه على الصحاح: «البيت إنما هو لمضرّس بن ربعي الأسدي، وليس هو ليزيد، كما ذكره عن الكسائي، وقبله: (بيتان من القصيدة) كذا في شعره». ^(٤) ونسب السيوطي واليزيدي ثلاثة أبيات من القصيدة، منها البيت الشاهد إلى مضرّس وكذلك نسبه الصغاني إلى مضرّس.^(٥)

أما ابن منظور فذكر أنّ الكسائي (ت ١٨٩) وثعلب (ت ٢٩١) أنشدا البيت ليزيد بن الطثريّة.^(٦) وقال الأشموني: «قاله يزيد بن الطثريّة، قاله

^(١) الصحاح (جزز).

^(٢) شرح شواهد الشافعية ٤ : ٤٨١.

^(٣) المصدر السابق ٤ : ٤٨٣.

^(٤) المصدر السابق ٤ : ٤٨٣ - ٤٨٤، واللسان (جزز).

^(٥) انظر على التوالي شرح شواهد المغني ٢ : ٥٩٨، والتاج، والتكملة (جزز).

^(٦) اللسان (جزز).

الجوهري، وقال ابن بري: قاله مضرّس بن ربعي^(١). وورد البيت في مصادر كثيرة متقدمة ومتأخرة دون نسبة^(٢).

وإذا كان أقدم مصدرين (الكسائي وثلعب) نسبا البيت إلى يزيد، فليس القدم وحده دليلاً على صحة النسبة. وترجح نسبة البيت إلى مضرّس لأسباب، أولها أنّ ابن بري وياقوت وجدا البيت في ديوان مضرّس، ونفيا بعبارات جازمة نسبته إلى يزيد. وثانيها أنّ من نسب البيت إلى يزيد ساقه مفرداً، أما الذين نسبوا البيت إلى مضرّس فساقوه في شعر، ومن رواه في شعر فهو أكثر تثبّثاً. وثالثها أنّ البيت متمكن في موضعه من قصيدة مضرّس، والقصيدة خالصة النسبة إلى مضرّس لم يقع اضطراب في نسبة أي من أبياتها خلا هذا البيت الشاهد.

ومن ذلك ما نجده من اضطراب بين مضرّس بن ربعي وبين حثّامة اللّيثي وفزاري في نسبة البيتين (٣، ٤) من المقطعة التالية:

وَعَايِنِي عَرَضْتُ لَهَا فَقَالَتْ

رَأَيْتُ مُضَرَّسًا جَعَدًا قَصِيرًا

وَكَاَنْتُ عَيْنُ إِحْدَاهُمَا

تَقِيلُ وَتَزْدَرِي الرَّجُلَ الْمَزِيرَا

(١) شرح الأشموني ٤: ٣٣٢.

(٢) انظر تحريج القصيدة (١٦٨).

إِذَا لَأَقَيْتَ قَوْمِي فَاسْأَلِيهِمْ
كَفَى قَوْمًا بِصَاحِبِهِمْ خَبِيرًا
هَلْ أَعْفُو^(١) عَنْ أَصُولِ الْحَقِّ فِيهِمْ
إِذَا وَجَبَتْ وَأَقْطَعُ الصُّدُورَا
وَأَنِّي لَا يُنَادِي الْحَيُّ ضَيْفِي
وَلَا أُلْجِي عَلَى الْخَطَا الْأَمِيرَا^(٢)

إذ روى اليزيدي (ت ٣١٠هـ) الأبيات لمضر بن ربيعي، ثم ذكر عن عمه
أنَّ البيتين (٣، ٤) أنشده إياهما إسحق الموصلي لبعض بني فزارة.^(٣) ونسب ابن
منظور البيتين إلى جثامة الليثي.^(٤) وأورد البكري البيت (٣) ولم ينسبه.^(٥)
وترجح نسبة البيتين إلى مضر لأسباب أولها أنَّ أقدم المصدرين نسبهما
إليه مع بقية الشعر الذي هما منه، وثانيهما أنَّ في هذا الشعر ذكراً صريحاً
لمضر. وثالثهما أنَّ ما ذكره اليزيدي عن عمه رواية ضَعَّفَهَا اليزيدي نفسه حين
نسب البيتين إلى مضر.

وثمة اضطراب بين فضالة الأسدي وبين بعض الشعراء في نسبة أربعة أبيات

(١) وصل همزة القطع لضرورة الشعر.

(٢) القسم الثاني: م (١٨٥). وتَفِيل: تخطئ النظر. والمَزِير: الشديد القلب القوي النافذ.

وَأُلْجِي: أشتم.

(٣) أمالي اليزيدي: ١٣٠.

(٤) اللسان: (كفى).

(٥) فصل المقال: ٢٩٦.

في وصف الفرس، وأولها:

أَنَا صَرَحُ إِنَّ الْخَيْلَ مَجْلُوبَةٌ غَدًا

وَمَالِكَ إِنْ لَمْ يَجْلُبِ اللَّهُ جَالِبٌ^(١)

إذ نسبها ابن الكلبي (ت ٢٠٤)، وابن هذيل الأندلسي إلى فضالة بن هند بن شريك الأسدي.^(٢) ونسبها الشمشاطي إلى فضالة بن شريك.^(٣) أما الخالديان فساقا الأبيات مع بيتين آخرين لسويد بن سواد الجَلْهَمِي.^(٤) وساق الغندجاني البيتين (١، ٣) لسويد بن شدّاد العَبْشَمِي، ثم قال: «وقال أبو الندى: هذا الشعر للحارث بن مَرَاغَةَ الحَبْطِي، وناصح فرس له».^(٥)

ويلاحظ أنَّ ابن الكلبي خلط بين الأسديين فضالة بن هند الغاضري وهو جاهلي، وفضالة بن شريك الوالي وهو مخضرم، فجعلهما رجلاً واحداً، وأخذ عنه هذا الوهم ابن هذيل. ويبدو أنَّ الخالدين والغندجاني اتفقوا في نسبة الشعر إلى سويد، ولحق النسبة تحريف على يد النساخ فصارت عند الخالدين «ابن سَواد الجَلْهَمِي» وعند الغندجاني «ابن شدّاد العَبْشَمِي» والله أعلم أيهما الصواب.

^(١) القسم الثاني: م (٢١٠). والجَلْبُ في سباق الخيل: أن يتبع الرجل فرسه فيصيح حتاً له. وكَمَشَ: جدَّ وأسرع.

^(٢) أنساب الخيل: ٩٣، وحلية الفرسان: ١٥٤.

^(٣) الأنوار ١: ٢٨٩.

^(٤) الأشباه والنظائر ٢: ١٨٩.

^(٥) أسماء الخيل: ٢٤٥.

ونسبة الشعر إلى الحارث الحبطي نسبة ضعيفة لأنه لم ينسب إليه إلا في رواية عن أبي الندى ساقها الغندجاني وضعفها حين نسب الشعر بعبارة قاطعة إلى سويد، لذلك يمكن حصر الاضطراب بين فضالة الأسدي وسويد. وترجح نسبته إلى فضالة لأسباب ثلاثة، أولها أن أقدم مصادر أنساب الخيل وهو كتاب ابن الكلبي نسبته إليه وتبعه على ذلك الشمشاطي وابن هذيل. وثانيها أن الغندجاني الذي نسب الشعر إلى سويد ذكر في موضع آخر من كتابه أن «ناصرًا» فرس فضالة بن هند الأسدي.^(١) وثالثها أنه ورد في المخصص والقاموس أن «ناصرًا» فرس الحارث بن مراغة أو فضالة بن شريك، ولم يذكر سويداً.^(٢) أما لأي فضالة منهما فهذا ما سنعرض له في الحديث عن الشعر المضطربة نسبته بين شعراء أسد.

ووقع اضطراب بين فضالة بن شريك وابن حميد بن ثور الهلالي في نسبة هذين البيتين:

دَغَ عَنْكَ مَرَوَّانَ لَا تَطْلُبْ إِمَارَتَهُ

فَقَيْرُ رَاعٍ لَهَا مَا عِشْتَ سُرُورُ

مَا بَالُ بُرْدِكَ لَمْ يَمَسَّ حَوَاشِيَهُ

مَنْ ثَرَمَدَاءَ وَلَا صَنْعَاءَ تَخْبِيرُ^(٣)

^(١) أسماء الخيل: ٢٤٨.

^(٢) المخصص ٢: ١٩٥، والقاموس: (نصح).

^(٣) القسم الثاني: م (٢١٥).

إذ نسبهما أبو تمام في الوحشيات إلى فضالة بن شريك.^(١) ونسبهما ياقوت مع بيت ثالث إلى ابن حُميد بن ثور الهلالي.^(٢) وترجح نسبة البيتين إلى فضالة لأنَّ المصدر الأقدم نسبهما إليه. ومن ذلك مايجده من اضطراب بين حضرمي بن عامر والعلاء بن الحضرمي في نسبة هذا البيت:

وإنْ دَحَسُوا بِالشَّرِّ فَاعْفُ تَكْرُمًا

وإنْ حَنَسُوا عَنْكَ الْحَدِيثَ فَلَا تَسَلْ^(٣)

إذ نسب ابن الأثير (ت ٦٣٠) مع بيتين آخرين إلى حضرمي بن عامر قالها لما قدم على النبي ﷺ في وفد أسد.^(٤) ونسبه ابن منظور والزيدي إلى العلاء بن الحضرمي.^(٥)

والبيت لحضرمي بن عامر لأسباب عديدة، أولها أنَّ المصدر الذي نسب البيت إلى حضرمي أقدم من المصدرين اللذين نسباه إلى العلاء. وثانيها أنه كتاب في تراجم الصحابة، وذكر الشعر الذي منه البيت ومناسبة الأبيات، وهي مناسبة تدعو المصنف إلى الثبوت والتيقن، إذ يؤرخ فيها أحداث جرت مع النبي ﷺ. وثالثها أنَّ اللذين نسبوا الشعر إلى العلاء من اللغويين، وقد يكون اهتمام اللغوي

(١) الوحشيات: ٢٣٤.

(٢) معجم البلدان ٢: ٧٦.

(٣) القسم الثاني: م (٢٢٩).

(٤) أسد الغابة ٢: ٢٩.

(٥) اللسان، والتاج: (دحس)، والتاج: (حنس).

بموضع الشاهد أكثر من الاهتمام بصاحب الشاهد. ورابعها أنَّ التشابه بين الاسمين ربما أوقع ابن منظور في الوهم أو أنَّ تحريفاً وقع على يد النساخ فصار الحضرمي بن عامر العلاء بن الحضرمي، ونقل الزبيدي عن اللسان هذا التحريف.

ومثل ذلك ما نجده من اضطراب بين حضرمي وبين عمرو بن معد يكرب في نسبة بيتين، هما (٧، ٨) من شعر عدته ثمانية أبيات، والبيتان هما:

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ
لَعَمْرُ أَيْيِكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ
فَكَانَ إِجْأَتِي إِيَّاهُ أَنِّي
عَطَفْتُ إِلَيْهِ خَوَّارَ الْعِنَانِ^(١)

ورجح لدينا في الشعر المنسوب إلى شعراء أسد وليس لهم أنَّ البيت (٨) ليس لحضرمي.^(٢) أما البيت (٧)، وهو شاهد نحوي، فنسب في كتاب سيبويه إلى عمرو بن معد يكرب وكذلك نسبه المبرد، والجاحظ، والهروي، والأعلم، وابن منظور إلى عمرو،^(٣) وقال الأعلام: «ويروى لسوَّار بن المضَرَّب».^(٤) ونسبه

(١) القسم الثاني: ق (٢٣٠).

(٢) انظر ص: ١٦٣-١٦٤.

(٣) انظر على التوالي سيبويه ٢: ٣٣٤، والكامل ٤: ٧٦، والبيان ١: ٢٢٨، والأزهية:

١٨٢، وشرح الأعلام ١: ٣٧١، واللسان (إلا).

(٤) شرح الأعلام ١: ٣٧١.

البحرزي، وابن السيرافي، والغندجاني، والبصري، إلى حضرمي.^(١) ونقل السيوطي الخلاف من نسبة البيت إلى خلاف في نسبة الأبيات الثمانية عندما أورد البيت الشاهد، وقال: «هذا لحضرمي بن عامر...، وقيل لعمر بن معد يكرب من أبيات أولها...»^(٢) وساق الشعر بأبياته الثمانية. أما البغدادي في الخزانة فحصر القضية في البيت الشاهد على نحو واضح حين قال: «وهذا البيت جاء في شعرين لصحابيين: أحدهما عمرو بن معد يكرب، أنشده الجاحظ في البيان والتبيين له، وكذا نسبه المبرد في الكامل، وصاحب جمهرة الأشعار وغيرهم، الثاني حضرمي بن عامر الأسدي: قال الآمدي في المؤلف والمختلف...»^(٣) وقال في شرح أبيات المغني بعد أن ذكر من روى البيت لعمر: «ولم أره في ديوانه»^(٤) وقال البكري: «والبيت لعمر بن معد يكرب، هكذا قال الجرمي في كتاب سيبويه. وقال أبو الحسن: هو لسوار بن المضرب، وقد نسب إلى عامر الأسدي الحضرمي، ولم يقع لنا فيما رويناه من شعر عمرو ابن معد يكرب»^(٥) أما الآمدي فذكر قولاً يفهم منه أنه وجد البيت لحضرمي في كتاب بني أسد، إذ قال بعد أن روى البيت مع ثلاثة أبيات من المقطعة

(١) انظر على التوالي حماسة البحرزي: ١٢٩، وشرح أبيات سيبويه ٢: ٤٦، والحماسة البصرية ٢: ٤١٨.

(٢) شرح شواهد المغني ١: ٢١٦.

(٣) الخزانة ٣: ٤٢٦.

(٤) شرح أبيات المغني ٢: ١٠٨.

(٥) فصل المقال: ٢٥٨.

لحضرمي: «وله في كتاب بني أسد أشعار وأخبار حسان».^(١) وقال الصغاني: «وهكذا أنشده سيبويه لعمرو، وليس له، وإنما هو لحضرمي بن عامر...».^(٢)

ومنه يمكننا الاطمئنان إلى نسبة البيت إلى حضرمي لا إلى عمرو للأسباب التالية، أولها أن البغدادي نظر في ديوان عمرو ولم ير هذا البيت فيه، وثانيها أن البكري روى شعر عمرو ولم يقع له هذا البيت فيه، وثالثها أن الصغاني نفى على نحو قاطع نسبة البيت إلى عمرو وأثبتها لحضرمي، ورابعها أن الآمدي وجد البيت لحضرمي في أشعار بني أسد، وخامسها أن أكثر من نسب البيت إلى عمرو من النحاة، والنحاة قد يهتمون بموضع الشاهد أكثر من الاهتمام بصاحب الشاهد، وإذا وقع وهم في نسبة الشاهد عند أحدهم، فقد يتناقلون عنه. ووقع اضطراب بين جريئة بن الأشيم الفقعسي والحصيف بن معبد العجلي في نسبة الأبيات التالية:

قَالُوا: أبا سَعْدٍ أَلَمْ تَعْرِفَهُمْ؟

ثَكَلْتُ جُرَيَّةَ أُمِّهِ مَنْ يَعْرِفُ

وَاللَّهُ مَا مَنَّوْا عَلَيَّ وَإِنَّمَا

مَنْتُ عَلَيَّ شَرَافٍ إِذْ تَحَرَّفُ

(١) المؤلف: ١١٦.

(٢) التكملة (الإ).

عَرَقْتُ وَأَنْجَيْ نَحْرُهَا وَكَأْنُهَا

خَلَفِي وَبَيْنَ يَدَيَّ عِجْلَةً مُخْلِِفٌ^(١)

إذ نسب أبو تمام البيتين (١، ٢) إلى حرية بن الأشيم، وكذلك نسب ابن الأعرابي البيتين (٢، ٣) والغندجاني البيت (٢) إلى حرية.^(٢) وقال التبريزي في شرحه على الحماسة عن رواية لأبي هلال: «وقال الحَصَف بن مَعْبَد العجلي، وهو الذي أنشده أبو تمام ونسبه إلى حرية، والصحيح أنَّ الحَصَف قال ذلك». ^(٣) وإذا رجعنا إلى خبر الأبيات كما رواها التبريزي عن أبي هلال نفسه وجدنا الخبر يقول: «وفي رواية أخرى: غزا النُّعْمَان بن بُجَيْر بن عابد العجلي، ويكنى أبا سَلْهَب، فلقي فقَعس بن طريف، ورئيسهم أَهْبَان بن عُرْفُطَة، فلما بصر بنو فقَعس بالخيل، قالوا: هذه غير عليها تمر، فابتدرتها خيلهم، فلحق بهم حُرَيَّة بن الأشيم، ويكنى أبا سعد، فلما رآهم رجع، واقتل القوم، فقتل أَهْبَان، قتله الحَصَف بن مَعْبَد...».^(٤)

ولعلنا نجد تناقضاً بين الخبر وبين نسبة الأبيات إلى الحصف، فالأبيات تصف فارساً فر على فرسه من المعركة، وهذه حال حرية، لا الحصف الذي انتصر في ذلك اليوم وقتل رئيس بني أسد، وفي البيت الأول ذكر واضح لأبي سعد وهي كنية حرية، أما الحصف فهو أبو سلهب، كما ذكرت رواية أبي هلال ذاتها.

^(١) القسم الثاني: م(٢٧٠). وفي البيت الثالث إقواء. وشراف: فرسه. وأنجى: عرق. والعجلة: المزايدة.

^(٢) انظر على التوالي شرح الحماسة للتبريزي ٢: ٢٧٣، وأسماء الخيل لابن الأعرابي: ٣٨، وأسماء الخيل للغندجاني: ٩٤.

^(٣) شرح الحماسة ٢: ٢٧٣.

^(٤) المصدر السابق.

لذلك لا يعتد بنسبة الشعر في هذه الرواية، وترجح نسبة الأبيات إلى حرية لأن سائر المصادر نسبتها إليه.

وقع اضطراب بين عقية بن هيرة الأسدي وعمر بن أبي ربيعة في نسبة هذا البيت:

مُعَاوِي، إِنَّنَا بَشَرٌ فَأَسْجَحْ

فَلَسْنَا بِالْجَبَالِ وَلَا الْحَدِيدِ^(١)

إذ نسب المرزوقي البيت إلى عمر بن أبي ربيعة،^(٢) ولم ينسبه إليه أحد غيره. والبيت شاهد نحوي روته كتب النحو منصوب القافية. وهو أول شعر مخفوض القافية منسوب لعقية، نسبه إليه ابن عبد ربه، والبكري، والأعلم الشنتمري، والسيوطي، وابن منظور، والبغدادي.^(٣) ونسب البيت مفرداً إلى عقية كل من الزجاجي، وابن جني، وابن برهان العكبري.^(٤) ولعل من الواضح أن البيت لعقية لا لعمر، لأن سائر المصادر أجمعت على نسبته إليه.

^(١) القسم الثاني: م (٢٨٠).

^(٢) الأزمدة ٢: ٣٨٧.

^(٣) انظر على التوالي العقد الفريد ٥: ٣١٩-٣٢٠، و١: ٥٢، وسمط اللآلي ١: ١٤٩، وشرح الأعلام ١: ٣٤، وشرح شواهد المغني ٢: ٨٧٠، واللسان (غمز)، والخزانة ٢: ٢٦٠، وشرح أبيات المغني ٧: ٥٣.

^(٤) انظر على التوالي شرح جمل الزجاجي ١: ٢٥٤، وسر صناعة الإعراب ١: ١٤٧، وشرح اللمع ١: ٦٠.

وثمة اضطراب بين الكميت بن ثعلبة وزُمَيْل بن أُمَيَّر الفَزَارِي في نسبه البيت
التالي:

ولا تُكْثِرُوا فِيهَا الضُّجَّاجَ فَإِنَّهُ

مَحَا السَّيْفُ مَا قَالَ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعًا^(١)

إذ نسبه البكري (ت ٤٨٧) إلى زُمَيْل بن أُمَيَّر الفَزَارِي،^(٢) ونسبه ابن منظور
إلى زميل، ثم قال: «قال ابن بري: الشعر للكميت بن معروف، وقال ابن
الأعرابي: هو للكميت بن ثعلبة الأكبر»،^(٣) ونسبه في موضع آخر إلى الكميت
ابن ثعلبة عن ابن الأعرابي وإلى الكميت بن معروف عن ابن السكيت.^(٤)

والبيت من قصيدة للكميت بن ثعلبة، وقيل للكميت بن معروف، قالها لما
قَتَلَ زَمِيلُ بن أُمَيَّر سَالِمَ بن دَارَةَ الغطفاني. وروى هذا الخبر والبيت مع أبيات من
القصيدة علماء كثر، منهم الجاحظ، وابن قتيبة، والسيرافي، والآمدي،
والمرزباني، والميداني، وابن حجر، والبغداددي.^(٥) فزُمَيْل قاتل سالم لا قاتل
الشعر، وأجمعت المصادر على ذلك واضطربت هذه المصادر في نسبة الشعر بين

(١) القسم الثاني: ق (٣٠٤)، البيت (١١).

(٢) السمط: ٦٨٩، والتنبيه: ٩٤، وفصل المقال: ٢٦.

(٣) اللسان: (دور).

(٤) اللسان: (قزع).

(٥) انظر على التوالي البيان والتبيين ١: ٣٨٩، والشعر والشعراء ١: ٤٠٢، وشرح أبيات
سيبويه ٢: ٢٧٢، والمؤتلف: ٢٥٧، ومعجم الشعراء: ٢٣٧-٢٣٨، ومجمع الأمثال ٢:
٢٧٩، والإصابة ٣: ٢٩٩، والخزانة ١١: ٣٨٩-٣٩٠. وانظر بقية المصادر التي نسبت
البيت إلى الكميت في تخريج المقطعة (٢٨٤).

الكميت الأكبر والكميت الأوسط، وسنعرض لهذه القضية في الحديث عن الشعر المضطرب النسبة داخل القبيلة.

ومن ذلك مايجده من اضطراب بين قرآن بن يسار الفقعسي وبين أنس بن مدرك الخثعمي وقيس بن الملوّح في نسبة البيت الأول من مقطعة عدتها أربعة أبيات لقرآن، والبيت:

لَزُرَّارُ لَيْلَى مِنْكُمْ آلُ بُرْثَنٍ

عَلَى الْهَوْلِ أَمْضَى مِنْ سُلَيْكِ الْمَقَانِبِ^(١)

إذ نسب ابن حبيب (ت ٢٤٥) البيت مع بقية أبيات المقطعة إلى قرآن، وذكر خبراً طويلاً في مناسبة الأبيات.^(٢) وكذلك نسب المرزباني والسيرافي البيت مع بيت آخر من المقطوعة إلى قرآن وذكرها خبرهما.^(٣) ونسب البيت مفرداً الأصفهاني والأعلم إلى قرآن.^(٤) ونسب ابن دريد البيت إلى أنس بن مدرك الخثعمي،^(٥) وعنه أخذ صاحب التاج هذه النسبة في مادة (سلك)، وكان قد نسبه في (برثن) عن سيويه إلى قيس بن الملوّح، وعن الجوهري إلى قرآن. ونسبه صاحب اللسان إلى قرآن في (سلك) و(برثن)، وعن كتاب سيويه إلى

(١) القسم الثاني: م (٣١١).

(٢) المحر (٢١٧).

(٣) معجم الشعراء: ٢٠٤، وشرح أبيات سيويه ١: ٦٠٤.

(٤) الأغاني ٢٠: ٣٨٣، وشرح الأعلام ١: ٣١٩. ونسب البيت إلى «فرار الأسدي»،

ولعله تصحيف.

(٥) جمهرة اللغة ١: ٣٢٣.

قيس بن الملوّح في (برثن). وإذا نظرنا في الكتاب وجدنا البيت دون نسبة.^(١) مما يشير إلى أن نسخة الكتاب التي اطلع عليها ابن منظور تختلف عن النسخ الخطية التي اعتمدت أصولاً للمطبوع من الكتاب.

وترجح نسبة البيت إلى قرآن لأسباب عديدة، أولها أن أغلب المصادر نسبت البيت إليه وسأقت الشعر الذي هو منه ومناسبته، أما الذين رروا البيت لغير قرآن فساقيه مفرداً، ومن يروي البيت في شعر ويذكر مناسبته يكون أكثر تثباً. وثانيها أن من نسب البيت إلى أنس أو قيس من النحاة، والنحاة قد يهتمون بموضع الشاهد أكثر من الاهتمام بصاحب الشاهد. وثالثها أن سيبويه لم ينسب شواهد وإنما النسبة من صنع تلامذته، فهم الذين نسبوا البيت إلى قيس لا سيبويه. ورابعها أن ابن منظور والزبيدي حين نسبا البيت إلى أنس أو قيس ذكرا ذلك رواية عن ابن دريد أو سيبويه، ونسباه إلى قرآن في مواضع أخرى.

وبالحديث عن بيت قرآن الأسدي ينتهي الحديث عما وقفت عليه من الشعر الأسدي الذي نسب إلى غيرهم وهو لهم. غير أن ثمة أشعاراً مضطربة النسبة بين شعراء أسد وبين غيرهم من شعراء القبائل، أعوزني الدليل الذي يقطع بأصحابها، لذلك أفرد لها حديثاً مستقلاً.

ت- الشعر المضطربة نسبته دون دليل يقطع بأصحابه:

قد يعجز الباحث المعاصر عن الفصل في نسبة بعض الشعر الذي اضطربت نسبته، أو يعجز عن ترجيح روايته لشاعر بعينه، ولا سيما في أشعار الجاهليين والمخضرمين، إذ تضطرب النسبة في بعض الأشعار اضطراباً شديداً، وتعدد

^(١) الكتاب ٢: ٢١٧.

روايات المناسبة التي قلت فيها، مما يزيد الأمر صعوبة على الباحث في توثيق هذه الأشعار.

ومن ذلك اضطراب بين الجميح ويزيد بن الطُّثْرِيَّة في نسبة البيتين التاليين:

لَوْ أَنِّي لَمْ أَنْلِ مِنْكُمْ مُعَاقِبَةً
إِلَّا السُّنَانَ لَذَاقَ الْمَوْتَ مَظْغُونُ
أَوْ لَاحْتَطَبْتُ، فَإِنِّي قَدْ هَمَمْتُ بِهِ

بالسَّيْفِ، إِنَّ خَطِيبَ السَّيْفِ مَجْنُونُ^(١)

إذ نسبهما الجاحظ في موضع من الحيوان إلى الجميح،^(٢) ونسبهما في موضع آخر من الكتاب نفسه إلى يزيد بن الطُّثْرِيَّة.^(٣) ولم أقف على البيتين في مصادر أخرى تفيد في ترجيح نسبتهما إلى أحد الشعارين. ومثل ذلك مايجده من اضطراب بين مضرّس بن ربيعي وبين أوس بن جِنَاء في نسبة هذا البيت:

إِذَا الْمَرْءُ أَوْلَاكَ الْهَوَانَ فَأَوْلِهِ
هَوَاناً وَإِنْ كَانَتْ قَرِيْباً أَوَاصِرُهُ^(٤)

إذ أورده الجاحظ أول بيتين، ثانيهما:

(١) القسم الثاني: م (١٤).

(٢) الحيوان ٦: ٢٤٥.

(٣) الحيوان ٣: ١٠٧.

(٤) القسم الثاني: ق (١٧٩)، البيت (٣٦).

وَلَا تَظْلِمِ الْمَوْلَى وَلَا تَضَعِ الْعَصَا

عَلَى الْجَهْلِ إِنَّ طَارَتْ إِلَيْكَ بَوَادِرُهُ^(١)

ونسبهما إلى «الأسدي». وورد البيت الثاني مع ثلاثة أبيات لمضرس في «المعمرين والوصايا» للسجستاني.^(٢)

ولم أقف على مصادر أخرى نسبت هذا البيت إلى مضرس أو إلى الأسدي. في حين روى أبو تمام البيت مع بيتين آخرين لأوس بن حُبَاء. والبيت مترابط المعنى بما قبله وما بعده في قصيدة مضرس، كما جاء مع أبيات من نسيجه في رواية أبي تمام.

وقد يجد المرء صعوبة في ترجيح نسبة البيت إلى أي من الشاعرين لأنَّ أبا تمام والجاحظ متعاصران.

ومن ذلك ما نجد من اضطراب بين مضرس وبين شبيب بن البرصاء وعوف ابن الأحوص والأعشى في نسبة قصيدة عدتها ستة وعشرون بيتاً، ومطلعها:

وَمُسْتَبِجٌ يَخْشَى الْقَوَاءَ وَدُونَهُ

مِنَ اللَّيْلِ سِجْفًا ظُلْمَةً وَسُتُورَهَا^(٣)

إذ ساق صاحب الحماسة البصرية اثنين وعشرين بيتاً منها، ونسبها إلى مضرس بن ربعي، وقال: «ومنهم من ينسبها إلى شبيب بن البرصاء، وقيل إنها

(١) البيان ٣: ٦١.

(٢) المعمرين والوصايا: ٣٣.

(٣) القسم الثاني: ق (١٨١). والقوَاء: الخالي من الأرض.

لعوف بن الأحوص».^(١) وأبيات القصيدة دائرة في مصادر كثيرة، واضطربت هذه المصادر في نسبتها بين شعراء أربعة، هم الثلاثة المذكورون والأعشى.^(٢) والذي خلصت إليه أن ثمة قصائد أربعاً لمضرس، وشبيب، وعوف، والأعشى، اختلطت على الرواة وتداخلت أبياتها، فقصيدا شبيب بن البرصاء التي أوردها أبو الفرج في الأغاني وعدتها (١٩) بيتاً،^(٣) نجد سبعة أبيات منها وردت في قصيدة مضرس، وهي الأبيات (٥، ٢، ١٤، ١٩، ٢٠، ٢٣، ٢٥). وأما قصيدة عوف بن الأحوص، وهي مفضلية عدتها (١٨) بيتاً،^(٤) فورد منها ثمانية أبيات في قصيدة مضرس، وهي الأبيات (١، ٢، ٣، ١٣، ١٢، ١٩، ٢٠، ٢٣). وأما قصيدة الأعشى، وهي في ديوانه وعدتها (٢٥) بيتاً،^(٥) فنجد منها أربعة عشر بيتاً في قصيدة مضرس، وهي الأبيات (٣، ١٣، ١١، ١٢، ١٥، ١٩، ٢١، ٦، ٧، ١٠، ٨، ١٦، ١٧، ١٨)، ومن هذه الأبيات ما نجده في مفضلية عوف أو قصيدة شبيب.

ونسب الحصري البيتين (١٦، ١٧) من القصيدة السابقة إلى مرة بن مخكان السعدي، وهما:

وَلَيْلٍ يَقُولُ النَّاسُ فِي ظُلُمَاتِهِ

سَوَاءٌ صَحِيحَاتُ الْعُيُونِ وَعُورُهَا

(١) الحماسة البصرية ٢: ٢٤٢.

(٢) انظر تخريج القصيدة (١٨١) من القسم الثاني.

(٣) انظر الأغاني ١٢: ٢٧٤-٢٧٥.

(٤) انظر شرح المفضليات: ٣٤٧-٣٥٣. والمفضليات: ١٧٦-١٧٧.

(٥) انظر ديوان الأعشى الكبير: ٣٧١-٣٧٣.

كَأَنَّ لَنَا مِنْهُ يُتَوَاتَرُ حَصِينَةً

مُسَوِّحًا أَعَالِيَهَا وَسَاجًا كُسُورُهَا^(١)

ولم ينسبهما غير الحصري إلى مرة، وقد وهم الحصري في هذه النسبة لأن المصادر الكثيرة أجمعت على نسبة البيت إلى مضر، ولم يتدخل إلا مع قصيدة الأعشى.

ووقع اضطراب بين ضرار بن الأزور والحصين بن الحمام المرّي في نسبة البيت التالي:

عَشِيَّةً لَا تُغْنِي الرِّمَاحَ مَكَانَهَا

وَلَا النَّبْلُ إِلَّا الْمَشْرِفِيُّ الْمُصَمَّمُ^(٢)

والبيت شاهد نحوي روي مرفوع القافية في كتب الشواهد وشروحها من شعر منسوب إلى ضرار، إذ نسبه إليه السيراقي، والغندجاني، والعيني، والبغدادى^(٣) كما نسبه إليه الطبري، وياقوت.^(٤) وروي منصوب القافية في مفضلية للحصين بن الحمام المري، وهو البيت العاشر فيها.^(٥) والبيت متمكن في

^(١) زهر الآداب ٢: ٧٥١-٧٥٢. والمُسَوِّح: واحدها مِسْح، وهو الْبِلَاسُ يُنْسَجُ من الشعر الأسود. والسَّاج: الطَّلِيسَانُ الْأَحْضَرُ.

^(٢) القسم الثاني: ق (٢٣٩)، البيت (٨).

^(٣) انظر على التوالي شرح أبيات سيويه ٢: ١٢٨، وفرحة الأديب: ١١٥، وشرح الشواهد الكبرى ٢: ١٤٧، والخزانة ٣: ٣١٩.

^(٤) انظر على التوالي تاريخ الطبري ٣: ٢٩٧، ومعجم البلدان ٤: ١٣٥.

^(٥) شرح المفضليات: ٦٥.

موضعه من القصيدتين، وقال البغدادي: «وقد جاء هذا البيت في شعرين، قافية أحدهما مرفوعة، وقافية الآخر منصوبة. والأول هو الشائع المستشهد به، وقد ورد في كتاب سيبويه مُغْفَلًا، ولم ينسبه أكثر شراح شواهد. والمنصوب جاء في قصيدة للحُصَيْن بن الحُمَام المُرِّي. أما الأول فهو لضرار بن الأزور الصحابي من قصيدة قالها في يوم الرُّدَّة...»^(١)

ولعل شهرة البيت لضرار وشيوعه في المصادر الكثيرة تعود إلى روايته بالرفع في شعره، وهو موضع الشاهد، وليست تلك الشهرة دليلاً على ترجيح نسبة البيت إليه، ولا يمكن الاطمئنان إلى ترجيح نسبة البيت إلى أي من الشاعرين، إلا إذا أخذنا باحتمال غير بعيد وهو استعارة أحدهما البيت من الآخر، وهذا أمر شائع بين الشعراء، وفي هذه الحال يكون البيت للحُصَيْن لأنه قال قصيدته يوم «دائرة موضوع»، وهو من أيام الجاهلية،^(٢) وقال لضرار قصيدته يوم الرُّدَّة.

ومثل ذلك ما نجده من اضطراب بين أبي المهوش وبين يزيد بن الصَّعِق الكلابي في نسبة مقطوعة عدتها ثلاثة أبيات، وأولها:

إِذَا مَآمَاتَ مَيِّتٌ مِّنْ تَمِيمٍ

فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِئٌ بِزَادٍ^(٣)

(١) الخزائن ٣: ٣١٨.

(٢) انظر مناسبة القصيدة في المفضليات: ٦٤.

(٣) القسم الثاني: م (٢٨٨).

إذ نسبها الجاحظ، ودعبل (ت ٢٤٦)، والبكري، إلى أبي المهوش.^(١)
 ونسبها المرزباني والجرجاني (ت ٤٨٢)، والبصري، إلى يزيد بن الصعق.^(٢)
 ونسبها ابن السّيد (ت ٥٢١) في موضع من شرحه على أدب الكاتب لأبي
 المهوش،^(٣) وقال في موضع آخر: «وهذا الشعر ليزيد بن الصّعق الكلابي، وذكر
 الجاحظ أنه لأبي المهوش الأسدي».^(٤) وساق البغدادي الأبيات وخبرها، ثم نقل
 مقاله ابن السّيد.^(٥) وقال ابن منظور: «وقال ابن بري (ت ٥٨٢): قيل إنّ هذا
 البيت لأبي المهوش الأسدي، وقيل ليزيد بن عمرو بن الصّعق، وهو
 الصحيح»:^(٦) ومثله قال صاحب التاج.^(٧)

وروى الأبيات وخبرها ولم ينسبها كل من ابن قتيبة، والمبرد، والأصفهاني،
 والعسكري، والنهشلي، والميداني.^(٨)

ولا غم لك الدليل الذي يقطع في صاحب هذا الشعر أو يرجح نسبته لأي من
 الشاعرين، فأقدم المصادر روت الشعر لأبي المهوش، غير أنّ القدم وحده ليس دليلاً

^(١) انظر على التوالي البيان ٣: ٣٢١، وطبقات الشعراء (مجلة المورد، العدد الثاني،
 ١٩٧٧): ١٣٢، والسمط ٢: ٨٦٣.

^(٢) انظر على التوالي معجم الشعراء: ٤٨٠، والكتايبات: ٧٣، والحماسة البصرية ٢: ٢٥٩.

^(٣) الاقتضاب ١: ١٠٥.

^(٤) الاقتضاب ٣: ٨.

^(٥) الخزنة ٦: ٥٢٧.

^(٦) اللسان: (لقم).

^(٧) التاج: (لفف).

^(٨) انظر على التوالي أدب الكاتب: ١٢، والكامل ١: ١٧١، والدرّة الفاعرة ١: ١٢٠،
 وجمهرة الأمثال ١: ١٢٢، والمتع: ٢٨٧، وجمع الأمثال ١: ١٨٧، و٣٩٥.

كافياً، ولا سيما أنَّ ابن السَّيد البطليوسي وابن بري صرفا نسبة الشعر عن أبي المهوش ونسباه إلى يزيد بعبارة قاطعة، وكلاهما عالم ثقة، وإن كانا متأخرين. هذا ما وقفت عليه من شعر مضطرب بين أسد وغيرها. ونعرض في الحديث التالي للشعر المضطرب بين الشعراء داخل القبيلة.

ثانياً- الشعر المضطربة نسبته بين الشعراء الأسديين:

ليس للحديث عن هذا الشعر أثر كبير على الأحكام التي قد تطلق على شعر القبيلة عامة، ذلك أنَّ هذا الشعر ثابت النسبة إلى أسد، مضطرب بين شعرائها، وإنَّما يفيدنا توثيقه في معرفة شعر كل شاعر بعينه، لتبين سماته الخاصة وخصائصه المميزة. لذلك نقصر حديثنا على أبرز ما وقع من اضطراب في تلك الأشعار، مكتفين بما ورد في التخريج للسير من ذلك الاضطراب.

ولعل أول شاعر في الذي جمعته من شعر الأسديين هو الجميع، وقد أخطأ النحاة في رواية بيت له، فركبوا صدره على عجز البيت الذي يليه، واضطرب بعضهم في نسبته، والبيت كما ورد في كتب الشواهد وشروحها:

حَاشَى أَبِي ثَوْبَانَ إِنَّ بِهِ

ضَنْباً عَنِ الْمَلْحَاةِ وَالشَّئْتُمِ

وهو صدر البيت (٤) وعجز البيت (٥) من مفضلية أصمعية للجميع،

والبيتان هما:

حَاشَى أَبَا ثَوْبَانَ إِنَّ أَبَا

ثَوْبَانَ لَيْسَ بِكَمَّةٍ فَدُمِ

عَمْرَو بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، إِنَّ بِهِ

ضَيْناً عَنِ الْمَلْحَاةِ وَالشَّئْتَمِ^(١)

وأشار إلى اضطراب النحاة في الرواية كل من ابن يعيش، والعيني، والسيوطي، والبغدادى.^(٢) ونسب المفضل، والأصمعي، والسيوطي، والصبان، والبغدادى، البيت إلى الجميح.^(٣) ونسب ابن منظور والزبيدي البيت إلى سَبْرَة ابن عمرو، وقال ابن منظور: «وهو منسوب في المفضليات للجميح الأسدي، واسمه منقذ بن الطماح».^(٤) وقال صاحب الدرر اللوامع: «والبيت نسبه تاج العروس لسيرة بن عمرو الأسدي، وليس بصحيح، بل هو من قصيدة للجميح، وهي من المفضليات».^(٥) والبيت للجميح لأن المصادر أجمعت على نسبته إليه.

ومن ذلك ما نجد من اضطراب بين هند بنت معبد بن فضلة وبنت خالد بن فضلة، وسيرة بن عمرو في نسبة «ثلاثة أبيات في رثاء خالد بن فضلة وعمرو بن مسعود، والبيت الأول منها شاهد نحوي، والأبيات:

^(١) شرح المفضليات: ٧١٨، والأصمعيات: ٢١٨. وهي القصيدة (١٣) في القسم الثاني. وقوله: «حاشا أبا ثوبان» تكون حاشا فعل. و«حاشى أبا ثوبان» تكون حاشا حرف.

^(٢) شرح المفصل ٨: ٤٧، وشرح الشواهد للعيني ٢: ١٦٥، وشرح شواهد المغني ١: ٣٦٨-٣٦٩. والخزانة ٣: ٨٩.

^(٣) انظر على التوالي شرح المفضليات ٧١٧، والأصمعيات: ٢١٨، وشرح شواهد المغني ١: ٣٦٩، وحاشية الصبان ٢: ١٦٥، والخزانة ٤: ١٨٢.

^(٤) اللسان (حشي).

^(٥) الدرر اللوامع ١: ١٩٦.

أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرِ بَنِي أَسَدٍ
 بَعْمُرٍ بِنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ
 فَمَنْ كَانَ يَغِيَابِ الْجَوَابِ فَإِنَّهُ
 أَبُو مَعْقِلٍ لَا حَجَرَ عَنْهُ وَلَا صَدَدُ
 أَثَارُوا بِصُحُرَاءِ الثَّوِيَّةِ قَبْرَهُ
 وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَنَاءَى بِهِ الْبَلَدُ^(١)

إذ نسبها الجاحظ (ت ٢٥٥) إلى امرأة من بني أسد،^(٢) ونسبها أبو مسحل
 الأعرابي إلى بنت خالد بن نضلة.^(٣) ونسبها ابن هشام (ت ٢١٨)، والبكري،
 والبغدادي، إلى هند بنت معبد بن نضلة.^(٤) أما ابن دريد (ت ٣٢١)، والجوهري
 (ت ٣٩٣)، والتبريزي، والبكري في السمط، فرووا الأبيات لسيرة بن عمرو.^(٥)
 ولم ينسب الأبيات كل من ابن الكلبي، والفراء، وابن السكيت، وابن حبيب،
 والفارابي، والقبالي، والأزهري، وأبي الطيب اللغوي، والسرقي، والمعري،

(١) القسم الثاني: م (٦٧).

(٢) البيان ١: ١٨٠.

(٣) النوادر ١: ١٢٢. وأبو مسحل من علماء القرن الثاني وأوائل القرن الثالث.

(٤) انظر على التوالي السيرة ١: ٥٧٢، ومعجم ما استعجم ٣: ٩٩٦، والخزانة ١١:

٢٦٩.

(٥) انظر على التوالي الجمهرة ٢: ٢٧٤، والصحاح (بحر)، وكتر الحفاظ: ٢٧٠،

و ٥٦٣، وسمط اللآلئ ٢: ٩٣٢-٩٣٣.

وابن سيده، والبطلوسي، وابن منظور، والزيدي.^(١)

وترجح نسبة الأبيات إلى إحدى المرأتين لأسباب عديدة، أولها أن مصادر القرنين الثاني والثالث نسبت الأبيات إلى هند بنت معبد، أو إلى بنت عمها بنت خالد بن نضلة، أو إلى امرأة من بني أسد. وثانيها أن ثمة لبساً في أسماء المغتالين أوقع بعض الرواة في الوهم، إذ ذكر ابن حبيب أن عمرو بن مسعود وخالد بن نضلة وفدا على المنذر الأكبر، وكان معهما سيرة بن عمرو الشاعر، وحبيب بن خالد، وروى قصة قتل المنذر عمراً وخالداً، ثم قال: «وقال الشاعر فيهما: (البيتين: ١، ٣)». ^(٢) ولم يذكر ابن حبيب اسم الشاعر، غير أن سياق الخبر يوهم أن القائل سيرة بن عمرو. وثالثها أن أقدم من نسب الأبيات إلى سيرة ابن دريد، وأغلب الظن أنه قد أخذ ذلك عن رواية ابن حبيب الموهمة، ولعل البكري نقل عنه، ومن ثم نقل التبريزي. ورابعها أن نسبة الأبيات اضطربت عند البكري فنسبها إلى سيرة في السمط، وإلى هند في معجمه. وخامسها أن الأبيات أشبه بمراثي الشواعر منها بمراثي الشعراء.

ومثل ذلك ما نجده من اضطراب بين عمرو بن مسعود وبين سيرة بن عمرو في نسبة هذا البيت:

أَيُّغِي آلَ شَدَّادٍ عَلَيْنَا

وَمَا يُرْغَى لِشَدَّادٍ فَصِيلٌ^(٣)

^(١) يمكن النظر في تخريج المقطوعة (٦٧).

^(٢) أسماء المغتالين: ١٣٣-١٣٤.

^(٣) القسم الثاني: م (١١٥).

إذ نسب المرزباني (ت ٣٨٤)، والتبريزي (ت ٥٠٢) البيت مع بيت آخر إلى عمرو بن مسعود.^(١) ونسب المرزوقي (ت ٤٢١)، والزبيدي البيت إلى «رجل من بني فقعس».^(٢) ونسب ابن منظور البيت إلى سيرة بن عمرو الفقعسي.^(٣) ومن الجدير بالملاحظة أن نسبة البيت إلى «رجل من بني فقعس» لا ترجح نسبته إلى سيرة الفقعسي، لأن ثمة خلطاً واضطراباً في كتب اللغة والأدب في نسبة الشعراء إلى بطون القبيلة الواحدة، والشاهد على ذلك حاضر أماناء، فالمرزباني والتبريزي اللذان نسبا الشعر إلى عمرو بن مسعود، نسبا عمراً إلى بني فقعس،^(٤) وعمرو مالكي أسدي.^(٥) ومن غير المستبعد أن يكون المرزوقي في نسبته البيت إلى فقعسي أراد عمرو بن مسعود، آخذاً هذا الوهم عن سابقه المرزباني. أما الزبيدي فمتأخر أخذ عن سابقيه الذين أجمعوا على نسبة البيت إلى شاعر فقعسي.

وترجح نسبة البيت إلى عمرو بن مسعود لسببين، أولهما أن أقدم المصادر روته له، وثانيها أن من نسبته لعمرو ساقه مع بيت آخر، أما الذي رواه لسيرة فرواه مفرداً، والذي يروي البيت في شعر يكون أكثر تثبتاً ممن يرويه مفرداً. ومن ذلك ما نجد من اضطراب بين هفان بن همّام وأهبان بن خالد وأسدية في نسبة شعر عدته تسعة أبيات، ومنه:

(١) معجم الشعراء: ٢٧، وشرح الحماسة ١: ٢٣٥.

(٢) شرح الحماسة ١: ٢٣٩-٢٤٠، والتاج (رغا).

(٣) اللسان (رغا).

(٤) انظر معجم الشعراء: ٢٧، وشرح الحماسة ١: ٢٣٦.

(٥) انظر جمهرة النسب ١: ٢٥٩.

خَلِيلِيَّ غُوجَا إِنَّهَا حَاجَةٌ لَنَا
 عَلَى قَبْرِ هَمَّامٍ سَقَتَهُ الرِّوَاءُ عِدُّ
 وَضَعْنَا الْفَتَى كُلَّ الْفَتَى فِي حَفِيرَةٍ
 بِحُرَيْنَ قَدْ رَاحَتْ عَلَيْهِ الْعَوَائِدُ
 صَرِيحاً كَنَصْلِ السَّيْفِ تَضْرِبُ حَوْلَهُ
 تَرَائِبُهُنَّ الْمُغُولَاتُ الْفَوَائِدُ^(١)

فقد نسبها أبو الفرج لهفان بن همّام بن نضلة، قالها في رثاء أبيه،^(٢) ونسبها البصري إلى أهبان بن همّام بن نضلة،^(٣) ونسب الآمدي أبياتاً منها إلى أهبان بن خالد بن نضلة، قالها في رثاء رجل من بني أسد.^(٤) ونسب المرزباني بيتين منها مع بيت آخر لعمر بن أهبان بن دثار الفقعسي.^(٥) ونسب الميرد (ت ٢٨٦) الأبيات إلى أعرابي.^(٦) واضطربت النسبة عند أبي تمام (ت ٢٢٨)، فنسب الأبيات (١، ٣، ٦) إلى امرأة من بني أسد،^(٧) ونسب الأبيات (٤-٧) إلى «ابن

(١) القسم الثاني: ق (٨١).

(٢) الأغاني ٦ : ٨١.

(٣) الحماسة البصرية ١ : ٢٥٢-٢٥٣.

(٤) المولف والمختلف : ٣٤.

(٥) معجم الشعراء : ٢٧.

(٦) الكامل ٤ : ٤٠.

(٧) شرح الحماسة للمرزوقي ٢ : ٩٧٦-٩٧٧، والتريزي ٣ : ٢٣-٢٤.

أهبان الفقعسي يرثي أخاه»^(١) ولعلنا نلاحظ أنَّ البيت (٦) ورد في الحماسيتين منسوباً لشاعرين.

وتستبعد نسبة الشعر إلى الأسدية، وإن كانت «الحماسة» وهي أقدم المصادر، نسبته إليها لسببين، الأول اضطراب الحماسة في نسبتها بين الأسدية وبين ابن أهبان، والثاني أنَّ هذا الرثاء لا يشاكه شعر النساء، وليست بعض معانيه مما يرد في مرثيهم، ولا سيما في الأبيات الثلاثة المثبتة هنا. وبذلك ينحصر الاضطراب بين ابن همام الذي يرثي أباه وبين أهبان أو ابن أهبان الذي يرثي أخاه.

ووقع اضطراب في اسم ابن همام، فقال الأصفهاني هو «هفَّان بن همام»، وقال البصري هو «أُهبان بن همام»، ويرجح ما ذكره الأصفهاني لأسباب أولها أنَّه أقدم من البصري، وثانيها أنَّه ساق خيراً يؤيد صحة نسبته، فقال: «طلب المنصور حماداً الراوية.. فلما مثل بين يديه، قال له: أنشدني شعر هفَّان بن همام ابن نضلة يرثي أباه، فأنشده: (الأبيات)»^(٢) في حين اكتفى البصري بالقول: «وقال أهبان بن همام بن نضلة الأسدي، جاهلي: (الأبيات)»^(٣) وثالثها أنَّه لا يمكن الاطمئنان إلى ما ينسبه البصري أو يرويه لما نلمس في حماسه من عدم الثبوت أو الدقة في مواطن كثيرة.

ونلمس ضعفاً يدفع إلى بعض الشك في رواية الشعر لابن أهبان، فأبو تمام الذي نسب أبياتاً منها إليه، لم يذكر اسمه ولا نسبه، واكتفى بالقول: «قال ابن

(١) المرزوقي ٣: ١٠٦٥-١٠٦٦، والتريزي ٣: ٨٥-٨٦.

(٢) الأغاني ٦: ٨٠-٨١.

(٣) الحماسة البصرية ١: ٢٥٢.

أهبان الفقعسي يرثي أخاه»^(١) كما أنه كان قد نسب أبياتاً من الشعر نفسه إلى امرأة أسدية، مما يضعف الثقة بما ذكره. ومَرَضَ المرزباني عبارته في نسبة الشعر إلى ابن أهبان حين قال: «عمرو بن أهبان بن دثار الفقعسي. جاهلي، يقول: (بيتاً من الشعر). ويروى له: (الأبيات)»^(٢). فالمرزباني نسب الأبيات إليه رواية. أما عبارة الآمدي في نسبه الشعر إلى أهبان بن خالد فكانت صريحة جازمة، إذ قال: «أهبان بن خالد بن نضلة الأسدي، قال يرثي هماماً رجلاً من بني أسد. وكان يقال لأهبان النّواح لحسن مراثيه: (الأبيات)»^(٣).

وفي نسبة الآمدي الشعر إلى أهبان بن خالد بن نضلة وجه ترجيح ملحوظ، فشاعره، كما يروي، شاعر النّواح في بني أسد، والأبيات في رثاء عمه «همّام ابن نضلة»، ولم يتنبه الآمدي إلى ذلك حين قال: «يرثي هماماً رجلاً من بني أسد». غير أنه لا يمكن التغافل عما رواه الأصفهاني من نسبة الأبيات إلى هِفّان ابن همّام بن نضلة، لأنها في رثاء أبيه.

وبذلك يظل التنازع في نسبة الشعر قائماً بين هِفّان بن همّام يرثي أباه بمرثية حسنة، وهو شاعر لا نعرف شيئاً عن شعره، وبين أهبان بن خالد يرثي عمه بجيد الرثاء، وهو شاعر اشتهر بهذا الفن وبرع فيه.

ومثل ذلك ماوقع من اضطراب بين خالد بن نضلة وبين عدد من الشعراء في نسبة مقطعة عدتها ستة أبيات، وأولها:

(١) شرح الحماسة للمرزوقي ٣: ١٠٦٥، والتبريزي ٣: ٨٥.

(٢) معجم الشعراء: ٢٧.

(٣) المولف والمختلف: ٣٤.

لَعَنَرِي لَرَفُطُ الْمَرْءِ خَيْرٌ بَقِيَّةُ

عَلَيْهِ وَإِنْ عَالُوا بِهِ كُلَّ مَرَكَبٍ^(١)

وأقدم المصادر التي روت الأبيات مصادر القرن الثالث، إذ نسب الجاحظ في الحيوان الأبيات (١، ٢، ٣، ٦)، وفي البيان البيت (٣)، إلى خالد بن نضلة.^(٢) وروى أبو تمام الأبيات (١، ٢، ٣) ولم ينسبها.^(٣) كما روى البيت (٣)، ولم ينسبه، ابن السكيت، وابن قتيبة.^(٤)

وفي القرن الرابع نسب المرزباني الأبيات (١، ٣، ٤) إلى الكميث بن زيد.^(٥) ونسبها التبريزي، (وهو من علماء القرن الخامس) إلى دودان بن سعد.^(٦) أما في القرن السادس فنسب الجواليقي أبياتاً منها إلى مالك أو الحارث ابن سعد بن ثعلبة،^(٧) ونسب البطليوسي الأبيات نفسها عن ابن السكيت إلى «زُرارة بن سُبَيْع الأسدي»، وقال: «وذكر الجاحظ أنه لخالد بن نضلة الجَحَوَّاني من بني أسد»^(٨) وإذا عدنا إلى الإصلاح نجد أنَّ ابن السكيت أورد البيت الثالث ولم ينسبه مما يدل على أنَّ النسخة الخطية التي أخذ عنها البطليوسي تختلف عن النسخ الخطية التي اعتمدت في المطبوع من الإصلاح. وفي القرن السابع نسب

(١) القسم الثاني: م (٨٢).

(٢) الحيوان ٣: ١٠٣، والبيان ٣: ٢٥٠.

(٣) شرح الحماسة للمرزوقي ١: ٣٥٨، والتبريزي ١: ٣٣٥.

(٤) إصلاح المنطق: ١١٢، وأدب الكاتب: ٢٨٧.

(٥) معجم الشعراء: ٢٣٩.

(٦) تهذيب الإصلاح: ٢٥٤.

(٧) شرح أدب الكاتب: ٢٨١.

(٨) الاقتضاب ٣: ٢٢٢.

صاحب الحماسة البصرية البيت الأول إلى «زُرَافَة بن سُبَيْع الأسدي»، وقال: «وتروى لخالد بن نضلة الجحواني الأسدي»^(١) فنقل عبارة البطليوسي، ومنها نستشف أنَّ البصري أخذ نسبته عن البطليوسي ولحقها التحريف على يد النساخ فصارت «زُرَافَة» بدل زُرارة». ونجد الحسن اليوسي، وهو متأخر (ت ١١٠٢)، قد عاد في نسبة الأبيات إلى المصادر الأقدم فنسبها إلى خالد بن نضلة.^(٢)

ولعلنا نلاحظ أنه ليس ثمة اضطراب في نسبة الأبيات في مصادر القرن الثالث إذ نسبها الجاحظ إلى خالد، وأهملت المصادر الأخرى نسبتها. وإنما وقع الاضطراب في القرن الرابع وماتلاه.

وترجع نسبة الأبيات إلى خالد بن نضلة لأنَّ مصادر القرن الثالث نسبتها إليه ومن الجدير بالذكر أنَّ العلامة الميمني، قال في ذيل اللآلي عن نسبة البيت الرابع: «رواه الجاحظ لأَم بعض أصحاب عمرو بن العاص في خبر».^(٣) والخبر في المحاسن والأضداد، وفيه «وذكروا أنَّ فتى من مراد كان يختلف إلى عمرو بن العاص، فقال له ذات يوم: ألك امرأة؟ قال: لا. قال: تزوج وعلي المهر، فرجع إلى أمه فأخبرها الخبر، فقالت:

إِذَا حَدَّثْتُكَ النَّفْسُ أَنَّكَ قَادِرٌ

عَلَى مَاحَوَاتِ أَيْدِي الرِّجَالِ فَكَذَّبِ»^(٤)

(١) الحماسة البصرية ٢: ٥٦.

(٢) زهر الأكم ١: ٢٤٢.

(٣) ذيل اللآلي: ٢٤.

(٤) المحاسن والأضداد: ٧١.

والذي أرادَه الجاحظ أنَّ الأم تمثلت بهذا البيت، وللعلامة الميمني عذره في هذا الوهم فعبارة الجاحظ موهمة.

ووقع اضطراب بين عرفطة بن الطَّمَاح ومنقذ بن أهبان في نسبة هذين البيتين:

بِأَهْلِي مَنْ تَرَكْتُ وَلَمْ يُوسَّدْ
بِقُفِّ إِرَابٍ وَأَنْطَلَقُوا سِرَاعًا
وَعَادَعْتُ الْمَنِيَّةَ عَنْكَ سِرًّا
فَلَا جَزَعَ الْأَوَانَ وَلَا رُوعَا^(١)

إذ نسب أبو زيد (ت ٢١٥) البيتين في شعر إلى عُرْفُطَةَ بن الطَّمَاح،^(٢) وكذلك نسب البكري البيت الأول إلى عرفطة.^(٣) ونسب المرزباني البيت الأول إلى مُنْقِذِ بن أَهْبَانَ الأَسَدِي.^(٤) وأورد ياقوت والزبيدي خبر يوم إراب، ثم قالاً: «وقال منقذ بن عرفطة يرثي أخاه أهبان، وقتلته بنو عجل يوم إراب: (البيتين)». ^(٥) ولعل الزبيدي نقل الشعر وخبره عن ياقوت. ولعل ما قاله ياقوت يصحح ما ذكره المرزباني، وإن كان متأخراً عليه، فليس الشاعر ابن أهبان، وإنما ابن عرفطة، والمرثي أخوه أهبان بن عرفطة. ومنه يكون الاضطراب

(١) القسم الثاني: م (٩٤).

(٢) النوادر: ٣٦٧-٣٦٨.

(٣) الأفعال ٣: ٥٢٥، ومعجم ما استعجم ١: ١٣٣.

(٤) معجم الشعراء: ٣٢٩.

(٥) معجم البلدان ١: ١٣٤، والتاج: (أرب).

محصوراً بين عرفطة بن الطماح الذي يرثي ولده أهبانا، وبين منقذ بن عرفطة الذي يرثي أخاه أهبانا.

وترجح نسبة البيتين إلى عرفطة لسبين، أولهما أنَّ أبا زيد وهو من علماء القرن الثاني رواهما له وساق الرثاء الذي منه البيتان. وثانيهما أنَّ معاني سائر الأبيات تدل على أنَّها رثاء والد في ولده لا أخ في أخيه.^(١)

ووقع اضطراب بين حذلم وبين أبي الربيع بن لقيط في نسبة هذين البيتين:

شَرَى الْكَرْشُ عَنْ طُولِ التَّجَنِّي أَخَاهُمْ

بِمَالٍ كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعُوا شِعْرَ حَذَلَمٍ

إِذَا اخْتَلَبُوهَا نَمَّ حُلَّتْ وَطَابَهَا

إِلَى أَهْلِهَا جَاءَتْ بِمِلءٍ مِنَ الدَّمِّ^(٢)

إذ نسب أبو تمام (ت ٢٢٨) البيتين إلى حذلم.^(٣) وروى البحري البيت الأول مع هذا البيت:

شَرَوْهُ بِحُمُرٍ كَالصُّخُورِ وَأَجْذَمُوا

عَلَى الْعَارِ مَنْ لَمْ يُنْكِرِ الْعَارَ يُحْذَمِ

وساق مناسبته ونسبته، فقال: «وقال أبو الربيع بن لقيط يعير الكميث بن معروف بقبول دية كان قبلها، وكانت قبيلة الكميث تلقب بالكرش:

^(١) انظر المقطوعة (٩٤) من القسم الثاني.

^(٢) القسم الثاني: م (١١١). والوطاب: مفردا وطَب، وهو سقاء اللَّبَن.

^(٣) الوحشيات: ٧٩.

(البيتين)». (١) وقبول الدية هذه كان في عهد بني أمية، وعيّرهم فيها بعض الشعراء، فقد ذكر البغدادي أنه «حدث في زمن عبد الملك بن مروان شرٌّ بين بني رباب وبين بني الكميت بن ثعلبة، فقتل ذِيَال بن مقاعس الرّيابي عبيد الله ابن صخر، أخا الميدان، فعرض الدية على بني الكميت فقبلوا، فقال في ذلك عبد الرحمن بن دارة يعيّر آل الكميت:...» (٢).

وترجح نسبة الأبيات لأبي الربيع، لأن حذلم جاهلي، (٣) والحدث الذي استدعى قول الأبيات وقع في عهد بني أمية، ومنه لا يصح أن يكون الشعر لحذلم. أما أبو الربيع فهو شاعر أموي بدليل الخبر نفسه. ووقع اضطراب بين أنيف بن مُخَارِق ومُثَلِّح بن طريف الأعيوي في نسبة البيتين التاليين:

أَصْبَحْتُ بَعْدَ رَبِيعَةَ بِنِ مُكْدَمٍ
غَرَضًا بِصَرْدَحَةِ لَمَنْ رَامَانِي
فَلَا رَمَيْتُهُمْ بِرَغْمٍ أَنْوَفِهِمْ
جَهْدِي عَلَى عَوَزِي مِنَ الْفَتَيَانِ (٤)
وأقدم من روى البيتين أبو تمام، ولم ينسبهما. (٥) ونسبهما الخالديان إلى

(١) الحماسة: ١٥.

(٢) الخزائن ١١: ٣٩٥. والكميت بن ثعلبة جد الكميت بن معروف.

(٣) هو حذلم بن فقّس، أبرحي من أسد.

(٤) القسم الثاني: م (١١٧).

(٥) الوحشيات: ٣٥.

أُتِفَ بن مُخَارِق. ^(١) وساق المرزباني البيتين مع بيت ثالث، هو:

مَا لِلْأَلَى فَرِحُوا بِقَتْلِ مُغَلِّسٍ

وَمُضَرِّسٍ لَا جُمُعُوا بِمَكَانٍ

ونسبها إلى مُلِيح بن طريف الأعيوي الأسدي. ^(٢) والبيتان حسب رواية

الخالدين لا يصح أن ينسبا إلى مليح، لأن ربيعة بن مكدّم فارس جاهلي، ^(٣)

ومليح بن طريف على الأرجح شاعر إسلامي، والقرينة على ذلك قوله:

بَرِئْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ صَاحِبٍ

أَصَاحِبُهُ إِلَّا حِمَاسَ بَنِ ثَامِلٍ ^(٤)

فالبراءة إلى الرحمن معنى إسلامي لانجده عند الجاهليين. ولم نقف على خبر أو

قرينة تدل على أن مُلِيحاً أو صاحبه حِمَاسَ بن ثامل جاهليان، فننقض ما رجحناه.

غير أن البيت الأول في رواية أبي تمام والمرزباني ليس فيها ذكر لابن مكدّم،

وإنما الرواية عندهما:

أَصْبَحْتُ بَعْدَ مُغَلِّسٍ وَمُضَرِّسٍ

غَرَضاً بِصَرْدَحَةِ لِمَنْ رَأَمَانِي ^(٥)

^(١) الأشباه والنظائر ٢: ٣٣٧.

^(٢) معجم الشعراء: ٤٤٣-٤٤٤.

^(٣) انظر أعباره في الأغاني ١٦: ٥٦ وما بعدها.

^(٤) أدب الخواص: ٨٠.

^(٥) الرحشيات: ٣٥، ومعجم الشعراء: ٤٤٣.

ولا نعلم يقيناً من أراد الشاعر بمغّلس ومضرّس. وفي هذه الرواية يظل الاضطراب في نسبة الشعر قائماً.

وثمة احتمال وهو أن الشاعر ربما أراد بمغّلس ومضرّس مغّلس بن لقيط ومضرّس بن ربعي، فإذا كان في هذا الشعر رثاء لمضرّس بن ربعي وهو شاعر مخضرم فالأبيات لمليح، ترجيحاً لا قولاً فصلاً، لأننا من جهة أخرى لا نملك دليلاً على جاهلية أنيف إلا رثاء ربيعة بن مكّدم، فإذا لم نعتمد رواية الخالدين للبيت الأول سقط الدليل على جاهلية أنيف.

ووقع اضطراب بين عُركز وعركة الأسديين في نسبة هذا البيت:

تُبَرِّدُ مَاءَ الشَّنِّ فِي لَيْلَةِ الصَّبَا

وَتَسْقِيَنِي الْكُرْمُورَ فِي حَرٍّ آجِرٍ^(١)

إذ نسبه الأزهري إلى «عُركز الأسدي»،^(٢) ونسبه ابن منظور إلى «عركة الأسدي».^(٣)

وترجح نسبة البيت إلى عركز لسبيين، أولهما أن أقدم المصدرين نسبه إليه. وثانيهما أننا لم نقف على شاعر أسدي اسمه عركة إلا في هذا الموضع، ولعل تصحيفاً لحق باسم «عركز» على يد نساخ اللسان فصار عركة. وعُركز هو ابن الجُمَيح بن الطَّمَاح.^(٤)

(١) القسم الثاني: م (١٢٥).

(٢) تهذيب اللغة ١١ : ٣٩.

(٣) اللسان: (نجر).

(٤) انظر الاشتقاق: ٥٥٧.

ومثل ذلك ما نجد من اضطراب بين بشر بن أبي خازم وبين سَهْم الأسدي في نسبة شعر عدته سبعة أبيات، وأوله:

فَسَائِلُ عَامِرٍ وَبَنِي تَمِيمٍ

إِذَا الْعِقْبَانُ طَارَتْ لِلْقِرَاعِ^(١)

إذ نسب الشمشاطي الأبيات إلى سهم الأسدي، فقال: «قال سهم الأسدي وحمل على بشر بن أبي خازم: (الأبيات)». ^(٢) والأبيات في ديوان بشر، وهي من قصيدته الثالثة والعشرين، ^(٣) خلا البيت الثالث الذي لم يرد في الديوان، وهو:

فَصَبَّحْنَا الْجِفَارَ يُثِرْنَ نَقْعًا

بِكُلِّ قَرَارَةٍ وَبِكُلِّ قَاعٍ

ولم نقف على مصدر يؤيد ما ذهب إليه الشمشاطي أو يعارضه. ووقع اضطراب بين مضر بن ربيعي وأشعث بن معروف الأسدي في نسبة هذا البيت:

فَلَاقَى ابْنَ أُثَيٍّ يَتَنَزِّي مِثْلَ مَا ابْتَغَى

مِنَ الْقَوْمِ، مَسْقِيَّ السَّمَامِ حَدَائِدُهُ^(٤)

^(١) الأنوار ١: ١٥٢-١٥٣.

^(٢) المصدر السابق. والشمشاطي من علماء القرن الرابع.

^(٣) ديوان بشر: ١٠٩-١١٢، وهي الأبيات (١١، ١٢، ١٤، ١٧، ١٨، ١٩).

^(٤) القسم الثاني: م (١٧٤)، البيت (٦). والسَّمَام: مفردها سَم.

والبيت شاهد نحوي ورد في كتاب سيبويه «لآخر من بني أسد».^(١) ونسبه السيرافي (ت ٣٨٥) في شعر إلى مضرّس.^(٢) ونسبه الأعلام مفرداً إلى أشعث بن معروف.^(٣) وترجع نسبة البيت إلى مضرّس لسبيين، الأول أن أقدم المصدرين نسبه إليه. والثاني أن الذي نسبه إلى مضرّس رواه في شعر، أما الذي نسبه إلى أشعث فرواه مفرداً.

وثمة اضطراب بين مضرّس ومغلّس وعامر بن لقيط في نسبة الأبيات التالية:

لَعَمْرُكَ إِنِّي لَوُ أَخَاصِمُ حَيَّةٌ
إِلَى فَقْعَسٍ مَا أَنْصَفْتَنِي فَقْعَسُ
فَلَا تَجْعَلَنَّ الْأَرْضَ لِيلاً فَإِنِّي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ حَيَّتِي حِينَ تَلَمَسُ
إِذَا قُلْتُ مَاتَ الدَّاءُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
سَعَى حَاطِبٌ مِنْهُمْ لِأَخِرٍ يَقْبِسُ
فَمَالَكُمْ طُلُساً إِلَيَّ كَأَنَّكُمْ
ذُنَابُ الْغَضَا وَالذُّنُبُ بِاللَّيْلِ أَطْلَسُ^(٤)

إذ نسب الجاحظ (ت ٢٥٥) في الحيوان الأبيات (١، ٣، ٤) إلى مضرّس بن

(١) الكتاب ٢: ٤٥.

(٢) شرح أبيات سيبويه ١: ٤٥٢-٤٥٣.

(٣) شرح الأعلام ١: ٢٣٩.

(٤) القسم الثاني: م (١٨٧). والأطلس: من الذناب الذي في لونه غبرة إلى السواد.

لقيط،^(١) ونسبها في البيان إلى الأسدي.^(٢) ونسب الزمخشري (ت ٥٣٨) البيتين (١، ٢) إلى مضرّس.^(٣) ونسب البحتري (ت ٢٨٦) الأبيات (١، ٢، ٤) مع أبيات ثلاثة أخرى إلى عامر بن لقيط الفقعسي.^(٤) وكذلك نسب الراغب الأصفهاني (ت ٤٠٣) البيتين (١، ٤) إلى عامر.^(٥) وروى المعري (ت ٤٤٩) البيت الأول للأسدي،^(٦) والرابع للفقعسي.^(٧) ونسب ابن قتيبة (ت ٢٧٦) البيت (٤) إلى مغلّس بن لقيط.^(٨)

ولا ترجّح نسبة المعري البيت إلى الفقعسي لأي من الشعراء الثلاثة، لأنهم جميعاً من بني فقعس.

ولعلنا نلاحظ أن الاختلاف في نسبة الأبيات وقع في مصادر القرن الثالث للهجرة، وهي أقدم المصادر التي روت الأبيات، ولعل الزمخشري أخذ نسبته عن الجاحظ، وأخذ الراغب عن البحتري، ولم يأخذ عن ابن قتيبة أحد.

وترجح نسبة الأبيات إلى مضرّس لأسباب عديدة، أولها أن أقدم مصدرين هما الجاحظ وابن قتيبة، ونسب الجاحظ ثلاثة أبيات منها إلى مضرّس، ونسب

(١) الحيوان ٤: ١٥١. كذا نسبه الجاحظ، وهو مضرّس بن ربيعي بن لقيط.

(٢) البيان والتبيين ٢: ١٦٠.

(٣) المستقصى ١: ٢٣٢.

(٤) الحماسة: ٢٤٠. ولم تثبت من أبياتها إلا ما نسب إلى مضرّس أو مغلّس، أما ما

انفردت به الحماسة فلم تثبته لأننا لم نتيين عصر عامر بن لقيط.

(٥) محاضرات الراغب ١: ١٧٤.

(٦) رسائل أبي العلاء: ١٩٠.

(٧) شرح سقط الزند ٣: ١٣٥٧.

(٨) المعاني الكبير ١: ١٨٧.

ابن قتيبة بيتاً واحداً إلى مغلّس، ومن يروي أبياتاً قد يكون أكثر تثبتاً ممن يروي بيتاً واحداً. وثانيها أن مغلّساً كان شريفاً في قومه، عرف بالحلم والكرم،^(١) لذلك من المستبعد أن يظلمه قومه ويعاتبهم هذا العتاب المرّ. وثالثها أن التشابه بين اسم الشاعرين قد يوقع في الوهم أو السهو وأغلب الظن أن ابن قتيبة نسب البيت إلى مضرّس ووقع سهو أو تحريف من النساخ فنسب إلى «مغلّس بن لقيط» بدلاً من «مضرّس بن لقيط».^(٢) ورابعها أن الجاحظ الذي نسب الشعر إلى مضرّس أقدم من البحزّي الذي نسبته إلى عامر بن لقيط. وخامسها أننا لم نقف على شعر أو ذكر لشاعر فقعسي يسمى «عامر بن لقيط» إلاّ ما ذكره البحزّي في هذا الموطن من الحماسة، والراغب في ذلك الموطن من المحاضرات، ولا يستبعد أن يكون ثمة سهو أو تحريف في نسبة البحزّي الأبيات إلى «عامر ابن لقيط الأسدي الفقعسي»^(٣) بدلاً من «مضرّس بن لقيط الأسدي الفقعسي». ومثل ذلك ما نجده من اضطراب بين مضرّس وعمرو بن شأس في نسبة ثلاثة أبيات من قصيدة لمضرّس وأولها:

وَلَمْ أَرْ لَيْلَى بَعْدَ يَوْمٍ تَعَرَّضَتْ

لَهُ دُونَ أَبْوَابِ الطَّرَافِ مِنَ الْأَدَمِ^(٤)

إذ ورد هذا البيت والبيتان (٥، ٩) من القصيدة في كتاب سيبويه، وشرح

(١) مقدمة الحيوان: ٢٥.

(٢) انظر الخزانة ٥: ٣٠٣.

(٣) الحماسة: ٢٤٠.

(٤) القسم الثاني: ق (١٩٣)، البيت (١).

الأعلم منسوبة إلى عمرو بن شأس، والبيتان هما:

كِلَابِيَّةٌ وَبُرِّيَّةٌ حَبْرِيَّةٌ

نَأْتُكَ وَخَانَتْ بِالْمَوَاعِيدِ وَالذَّمُّ

أُنَاساً عِدَى عُلِقَتْ فِيهِمْ وَلَيْتَنِي

طَلَبْتُ الْهَوَى فِي رَأْسِ ذِي زَلَقٍ أَشَمٌ^(١)

ونسب السيرافي الشعر إلى مضرّس، وقال: «وجدت هذا الشعر في الكتاب منسوباً إلى عمرو بن شأس ولم أحده في شعره.. والشعر لمضرّس بن ربعي الأسدي.. وهذه الأبيات الثلاثة ليست متوالية في شعره. وأول القصيدة:

وَلَمْ أَرْ لَيْلَى بَعْدَ يَوْمٍ تَعَرَّضَتْ

لَهُ دُونَ أَبْوَابِ الطَّرَافِ مِنَ الْأَدَمِ

(وبعده ثمانية أبيات من أول القصيدة)». ^(٢) ونسب ياقوت الأبيات الثلاثة

الأولى من المقطوعة التي أوردتها السيرافي إلى مضرّس. ^(٣) كما نسب الغندجاني البيت (٥) إليه نقلاً عن السيرافي. ^(٤)

وترجح نسبة الأبيات إلى مضرّس لأسباب عديدة، أولها أن السيرافي لم يجد الأبيات في ديوان عمرو ووجدتها في ديوان مضرّس، وروى الشعر الذي منه

^(١) الكتاب ٢: ١٥١-١٥٢، وشرح الأعلام ١: ٢٨٨-٢٨٩.

^(٢) شرح أبيات سيويه للسيرافي ١: ٤٥٥.

^(٣) معجم البلدان ٣: ٧٠.

^(٤) فرحة الأديب: ٩٤.

الآيات، وهي متمكنة في موضعها من هذا الشعر. وثانيها أن ياقوتاً نسب الشعر إلى مضرّس، وكان ديوان مضرّس في حوزته.^(١) وثالثها أن سيبويه لم ينسب شواهد، وإنما النسبة كانت من صنع بعض تلامذته. ورابعها أن الأعلام نسب الشعر إلى عمرو عن كتاب سيبويه، ولأنه نخوي قد يهتم بموضع الشاهد أكثر من الاهتمام بصاحب الشاهد لم يدقق في أمر هذه النسبة.

ومن العجيب أن الدكتور الجبوري أورد الآيات التسعة عن السيرافي إلى عمرو بن شأس في شعر عمرو الذي جمعه.^(٢) ولم ينسبها السيرافي ولا غيره إلى عمرو، وإنما انحصر الاضطراب في الآيات الثلاثة فحسب. ومن ذلك ما نجد من اضطراب بين مضرّس، وعَبَّاد بن أَنف الكلب، وعمرو بن شأس، في نسبة الآيات التالية:

وَعَاذِلَةَ تَخْشَى الرَّدَى أَنْ يُصَيِّنِي
تَرَوْحُ وَتَغْدُو بِالْمَلَامَةِ وَالْقَسَمِ
تَقُولُ هَلَكْنَا، إِنْ هَلَكْنَا وَإِنَّمَا
عَلَى اللَّهِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ كَمَا زَعَمُ
فَلِإِنِّي أَحِبُّ الْخُلْدَ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ
وَكَاخُلْدٍ عِنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَلَمْ أَذُمَّ^(٣)

(١) انظر معجم البلدان ٥ : ٢٩، و٣ : ٣٩٢.

(٢) شعر عمرو بن شأس: ١٠٣-١٠٤.

(٣) القسم الثاني: ق (١٩٣)، الآيات (١٠، ١١، ١٢).

إذ نسبها أبو تمام إلى عبادة بن أنف الكلب.^(١) ونسبها المرزباني إلى مضرّس،^(٢) وكذلك نسب ياقوت البيتين (١، ٢) مع بيتين آخرين إلى مضرّس.^(٣) ونسب السرقسطي البيت (٢) إلى عمرو،^(٤) وكذلك نسب ابن منظور والزبيدي والبغدادى البيتين (١، ٢) إلى عمرو،^(٥) وقال البغدادى «وبيت عمرو بن شأس روي لمضرّس».^(٦)

وترجح نسبة الأبيات إلى مضرّس لأسباب ثلاثة؛ أولها أن أبا تمام (ت ٢٢٨) وهو أقدم من روى الأبيات، ونسبها إلى عبادة، لم يأخذ عنه أحد هذه النسبة. وثانيها أنه في القرن الرابع نسبها المرزباني (ت ٣٨٤) إلى مضرّس، ونسب السرقسطي (ت في حدود ٤٠٠) بيتاً مفرداً منها إلى عمرو، والسرقسطي لغوي. أما المرزباني فكتابه في تراجم الشعراء، إذ يترجم للشاعر ويروي له أبياتاً قليلة من أشهر أشعاره. فضلاً عن أنه روى الأبيات الثلاثة لا بيتاً مفرداً. وثالثها أن ياقوتاً روى البيتين في شعر لمضرّس، وسبقت الإشارة إلى أن شعر مضرّس كان في حوزته، مما جعلنا نثق بروايته في عزو الأبيات.

ومثل ذلك ما نجد من اضطراب بين فضالة بن شريك وابنه عبد الله بن

(١) الوحشيات: ٦٩، وفي الاسم تحريف وهو عبّاد بن أنف الكلب لا عبّادة.

(٢) معجم الشعراء: ٣٠٧.

(٣) معجم البلدان ٣: ٤٦٣.

(٤) الأفعال ٣: ٤٥٢.

(٥) انظر على التوالي اللسان والتاج (زعم)، والخزانة ٩: ١٣٢، وحاشية على شرح بانث

سعاد ١٠٨-١٠٩.

(٦) الخزانة ٩: ١٣٣.

فضالة وعبد الله بن الزبير في نسبة ستة أبيات من قصيدة لفضالة، وهي:

أَقُولُ لِغُلَمَاتِي شُدُّوا رِكَابِي
أَجَاوِزُ بَطْنِ مَكَّةَ فِي سَوَادِ
فَمَالِي حِينَ أَقْطَعُ ذَاتَ عِرْقِ
إِلَى ابْنِ الْكَاهِلِيَّةِ مِنْ مَعَادِ
أَرَى الْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي حُبَيْبِ
نَكِيدَنَّ وَلَا أُمَيَّةَ بِالْبِلَادِ
مِنَ الْأَعْيَاصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبِ
أَغْرُ كَغُرَّةِ الْفَرَسِ الْجَوَادِ
سَيُذِنَنِي لَهُمْ نَصُّ الْمَطَايَا
وَتَعْلِيْقُ الْأَدَاوَى وَالْمَزَادِ
وَوَظْهَرُ مُعَبَّدٍ قَدْ أَعْلَمْتُهُ
مَنَا سِيْمُهُنَّ طُلَاعَ النَّجَادِ^(١)

والقصيدة في هجاء عبد الله بن الزبير، إذ روى الأصفهاني عن المدائني (ت ٢٢٨) أن عبد الله بن فضالة وفد على عبد الله بن الزبير، فلم يعطه شيئاً،

^(١) القسم الثاني: ق (٢١٢). وابن الكاهلية: عبد الله بن الزبير. وأبو حبيب: ابن الزبير. والأعياص: أولاد أمية. ونص المطايا: رفعها في السير وحملها على الإسراع.

فانصرف من عنده، وأنشد الأبيات،^(١) ثم نسب هذا الشعر عن ابن حبيب (ت ٢٤٥) إلى فضالة، وزاد فيه بقية أبيات القصيدة، فقال: «وذكر ابن حبيب في هذه الرواية أن القصيدة التي ذكرتها عن المدائني في خير عبد الله بن فضالة ابن شريك مع ابن الزبير كانت مع فضالة وابن الزبير لا مع ابنه، وذكر الأبيات وزاد فيها: (بقية أبيات القصيدة)».^(٢)

واضطربت نسبة الأبيات الستة السابقة في مصادر كثيرة بين فضالة وابنه عبد الله، إذ نسب الأبيات إلى فضالة كل من ابن الكلبي، والبلاذري، والمرزباني، والسيرافي، والبصري. ونسبها إلى ابنه عبد الله كل من ابن برهان الأسدي، والميداني، وابن مَن الله القروي وابن أبيك الصفدي، والبغداددي، وقال: «وذكر أنها لفضالة».^(٣)

كما روي الخبر والأبيات الأربعة الأولى لعبد الله بن الزبير الأسدي، نسبها إليه كل من الكتاب لسيبويه، وابن الشجري، والحصري، والأعلم، والزنجشري، وابن عساكر، والبغداددي عن الحصري.^(٤)

وفي شرح المفصل لابن يعيش خلط بين الشاعرين، إذ نسبت الأبيات فيه إلى «عبد الله بن الزبير بن فضالة بن شريك الوالي».^(٥) ولعل ثمة سقطاً في الكلام، والصواب «عبد الله بن الزبير أو ابن فضالة بن شريك».

^(١) الأغاني ١: ١٦، و١٢: ٧١-٧٢.

^(٢) الأغاني ١٢: ٧٧-٧٨. وانظر بقية الأبيات في القصيدة (٢١٢) من القسم الثاني.

^(٣) انظر تخريج القصيدة (٢١٢).

^(٤) انظر التحريج.

^(٥) شرح المفصل ٢: ١٠٤.

وساق ابن حجر الخبر عن الأغاني بروايته فنسبه إلى فضالة وإلى ابنه، ثم قال: «وقيل إن القصة كانت بين معن بن أوس وابن الزبير»^(١). وترجح نسبة الأبيات إلى فضالة بن شريك لأسباب أولها أن الاضطراب وقع في نسبة الأبيات من القصيدة أما سائر أبياتها فخالصة النسبة إلى فضالة، وهذه الأبيات متمكنة في موضعها من القصيدة. وثانيها أن مصادر القرنين الثالث والرابع روت الأبيات لفضالة. مع الملاحظة بأن سيويه (ت ١٨٠)، ونسبت الأبيات في كتابه إلى ابن الزبير، لم يكن ينسب شواهد. ومن ذلك ما نجده من اضطراب بين فضالة بن شريك، وأيمن بن خريم، وعبد الله بن الزبير، والكميت بن معروف، في نسبة أربعة أبيات، في رثاء يزيد ابن معاوية، وهي:

وَأَنَّكَ لَوْ شَهِدْتَ بُكَاءَ هِنْدٍ
وَرَمَلَةَ إِذْ تَصُكُّانِ الْخُدُودَا
رَيْمَتْ بِكُلِّ مُعْوَلَةٍ تُكُولِ
أَبَانَ الدَّهْرُ وَاحِدَهَا الْفَقِيدَا
رَمَى الْحَدَثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ
بِفَقْدَانِ سَمَدَنْ لَهُ سُمُودَا

(١) الإصابة ٣: ٢٠٨.

فَرَدَ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بِيضاً

وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبِيضَ سُوداً^(١)

فابن قتيبة، والمرزباني، نسبها إلى فضالة.^(٢) ونسبها البلاذري، والخوارزمي، وابن عساكر، إلى أيمن بن حريم.^(٣) ونسبها ابن منقذ في «المنازل» إلى أيمن، ونسب بيتين منها في «البديع» إلى عبد الله بن الزبير.^(٤) وكذلك نسبها إلى عبد الله بن الزبير كل من أبي تمام، وابن المعتز، والحصري، وابن رشيق، وأبي الطاهر التميمي، وابن أيك الصفدي، والعيّني، والعباسي، والبغدادي، والزبيدي.^(٥) ونسبها القالي إلى الكميّ بن معروف.^(٦)

وتستبعد نسبة الأبيات إلى الكميّ لسببين، أولهما أن القالي انفرد بهذه النسبة، ولم يأخذها أحد عنه مما يضعف الثقة بها، وثانيها أن المصادر الأقدم وهي مصادر القرن الثالث اضطربت في نسبتها بين شعراء ثلاثة ليس الكميّ منهم.

والشعراء الثلاثة، فضالة، وأيمن، وعبد الله، أمويو الهوى، لذلك لا يمكننا ترجيح نسبة الأبيات إلى أيّ منها استناداً إلى هواه السياسي. وإنما ترجح نسبتها

^(١) القسم الثاني: م(٢١٤). والسُّود: الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه.

^(٢) عيون الأخبار ٣: ٦٧، ومعجم الشعراء: ١٧٧.

^(٣) انظر على التوالي أنساب الأشراف ٤: ١٥٧، ومقتل الحسين ١: ١٧٨، وتهذيب

تاريخ دمشق ٣: ١٨٩.

^(٤) انظر المنازل والديار ٢: ٣٢٥، والبديع: ٧٨.

^(٥) انظر تخرّيج المقطوعة (٢١٤) من القسم الثاني.

^(٦) أمالي القالي ٣: ١١٥.

إلى عبد الله بن الزبير لأن أغلب المصادر روتها إليه، ومنها مصدران من مصادر القرن الثالث وهما أبو تمام وابن المعتز.

ووقع اضطراب بين ضرار بن الأزور، وبين بشر بن قُطَبة الفقعسي، وبين معقل بن جَوْشَن الأسدي في نسبة بعض أبيات المقطوعة التالية:

لَعَمْرُكَ مَا أَهْلُ الْأَقِيدَاعِ بَعْدَ مَا
بَلَّغْنَا دِيَارَ الْعَرَضِ مِنِّي بِمَلْحَقِ
نُقَاتِلُ مِنْ أَبْنَاءِ بَكْرِ بْنِ وائِلِ
كَتَابَ تَرْدِي فِي حَدِيدٍ وَيَلْمَقِ
أَرِقْتُ بِيَانِقِيَا وَمَنْ يَلْقَ مِثْلَ مَا
لَقِيتُ بِيَانِقِيَا مِنَ الْجُرْحِ يَأْرِقِ
أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ خَوَّدَ رَأْسَهَا
مَكَانَكَ لَمَا تُشْفِقِي حِينَ مُشْفَقِ
مَكَانَكَ حَتَّى تَنْظُرِي عَمَّ تَنْحَلِي
عَمَائِيَّةُ هَذَا الْعَارِضِ الْمُتَأَلَّقِ
وَكُونِي مَعَ النَّالِي سَبِيلَ مُحَمَّدٍ
وَإِنْ كَذَبَتْ نَفْسُ الْمُقْصِرِ فَاصْطَدِيقِي

إِذَا قَالَ سَيْفُ اللَّهِ: كُروا عَلَيْهِمْ

كَرَرْنَا وَلَمْ نَخْفِ بِقَوْلِ الْمَعُوقِ^(١)

إذ نسب أبو تمام البيتين (١، ٢) لبشر بن قُطبة الفقعسي في الوحشيات،^(٢) ونسبهما البكري إلى ضرار بن الأزور.^(٣) ونسب أبو تمام البيتين (٤، ٥) في الحماسة «لآخر من بني أسد، قالها يوم اليمامة»،^(٤) ونسبهما البحتري إلى معقل بن جوشن الأسدي، ولم يذكر مناسبتهم،^(٥) أمّا الزمخشري فنسب البيت الرابع منها إلى ضرار بن الأزور.^(٦) وزاد التبريزي في شرح الحماسة على البيتين (٤، ٥) البيتين (٦، ٧)،^(٧) وروى العبيدي البيتين (٦، ٧) إلى «رجل من بني أسد».^(٨) أما البيت الثالث فلم ينسب إلا إلى ضرار، نسبة إليه البلاذري، والعسكري، وذكرنا أنه قاله بعد أن نزل جيش خالد الحيرة، وصالح أهلها ولم يقاتلوا، ثم قال البلاذري: «وقال الواقدي اجتمع عليه عند أصحابنا أن ضراراً قتل باليمامة».^(٩) وكذلك نسبة ياقوت إلى ضرار، وقال: «وذكر اسحاق بن بشير أبو حذيفة فيما قرأته بخط أبي عامر العبدري بإسناده إلى

(١) القسم الثاني: م (٢٣٦).

(٢) الوحشيات: ٧١.

(٣) معجم ما استعجم ١: ١٨١.

(٤) شرح الحماسة للتبريزي ١: ٣٤٣.

(٥) حماسة البحتري: ١٠.

(٦) المستقصى ٢: ١٢٥.

(٧) التبريزي ١: ٣٤٤.

(٨) التذكرة السعدية: ٩٩-١٠٠.

(٩) انظر على التوالي فتوح البلدان: ٣٤٣، والأوائل ١: ٢١٩.

الشعبي: أن خالد بن الوليد سار من الحيرة.. فلما نزل بانقيا على شاطئ الفرات قاتلوه ليلة حتى الصباح، فقال في ذلك ضرار بن الأزور الأسدي: (البيت)»^(١).
ولعل رواية المقطعة نتفاً وذكر مناسبتين لهذه التتف يوهم بأنها من شعرين قيل أحدهما يوم اليمامة وثانيهما يوم بانقيا، وما إخال الأمر كذلك، وإنما يرجح أنها من شعر واحد^(٢) لشاعر أسدي كان في جيش خالد فذكر بلاءه في حرب المرتدين من قومه، لما ذكر «الأقيدا» في البيت الأول، وهو موضع من ديار أسد، ثم ذكر بلاءه يوم اليمامة، فليلة بانقيا. وترجح نسبة الأبيات إلى ضرار لأنه شهد هذه المشاهد كلها وأحسن فيها البلاء. أما ما رواه البلاذري عن الواقدي من أن ضراراً قُتل باليمامة، فإن أغلب المؤرخين يخالفون الواقدي في ذلك ويمضون بأخبار ضرار إلى فتوحات الشام حيث قتل بأجنادين.^(٣)
ومثل ذلك ما نجد من اضطراب بين أبي السَّمال وعبيد بن الأبرص في نسبة هذين البيتين:

أُبْلِغْ جُذاماً وَلَحْماً إِن عَرَضْتَ بِهِمْ
وَالْقَوْمُ يَنْفَعُهُمْ عِلْمٌ إِذَا عَلِمُوا
بِأَنْكُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِخْوَتَنَا
إِذَا تُقْسِمَتِ الْأَرْحَامُ وَالنَّسَمُ^(٤)

(١) معجم البلدان ١: ٣٣٢.

(٢) من القرائن على ذلك أن البلاذري أورد البيتين الأول والسابع معاً.

(٣) انظر ترجمة ضرار في القسم الثاني: ٣٧٤ وما بعدها.

(٤) القسم الثاني: ق (٢٧٧)، البيتان (١، ٢).

إذ وردا في ديوان عبيد، وذهب المستشرق ليال إلى أنهما من الشعر المتهم
لصبغتهما الإسلامية.^(١) ونسبهما مصعب الزبيدي (ت ٢٣٦) والبلاذري
(ت ٢٧٩) في شعر إلى أبي السَّمَال.^(٢)

وترجح نسبة البيتين إلى أبي السَّمَال لسببين، أولهما أنه لا يصح أن يكونا
من شعر عبيد وفيهما ذكر لكتاب الله، أما أبو السَّمَال فشاعر مخضرم شهد
الإسلام وأسلم. وثانيهما أن مصادر القرنين الثاني والثالث نسبتهما إلى أبي
السَّمَال مع أبيات أخرى.

ووقع اضطراب بين عُقَيْبَةَ بن هُبَيْرَة وبين عبد الله بن الزُّبَيْر في نسبة هذا
البيت:

مُعَاوِيَ إِنَّنَا بَشَرٌ فَأَسْجَحْ

فَلَسْنَا بِالْجَبَالِ وَلَا الْحَدِيدِ^(٣)

والبيت شاهد نحوي روته كتب الشواهد منصوباً، وهو أول أبيات ستة
مخفوضة القافية لعُقَيْبَةَ بن هُبَيْرَة أجمعت المصادر الكثيرة على نسبتها إليه.^(٤) وقد
روى البغدادي الشعر لعقيبة، ثم ذكر أن البيت الشاهد روي منصوباً لعبد الله
ابن الزُّبَيْر مع بيت آخر، وهو:

^(١) ديوان عبيد: ١٢٠.

^(٢) انظر على التوالي نسب قریش: ٩، وأنساب الأشراف ١: ٣٧.

^(٣) القسم الثاني: م (٢٨٠)، البيت (١).

^(٤) انظر تخریج المقطوعة (٢٨٠).

أَدِيرُوهَا يَنِي حَرْبٍ عَلَيْكُمْ

وَلَا تَرْمُوا بِهَا الْغَرَضَ الْبَعِيدَا

وقال: «وهذا الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدي. قالوا: وليس ينكر أن يكون بيت من شعرين معاً، لأن الشعراء قد يستعير بعضهم من كلام بعض، وربما أخذ البيت بعينه ولم يغيره». ^(١) ثم ذكر رواية أخرى، فقال: «وقيل: إنه من شعر آخر لعبد الله بن الزبير الأسدي، وهو:

رَمَى الْخَدَّانِ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ

بِمَقْدَارِ سَمْدَنْ لَهُ سُـمُودَا

فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بِيضَا

وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبِيضَ سُـودَا

فَإِنَّكَ لَوْ سَمِعْتَ بُكَاءَ هُنْدٍ

وَرَمْلَةٍ إِذْ تَصُكُّانِ الْخُدُودَا

سَمِعْتَ بُكَاءَ بَاكِيةٍ حَزِينٍ

أَبَانَ الدَّمْرُ وَاحِدَهَا الْفَقِيدَا

مُعَاوِيَ إِنَّنَا بَشَرٌ فَأَسْجَحْ

فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَدِيدَا

(١) الخزانة ٢: ٢٦٢.

ولا يخفى أن هذا البيت أجني عن هذه الأبيات، ويدل عليه: أن أبا تمام أنشد هذه الأبيات لمن ذكرنا في باب المراثي من الحماسة، دون البيت الأخير، ولم يذكره أحد من شراحه»^(١).

وترجح نسبة البيت إلى عقيبة لأسباب عديدة، أولها أن المصادر الكثيرة أجمعت على نسبته إليه. وثانيها أن البغدادي نفى كون البيت من شعر ابن الزبير الذي ساقه في الرواية الثانية. وثالثها أن البغدادي نسب البيت بعبارة قاطعة إلى عقيبة مع الشعر الذي هو منه وذكر مناسبتة وترجم لعقيبة، ثم ذكر رواية تنسبه إلى ابن الزبير مع بيت آخر. ورابعها أن البيت أجني عن بيت ابن الزبير الذي روي معه مما يدل على أنهما من شعرين مختلفين.

ومثل ذلك ما نجده من اضطراب بين أبي المهوش وبين البراء بن ربيعي في نسبة هذه الأبيات:

وَمُعَصَّبٍ قَطَعَ الشَّتَاءَ وَقُوْتُهُ

أَكَلُ الْعُجَى وَتَكَسُّبُ الْأَشْكَادِ

رُفِعَتْ لَهُ قِدْرُ الضُّيُوفِ فَمَا امْتَدَى

إِلَّا بِدَاعِي الْحَيِّ فِي الْإِقَادِ

فَبَدَأَتْهُ بِالْمَحْضِ ثُمَّ نَتَيْتُهُ

بِالشَّحْمِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ وَزِيَادٍ^(٢)

(١) الخزائن ٢: ٢٦٤.

(٢) القسم الثاني: م (٢٨٧).

إذ نسب أبو عمر الشيباني (ت ٢٠٦)، وأبو الطيب اللغوي (ت ٣٥٠) البيت الأول، وابن منظور البيهقي (١، ٣)، إلى أبي المهوش^(١) ونسب التبريزي البيهقي (١، ٢)، والزبيدي البيت الأول، إلى البراء بن ربيعي^(٢) وأورد الجوهري، والسرقي البيت الأول، ولم ينسباه^(٣).

ويلاحظ أن البيت الثاني خلصت نسبته إلى البراء بن ربيعي، وأن البيت الثالث خلصت نسبته إلى أبي المهوش. ووقع الاضطراب في نسبة البيت الأول. غير أن الأبيات الثلاثة مترابطة في المعنى مما يرجح أنها من شعر واحد، ومنه ترجح نسبة الأبيات الثلاثة إلى أبي المهوش لأن مصادر القرنين الثاني والرابع نسبت البيت الأول إليه.

ومن ذلك ما نجد من اضطراب بين الكميته بن ثعلبة الأكبر والكمية بن معروف الأوسط في نسبة قصيدة عينية، مطلعها:

مَنْ مُبْلِغٌ عَلِيًّا مَعْدٍ وَطِيًّا

وَكِنْدَةَ مَنْ أَصْغَى لَهَا وَتَسَمَّعَا^(٤)

وسبب هذا الشعر أن سالم بن دارة الغطفاني الثعلبي هجا زُمَيْلَ بن أُبَيْرَ الفزاري وذكر أمه، وتعرف بأم دينار، فحلف زُمَيْلُ ألا يغسل رأسه حتى يقتله، فلقبه في طريق المدينة فضربه بالسيف حتى قتله وفخر بذلك. فحكى الكمية

(١) انظر على التوالي الجيم ٢: ٣١٢، والإبدال ١: ٣٨٩، واللسان (عجا).

(٢) كنز الحفاظ: ٥١٦-٥١٧ والتاج (عجا).

(٣) الصحاح (عجا)، والأفعال ٢: ٣٢٦.

(٤) القسم الثاني: ق (٣٠٤).

هذه الحكاية في قصيدته وسخر من بني ثعلبة قوم سالم فقال لهم إن قتل زميلٍ
سالمًا محاً جميع ما هجا به فزاره.

وروى البغدادي القصيدة بتمامها عن ضالة الأديب للغندجاني مع خبرها
للكميت بن ثعلبة، ونقل عن الغندجاني قوله: «وقد أخطأ أبو عبد الله بن
الأعرابي في هذا الشعر من جهتين: أولاهما أنه نسب هذا الشعر إلى الكميت
ابن معروف، وهو للكميت بن ثعلبة. والكميت بن ثعلبة مخضرم وهو جد
كميت بن معروف».^(١) وروى ياقوت الأبيات (١، ٣) للكميت بن ثعلبة.^(٢)
واضطربت نسبة الأبيات التالية في المصادر بين الكميتين (١، ٣، ٥، ٦،
٨، ٩، ١١)، أما باقي أبيات القصيدة فخلصت نسبتها إلى الكميت بن ثعلبة.
إذ نسب أبياتاً من هذا الشعر لابن معروف أبو تمام، والجاحظ وابن قتيبة،
وابن حبيب، والبحرزي، والآمدي، والسيرافي، والتبريزي، والسهيلي،
والزحخشري، والبصري، وابن حجر، والعيثي.

ورجح المرزباني نسبة الشعر لابن معروف، إذ رواه عن أبي عبيدة
(ت ٢١٠) للكميت بن ثعلبة، وقال: «وغير أبي عبيدة يروي هذه الأبيات
للكميت بن معروف، وهو أولى بالصواب». ونسب ابن منظور والزبيدي
الأبيات، عن ابن الأعرابي (ت ٢٣١) إلى ابن ثعلبة، وعن ابن السكيت
(ت ٢٤٤) إلى ابن معروف. ونسب العسكري، والمعري، والميداني،
والقلقشندي، أبياتاً منها إلى الكميت،^(٣) دون ذكر لأي منهم، والكميت ثلاثة.

^(١) الخزائن ١١: ٣٩١.

^(٢) معجم البلدان ٤: ٢٠٧.

^(٣) انظر تخريج القصيدة (٣٠٤) من القسم الثاني.

وبذلك نجد الاضطراب الشديد بين الكميتين في نسبة هذا الشعر على نحو يصعب الفصل فيه أو الترجيح، فإذا كان الأسود الغندجاني، وهو عالم بصير، يروي الشعر بتمامه لابن ثعلبة، وينفي على نحو قاطع نسبته لابن معروف، وكان من قبل قد نسبه أبو عبيدة (ت ٢١٠) لابن ثعلبة، فإن عدداً غير قليل من العلماء نسبوا أبياتاً من هذا الشعر لابن معروف، وروى بعضهم خبر الأبيات نفسه.

ومن ذلك ما نجده من اضطراب بين ضرار بين الأزور وبين جَعْفُونَة بن مَرْثَد في نسبة هذين البيتين:

يَنِي أَسَدٍ قَدْ سَاعَنِي مَا فَعَلْتُمْ
وَلَيْسَ لِقَوْمٍ حَارِثُوا اللَّهَ مُحَرِّمُ
فَلَانِي وَإِنْ عَيْبَتْكُمْ عَلَيَّ سَفَاهَةٌ

حَنِيفٌ عَلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ وَمُسْلِمٌ^(١)

إذ نسبهما ابن حجر لجَعْفُونَة بن مَرْثَد الأسدي، قالها لما ادعى طليحة النبوة.^(٢) والبيت الأول منهما مطلع قصيدة لضرار، رواها الغندجاني والبغدادي، كما روى السيرافي البيتين (١، ٢) من القصيدة لضرار.^(٣) وترجح نسبة البيت الأول إلى ضرار لأن المصادر أجمعت على نسبته إليه.

(١) القسم الثاني: م (٣٥٤).

(٢) الإصابة ٦: ٢٦٢.

(٣) انظر على التوالي فرحة الأديب: ١١٤-١١٥، والخزانة ٣: ٣١٩، وشرح أبيات سيبويه ٢: ١٢٨، وهي القصيدة (٢٣٩) في الديوان.

وترجح نسبة البيت الثاني إلى جَعْفُونَة لأنه لم يرد في قصيدة ضرار، ولم ينسب لغير جَعْفُونَة. وثمة احتمال هو أن البيت الأول مطلع شعريين أحدهما لضرار، وثانيهما لجَعْفُونَة وضاع شعر جعفونة ولم يصل منه إلا هذان البيتان.
ووقع اضطراب بين زَرِّ بن حُبَيْش وأَيْمَن بن خُرَيْم في نسبة هذا الرجز:

إِذَا الرَّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادُهَا
وَارْتَعَشَتْ مِنْ كِبَرِ أَكْبَادُهَا
وَجَعَلَتْ أَسْقَامُهَا تَعْتَادُهَا
تِلْكَ زُرُوعٌ قَدْ ذَنَّا حَصَادُهَا^(١)

إذ نسبها الطبري إلى زَرِّ بن حُبَيْش أو أَيْمَن بن خريم، وقال: «كان عامل معاوية على المدينة إذا أراد أن يبرد بريداً إلى معاوية أمر مناديه فنادى: من له حاجة يكتب إلى أمير المؤمنين، فكتب زَرِّ بن حُبَيْش أو أَيْمَن بن خريم كتاباً لطيفاً ورمى به في الكعب، وفيه: (الرجز)». ^(٢) ونسبها البلوي (ت ٦٠٤) إلى زَرِّ، وقال: «إن زَرّاً هذا عاش مائة وعشرين سنة، فلما أدركه الوفاة أنشد يقول: (الرجز)». ^(٣)

وترجح نسبة الأبيات إلى زَرِّ لأسباب أولها أن الطبري اضطرب في نسبتها بين زَرِّ وأَيْمَن، أما البلوي فنسبها إلى زَرِّ بعبارة جازمة. وثانيها أن الخبر الذي

^(١) القسم الثاني: م (٣٥٥).

^(٢) تاريخ الطبري ٥: ٣٣٥.

^(٣) ألف با ٢: ١٨٦.

ساقه الطيري لا يتفق ونسبة الشعر إلى أيمن، فليس أيمن ممن سكنوا المدينة، وإنما هو من الأسديين الذين انحازوا إلى معاوية وسكنوا الشام، وكان من جلساء معاوية.^(١) ويتفق سياق الخبر ونسبة الشعر إلى زرّ، فهو كوفي علوي من القراء، خرج من الكوفة إلى المدينة، فأقام فيها، يأخذ عن صحابة رسول الله ﷺ، وعمر طويلاً.^(٢)

وبالحديث عن رجز زرّ نصل إلى نهاية الحديث عن الشعر الأسدي المضطرب النسبة. غير أن ثمة أشعاراً متهمّة منحوّلة إلى شعراء أسد نتحدث عنها.

ثالثاً- المتهم من أشعار أسد:

يقف الناظر في شعر أسد على بعض الأشعار المصنوعة المفتعلة، منها ما هو سقيم مرذول، ومنها ما هو ذو صبغة إسلامية منسوب إلى شعراء جاهليين. وقضية الصحة والنحل في الشعر الجاهلي قديمة، تحدث عنها ابن سلام في طبقاته، فقال: «وفي الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه، ولا حجة في عريّة، ولا أدب يستفاد، ولا معنى يستخرج.. وقد تداوله قوم لم يأخذوه عن أهل البادية، ولم يعرضوه على العلماء».^(٣) وكثر الحديث في هذه القضية في عصرنا، ولا نود الخوض فيها، وإنما ننظر في المجموع من الشعر الأسدي، فنميز الصحيح منه من المتهم المنحول.

ولعل أول ما يستوقفنا من المنحول من شعر الأسديين أشعار خولة بنت

(١) انظر أخبار أيمن في الأغاني ٢٠ : ٣٠٧ وما بعدها.

(٢) انظر الإصابة ١ : ٥٦٠.

(٣) فحول الشعراء ١ : ٤.

الأزور، فهي أشعار سقيمة مرذولة، مجموعها (٢٨) بيتاً، في قصيدة وثلاث مقطعات،^(١) وهي أشعار مصنوعة متهمة لأسباب عديدة، أولها أنها رثة النسيج ضعيفة التراكيب، ركيكة، كقولها:

لَقَدْ كَانَتْ الْأَيَّامُ تَزْهُو لِقُرْبِهِمْ
وَكُنَّا بِهِمْ نَزْهُو وَكَانُوا كَمَا كُنَّا^(٢)

وثانيها أن معانيها غثة باردة مرذولة، كقولها:

فَلَوْ كُنْتُ أَدْرِي أَنَّهُ آخِرُ اللَّقَا
لَكُنَّا وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ وَودَعْنَا
لِئِنْ رَجَعُوا يَوْماً إِلَى دَارِ عِزِّهِمْ
لَثَمْنَا خِفَافاً لِلْمَطَايَا وَقَبَّلْنَا^(٣)

وثالثها أن فيها ضرائر قبيحة، أنكرها بعض العلماء، كحذف علامة الإعراب في قولها:

تَسَلَّمُوهُنَّ إِلَى الْهَنَاتِ
تَمْلُكُ نَوَاصِينَا مَعَ الْبَنَاتِ^(٤)

(١) القسم الثاني: م (٢٩٨) - (٣٠١).

(٢) القصيدة (٣٠٠)، البيت (٤).

(٣) القصيدة (٣٠٠)، البيتان (٢، ٧).

(٤) المقطوعة (٢٩٨)، البيت (٢).

وقولها:

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ هَلْ أَنْتَ مُخْبِرِي
فَهَلْ بِقُدُومِ الْغَائِبِينَ تُبَشِّرُنَا^(١)

إذ حذفت علامة الأعراب من «تَمْلُكُ»، ونَوَاصِينَا، وَتُبَشِّرُنَا». ورابعها أن هذه الأشعار تفرد بروايتها «فتوح الشام» وهو كتاب منسوب إلى الواقدي وليس له، وإنما هو سيرة شعبية حفلت بالأخبار والأحداث المنافية للحقائق التاريخية.

وخامسها وأهمها أن خولة بنت الأزور من نتاج السيرة الشعبية، ليس لها وجود تاريخي.^(٢)

ومثل ذلك من الوضع ما نسب إلى ضرار بن الأزور في «فتوح الشام» من شعر متهم بلغ مجموعه (٧٢) بيتاً في قصيدة وثمانى مقاطعات.^(٣) وهي أشعار منحولة متهمة لسبيين، أولهما أنها أشعار باردة غثة ضعيفة التراكيب سقيمة المعاني، كقوله:

الْجِنُّ تَفَزَعُ يَوْمَ الْحَرْبِ مِنْ فَزَعِي
إِذَا أَتَيْتُ إِلَى الْهَيْجَا بِلا جَزَع^(٤)

(١) القصيدة (٣٠٠)، البيت (٣).

(٢) انظر كتابنا خولة بنت الأزور، دار معد، دمشق، ١٩٩٧.

(٣) القسم الثاني: م (٢٤١) - م (٢٤٩).

(٤) المقطوعة (٢٤٦)، البيت (١).

وقوله:

وحولي علوج الرُّومِ مِنْ كُلِّ كَافِرٍ

وَأَصْبَحْتُ مَعَهُمْ لَا أُعِيدُ وَلَا أُبَدِي^(١)

وثانيهما أنه لم يرد أي بيت منها فيما وقفت عليه من مصادر صحيحة، وإنما تفرّد بروايتها كتاب «فتوح الشام» المنسوب إلى الواقدي.

ومثل ذلك من الوضع مانجده في أبيات ثلاثة منسوبة إلى طليحة بن خويلد،

وهي:

نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ قَتْلِ نَابِتٍ

وَعُكَّاشَةَ الْغَنَمِيِّ ثُمَّ ابْنَ مَعْبَدٍ

وَأَعْظَمُ مِنْ هَاتَيْنِ عِنْدِي مُصِيبَةٌ

رُجُوعِي عَنِ الْإِسْلَامِ فَعَلَ التَّعَمُّدِ

فَهَلْ يَقْبَلُ الصَّدِيقُ أَنِّي رَاجِعٌ

وَمُعْطٍ، بِمَا أَخَذْتُ مِنْ حَدَثٍ يَدِي^(٢)

فالدِّمَاطِيُّ نسبها إلى طليحة، وقال إنه أنشدها لما قدم مسلماً.^(٣) وهي

أبيات متهمة مصنوعة لأسباب، أولها سقم المعاني ولأسيما في البيت الثاني إذ

(١) المقطوعة (٢٤٣)، البيت (٢).

(٢) القسم الثاني: م (٣٠٩).

(٣) فضل الخليل: ١٧٣.

يبدو غثاً بارداً. وثانيها ضعف التراكيب كالذي نجد في عجز البيت الثالث من تقديم وتأخير. وثالثها أن في البيت الثالث خطأ تاريخياً إذ يتوجه بالخطاب إلى أبي بكر، ومن المعروف أن طليحة بعد هزيمته يوم بُزَاحَة ظل هارباً حتى توفي أبو بكر،^(١) ثم قدم مسلماً على عمر رضي الله عنه.^(٢)

ومن ذلك النحل مانجده من شعر منسوب إلى سَعْدَى الأَسَدِيَّة وابن عمها، إذ روي أن ابن عمها قال:

لَعَمْرِي يَا سَعْدَى لَطَالَ تَأْيِي
وَبَغْضَنِي شَيْخَايَ فِيكَ كِلَاهُمَا
وَتَرَكِي لِلْحَيَيْنِ لَمْ أَبْغِ مِنْهُمَا
سِوَاكَ وَلَمْ يَرْبَعْ هَوَايَ عَلَيْهِمَا^(٣)

وردت عليه سَعْدَى:

حَيِّي لَا تَعْمَلْ لِنَفْسِهِمْ حُجَّتِي
كَفَانِي مَا بِي مِنْ بَلَاءٍ وَمِنْ جَهْدٍ
وَمِنْ عَابَرَاتٍ تَغْتَرِينِي وَزَفْرَةٍ
تَكَادُ لَهَا نَفْسِي تَسِيلُ مِنَ الْوَحْدِ

(١) انظر أسد الغابة ٣: ٦٦.

(٢) انظر عيون الأخبار ٣: ٩.

(٣) القسم الثاني: م (١١٨). والتأيم: أن يمكث الرجل زماناً لا يتزوج. ويربع: يثبت ويُقيم.

غَلَبْتَ عَلَى نَفْسِي جِهَاراً وَلَمْ أُطِقْ
خِلَافاً عَلَى أَهْلِي بِهِزْلٍ وَلَا جِدًّا
وَلَنْ يَمْنَعُونِي أَنْ أُمُوتَ بِزَعْمِهِمْ
غَدًا خَوْفَ هَذَا الْعَارِ فِي جَدَثٍ وَحْدِي
فَلَا تَنْسَ أَنْ تَأْتِي هُنَاكَ فَتَلْتَمِسَ
مَكَانِي فَتَشْكُو مَا تَحْمَلْتُ مِنْ جَهْدٍ^(١)

والمقطوعتان من الشعر المتهم لسببين أولهما ما نجده من لين وضعف وسقم في المعاني، كالمعنى الغث الذي نجده في البيت (٢) من المقطوعة (١) فهو اه لا يثبت على حيه وحي ابنة عمه، وكذلك المعنى السقيم في البيت (٣) من شعر سعدى، إذ لا تطيق خلاف أهلها هزلاً ولا جدّاً، ومثله الكلام المضطرب الذي لا معنى وراءه في البيت (٤)، فلن يمنعها أهلها من أن تموت في قبر وحدها. وثانيهما أنني لم أقف على خبر سعدى وابن عمها وشعرهما في أي من المصادر القديمة التي رجعت إليها، وإنما ورد ذلك في «الدر المنثور» لزينب فواز العاملي، و«شاعرات العرب» لبشير يموت، ولم يذكرها مصادرهما.^(٢)

وبهذا نختم الحديث عن المنحول وبلغت أبياته عشرة أبيات ومئة بيت. وبذلك تنتهي من توثيق الشعر الأسدي. والتوثيق مسألة أساسية لا بد منها، إذ تستند إليها كل الدراسات الموضوعية واللغوية والفنية لهذا الشعر.

^(١) القسم الثاني: م (٩٧).

^(٢) انظر الدر المنثور: ٢٤٣، وشاعرات العرب: ٩١.

الباب الثالث الدراسة الفنية

الفصل الأول

موضوعات الشعر الأسدي

- ١ -

حمل الشعر الجاهلي هموم الإنسان وقضاياه وأحلامه، وعبر عن معاناة المجتمع الجاهلي ورؤاه. فكانت موضوعات هذا الشعر وأخيلته صورة صادقة عن حياة الفرد والقبيلة التي انتظمتها مجموعة من القيم والعادات والأعراف والمعتقدات، النابعة من طبيعة حياتها الاجتماعية والبيئية، والمعيرة عن مرحلة وعي رعوية قبلية. وكانت أبرز مظاهر حياة القبائل في جزيرة متزامية الأطراف، شحيحة الموارد، الرحلة والانتقال، والاحتراب والاقتتال. وتجلت مظاهر هذه الحياة ومنظومة القيم التي انتظمتها في أشعار شعراء القبائل جميعهم، فحفل هذا الشعر بالحديث عن أيام القبائل ومآثرها، ومفاخرها ومثالبها، فضلاً عن تصويره مظاهر البيئة الطبيعية، ولا سيما الصحراء بنباتها وحيوانها، وحرّها وقرّها.

لذلك تشابهت موضوعات أشعار القبائل إلى حد بعيد، غير أنه كثر الحديث في موضوع بعينه في شعر قبيلة، وضمّر في شعر أخرى. ويعود ذلك إلى بعض الاختلاف في البيئة، في حين نجد أن طابعاً عاماً يسم أشعار القبائل التي سكنت مواطن واحدة كالقبائل النجدية، أو التي سكنت سيف البحر، أو أهل القرى.

ونعرض في هذا الفصل إلى أبرز موضوعات الشعر الأسدي، ونتبين ما يميزها من غيرها من موضوعات أشعار القبائل.

- ٢٤١ -

الفخر:

يشغل الفخر حيزاً واسعاً في ديوان الشعر الجاهلي، ومن ثم يشغل حيزاً واسعاً في ديوان أسد، ولا غرو في ذلك، فالفخر تمدح بالمكارم والحمد والفضائل النفسية، فهو يمثل ميلاً طبيعياً في النفس إلى الأنفة والعزة، وإلى تطلع القبيلة إلى ذاتها، وهو السلاح الذي ترهب به القبيلة خصومها، وتضعف معنوياتهم. والفخر ذاتي وقبلي، غير أن كليهما ينصهران في بوتقة واحدة، فالشاعر الذي يفخر بنفسه سرعان ما ينعطف إلى الفخر بأبائه وقبيلته.

وقد نهض الفخر على القيم والفضائل الاجتماعية التي أقرها المجتمع الجاهلي، ولعل القوة والشجاعة رأس القيم التي فخر بها الشعراء في مجتمع حربي لا حَكَم فيه إلاّ السيف. وأسد قبيلة حربية شديدة الفتك كثيرة الوقائع والغارات، لذلك أكثر شعراؤها من التغني بشجاعتهم وقوة قبيلهم، فهم الأسود، بل هم خير الأسود لحرب أو قتال، قال عمرو بن شأس:

وَنَحْنُ بَنُو خَيْرِ السَّبَاعِ أَكِيلَةٌ

وَأَحْرَبُهُ إِذَا تَنَفَّسَ عَادِيَا

بَنُو أَسَدٍ وَرَدَّ يَشْقُ بِنَابِهِ

عِظَامَ الرِّجَالِ لَا يُجِيبُ الرَّوَاقِيَا^(١)

وصور عبيد قوة بني أسد، فهم يخوضون الحروب، ويحمون حقيقتهم،

^(١) ديوان عمرو: ١٠٨-١٠٩. وأحربه: أشدها في الحرب. ولا يجيب الرواقيا: كناية عن أنه لا شفاء لها.

ويأبون المقادة لأحد، حتى تنقاد لهم الناس طائعة:
نَحْمِي حَقِيقَتَنَا وَنَمْنَعُ جَارَنَا
وَنُلْفُ بَيْنَ أَرَامِلِ الْإِيَامِ
وَنَسِيرُ لِلْحَرْبِ الْعَوَانِ إِذَا بَدَتْ
حَتَّى نُلْفُ ضِرَامَهَا بِضِرَامِ
نَأْبَى عَلَى النَّاسِ الْمَقَادَةَ كُلِّهِمْ
حَتَّى نَقُودَهُمْ بِغَيْرِ زِمَامٍ^(١)
ومادامت الغلبة للأقوى، والقوة والسيطرة جزء لا يتجزأ من حياة القبيلة،
فبنو أسد هم الأقوى، وهم قادرون على استباحة حمى القبائل الأخرى، قال
مُضَرَّس:

فَتِلْكَ شَمَائِلُ مِنِّي، وَقَوْمِي
إِذَا حَلُّوا حِمَى قَوْمٍ أُبِيحَا^(٢)
وبنو أسد قادرون على قيادة الجيوش الجرارة إلى الأعداء يودبونهم
ويخضعونهم، وقد توعد الجميح غطفان بأنه سيزورهم ليلاً بجيش جرار يغصُّ به
الفضاء الرحب:

(١) ديوان عبيد: ١٢٣-١٢٤.

(٢) القسم الثاني: ق (١٧٣)، البيت (٢٠).

لَا تَسْقِيْنِي إِنْ لَمْ أُزِرْ سَمَرًا
غَطَفَانٌ مَوْكِبَ جَحْفَلٍ ذُفْمٍ
مَجْرٍ، يَغْصُ بِهِ الْفَضَاءُ، لَهُ
سَلَفٌ، يَمْوُرُ عَجَاجُهُ، فَخَمٌ^(١)

وفخر شعراء أسد بما كان لقومهم من أيام ومواقع، انتصروا بها على القبائل الأخرى، فأشادوا بصبرهم على الملمات، وصوروا عظم الحروب التي خاضوها، والمصاعب التي ركبوها، وصوروا انتصاراتهم الرائعة في تلك الأيام الخالدة، وكانت لذة النصر ونشوة الفوز تحرك مشاعرهم وتثير الأحاسيس في نفوسهم، وتلهمهم المعاني المشرقة. وكان يوما النَّسَار والجفار من أعظم أيام أسد، أوقعت فيهما موقعة عظيمة بعامر وئيم، وعلا عبيد في فخره بهذين اليومين فصور قومه جيشاً يضيق به الفضاء لكثرتة، ورايته المرفوعة أشبه بطير يتقلب، وأنهم في ذلك اليوم الذي تشيب له الرؤوس أذاقوا عامراً السَّم الناقع:

وَلَقَدْ شَبَّيْنَا بِالْجِفَارِ لِدَارِمْ
نَاراً بِهَا طَيْرُ الْأَشَائِمِ تَنْعَبُ
وَلَقَدْ تَطَاوَلَ بِالنَّسَارِ لِعَامِرٍ
يَوْمَ تَشَبَّيَ لَهُ الرُّؤُوسُ عَصْبُصَبُ

(١) المصدر السابق: ق(١٣)، البيتان (٦، ٨). والسَّمر: الليل. والذَّمم: العدد الكثير. والمَجْر، هنا: الجيش العظيم. والسَلَف: الخيل المتقدمة.

حَتَّى سَقَيْنَاهُمْ بِكَأْسٍ مُرَّةً

فِيهَا الْمُثْمَلُ نَاقِعاً فَلْيَشْرَبُوا

بِمُعْضَلٍ لِحَبِيبٍ كَأَنَّ عِقَابَهُ

فِي رَأْسِ خُرْصٍ طَائِرٌ يَتَقَلَّبُ^(١)

ومن أيامهم التي انتصروا فيها، فذكروها بنشوة المحارب المنتصر، يوما
الشُعْبِيَّةِ وَالْهَبِيرِ، وقد تَغْنَى بهما حَاجِبُ بْنُ حَبِيبٍ، فقال:

أَلَا أَيْلِغُ^(٢) تَمِيمًا عَلَى حَالِهَا

مَقَالَ ابْنِ عَمٍّ عَلَيْهَا عَتَبُ

فَنَحْنُ فَوَارِسُ يَوْمِ الْهَبِيرِ

وَيَوْمِ الشُّعْبِيَّةِ نَعْمَ الطَّلَبُ

فَجَعَلْنَا بِأَسْرَاكُمْ فِي الْحَبَالِ

وَبِالْمُرْدَفَاتِ عَلَيْهَا الْعُقَبُ^(٣)

ومن دلائل قوة القوم وعزتهم وإبائهم أن يكونوا لقاحاً لا يدينون للملك،
وإذا ما رامت الملوك هوانهم وإدخالهم في دينهم، ثاروا بهم وقتلوه، وقتل
الملوك مفخرة أي مفخرة تغنى بها شعراء القبائل طويلاً، فقد تغنت تغلب بقتلها

(١) ديوان عبيد: ٥-٦. وشبينا: أوقدنا. والمثمل: السُّم المنقَع. والخُرْص: سنان الرمح.

(٢) وصل همزة اقطع للضرورة.

(٣) القسم الثاني: م (٩٢). والمردفات: السبايا. والعُقَب: الجمال والصباحه.

عمرو بن هند، وتغنت أسد بقتلها حجر بن عمرو الكندي وعدياً ابن أخي الحارث ابن أبي شمر الغساني، ففخر عبيد بذلك في عدة قصائد، وفخر عمرو بن شأس بذلك، وغير الغساسنة وآل كندة عجزهم عن الثأر من بني أسد، فقال:

وَحُجْرًا قَتَلْنَا عَنْوَةً فَكَأْنَمَا

هَوَى مِنْ حَفَافِي صَعْبَةِ التَّنَزَّلِ

فَمَا أَفْلَحَتْ فِي الْغَزْوِ كِنْدَةٌ بَعْدَهَا

وَلَا أَدْرُكُوا مِثْقَالَ حَبَّةِ خَرْدَلٍ

سِوَى كَلِمَاتٍ مِنْ أَغَانِي شَاعِرٍ

وَقَتْلَى تَمْنَى قَتْلَهَا لَمْ تُقْتَلِ

وَنَحْنُ قَتَلْنَا بِالْفُرَاتِ وَجْزِئِهِ

عَدِيًّا فَلَمْ يُكْسَرْ بِهِ عُودُ حَرْمَلٍ^(١)

وإذا كانت الملوك تعجز عن الثأر من بني أسد فإنّ الأسديين لا يعجزون عن الثأر من الملوك، ولا يُغضون من ملك على وتر، وقد قتل عمرو بن هند أخاً للأشعر الرقبان، فسرق الأشعر ابنين لعمرو وذبحهما، وقال:

إِنَّا كَذَلِكَ كَانَ عَادَتُنَا

لَمْ نَغْضِ مِنْ مَلِكٍ عَلَى وَتَرٍ^(٢)

(١) ديوان عمرو: ٥٦-٥٨.

(٢) القسم الثاني: م (٧٩).

ولم يقصر الشعراء فخرهم على قبائلهم وما صنعتها في أيامها ووقائعها، وإنما
فخروا بأنفسهم أيضاً، فصوروا بلاءهم وطعانهم وصبرهم على المكاره في تلك
الأيام والمواقع، وقتلهم الأبطال، وخذلتهم الفرسان، قال فضالة بن هند يفخر
بقتله شريحاً النعميري يوم الرشاء:

جَدَعْتُ أَنْوْفَ الْحُمْسِ يَوْمَ لَقَيْتُهَا
بِخَيْرِ غُلَامٍ مِنْ نَمِيرِ بْنِ عَامِرٍ
تَرَكْتُ أَبَا صَخْرٍ كَأَنَّ قَمِيصَهُ
وَسِرْبَالَهُ مِنْ جَوْفِهِ ثَوْبُ جَازِرٍ^(١)

وصور ضرار بن الأزور شدة في المعركة، وحمله فرسه على الموت، وتركه
القرين الجسيم صريعاً كالبعير المستلقي:

سَلِيَ عَنِّي الْفَوَارِسَ يَوْمَ زَيْدٍ
وَعَنْ كَرَمِي غَدَاتْمَزْدٍ وَشَدِي
وَعَنْ حَمْلِي الضُّيْبَ عَلَى الْمَنَايَا
وَأَيْضَ صَارِمٍ وَالْخَيْلُ تَرْدِي
تَرَكْتُ الرُّمَحَ يَبْرُقُ فِي صَلَاةٍ
صَرِيْعاً كَالْبَعِيرِ الْمُجْلَخِ^(٢)

(١) المصدر السابق: م(٧٤). والسربال: الدرع. والجازر: الجزار.
(٢) القسم الثاني: م(٢٢٣). والضبيب: فرسه. والصلأ: وسط الظهر.

ولا تتجلى شجاعة الشاعر وإقدامه في ساحة الحرب بين طعن القنا ومجالدة
السيوف وحسب، وإنما تتجلى أيضاً في جرائته على قطع القفار الوحشة
المخيفة والمفاوز المهلكة والمهامه التي تنحرق فيها الريح، ولا يسمع فيها إلا
عزيف الجن، وقد فخر شعراء أسد بقطعهم تلك الفلوات، قال بشر:

وَحَرَّقَ تَعَزَّفُ الْجِنِّانُ فِيهِ

فَيَا فِيهِ يَطِيرُ بِهَا السَّهَامُ

ذَعَرْتُ ظِيَاءَهُ مُتَغَوِّراتٍ

إِذَا ادَّرَعَتْ لَوَامِعُهَا الْإِكَامُ^(١)

وفخر مضر بن ربيعي بأنه يسري في الليل المظلم الذي يستوي فيه المبصر
والأعمى لشدة سواده:

وَلَيْلٍ يَقُولُ النَّاسُ فِي ظُلُمَاتِهِ

سَوَاءٌ بَصِيرَاتُ الْعُيُونِ وَعُورُهَا

تَجَاوَزَتْهُ حَتَّى مَضَى مُدْلَهُمُهُ

وَلَاخَ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُورُهَا^(٢)

^(١) ديوان بشر: ٢٠٣-٢٠٤. والخرق: الفلاة. وتعزف: تصوت. والسهم: لعب
الشمس. ومتغورات: قائلات نصف النهار. والإكام: تلال الحجارة.

^(٢) القسم الثاني: ق(١٨١)، البيتان (١٦، ١٨).

والكرم قيمة خلقية واجتماعية رفيعة، تغنى بها الشعراء، وكان لطبيعة الحياة الرعوية في بيئة فقيرة أثر في تعزيز هذه القيمة في النفوس، فالسعي وراء مساقط الغيث ومنابت الكلاً يضطر القبائل البدوية إلى الحل والترحال، وقطع الصحارى المهلكات، فإذا وجد المسافر منزلاً أوى إليه، وأصبح لازماً على أهله قراه وإبواؤه، وإلا هلك في تلك البوادي. وتتوالى السنوات المستتة على الجزيرة فتهلك الإبل ويجوع الناس، ويصبح لازماً على سادة القبيلة وذوي اليسار منها أن تغلي قدورهم لإطعام فقراء القبيلة وضعافها وأراملها حتى يأتي الربيع وينبت البقل. لذلك تغنى شعراء أسد بالكرم، وأشادوا بالكرماء، وذموا البخل والبخلاء، شأنهم في ذلك شأن شعراء سائر القبائل.

وقد ذكر سيرة بن عمرو أن قبيلته تهين أباعرها لقضاء الحقوق وقرى الضيف ومحابة الأكفاء، ويذلونها في الميسر وشرب الخمر، وتما لا شك فيه أن الخمر والميسر كانا من مظاهر الكرم عند العربي الجاهلي، قال:

وإِنَّا لَتَغْشَانَا حُقُوقٌ وَلَمْ تَكُنْ
تُقَرَّبْنَا لِلْمُخْزِيَاتِ الْأَبَاعِرُ
نَحَابِي بِهَا أَكْفَاءَنَا وَنُهِنُهَا
وَنَشْرَبُ فِي أُمَانِهَا وَنُقَامِرُ
وإِنَّا لَنَقْرِي الضَّيْفَ فِي لَيْلَةِ الشُّتَا
عَظِيمَ الْجَفَانِ فَوْقَهُنَّ الْحَوَائِرُ^(١)

(١) القسم الثاني: ق(٤٠). والحوائر: الشمع الأبيض.

ويخلط الأسديون فقيرهم بغنيهم ، ومعسرهم بموسرهم، ويعطون المحتاج،
وهم أكرم من يقضي حاجات من يطرقهم، قال عبيد:

وَالْخَالَطُوْ مُعْسِرًا مِنْهُمْ بِمُوسِرِهِمْ

وَأَكْرَمُ النَّاسِ مَطْرُوقًا إِذَا اخْتَبَطُوا^(١)

ويعينون من نهض منهم بحقوق العشيرة حتى يبلغ فعل السيد، لأن في
رفعته رفعة القبيلة، قال مضرّس:

وَنَعَيْنُ فَاعِلْنَا عَلَى مَا نَابَهُ

حَتَّى نُسِّرَهُ لِفِعْلِ السَّيِّدِ^(٢)

والشعراء الذين فخرُوا بكرم قبيلهم، فحروا بكرمهم فرسموا صوراً من جودهم
وقراهم الأضياف وبذلهم المعروف، فمضرّس كان يرفع ضوؤه عالياً ليهتدي إليه
الضيف في ليل الشتاء القاسي، فإذا طرقه أحسن وفادته وقام على خدمته لأن
الإكرام حق الضيف، سواء أكان قريباً من العشيرة أم بعيداً من غير العشيرة:

وإِنِّي لَادْعُو الضَّيْفَ بِالضَّوْءِ بَعْدَمَا

كَسَا الْأَرْضَ نَضَّاحُ الْجَلِيدِ وَجَامِدُهُ

لَأَكْرِمَهُ ، إِنَّ الْكَرَامَةَ حَقُّهُ

وَمِثْلَانِ عِنْدِي قُرْبُهُ وَتَبَاعُدُهُ

(١) ديوان عبيد : ٨٦ واختبطوا: قصدوا.

(٢) القسم الثاني: ق (١٧٥).

أَيُّتُ أَعَشِّيهِ السَّدِيفَ، وَاتَّنِي
بِمَا قَالَ حَتَّى يَتْرَكَ الْحَيَّ حَامِدُهُ^(١)

وكذلك كان أبو المهوش يوقد نار قدره في موضع مرتفع لترى ناره الأضياف:

وَمُعَصَّبٍ قَطَعَ الشِّتَاءَ وَقُوْتُهُ
أَكْلُ الْعُجَى وَتَكَشُّبُ الْأَشْكَادِ
رُفِعَتْ لَهُ قِدْرُ الضُّيُوفِ فَمَا اهْتَدَى

إِلَّا بِدَائِعِي الْحَيِّ فِي الْإِيقَادِ^(٢)

والكرم تعبير عن نفس مفطورة على الخير، تنبعث منها الفضائل والمكارم كلها، لذلك فالفتى الكريم، سمح بما حوت يداه، يعقر المطية، ويسبأ الزرق للفتيان، ويغيث الملهوف، ويحمي المستجير، ويدافع عن المظلوم، وتلك عادات ألفها عبّاد بن أنف الكلب طوال دهره:

وإِنِّي جَوَادُ الْكَفِّ سَمَحٌ بِمَا حَوَتْ
يَدَايَ مِنَ الْمَعْرُوفِ لَا أَتْلَدُّ

أَجُودُ وَأَحْمِي الْمُسْتَجِيرَ مِنَ الرَّدَى

إِذَا عَرَدَ النَّكْسُ الْأَحْمُ الْأَلْنَدُ

^(١) المصدر السابق: م(١٧٤). والسديف: شحم السنام.

^(٢) المصدر السابق: م(٢٨٧). والمعصّب: الجائع. والعجى: الجلود اليابسة. والأشكاد: واحدها الشكد، وهو العطاء.

وَزَقَّ كَمْسَتَدْمِي الْغَزَالِ سَبَاتَهُ
لِفَتَيَانِ صِدْقٍ رَفْدُهُمْ لَيْسَ يَنْفَدُ
فَقُلْتُ لَهُمْ عَلُّوا وَتَلِكْ مَطِيَّتِي
بِكَفِّي عَضْبٌ مَشْرِفِي مُهَنْدُ
وَقُلْتُ لَهُمْ إِنِّي حَمِيلٌ بِحِمْلِ مَا
رَأَيْتُمْ طَوَالَ الدَّهْرِ لَا أَتَزِيدُ^(١)

والكرم عماده الإيثار والتضحية، فهو رأس القيم النبيلة الأخرى، والكرام يتحلى بالوفاء والنجدة والمروءة والصدق، وصون الجار، وحفظ العهد. والبخل ينبع من الحرص والأثرة، فهو رأس الصفات المذمومة يقترن باللوم والخسة والدناءة والغدر. لذلك قرن الشعراء الكرم بالصفات المحمودة الأخرى، وتغنوا بها جميعاً، فقرن الجميع الوفاء بالكرم، وفخر على بني عامر بأنه أوفى وأكرم منهم:

لَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَيِّي وَأَيُّكُمْ
بَنِي عَامِرٍ أَوْفَى وَفَاءً وَأَكْرَمُ^(٢)
وفخر سيرة بأن قومه لا يغدرون بأعدائهم، وإنما يغمون الإبل قوة واقتداراً
في المعركة:

^(١) القسم الثاني: ق (٥٠). والتلدد: التحير. والألندد: الشديد الخصومة. وسباته: شريته. وعضب مشرفي: سيف قاطع.
^(٢) المصدر السابق: م (٩).

وَتَكْسَبُهَا فِي غَيْرِ غَدْرٍ أَكْفُنَا

إِذَا عَقِدْتَ يَوْمَ الْحِطَاظِ الدَّوَابِرَ^(١)

وتغنى شعراء القبيلة بسيادة أسد، وكثرة خيلها المذاكي، ونواديها التي
يجتمع فيها سادتها وحكماؤها وحلماؤها:

إِذْهَبْ إِلَيْكَ فَإِنِّي مِنْ نَبِيِّ أَسَدٍ

أَهْلِي الْقِيَابِ وَأَهْلِي الْجُرْدِ وَالنَّادِي^(٢)

ونفوا عن شجاعة قومهم الطيش والجهالة والتهور، وقرنوها بثقل الأحلام
ورجاجة العقول، فقال عبيد:

بِضِّ بَهَا لَيْلُ يَنْفِي الْجَهْلَ حِلْمُهُمْ

وَتَفْزَعُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ إِنْ هُمْ سَخِطُوا^(٣)

وفخر الأسديون بأنهم يسلكون سبل المجد، مهما كانت صعبة المرتقى،
ابتغاء الحمد وحسن الأحدثه، قال كَلْدَةُ بن عبد مُرَّارة:

وَإِنْ يَكُنِ الْحَمْدُ فِي بَاذِخٍ

مِنْ الْمَجْدِ أَسْأَلُكَ إِلَيْهِ سَبِيلًا^(٤)

(١) المصدر السابق: ق: (٤٠). والدوابر: الهزائم.

(٢) ديوان عبيد: ٤٩. والجرد: الخيل القصيرة الشعر.

(٣) ديوان عبيد: ٨٦. والبهلول: العزيز الجامع لكل خير.

(٤) القسم الثاني: م(١٠٣).

وإذا كان الإنسان لا يستطيع الخلود في الحياة فإن خلوده في أن يترك ذكراً
حسناً وسيرة محمودة، بعيدة عن المذمة، قال مضرّس:

وإنّي أحبُّ الخُلْدَ لو أسْتَطِيعُهُ

وكالخلدِ عِنْدِي أنْ أمُوتَ وَلَمْ أُذَمَّ^(١)

وبعد.

فأسد التي رأى شعراؤها أنها جمعت القوة والشجاعة، والنجدة والوفاء،
والكرم والجود، والحلم والسيادة والمجد، تبوّأت في رأيهم منزلة بين القبائل أشبه
بمنزلة النور للأبصار، فالأقوام بأفعال أسد، وأقوالها يهتدون:

أَلَمْ تَرَ أَنَا نُورُ قَوْمٍ وَإِنَّمَا

يُيَسِّنُ فِي الظُّلُمَاءِ لِلنَّاسِ نُورُهَُا^(٢)

الهجاء:

لعل بواعث الفخر والهجاء واحدة، فالصراع القبلي والمنافسة على السيادة
والشرف، تدفع الشعراء إلى الفخر بقبائلهم وهجاء خصومها ومنافسيها. ولأسد
مشاركة فعالة في الأيام والوقائع التي دارت في قلب الجزيرة العربية، لذلك كان
الفخر والهجاء أبرز غرضين في ديوانها.

وإذا كان الشاعر في الفخر يسبغ على نفسه وقبيله الفضائل النفسية
والخلقية، من شجاعة وإباء وكرم وسيادة وشرف وحلم، فإنه في الهجاء يجرّد

(١) المصدر السابق: ق ١٩٣، البيت (١٢).

(٢) المصدر السابق: ق (١٨١)، البيت (٢٥).

المهجو من هذه الفضائل، وقد يفحش في القول وينهش الأعراض. وقد حوى ديوان أسد كلا الهجائين ففي أسد شعراء قصرُوا هجاءهم على رسم القبائل المهجوة بالجن والفرار والبخل واللوم وضعة الحسب والقلة والذل، وفيهم شعراء لم يترفعوا عن بذيء القول، ولم يتورعوا عن قذف المحصنات.

ولعل السمة البارزة في شعر الهجاء الأسدي أنه هجاء قبلي، وإن صبه الشاعر أحياناً على رجل بعينه، لأن الدوافع قبلية محضة، وفي أغلب الأحيان يهجو الشاعر الرجل وقبيلته معاً، ولعل أقدم ما يطالعنا في هذا الباب هجاء عبيد لامرئ القيس وقومه، بعد قتل أسد حجراً، ونهوض امرئ القيس بشأر أبيه، إذ وصفه عبيد بالكذب والمين، وعيّر كندة فرارها:

يَا إِذَا الْمُخَوَّفُ نَا بَقَتْ

لِأَيِّهِ إِذْ لَأَ وَحِينَ نَا

أَزَعَمْتَ أَنَّكَ قَدْ قَتَلْتَ

سَرَاتِنَا كَذِباً وَمَيْنَا

هَلَا سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْدَةَ

إِذْ تَوَلَّوْا: أَيُّنَ أَيْنَا^(١)

كما عاب على امرئ القيس عجزه عن الثأر بأبيه، وانصرافه إلى القصف والشراب:

(١) ديوان عبيد: ١٣٦

وَأَنْتَ أَمْرُؤُ الْهَلَاكِ زِقٌّ وَقَيْنَةٌ
 فَتُصْبِحُ مَخْمُوراً وَتُمْسِي مُتَارِكاً
 فَلَا أَنْتَ بِالْأَوْتَارِ أَدْرَكْتَ أَهْلَهَا
 وَلَا كُنْتَ، إِذْ لَمْ تَنْتَصِرْ، مُتَمَسِكاً^(١)

وأكثر الشعراء الأسديون من هجاء بني عامر، لتطاول الحروب بينهم، وكثرة الوقائع والغارات، وقد فرت بنو عامر يوم ذي علق بعد أن قتلت أسد سيدها ربيعة أبا لبيد الشاعر، فغيرهم الجميع فرارهم وتركهم ربيعة وغدرهم بجارهم نضلة الأسدي، وكان مجاوراً لهم فقتلوه، قال:

سَائِلٌ مَعْدًا مَنِ الْفَوَارِسُ لَا
 أَوْفُوا بِجِيرَانِهِمْ وَلَا غَنِمُوا
 يَغْدُو بِهِمْ قُرْزُلٌ وَيَسْتَمِيعُ النَّـ

سَاسَ إِلَيْهِمْ، وَتَخْفِقُ اللَّمَمُ
 رَكْضاً وَقَدْ غَادَرُوا رَبِيعَةَ فِي الْـ

أَثَارِ لَمَّا تَقَارَبَ النَّسَمُ^(٢)

ووصفهم في أبيات أخرى بالذل والضعف، وأن أسداً لو شاءت لأفتتهم ولم تترك لهم أثراً. قال يخاطب عامر بن الطفيل العامري:

^(١) ديوان عبيد: ٩٤

^(٢) القسم الثاني: ق(١٠). وقرزل: فرس طفيل بن مالك. والآثار: واحدها ثار. والنسم: الأنفس.

أَعَامِرُ إِنَّا لَوْنَشَاءُ لَغُرْتُمُ

كَمَا غَارَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ نُجُومُهَا^(١)

كما عيرهم بشر بيوم النّسار، فأعاد إلى الأذهان ذلك اليوم العظيم من أيام
أسد، فصور ما أوقعته أسد بعامر في ذلك اليوم بنشوة الغالب وزهوه
واحتقاره المغلوب، فقال:

نَقَلْنَاهُمْ نَقْلَ الْكِلَابِ جِرَاءَهَا

عَلَى كُلِّ مَغْلُوبٍ يَثُورُ عَكُوبُهَا

لَحَوْنَاهُمْ لَحْوَ الْعِصِيِّ فَأَصْبَحُوا

عَلَى آلَةٍ يَشْكُو الْهَوَانَ حَرِيئُهَا^(٢)

وكذلك كان الصراع القبلي شديداً بين أسد وتميم، ومن ثم كان الهجاء
حاميا بين القبيلتين، يتهداه الشعراء من كلا الفريقين إذ صب الأسدون نار
هجائهم على أحياء تميم وبطونها، وعيروها بالغارات والوقائع التي انهزمت
فيها، وقد انهزمت يوم الوقيط فعيرها أبو المهوش، فقال:

وَمَا قَا تَلَتْ يَوْمَ الْوَقِيطَيْنِ نَهْشَلٌ

ولا الإسكتُ الشُّومَى فُقيَمُ بْنُ دَارِمٍ^(٣)

(١) المصدر السابق: م (١١).

(٢) ديوان بشر: ١٧ - ١٨ والعكوب: الغبار. واللحو: قشر العود. والآلة: الحالة.

والحريب: المسلوب

(٣) القسم الثاني: م (٢٩٥). والأسكت: حرف الفرج.

ووصفهم بالجن في سخرية مريرة، إذ قال إنه كان يظنهم أسوداً ضارية
فإذا ديارهم لا أسود فيها وإنما تبيض فيها الحمّر وهي ضرب من الطيور
الصغيرة كالعصافير، قال:

قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُكُمْ أَسْوَدَ خَفِيَّةٍ

فإذا لَصَافٍ تَبْيِضُ فِيهِ الْحُمْرُ^(١)

وهجّاهم سيرة بن عمرو بأن نساءهم الحرائر تتشبه بالإماء وقت الحرب
ليزهد في سبيهن:

وَنَسَوْتُكُمْ فِي الرَّوْعِ بَادٍ وَجُوهُهَا

يُخْلِنَ إِمَاءَ وَالْإِمَاءَ حَرَائِرُ^(٢)

أما أم أوفى فعبرت تيمناً وعامراً بيومي النّسار والجفّار، وصورت ما
أصابهم من القتل فالضباع والنسور عاكفة على قتلاهم:

ظَلَّتْ كِلَابٌ بِالنَّسَارِ وَكَعْبُهَا

وَنُمِيرُهَا جَزْراً تَهَانُ وَتُشْطَرُّ

وَعَلَى الْجِفَارِ تَمِيمُهَا وَرِبَابُهَا

عَفْرَى تَعُوذُهُمُ الضَّبَاعُ وَأَنْسُرُ^(٣)

(١) القسم الثاني: (٢٨٩). وخفّية: أجمة في سواد الكوفة.

(٢) المصدر السابق: ق (٤٠).

(٣) المصدر السابق: م (١٠٥).

وكانت تميم تعير بحب الطعام، وذلك أن عمرو بن هند أشعل ناراً وأحرق بها رجالاً من تميم، فرأى رجل من البراحم ، بعض تميم، الدخان يرتفع، فقال: إن الملك يطعم الناس فقصده، فلما دنا، أمر به ابن هند، فألقي في النار. وسخر أبو المهوش من تميم سخرية شديدة حين قال إن ميتهم يحيا إذا جثته بطعام:

إِذَا مَامَاتَ مَيِّتٌ مِنْ تَمِيمٍ
فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِئٌ بِزَادٍ
بِخُبْزٍ أَوْ بِتَمْرٍ أَوْ بِسَمْنٍ
أَوْ الشَّيْءِ الْمُلَفَّفِ فِي الْبَجَادِ
تَرَاهُ يُطَوِّفُ الْآفَاقَ حِرْصاً
لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ^(١)

وعلى الرغم مما كان بين طييء وأسد من حلف، فقد وصف بشر آل لأم الطائيين بالغدر والجهل والضعف والتقصير عن غاية الجود والكرم:

فَيَا عَجَباً عَجِبْتُ لَالٍ لَأُمٍ
أَمَّا لَهُمْ إِذَا عَقَدُوا وَفَاءً
مَجَاهِلٌ إِذَا نَدَبُوا لِجَهْلٍ
وَلَيْسَ لَهُمْ سِوَى ذَاكُمْ غَنَاءُ

^(١) المصدر السابق: م (٢٨٨). والملف في البجاد، هنا: وطب اللبن.

وَأَنْكَاسٌ إِذَا اسْتَعَرْتُ ضَرُوسٌ

تَحَلَّى مِنْ مَخَافَتِهَا النَّسَاءُ^(١)

ولم يقف الشعراء الأسديون في هجائهم القبلي عند حدود تجريد مهجويهم من الفضائل والمكارم التي يعتز بها العربي، على الرغم من أن هذا اللون من الهجاء أشد وقعاً وأكثر إيلاًماً في نفوسهم من نهش الأعراض وقذف المحصنات، فأبو المهوش صبّ على تميم وشاعرها نهشل بن حَرْيَّ سيلاً من سباب وشتيمة قبيحة، ورمى جدته بالفجور، وصور ذلك تصويراً وقحاً، واستخدم عبارات بذئية، فقال:

عَضَّتْ تَمِيمٌ جِلْدَ أُيْرَائِيهِمْ

يَوْمَ الْوَقِيطِ وَعَاوَنَتْهَا حَضَجَرُ

يَا نَهْشَلُ بْنُ أَبِي ضُمَيْرٍ إِنَّمَا

مِنْ مِثْلٍ سَلَحِ أَبِيكَ مَا تَسْتَقْطِرُ

إِذْ كَانَ حَرْيَّ سَقِيطَ وَلِيدَةٍ

بَطْرَاءَ يَرْكُضُ كَاذَنِيَهَا الْعُهُرُ^(٢)

ومن شعراء أسد الهجائين سيرة بن عمرو، وكان فيه فحش وبذاءة، وقد صب هجاءه على السيد التميمي ضُمرة بن ضُمرة، الذي قيل فيه المثل السائر:

(١) ديوان بشر: ٢-٤.

(٢) القسم الثاني: ق(٢٨٩). ويركض: يحرك. والكاذتان: مأتاً من اللحم في أعالي الفخذ.

«تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه» فهتك ستره، ونعته بكل بذيء، وصوره بكل صورة مخزية، وشبهه في بعض هجائه بكلب غلم يحرك ذنبه طمعاً بالسِّفاد، ويلحس شفري الكلبة، فقال:

فَضَحَ الْعَشِيرَةَ وَاسْتَمَرَ كَأَنَّهُ
كَلْبٌ يُصْبِصُ لِلْعِظَالِ وَيَطْرُدُ
غَيْرَانُ يَلْحَسُ أَسْكَتِي زَيْنِّيَّةَ
غَلَمٌ يَسُورُ عَلَى الْبَرَاثِنِ أَعْقَدُ^(١)

وكانت فزارة تعير بأكل أير الحمار، فعيرهم بذلك الكميت بن ثعلبة، وجعله أحب إليهم من التمر يخلط بالسمن، بل أحب إليهم من أنبائهم الفزارين:

نَشَدْتُكَ يَا فَزَارُ وَأَنْتَ شَيْخُ

إِذَا خَيْرْتَ تُخْطِي فِي الْحَيَارِ
أَصِيحَانِيَّةٌ أَدِمْتَ بِسَمْنٍ
أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ أَيْرُ الْحِمَارِ
بَلَى أَيْرُ الْحِمَارِ وَخَصِيَّتَاهُ
أَحَبُّ إِلَى فَزَارَةٍ مِنْ فَزَارِ^(٢)

(١) المصدر السابق: م(٣٦). ويصبص: يحرك ذنبه. والعظال: الملازمة في السفاد. والزئنية: الكلبة القصيرة. والأعقد: المتوي الذنب.

(٢) القسم الثاني: م(٣٠٣).

وإذا كان معظم الهجاء الأسدي قيل في القبائل النجدية المتحاربة مع أسد، ولا سيما عامر و تميم، فإن بعض الشعراء الأسديين هجوا سادة وأحياء من أسد، لما كان يقع بين بطون القبيلة من تنافس على السيادة أو خلاف حول ماء أو مرعى، وقد هجا سيرة بن عمرو الفقعسي بني نصر بن قعين، فوصفهم بالجهل وخفة الأحلام وقلة العدد:

يَا نَصْرُ هَلْ غَيْرُ مَا جَهْلٍ فَمِنْكُمْ

رَيْشُ الْعَصَافِيرِ قَدْ أَفْسَدْتُمُ الْبَلَدَا
لَنَحْنُ أَثْقَلُ مِنْ مِثْلِكُمْ زَنَةً

وَنَحْنُ أَكْثَرُ مِنْ مِثْلِكُمْ عَدَدًا^(١)

وهجا قَدْ بن مالك الوالي سَلَمَةَ بن هند الغاضري، واتهم بني غاضرة بخفة الأحلام، فقال:

لَعَنَرُو أَيْيَكَ يَا سَلَمُ بْنُ هِنْدٍ

لَقَدْ لَاقَيْتُ مِنْكَ الْأَقْوَرِينَ

كَأَنَّ جَرَادَةَ صَفَرَاءَ طَارَتْ

بِأَحْلَامِ الْغَوَاضِرِ أَجْمَعِينَ^(٢)

وقد يدفع الخلاف الشخصي الشاعر إلى هجاء رجال من أهله وعشيرته

(١) المصدر السابق: م (٣٨).

(٢) المصدر السابق: م (٩٩). والأقورين: الدواهي العظام.

الأقربين إذ هجا الأعشى الأسدي آل الطَّمَّاح، وكلاهما من بني طريف بن عمرو بن قعين، فوصفهم بالإفك والكذب، والتملق، فقال:

قَدْ غَلَبَ النَّاسَ بَنُو الطَّمَّاحِ
بِالإِفْكِ وَالتَّخْلَافِ وَالتَّمْسَاحِ^(١)

وهجا الأشعر الرِّقَبَان ابن عم له يدعى رضوان، وذلك أن ضيفاً نزل برضوان، فلم يقره، فقال له الضيف: من أنت؟ قال: أنا الأشعر الرِّقَبَان. ثم ارتحل الضيف فنزل بالأشعر، وهو لا يعرفه، فأحسن قراه، فقال له: نزلت بالأشعر فأساء مبيتي ولم يقرني. فقال له: أنا الأشعر، فعند من بت، فوصف له صفة رضوان، فقال الأشعر:

تَجَافَى رِضْوَانٌ عَنِ ضَيْفِهِ
أَلَمْ يَأْتِ رِضْوَانٌ عَنِّي النَّذْرُ
وَقَدْ عَلِمَ الْمَعَشَرُ الطَّارِقُونَ
بِأَنَّكَ لِلضَّيْفِ جُوعٌ وَقُرُ
وَأَنْتَ مَسِيخٌ كُلَّخِمِ الْحُورِ
فَلَا أَنْتَ حُلُوٌّ وَلَا أَنْتَ مُرُ^(٢)
ونقف في شعر الأسديين على مقطعات في هجاء أشخاص مجهولين،

(١) القسم الثاني: م(٦٩). والتمساح: القول الحسن الخادع.

(٢) المصدر السابق: م(٨٠). والمسيخ من الناس: الذي لا ملاحه له.

ويقتصر هذا الهجاء على تجريد المهجو من المكارم والفضائل الخلقية، ونلمس في أبيات الحُسَيل بن عُرْفُطَة نبلاً وترفعاً أخلاقياً في الهجاء، وكان حُسَيلاً يدفع مهجوه إلى التمسك بخلال وخصال تحلل منها، قال:

لِيَهْنِيكَ بُغْضٌ فِي الصَّدِيقِ وَظَنَةٌ
وَتَحْدِيثُكَ الشَّيْءَ الَّذِي أَنْتَ كَاذِبُهُ
وَأَنْكَ مَشْنُوءٌ إِلَى كُلِّ صَاحِبٍ
بَلَاكَ، وَمِثْلُ الشَّرِّ يُكْرَهُ جَانِبُهُ
وَأَنْكَ مِهْدَاءُ الْخَنَاءِ نَظِيفُ النَّشَا
شَدِيدُ السُّبَابِ رَافِعُ الصَّوْتِ غَالِبُهُ
فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْجَهْلِ يَدْعُو إِلَى الرَّدَى
وَلَا مِثْلَ بُغْضِ النَّاسِ غَمَّضَ صَاحِبُهُ^(١)

أما الهجاء بالعيوب الجسدية فقليل نادر في الشعر الأسدي، إذ كان همّ الشاعر أن يجرد مهجوه من الخلال الكريمة التي يحرص عليها ويؤله أشد الإيلام أن تجرده منها. ومن الهجاء القليل الذي عيّر فيه الشاعر مهجوه بعيوب خلقية قول فضالة بن شريك في هجاء رجل أعور من بني الشطير:

^(١) المصدر السابق: م(٣٢٦). ومشنوء: مبغض. والنشا: ما أعيرت به عن الرجل.

أَنْصَفُ امْرِئٍ مِنْ نِصْفِ حَيٍّ يَسُئُنِي

لَعَمْرِي لَقَدْ لَأَقَيْتُ خَطْباً مِنَ الْخَطْبِ^(١)

ولعل معظم الشعراء الأسديين كانوا لا يطيلون في الهجاء، وكثير من الهجاء الأسدي أبيات قليلة يسوقها الشاعر في تضاعيف حماسته وإشادته بانتصارات قومه ومفاخرها، وقد قيل لأبي المهورش: «لم لا تطيل في الهجاء؟ فقال: لم أجد المثل النادر إلا بيتاً واحداً، ولم أجد الشعر السائر إلا بيتاً واحداً».^(٢) ولكن هذا لا ينفي وجود قصائد ومقطعات ذات موضوع واحد هو الهجاء، ولا سيما عند الشعراء الهجائين من أسد، أمثال سبرة بن عمرو، وعقبة بن هبيرة، وبعض أهاجي بشر بن أبي خازم.

الرثاء:

الرثاء غرض واسع في الشعر الأسدي، يتصل اتصالاً وثيقاً بطبيعة الحياة التي عاشتها القبيلة، تلك الحياة القائمة على الصراع، صراع في سبيل عيش لا يكسب إلا بحدّ السيف، وصراع على السيادة والمجد بين قبائل شديدة التنافس والخصومة، فأيام القبيلة غزو واحتراب، والموت يتخطف شباب القبيلة وفرسانها، ففي كل يوم مفقود أو قتيل، ومن لم يهلك بالسيف يهلك بغيره، والموت هو الوارث الوحيد، وما أصدق عبيد حين قال:

أَرْضٌ تَوَارَتْهُ شَاوِعُوبُ

وَكُلُّ مَنْ حَلَّهَا مَخْرُوبُ

(١) المصدر السابق: م (٢١١).

(٢) البيان والتبيين ١: ٢٠٧، وانظر الشعر والشعراء ١: ٧٦.

إِمَّا قَتِيلًا وَإِمَّا هَالِكًا

وَالشَّيْبُ شَيْنٌ لِمَنْ يَشِيبُ^(١)

فقد تعرضت أسد إلى حروب شديدة مبيرة، جذعت الأنف واستأصلت الشأفة، فكانت أيامها تستثير حزن القلب وتستنزف دمع العين، لذلك راح شعراؤها يعبرون في رثائهم عن كآبة صادقة، وجزع عميق، وشجن لا حد له، فكان رثاؤهم بكاء ونحيباً ولوعة صادقة، تنبعث من أعماق نفس جريح.

ولعل الأشجان التي تملأ أفئدتهم، وإحساسهم العميق بمأساة الحياة، جعلهم يستهلون قصائدهم ببكاء الديار الدراسة، والأحباب الراحلين، والأهل الذين دعتهم الدواهي، وما أكثر المطالع الحزينة في شعر عبيد:

أَمِنْ مَنَزِلٍ عَافٍ وَمِنْ رَسْمٍ أَطْلَالٍ

بَكَيْتَ؟ وَهَلْ يَكِي مِنْ الشُّوقِ أَمْثَالِي

دِيَارُهُمْ إِذْ هُمْ جَمِيعٌ فَأَصْبَحَتْ

بَسَابِسَ إِلَّا الْوَحْشَ فِي الْبَلَدِ الْخَالِي

أَبْعَدَ بَنِي عَمِّي وَرَهْطِي وَإِخْوَتِي

أُرْجِي لِيَاَنَ الْعَيْشِ ضُلًّا بِتَضْلَالِ

فَلَسْتُ وَإِنْ أَضَحَوْا مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ

بِنَاسِيهِمْ طُولَ الْحَيَاةِ وَلَا سَالِي^(٢)

(١) ديوان عبيد: ١١.

(٢) ديوان عبيد: ١١٢-١١٣.

ولعل الناظر في شعر أسد يرى أن الرثاء يكاد يحتل المرتبة الأولى لا يدانيه أو يتقدم عليه غرض سوى الفخر. والفخر والرثاء يقرران حالة واحدة، هي الاحتراب الدائم، فإما منتصر يفخر، وإما مهزوم يرثي قتلاه. ويختلط الرثاء بالفخر حتى لنلمس بعض سمات الفخر في كثير من المراثي.

والرثاء يصادف القارئ في كثير من صفحات ديوان أسد، ولكن هل كان لشعرائهم أسلوب خاص أو اتجاه معين فيه؟ لقد حفل شعر الرثاء الأسدي بموضوعات ومعان وأساليب شتى، إذ نجد فيه بكاء الأهل والعشيرة التي أفتتها الحروب كالذي في شعر عبيد، كما نجد فيه رثاء الولد والأخ، وفي هذا الرثاء نلمس حرقاً شديدة ولوعة صادقة وحزنًا يفطر قلب الشاعر المفجوع، فبغثر بن لقيط، كلمًا هبت الريح وحملت إلى أنفه رائحة ثوب ولده، تعطف على الثوب يشمه، وكأنه ناقة رائم تتعطف على بو:

كَسَانِي ثَوْبِي طُعْمَةَ الْمَوْتِ إِنَّمَا التُّـ

ـرَاتُ وَإِنْ عَزَّ الْحَيِّبُ الْغَنَائِمُ

إِذَا نَفَحَتْ رِيَاهُمَا الرِّيحُ نَفْحَةً

أَيُّتُ كَأَنِّي غَضَّةُ الطَّرْفِ رَائِمٌ^(١)

وفقد أبو السَّمال صبره لفراق ولده، وأظهر جزعه حتى بات الناس يلومونه في ذلك، ولكن فقد الولد جرح في الفؤاد لا آسي له:

(١) القسم الثاني: م (٥٩). والتراث: الميراث.

كَأَنِّي وَسَمَلًا مِنَ الدَّهْرِ لَمْ نَعِشْ
جَمِيعاً وَرَيْبُ الدَّهْرِ لِلْمَرْءِ كَارِبُ
يَعِيرُنِي الْأَقْوَامُ بِالصَّبْرِ بَعْدَهُ
وَلَيْسَ لَصَدْعٍ فِي فُؤَادِي شَاعِبٌ^(١)
أَمَّا رُبَيْعَةُ أَبُو ذُؤَابٍ، فَإِنَّهُ وَجَدَ الْعِزَّاءَ فِي الَّذِي نَالَهُ ذُؤَابٌ مِنْ قَتْلِهِ بَنِي
يَرْبُوعَ، فَقَدْ طَالَ فَارِسُهُمُ الْمَشْهُورُ عُتَيْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَكَأَنَّ الْقَتِيلَ نَارٌ مِنْ قَتْلِهِ،
فَأُطْفِئَ بَعْضُ نَارِ الثَّأْرِ فِي قَلْبِ الْوَالِدِ الْمَفْجُوعِ:
وَلَقَدْ عَلِمْتُ عَلَى التَّجَلُّدِ وَالْأَسَى
أَنَّ الرِّزْيَةَ كَانَ يَوْمَ ذُؤَابٍ
إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ هَتَكْتَ يُوتَهُمْ
بِعُتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شَهَابٍ
بِأَحْبِهِمْ فَقَدْ أَدَّى إِلَى أَعْدَائِهِمْ
وَأَشَدَّهُمْ فَقَدْ أَدَّى عَلَى الْأَصْحَابِ
غَيْرَ أَنَّ الْفُؤَادَ لَا يَسْلُو، وَالشَّاعِرُ لَنْ يَنْسَى ذُؤَاباً مَا اضْطَرَبَ سَرَابٌ فِي أَرْضِ:
مَا أَنْسَ لَا أَنْسَاهُ آخِرَ عَيْشِنَا
مَالَاخَ بِالْمَعْزَاءِ رَيْعُ سَرَابٍ^(٢)

^(١) المصدر السابق: م (٢٧٣).

^(٢) القسم الثاني: ق (٦٠). والمعزاء: الأرض الغليظة. ورعي السراب: ما اضطرب منه.

والأخ سند أخيه وعونه على الأعداء والمبغضين، والفجيرة فيه، فضلاً عن أنها مصاب بشقيق عزيز على النفس فقده، تهدد ركناً ركيناً وسنداً مكيناً يستند إليه الأخ في الخطوب والشدائد، قال مغلس في رثاء أطيظ:

لَعْمَرِي لَقَدْ خَلَيْتَنِي وَمَوَاطِنًا
تُشِيبُ النَّوَاصِي لَوْ أَتَاكَ يَقِينُهَا
وَأُبَدَّتْ لِي الْأَعْدَاءُ بَعْدَكَ مِنْهُمْ

نَرَى دِمْنٍ مَا كَانَ يَلِدُو دَفِينُهَا^(١)
ودعا الشعراء، صَوَّبَ الغمام تسقي قبور الأحبة وتروِّي أجسادها، وكأنهم يعبرون عن رغبتهم بقهر الموت، وذلك بانبعاث الحياة النضرة على الأرض التي ضمت أجساد موتاهم، وكأن تجدد الحياة على الأرض انبعاث الروح في الجسد، قال ربيعة:

أَذْوَابُ صَابَ عَلَى صَدَاكَ فَجَادَهُ
صَوَّبُ الرَّيِّعِ بِوَابِلٍ سَكَابِ^(٢)

ودعا مغلس أن يسقي الله جسد أخيه بمطر لا تنكشف غيومه:

سَقَى اللَّهُ أَصْدَاءَ بَرْقَدٍ وَذِمَّةً
بَرْقَدٍ ذَهَاباً لَا تَجَلَّى غُيُومُهَا^(٣)

(١) المصدر السابق: ق (٣٠)، البيتان: (٧، ٨).

(٢) القسم الثاني: ق (٦٠).

(٣) المصدر السابق: ق (٣٠)، البيت (١).

ولعل النواح والندب والبكاء السمة الأشد وضوحاً في مراثي النساء
الشواعر، وهنّ يكيّن فرسان أسد وأبطالها من أزواجهن وأخوتهن، أو آبائهن
وأعمامهن، بعد أن اعتامهم الموت، وهاهي هند بنت معبد تندب ابن عمها
خالد بن حبيب، فتقول:

أَمْسَى بِوَائِكَ مَلَلْنِ الْبُكَاءَ
وَشَرُّ عَهْدِ النَّاسِ عَهْدُ النَّسَاءِ
فَأَبْنُ حَبِيبٍ فَأَبْكِيَا خَالِدًا
لِحَفْنَةٍ مَلَأَى وَزِقٌ رَوَى
وَأَبْنُ حَبِيبٍ فَأَبْكِيَا خَالِدًا
لِطَعْنَةٍ يَقْضُرُ عَنْهَا الْإِسَاءُ
إِنْ تَبْكِيَا لَا تَبْكِيَا هَيْئًا
وَمَا بِمَا مَسَّكُمْ مِنْ خَفَا^(١)

وكان النواح والبكاء على الميت شأن من شؤون النساء لا يليق بالرجال أن
تفعله، ولذلك يدع أهبان بن همام النواح على أبيه وشق الجيوب لنساء عشيرته:

عَلَى مِثْلِ هَمَّامٍ تَشْقُ جُيُوبَهَا
وَتُغْلِنُ بِالنُّوحِ النَّسَاءُ الْفَوَاقِدُ^(٢)

(١) المصدر السابق: م(٦٨). والإسَاء: الإساء، أي الدواء.

(٢) القسم الثاني: (٨١).

ويتفق الشعراء والشواعر في مراثيهم على ذكر مناقب موتاهم وفضائلهم، ولعل الشجاعة والكرم أبرز صفتين وصف بها الشعراء موتاهم، فابنة قيس بن جابر، فارس بني كاهل الذي قتلته تغلب أكدت في رثائها أباهاً بأنه كان فارس قومه الذي احتمت به أحياء بني أسد في السنين الماضية:

فَقَدْ عَلِمَتْ أَحْيَاءُ زَيْدٍ وَكَاهِلٍ
وَعَمَرٍ وَدُودَانٍ قَبِيلِ الْغَوَاضِرِ
بِأَنَّ أَبِي قَدْ كَانَ فَارِسَ قَوْمِهِ

بِهِ تَتَّقِي حَدَّ الرُّمَاحِ الشَّوَاجِرِ^(١)

ومن طبائع الأمور أن نجد ابنة قيس تكاد تقتصر في تعداد مناقب المرثي على الفروسية والشجاعة، ذلك أن القتل فارس بطل سقط في أرض المعركة وهو يرأس أسداً في يوم من أيامها. في حين نجد شعراء آخرين لم يقتصروا على وصف المرثي بالشجاعة، إذ كان للكرم، وقضاء الحاجة، ونصرة المظلوم، وإطعام الأرامل والجياع، نصيب وافر في رثائهم، قال الجميح في رثاء نضلة بن الأشتر:

يَا نَضْلَ، لِلضَّيْفِ الْغَرِيبِ، وَلِلـ
جَارِ الْمَظِيْمِ، وَحَامِلِ الْغُرْمِ
أَوْ مَنْ لَأَشْنَعَتْ بَعْلُ أَرْمَلَةٍ
مِثْلَ الْبَلِيَّةِ، سَمَلَةِ الْهَدْمِ^(٢)

(١) القسم الثاني: م(١٠٠). والشواجر: المختلفة المتداخلة.

(٢) القسم الثاني: ق(١٣)، البيتان (١٢، ١٣). والبلية: الناقة تُشدّ عند قبر صاحبها.

وذكر أهبان في رثائه أباه مجموعة من الخلال والخصال المحمودة، فهو جواد
يبتغي الناس عطاءه، حسن الذكر، حلو الشمائل والحديث، لا يستثقله حليسه،
وهو فتى القوم وسيدهم سواء أكان في قومه، أم في قوم آخرين، أم في محافل
الملوك، قال:

عَلَى قَبْرِ مَنْ يُرْجَى نَدَاهُ وَيُتَغَى
جَدَاهُ، إِذَا لَمْ يَحْمَدِ الْأَرْضَ رَائِدُ
كَرِيمِ النَّشَا حُلُو الشَّمَائِلِ يَنَّهُ
وَبَيْنَ الْمَرْجَى نَفْسٌ مُتَبَاعِدُ
فَتَى الْحَيِّ إِنْ تَلَقَاهُ فِي الْحَيِّ أَوْ يُرَى
سِوَى الْحَيِّ أَوْ ضَمَّ الرَّجَالَ الْمَشَاهِدُ
إِذَا نَازَعَ الْقَوْمَ الْأَحَادِيثَ لَمْ يَكُنْ
عَيَّاً وَلَا ثِقْلاً عَلَى مَنْ يُقَاعِدُ
صَبُورٌ عَلَى الْعِلَاتِ يُصْبِحُ بَطْنُهُ
خَمِيصاً وَآتِيَهُ عَلَى الزَّادِ حَامِدُ^(١)
وليس في الشعر الأسدي رثاء يشبه المديح،^(٢) ذاك الرثاء الذي يشيد

(١) المصدر السابق: ق(٨١). والجداء: العطاء. والمرجى: ليس بتمام الشرف.

(٢) ذهب قدامة وابن رشيق إلى أن الرثاء يشبه المديح. انظر نقد الشعر: ١٠٠، والعمدة

بفضائل المرثي ويعدد مناقبه وصفاته، دون وقدة حزن ولوعة تضطرم في نفس الشاعر، ذلك أننا لا نجد في شعر أسد رثاء للملوك أو سادة مدحيين من أجواد العرب، وإنما رثاؤهم كان مقتصرأ على قتلاهم وموتاهم سواء أكانوا سادة فرسانا أم أقارب أعزّة، وهم عندما يذكرون سجاياهم وخصالهم، فإنما يدفعهم إلى ذلك الحزن الصادق والتفجع الحارق الذي يبعث الماضي حاضراً حياً في خاطر الشاعر ووجدانه، فينطلق لسانه بذكر ما كان عليه الفقيد الذي فجّع به الشاعر، أو فجّعت به أسد كلها.

المديح:

يكاد يخلو ديوان الشعر الأسدي الجاهلي من المديح، وإذا استثنينا ديوان بشر، لا نجد أثراً للمديح المتكسب، سوى بيتين لعبيد، قالهما في مديح شراحيل الكندي، ووصفه فيها بالكرم في العطاء، فقال:

وإلى شَراحِيلِ اهُمَامٍ بَنَصْرِهِ
نَصَرَ الْأَشْياءَ سَريُّهُ مُسْتَرْغَدُ
مَنْ سَبيُّهُ سَحُّ الْفُراتِ، وَحَمْلُهُ
مُزَنُ الْجِبَالِ وَيَلُّهُ لَا يَنْقَدُ^(١)

ولا نعلم تماماً فيما إذا كان هذا المديح للتكسب أم أنه كان لغاية قبلية، ولا سيما أن ملوك كندة كانوا حكام بني أسد.

(١) ديوان عبيد: ٤٥. والأشياء: النخل الصغار. ونصرها: حملها من الثمر. والسري:

النهر. والمسترغد: الكثير.

ومن المعروف أن عبيداً كان يفد على الملوك، وعلى الرغم من ذلك لا
نقف في ديوانه إلا على قصيدة مدح واحدة، قالها في الملك الكندي حجر،
وكانت استعطافاً واعتذاراً أكثر منها مديحاً، فقد بكى فيها الشاعر قومه بكاء
حاراً، رقق له قلب الملك فعفا عنهم، بعد أن طردهم إلى تهامة، قال:

يَا عَيْنِ فَابْكِي مَا بَنِي
أَسَدٍ فَهُمْ أَهْلُ النَّدَامَةِ
أَهْلُ الْقِيَابِ الْحُمْرِ وَالنَّـ
عَمِ الْمُؤَبَّلِ وَالْمَدَامَةِ
جِلًّا - أَيَّتَ اللَّغْنِ - جِلًّا
إِنَّ فِيمَا قُلْتُ أَمَامَهُ
فِي كُلِّ وَادٍ بَيْنَ يَثُ
رَبِّ فَالْقُصُورِ إِلَى الْيَمَامَةِ
تَطْرِيبُ عَانٍ أَوْ صِيَا
حُ مُحَرَّقٍ أَوْ صَوْتُ هَامَةٍ
وَمَنْعَتُهُمْ نَجْدًا فَقَدْ
حَلُّوا عَلَيَّ وَجَلِي تَهَامَةِ

.....

إِذَا تَرَكْتُ تَرَكْتُ عَفْوَ
 — أَوْ قَتَلْتُ فَلَا مَلَامَةَ
 أَنْتَ الْمَلِكُ عَلَيْهِمْ
 وَهُمْ الْعَبِيدُ إِلَى الْقِيَامَةِ
 ذُلُّوا لِسَوْطِكَ مِثْلَ مَا
 ذَلَّ الْأَشْجِيُّ قُرُ ذُو الْخِزَامَةِ^(١)

ولعل من الواضح أن مدحة عبيد أو بكائيته تخلو من التكسب والاستجداء،
 فالشاعر لم يذكر كرم الممدوح وجوده، وإنما وصفه بالقوة والاقتدار، ووصف
 قومه بالذل والانقياد لهذا الملك القوي استعطافاً وتذلاً من الشاعر كي يعفو
 الملك عنهم.

ولا نقف في الشعر الأسدي الذي جمعناه إلا على مقطوعة في الحمد والثناء،
 وكأنها رسالة عرفان من سيد فارس إلى صديق ماجد كريم، أرسلها الجميع إلى
 خُرَاشَةَ بن عُلْبَةَ المُرِّيِّ، فقد ذكر أن فرس الجميع عُقِرَ في إحدى غزواته، فجاء
 إلى خُرَاشَةَ، وكان لخُرَاشَةَ ابن أسير في بني سُلَيْم، وكانوا يسومون خُرَاشَةَ أن
 يفديه بفرسه مرهوب، وهو فرس رائع، فيأبى. فلما جاءه الجميع حملة عليه،
 وترك ولده في الأسر، فقال الجميع يثني على خُرَاشَةَ ويحمده:

(١) ديوان عبيد: ١٢٥-١٢٦. والهامية: البومة. والخزامة: حلقة من شعر تجعل في وتره

أنف البعير.

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِمَنْ لَمَّا تَكَاءَ دَنِي
كَسَبُ الْجِيَادِ حَشَا سَرْجِي بَمَرْهُوبِ
وَقَلَّتِ الْخَيْلُ عِنْدِي وَاخْتَلَلَتْ لَهَا
وَخَصَّنِي الشُّرُكُ أَرْبَابُ الْمَنَاجِبِ
هَذَا الثَّنَاءُ وَإِنْ تَحُبُّبِكَ مَأْرَبَةٌ
فِي الْمَالِ ذَا نَكْبَةٍ أَوْ غَيْرَ مِنْكَوْبِ
إِصْبِرْ لَهَا وَتَجِدْنِي دَائِمًا خُلُقِي
وَالْقَوْلُ مِنْهُ كَثِيرٌ غَيْرُ مَرْقُوبِ^(١)
كما نجد بيتين لفضالة بن هند مدح فيهما فضالة بن كلدة، ووصف فيهما
الشاعر ممدوحه بالفروسية والشدة في محالدة الأعداء، فقال:
فَفِدَى أُمِّي وَمَا قَدْ وَلَدْتُ
غَيْرَ مَفْقُودٍ، فَضَالَ بَنَ كُلْدِ
حَمَلَ الْوَرْدَ عَلَى أَذْبَارِهِمْ
كُلَّمَا أَدْرَكَ بِالسَّيْفِ جَلْدُ^(٢)

(١) القسم الثاني: م(١). وتكاءد: كابد. واختل: احتاج. والشُّرك: الاشتراك. والمأربة:

الحاجة.

(٢) المصدر السابق: م(٧٣). والورد: فرس فضالة.

ولعل البيتين أدخل في الفخر منهما في المديح، فالشاعر يفدي بأمه سيداً فارساً من قومه يجالد أعداءهم، وليس فضالة بن كلدة بغمر، فهو جواد أسد وممدحها الذي أصفاه أوس بن حجر مدائح، فلما مات خصه بمراثيه.

هذا كل ما حواه شعر الأسدين قبل الإسلام من المديح، خلا شعر بشر الذي حوى مدائح في عمرو بن أم إياس الكندي، وأوس بن حارثة الطائي، وبني بدر الفزاريين. ويسمع صوت التكسب عالياً في مديح بشر لابن أم إياس، فهو يصور مشاق رحلته إليه، ثم يتحدث عن سيبه ونوافله، فيصوره بحراً يفيض لمن أناخ ببابه، يهب القينات شبه الربرب، ويمنح المائة الهجان، قال:

فإلى ابن أم إياس عمرو أرقلت
رثك النعام في الجدب السبب
بحر، يفيض لمن أناخ ببابه
من سائل، وثمال كل معصب
الحافظ الحيّ الجميع إذا شتوا
والواهب القينات شبه الربرب
والمانيح المائة الهجان بأسرها
تزجي مطافلها كجنة يثرب^(١)

(١) ديوان بشر: ٣٨-٣٩. وأرقلت: أسرعت. والرتك: سير سريع فيه اهتزاز. والسبب: الأرض القفر البعيدة. والتمال: الغياث والمطعم في الشدة. والمعصب: الفقير. والربرب: القطيع من بقر الوحش. والمطفل: الناقة مع ولدها.

أما مديحه لأوس وبني بدر فأكثر صدقاً، إذ يخفت فيه صوت المال ويبدو فيه الإعجاب الصادق بممدوحيه، وكان بشر قد هجا أوساً طمعاً بالمال، فلما وقع في يد أوس منّ عليه وأطلقه وحباه، فانعطف إلى مدحه، لذلك برز في هذا المدح امتنان الشاعر وشكره لممدوحه وصدق إعجابه به، ووجه له، وكانت أول مدحة له فيه قوله:

وإنّي لَرَّاجٍ مِنْكَ يَا أَوْسُ نِعْمَةً
وإنّي لِأُخْرَى مِنْكَ يَا أَوْسُ رَاهِبُ
فهلْ يَنْفَعُنِي الْيَوْمَ إِنْ قُلْتُ إِنَّنِي
سَأَشْكُرُ إِنْ أَنْعَمْتَ وَالشُّكْرُ وَاجِبُ
وإنّي إِلَى أَوْسٍ لِيَقْبَلَ عِذْرَتِي
وَيَعْفُو عَنِّي مَا حَيَّتْ لِرَاغِبُ
فإنّي سَأَمُحُو بِالَّذِي أَنَا قَائِلُ

به صادقاً ما قلتُ إذ أنا كاذِبُ^(١)
مديح أوس واجب على بشر مادام حياً، للنعمة التي أنعم بها عليه، ولسوف يحو بمديحه الصادق ماقاله في هجائه الكاذب، لذلك كانت مدائح بشر في أوس تنضح بهذا الإحساس، وتدور حول هذه المعاني.^(٢)

(١) ديوان بشر: ٤١-٤٢.

(٢) انظر المصدر السابق: ١٠٦-١٠٨.

كما أسبغ بشر على ممدوحيه من حلفاء قومه الفزاريين صفات الشرف
والرفعة، والحلم ورجاحة العقول، وصون الجار، وإطعام الناس في الشدة، فقال:

لَمَّا تَخَالَجَتِ الْأَهْوَاءُ قُلْتُ لَهَا:

حَقٌّ عَلَيْكَ دُؤُوبُ اللَّيْلِ وَالسَّهْدُ

حَتَّى تَزُورِي بَنِي بَدْرٍ فَلِئَنَّهُمْ

شُمُّ الْعَرَائِينِ لَا سُودٌ وَلَا جُعْدُ

لَوْ يُوزَنُونَ كَيْلًا أَوْ مُعَايَرَةً

مَالُوا بِرَضْوَى وَلَمْ يَغْدِلْهُمْ أَحَدُ

الْقَاعِدِينَ إِذَا مَا الْجَهْلُ قِيمَ بِهِ

وَالثَّاقِبِينَ إِذَا مَا مَعَشَرَ خَمَدُوا

لَا جَارُهُمْ يَرْهَبُ الْأَحْدَاثَ وَسَطَهُمْ

وَلَا طَرِيدُهُمْ نَاجٍ إِذَا طَرَدُوا

وَمَا حَسَدْتُ بَنِي بَدْرٍ نَصِيْبَهُمْ

فِي الْخَيْرِ، دَامَ لَهُمْ مِنْ غَيْرِي الْحَسَدُ^(١)

وإذا كان صوت التكسب خافتاً في مديح بشر لأوس وسادة فزارة، فهذا لا
يعني أن الشاعر لا ينال عطاياهم، وإنما يدل على أن بواعث مديحه إياهم لا

(١) المصدر السابق: ٥٧-٥٨. ورضوى: جبل ضخيم.

تتحصّر في التكبس وحسب، وإنما كان يخالطها إعجاب وحبّة لسادة تحلّوا
بخلال صفات كريمة، فضلاً عن أنهم حلفاء قبيلته.

وليس مصادفة أن يكون غرض المديح ضئيلاً في ديوان الشعر الأسدي، وإنما
لذلك أسبابه وعوامله، وأولها أن جمهرة الشعراء الأسديين من الفرسان، وليس
المديح والاستعطاف والاستجداء والتملق من أخلاق الفتى الفارس. وثاني هذه
الأسباب أن حظ المديح عامة في شعر الفحول المشهورين أوفر منه في شعر
غيرهم، ولعل أبرز شعراء أسد ثلاثة هم عبيد وبشر وعمرو، وحوى شعر بشر
قدراً طيباً من المديح، أما عمرو فلم يكن ممن يتكسبون بالشعر لأنه من
الفرسان، وأما عبيد فجاهلي قديم عاش في مجتمع القبيلة المتماسك، قبل أن تدفع
حركة التجارة والربا في الجزيرة إلى أوضاع اجتماعية جديدة، تجلّت في ظهور
أغنياء وفقراء في مجتمع القبيلة، مما أدى إلى تصاعد قيمة المال في المجتمع، وفقدان
القبيلة بعض تماسكها، هذه الأوضاع الجديدة دفعت بالشعراء إلى مديح السادة
والملوك من أجل الكسب المادي لا من أجل غايات قبلية، دفعاً للحاجة
والخصاصة، فانتسج غرض المديح في الشعر واغتنت مقوماته الفنية، ولعل هذا ما
يفسر لنا ندرة المديح في شعر عبيد وكثرته في شعر بشر.

الغزل:

معظم الغزل الأسدي نسيب في مطالع القصائد، فيه بكاء على ديار الأحبة،
ووصف للظعن الراحلة، وتعبير عن الوجد واللوعة التي يعانيتها الشاعر من الفراق أو
هجر الحبيب، ووصف مادي للمرأة، بعد ذلك ينعطف الشاعر إلى غرضه
الأساسي، وقد يرد الغزل في ثنانيا القصيدة، ولا نجد في ديوانهم كله قصيدة غزل
صرف، وإن كان الغزل يطول في بعض القصائد، ويقصر في بعضها الآخر.

ولعل أكثر القصائد الطوال في شعر أسد تبدأ بالنسيب، وتتنوع أساليب تلك المطالع، فقد يبدأ الشاعر بتذكر ديار المحبوبة فيبيكيها، ثم يطلب من صاحبيه أن يعرجا عليها، كالذي نجده في عينية عمرو بن شأس:

مَتَى تَعْرِفِ الْعَيْنَانِ أَطْلَالَ دِمْنَةٍ
لِلَّيْلِ بِأَعْلَى ذِي مَعَارِكٍ تَدْمَعَا
عَلَى النَّحْرِ وَالسَّرْبَالِ حَتَّى تَبْلُهُ
سَجُومٌ وَلَمْ تَجْزَعْ إِلَى الدَّارِ مَجْزَعَا
خَلِيلِيَّ عُوجَا الْيَوْمَ نَقْضُ لُبَانَةَ
وَالَّا تَعُوجَا الْيَوْمَ لَا نَنْطَلِقُ مَعَا^(١)

وقد يبدأ الشاعر بذكر الحبيب الطاعن، وما هاج رحيله في القلب من مواعج ومواعد، كالذي استهل به بشر همزته، إذ ذكر عناء قلبه لبين سلمى، ثم صور رحيلهم ووجده على فراقهم، فقال:

تَعْنَى الْقَلْبَ مِنْ سَلْمَى عَنَاءُ
فَمَا لِلْقَلْبِ مُذْ بَانُوا شِفَاءُ
هُدُوءًا ثُمَّ لَا يَأْ مَا اسْتَقَلُّوا
لِوُجْهِتِهِمْ وَقَدْ تَلَعَ الضُّحَاءُ

(١) شعر عمرو: ٣٣-٣٤. واللبانة: الحاجة.

وَأَذَنْ أَهْلُ سَلَمَى بَارْتِحَالٍ

فَمَا لِلْقَلْبِ إِذْ ظَعَنُوا عَزَاءُ^(١)

وصور الشعراء في معرض ذلك مراكب الأحبة الطاعنة وما كساها من
برود موشاة ملونة، قال عبيد:

لِمَنْ جِمَالٌ قُبِيلَ الصُّبْحِ مَزْمُومَةٌ

مُيَمَّمَاتٌ بِلَادًا غَيْرَ مَعْلُومَةٍ

عَالَيْنَ رَقْمًا وَأَنْمَاطًا مُظَاهَرَةً

وَكِلَّةٌ بَعِثَتْ الْعَقْلَ مَقْرُومَةٍ

مِلْعَقَرِيٍّ عَلَيْهَا إِذْ غَدَوْا صَبَحَ

كَأَنَّهَا مِنْ نَجِيعِ الْجَوْفِ مَذْمُومَةٌ^(٢)

ودقق بعض الشعراء في وصف الديار وما أصابها من دروس وعفاء بفعل
الأرواح والأمطار، وشبهوها بالسطور على المهارق أو بالشامات على الخد،
قال مضرّس:

قَفَا تَعْرِفَا بَيْنَ الدَّحَائِلِ وَالْبُتْرِ

مَنَازِلَ كَالْخِيَلَانِ أَوْ كُتُبِ السَّطْرِ

(١) ديوان بشر: ١.

(٢) ديوان عبيد: ١٢٧. ومزومة: عليها الأزمّة. والرقم: البرود. والأنماط: ضرب من
البسط. والعقل: ثوب أحمر يجلل به الهودج. والقرام: الستر الأحمر. ومن العبقري، أي:
كريم. ومدمومة: مطلية بالدم.

عَفَّتْهَا السُّمِيُّ الْمُدْجَنَاتُ وَزَعَزَعَتْ

بِهِنَّ رِيَّاحُ الصَّيْفِ شَهْرًا إِلَى شَهْرٍ^(١)

غير أن بعض الشعراء لم يذكروا الديار، ولم يعرجوا عليها، وإنما استهلوا قصائدهم بالغزل الصرف، فحاجب بن حبيب بدأ بإعلان حبه للمرأة التي شغفت فؤاده وذكر سعي الرشاة بينهما:

أَعْلَنْتُ فِي حُبِّ جُمْلٍ أَيْ إِعْلَانٍ

وَقَدْ بَدَأَ شَأْنَهَا مِنْ بَعْدِ كِتْمَانٍ

وَقَدْ سَعَى بَيْنَنَا الْوَاشُونَ وَاخْتَلَفُوا

حَتَّى تَحَنَّنْتُهَا مِنْ غَيْرِ هِجْرَانٍ^(٢)

وبدأ كعب بن الرواع قصيدته بتذكر ابنة العرجي التي شغفته منذ الصغر، فامتلاً قلبه حزناً، هذه الفتاة المرحلة اللعوب لا تنول صاحبها إلا الحديث، ويظنها الجاهل ضلة وتحامقاً أنها تحبه، قال:

ذَكَرَ ابْنَةَ الْعَرْجِيِّ فَهُوَ عَمِيدُ

شَغَفًا شَغِفَتْ بِهَا وَأَنْتَ وَلِيدُ

(١) القسم الثاني: م (١٨٢). والخيلان: مفردها خال، وهو الشامة. والسمي: الأمطار. والمدجنة: السحابة الماطرة.

(٢) القسم الثاني: ق (٤٩)، البيتان (١، ٢).

وَيَخَالُهَا الْمَرْحُ السَّفِيهُ تَحِبُّهُ

وَنَوَالُهَا غَيْرَ الْحَدِيثِ بَعِيدُ^(١)

وترتبط معاني الغزل التي يسوقها الشعراء بالدوافع الباعثة على القول، فإذا كانت دوافع الغزل فنية بحتة لا تلمس صبوة ولا تصيب موجعا من مواقع القلب، جاء الغزل في الأعم الأغلب قصيراً لا يستغرق إلا أبيات قليلات، وإذا كانت غاية الشاعر من قصيدته الهجاء بدا في غزله جلدأً قوياً فاتر العاطفة، لا يتضرع ولا يتذلل لمحبوته بل يصد إذا صدت، ويلهو بغيرها من الأوانس الحسان، وكأن الشاعر يتهياً بذلك لهجاء خصومه، أو كأن هذه المرأة التي ادعى حبها هي الأعداء الذين سيعضهم بأنياب حداد، ومن ذلك ما نبجده في بائية بشر التي هجا فيها أوس بن حارثة إذ استغرق المطلع الغزلي ستة أبيات، ثم انعطف إلى هجاء أوس والفخر ببني أسد، فقال:

تَغَيَّرَتِ الْمَنَازِلُ بِالْكَثِيبِ

وَعَقَّى آيَهَا نَسْجُ الْجَنُوبِ

مَنَازِلُ مِنْ سُلَيْمَى مُقْفِرَاتُ

عَفَاهَا كُلُّ هَطَّالٍ سَكُوبِ

وَقَفْتُ بِهَا أَسْأَلُهَا وَدَمْعِي

عَلَى الْخَدَّيْنِ فِي مِثْلِ الْغُرُوبِ

(١) المصدر السابق: م (١٠١). والعميد: الشديد الحزن.

نَأَتْ سَلَمَى وَغَيْرَهَا التَّنَائِي
وَقَدْ يَسْأَلُو الْمُحِبُّ عَنِ الْحَبِيبِ
فَإِنْ يَكُ قَدْ نَأَتَنِي الْيَوْمَ سَلَمَى
وَصَدَّتْ بَعْدَ إِلْفٍ عَنْ مَشِيبي
فَقَدْ أَلْهُو إِذَا مَا شِئْتُ يَوْمًا
إِلَى يَبْضَاءَ آنَسَةٍ لَعُوبِ
أَلَا أَلِغُ نَيْي لَأَمْ رَسُولًا
فَيْئَسَ مَحَلُّ رَاحِلَةِ الْغَرِيبِ^(١)

وحين يصدر الشاعر في غزله عن تجربة صادقة، ألت به، وأثارت مشاعر نفسه ولواعج فؤاده، فإن الغزل يأتي دافئ العاطفة صادق المشاعر سامي المعاني، ولعمرو بن شأس أبيات ذائعة مشهورة، طريفة مبتكرة، نبيلة المشاعر ثرة العاطفة، لأنها صدرت عن تجربة حقيقية عاشها عمرو، إذ روي أن رجلاً من عامر بن صعصعة جاور عمراً ومعه بنت له من أجمل النساء، فخطبها عمرو إلى أبيها، فقال أبوها: أما مادمت جاراً لكم فلا، لأنني أكره أن يقول الناس غصبه أمره، ولكن إذا أتيت إلى قومي فاخطبها إلي أزوجهكها. فوجد عمرو من ذلك في نفسه، فلما ارتحل أبوها، هم عمرو بغزو قومها، فسار في أثر أبيها، فلما ظفر به استحيا من جواره، ونظر إلى الجارية وقد أخرجت رأسها من الهودج تنظر

(١) ديوان بشر: ٢٠-٢١.

إليه، فلما رآها رجع مستحيّاً متذمّماً منها، وقال:
 إِذَا نَحْنُ أَذْلَجْنَا وَأَنْتِ أَمَامَنَا
 كَفَى لِمَطَايَانَا بِرِيَّاكِ هَادِيَا
 أَلَيْسَ يَزِيدُ الْعِيسَ خِفَّةً أَذْرُعُ
 وَإِنْ كُنَّ حَسْرَى أَنْ تَكُونِي أَمَامِيَا
 ذَكَرْتُكَ بِالذَّيْرَيْنِ يَوْمًا فَأَشْرَفْتُ
 بَنَاتُ الْهَوَى حَتَّى بَلَغْنَ التَّرَاقِيَا
 أَعْدُ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ
 وَقَدْ عِشْتُ دَهْرًا لَا أَعْدُ اللَّيَالِيَا
 إِذَا مَا طَوَاكِ الدَّهْرُ يَا أُمَّ مَالِكِ
 فَشَأْنُ الْمَنَائِي الْقَاضِيَاتِ وَشَأْنِيَا
 فَمَا مَسَّ جِلْدِي الْأَرْضَ إِلَّا ذَكَرْتُهَا
 وَإِلَّا وَجَدْتُ طَيْبَهَا فِي ثِيَابِيَا^(١)

ونجد ميلاً إلى الغزل الصريح عند بعض الشعراء الأسديين، كعبيد الذي يروي مغامراته ويذكر تبطنه للرود الكعاب، وتعاطيه جدهن، كقوله:

^(١) شعر عمرو: ١٠٧-١٠٨. وفي البيت الأخير قطع، وهو حذف خامسه الساكن من التفعيلة.

وَقَدْ تَبَطَّنْتُ مِنْ لِ الرِّيمِ أَنْسَةَ

رُودَ الشَّابَابِ كَعَاباً ذَاتَ أَوْضَاحٍ^(١)

وغاص عبيد في أعماق المرأة العانس، فأدرك ما يفعله في نفسها توذد
الرجال إليها فمنحها ودّه واحتسب ذلك في صالح أعماله التي أمل أن ينال
عليها الجزاء، فالعمل الصالح لا يعدم جوازيه:

وَبَيَّتْ عَذَارَى يَرْتَمِينَ بِخِذْرِهِ

دَخَلْتُ وَفِيهِ عَانِسٌ وَمَرِيضٌ

فَأَقْرَضْتُهَا وَدِّيَ لِأَجْزَاهُ إِنَّ مَا

تَدُقُّ أَيَادِي الصَّالِحِينَ قُرُوضُ^(٢)

ووصف الشعراء محبوباتهم، فتشابهت الأوصاف عند الشعراء كلهم في
القصائد كلها، وكأنهم يصفون محبوبة واحدة، فهي دائماً طفلة بيضاء ناعمة،
ضامرة البطن والكشجين، ثقيلة الردفين، مبتلة العظام، طويلة الجيد مصقولة
الترائب، طيبة الريح، منعمة العيش، قال بشر:

وَفِي الْأَنْظَعَانِ أَنْسَةٌ لَعُوبٌ

تَيَمَّمْ أَهْلُهَا بَلَدًا فَسَارُوا

(١) ديوان عبيد: ٤٠. والرود: الشابة. والأوضاح: الحلبي من الفضة.

(٢) ديوان عبيد: ٨٠.

مِنَ اللَّاتِي غُذِيَ بِغَيْرِ بُؤْسٍ
 مَنَازِلُهَا الْقَصِيَّةُ فَالْأَوَارُ
 نَبِيلَةُ مَوْضِعِ الْحِجْلَيْنِ خَوْذُ
 وَفِي الْكَشْحَيْنِ وَالْبَطْنِ اضْطِمَارُ
 نَقَالَ كُلَّمَا رَامَتْ قِيَاماً

وفيهما حينَ تَبْعُثُ أَنْبَهَارُ^(١)
 وحيد المرأة كجيد الرُّمِّ وعيناها كعيني بقرة وحشية، وأنفها كعروق
 الذهب، رجراجة الجسد من رخص ورطوبة، وهي بعد ذلك رخيمة الصوت،
 قال عمرو بن شأس:

لِيَالِي تَسْتَبِيكَ بِجِيدِ رِثْمٍ
 وَعَيْنِي جُوذَرٍ يَقْرُوا الصَّرِيمَا
 وَأَنْفٍ مِثْلِ عِرْقِ السَّامِ حُرٌّ
 وَتَسْمَعُ مَنْطِقاً مِنْهَا رَخِيماً
 بَرَهْرَهَةً يَحَارُ الطَّرْفُ فِيهَا
 وَتُبْدِي وَاضِحاً فَخْماً وَسِيماً^(٢)

^(١) ديوان بشر: ٦٤-٦٥. والحجل: الخلخال. والخود: الشابة الحسنة. والانبهار: انقطاع النفس.

^(٢) شعر عمرو: ٦٣-٦٤. والجوذر: ولد البقرة الوحشية. ويقرو: يتبع. والصريم: قطع الرمل. والسام: عروق الذهب. والبرهرة: المرأة التي ترعد رطوبة.

أما ثغرها فيشبه الأحقوان في أرض منقطعة أصابه المطر، فهو ريان ندي،
ولثاتها سمراء كالإممد، قال كعب بن الرواع:

وَإِذَا تَبَسَّيْتُ قُلْتُ: شَوْكُ سَيَالَةٍ

أَوْ أَقْحُوَانُ صَرِيْمَةٍ مَعَهُ—وَدُ

رِيَانُ رُكْبٍ فِي نُحَالَةٍ إِنْمِدٍ

خُضْرٍ تُزَيِّنُهُ غَدَائِرُ سُودٍ^(١)

ولفم المرأة مذاق الخمر الرقيقة المزاج، قال عبيد:

إِذَا ذُقْتُ فَاهَا قُلْتُ: طَعْمُ مُدَامَةٍ

مُشَعَّشَةٍ تُرْخِي الْإِزَارَ قَدِيحٍ^(٢)

هذه الأوصاف الجمالية أجمع عليها شعراء الجاهلية كلهم، ومنهم شعراء
أسد، فهم لا يرسمون في فنههم الشعري الصورة الحقيقية للمرأة التي يحبون، وإنما
يصورون النموذج الجمالي الأمثل للمرأة كما كان يتصوره العربي الجاهلي.

ولعل لهذا التصور علاقة بالمعتقد الأسطوري القديم حين قدس العرب المرأة
على أنها ربة الخصب، لذلك صوروها ضخمة الأعضاء الجنسية، فهي ثقيلة
الأرداف والكفل، لقاء الفخذين، ممتلئة الساقين والثديين، ضخمة العجيزة أما
هنها فرايي المحسة. وزال هذا المعتقد من أذهان العرب في الجاهلية المتأخرة،

^(١) القسم الثاني: م (١٠١). والسيال: شجر. والإممد: الكحل. والخضرة، هنا: السمرة.

^(٢) ديوان عبيد: ٢٩. والمشعشة: الرقيقة المزاج. وترخي الإزار: أي تجعل شاربها يسير
مختلاً مرخي الإزار. والقديح: أي أخذ منها بالقدح.

ولكن الشعراء ظلوا يصورون المرأة وفق النموذج الشعري القديم، حرياً على سنن الشعراء الأقدمين، دون وعي منهم بالعلاقة بين هذا النموذج الجمالي وبين المعتقد القديم بالمرأة الآلهة.

وبعد.

فشعر الغزل الأسدي لا ينفرد بسمات خاصة، إنه غزل تقليدي جاء أكثره كما ذكرت من قبل، في مطالع القصائد، ولم يفرد له قصيدة أو مقطوعة، وهذا ما يفسر لنا ندرة الغزل في الشعر الأسدي الذي جمعناه، إذ لا نجد فيه من الغزل إلا خمسة مطالع لقصائد ضائعة، ولولا ديوانا عبيد وبشر وشعر عمرو لأقفر أو كاد الشعر الأسدي الذي بين أيدينا من الغزل، ولما تمكنا من تلمس جوانب هذا الموضوع في أشعارهم.

وصف الحيوان:

زخر الشعر الأسدي بوصف حيوان الصحراء أليفه ووحشيه، وخصه الشاعر بأجمل صورته وأجود أشعاره. وكانت عناية الأسديين بحيوان الصحراء منبعثة من منافع هذا الحيوان لهم، فمن لحومه وألبانه غذاؤهم، وعلى ظهره رحيلهم وانتقالهم وغزوهم وصيدهم. ولقيت الإبل والخيل عناية خاصة من شعراء القبيلة، لأنها أوثق بحياة البدوي، وأشد صلة بأسباب معيشتهم من سائر الحيوانات الأخرى.

أ- الإبل:

استأثرت الإبل بحب الشعراء الأسديين واهتمامهم، لأنها الحيوان الذي قاسم الأسدي قساوة العيش في الصحراء، وخفف عنه كثيراً من أعبائها، فكان عماد حياته في الغذاء والكساء والحل والترحال، ومؤنس وحشته في الصحراء،

فعلى ظهر الناقة يقطع الشاعر السباسب ليلحق بالأحبة:

فَأَلْحَقْنَا بِالْقَوْمِ كُلِّ دِفْقَةٍ

مُصَدَّرَةٌ بِالرَّحْلِ وَجَنَاءَ شِمْلَالٍ^(١)

وهي الوسيلة التي تفرج عن الشاعر الهم وتذهب عن نفسه بواعث الضيق والغم إذا تكاثرت عليه الهموم:

وَلَقَدْ أَسْلَى الْهَمَّ حِينَ يُعَوِّدُنِي

بِنَجَاءِ صَادِقَةِ الْهَوَاجِرِ ذِعْلَبٍ^(٢)

وهي المال التي يحمل بها الحملات، ويدفع الديات، ويفتك الأسرى، قال ضرار بن فضالة:

وَقَالُوا غَبْنَاكُمْ فَقُلْتُ كَذَبْتُمْ

ذَهَبْتُمْ بِأَذْوَادٍ وَأَطْلَقْتُ سَيِّدًا^(٣)

وبها يؤدي الحقوق ويغيث الأرامل والمعتفين، ويكرم الضيفان، قال مضرّس:

(١) ديوان عبيد: ١١٤. والدفقة: الناقة التي تندفق في سيرها. والشملال: الخفيفة

السريعة.

(٢) ديوان بشر: ٣٥. والنجاء: السرعة. وصادقة الهواجر: تسير في شدة الحر. والذعلب:

الناقة السريعة.

(٣) القسم الثاني: م (١٠٨).

وَضَيْفٌ جَاءَنَا وَاللَّيْلُ دَاجٌ
 وَرِيحُ الْقَرِّ تَحْفِزُ مِنْهُ رُوحَا
 فَطَرْتُ بِمُنْصُلِي فِي يَغْمَلَاتٍ
 دَوَامِي الْأَيْدِ يَخْبِطُنَ السَّرِيحَا^(١)

ولأهمية الناقة في حياة الأسدي انعقدت روابط الألفة المثينة بينهما، وكان التجاوب عميقاً بين الشاعر وناقته، وقد بلغت المشاركة الوجدانية حداً جعل الشاعر يرى أن ناقته تتسم بالخلال التي يعتز بها العربي من كرم وأداء حقوق، فإبل مضرّس تنضرع إلى السيف كي يعقرها فتتعش الناس بلحومها:

مَنَاعِيشُ لِلْمَوَلَى تَظَلُّ عُيُونُهَا
 إِلَى السَّيْفِ تَسْتَبْكِي إِذَا لَمْ تُعَقِّرِ^(٢)
 وإذا كانت الناقة تصحب الشاعر في القفار وتحضه على الكرم والقرى، فلا غرابة أن يراها توأم نفسه وأغلى ماله، فيساوي في الفداء بينها وبين نفسه، قال بشر في مديح أوس بن حارثة:

فِدَى لَكَ نَفْسِي يَابْنَ سُعْدَى وَنَاقَتِي
 إِذَا أَبَدَتِ الْبَيْضُ الْخِدَامَ الضَّوَائِعُ^(٣)

^(١) القسم الثاني: ق(١٧٣). وتحفز: تدفع. والمنصل: السيف. واليعملة: الناقة القوية على العمل. والسريح: حرق تلف بها أيدي الإبل.

^(٢) القسم الثاني: م(١٨٤).

^(٣) ديوان بشر: ١١٦. وأراد: إذا كشفت النساء البيض عن خلاخيلهن ليسرعن في الحرب.

ولعل من العوامل النفسية لإعجاب العربي بهذا الحيوان بنيانه الضخم القوي، وقدرته الهائلة على تحمل المشاق والسفر الطويل، والصبر الشديد على الجوع والعطش، لذلك راح الشعراء يصورون هيئة الناقة وأعضائها تصويراً دقيقاً، فلم يتركوا فيها عضواً ولا جزءاً بلا وصف أو تصوير أو تشبيه. كما تحدثوا عن سماتها وشياتها وسرعتها، وشبهوها بالثور الوحشي وبالنعامة أو حمار الوحش، وأول ما أثار اهتمامهم في وصفها ارتفاعها وضخامتها، فشبهها عبيد بالحصن المطلي بالطين:

أَفَلَا تَنَاسَى حُبَّهَا بِجُلَالَةٍ

وَجَنَاءَ كَالْأَجْمِ الْمَطِينِ وَلُوسٍ^(١)

وتحدثوا عن ضخامة أجزائها فكاهلها كالرحل وسمامها كالقصر المرتفع، قال عمرو:

إِلَى حَارِكٍ مِثْلِ الْغَبِيطِ وَتَامِكٍ

عَلَى صُلْبِهَا كَأَنَّهُ نَضْبُ مِجْدَلٍ^(٢)

ووصفوا أنفها وهامتها ومناسمها وشبهوها بأشياء تدل على الصلابة والقوة، كما وصفوا مشافرها وعينيها، قال عمر بن شأس:

(١) ديوان عبيد: ٦٨. والجلالة: الضخمة. والوجناء: العظيمة الرجتين. والولوس:

السريعة.

(٢) شعر عمرو: ٥٣. والحارك: الكاهل. والغبيط: الرحل. والتامك: السنام المرتفع.

وَحَطَمَ كَبِيرُطَيْلِ الْقَيْوَنِ وَمِشْفَرٌ
 خَرِيعٌ كَنَغَلِ السُّنْدُسِيِّ ابْنِ أَقْوَسٍ
 وَعَيْنٌ كَمِرَاةِ الصَّنَاعِ وَهَامَةٌ
 كَجَنْدَلَةِ الضَّبِّ الْأَصَمِّ الْمُجَرَّسِ
 تَذُقُ الْحَصَى مُجْمِرَاتٍ وَمَنْسِيمٍ
 أَصَمٌّ عَلَى عَظْمِ السَّلَامَى مُكَدَّسٍ^(١)

وكثر على ألسن الشعراء الأوصاف والنعوت التي تدور حول قوة هذا الحيوان وشدته وقدرته على مقاومة ظروف الحياة القاسية، فتحدثوا عن اكتناز اللحم وصلابته، والقوة والشدّة والغلظة، والجرأة والسرعة، فشبهوها بسندان الحداد، والصخرة، والجمل الضخم، وكثرت الألفاظ والعبارات التي تدل على الصلابة والقوة كالمقدوفة، والغدافرة، والجُمالية، والعِرمس، والغلباء، والعَجَنَس، والعَنَس، وفتلاء الذراعين، فناقة حاجب بن حبيب كالجمل قوية صلبة ضخمة سريعة:

هَلْ أَبْلُغْنَهَا بِمَثَلِ الْفَحْلِ نَاجِيَةً
 عَنَسٍ عُدَا فِرَّةٍ بِالرَّحْلِ مِذْعَانٍ^(٢)

^(١) شعر عمرو: ٢٩-٣٠. والخطم: الأنف. والبرطيل: المعول. والخريع: المسترخي. والمجرس: المجرَّب. والمجمرات: الأقدام الصلبة. والسلامى: عظم في فرسن البعير.
^(٢) القسم الثاني: ق(٤٩). والعنس: القوية. والغدافرة: الضخمة.

ووصف الشعراء سرعة نوقهم ومضاءها، وقابلوا بينها وبين حيوانات أخرى
عرفت بالشدة والسرعة كالنعامة، والحمار الوحشي، والثور الوحشي، فأكدوا
بذلك صفة السرعة التي أرادوا تصويرها، وأضافوا على نوقهم طابع الشدة،
فعييد يقطع السباسب على ناقة صيعرية خفيفة صعبة، تشبه الثور الوحشي
الموشى بالسواد والبياض:

وَلَقَدْ أَقْطَعُ السَّبَاسِبَ وَالشُّهُنَّ —

بَ عَلَى الصَّيْعَرِيَّةِ الشُّمْلَالِ

عَنْتَرِيْسٍ كَأَنَّهَا ذُوْ وَشُومٍ

أَخْرَجَتْهُ بِالْجَوِّ إِخْدَى اللَّيَالِي (١)

وشبه حاجب ناقتة بحمار أبيض الخاصرتين، أتاه سهم من رام، عندما اقترب
من ماء «ماوان» فراح يعدو سريعاً طالباً النجاء، قال:

كَأَنَّهَا وَاضِحُ الْأَقْرَابِ حَلَّاهُ

عَنْ مَاءِ مَاوَانَ رَامٍ بَعْدَ إِمْكَانٍ

فَجَالَ هَافٍ كَسَفُودِ الْحَدِيدِ لَهُ

وَسَطَ الْأَمَاعِزِ مِنْ نَقْعِ جَنَابَانٍ

(١) ديوان عبيد: ١١٠-١١١. والسبب: المفازة. والشهب: الفلوات. والصيعرية: الناقة

لها سمة في عنقها.

تَهْوِي سَنَابِكُ رِجْلَيْهِ مُحَبَّبَةً

فِي مُكْرَرٍ مِنْ صَفِيحِ الْقَفِّ كَذَّانٍ^(١)

وكثرت الألفاظ والمعاني والصور التي تدل على سرعة الناقة ونشاطها،
فناقة بشر يسمع لنسوع رحلها صوت عند سيرها يشبه صرير القناة عند
الثّفاف، قال:

فَسَلَّ طَلَابَهَا، وَتَعَزَّزَ عَنْهَا

بِنَاجِيَةٍ تَحْيَلُ بِالرِّدَافِ

بِحُرِّ جُوجٍ يُطُّ النَّسْعُ فِيهَا

أَطِيطَ السَّمْهَرِيَّةُ فِي الثَّقَافِ^(٢)

وأشار الشعراء إشارات قليلة إلى وسائل زجرها لدفعها إلى السرعة في السير
فأشار عبيد إلى استعمال السياط لإكراهها على الإسراع والإرقال، فقال:

رَفَعْنَا عَلَيْهِنَّ السَّيَاطَ فَقَلَّصَتْ

بَنَا كُلُّ فِتْلَاءِ الذَّرَاعَيْنِ مِرْقَالٍ^(٣)

(١) القسم الثاني: ق (٤٩). والأقرب: الخواصر، ووصف حمراً. وحلأه: منعه. والهاني:
السريع. والأماعز: الأرض الغليظة. والتحنيب: أحديداب في الذراعين. والقف: الصلب من
الأرض. والكذّان: الحجارة الرخوة.

(٢) ديوان بشر: ١٤٥. وتخيّل: تبختر. والرداف: الرديف الذي يركب خلف الراكب.
الخرجوج: الناقة الخفيفة.

(٣) ديوان عبيد: ١١٣. والمرقال: السريعة.

ولن نحاول استقصاء ما قاله الأسديون في الناقة، فالقول كثير، إذ لم يتركوا جزءاً أو هيئة أو سمة من سماتها إلا تحدثوا عنه، واستخدموا إلى ذلك الصور والتشابه التي التقطوها مما وقعت عليه عيونهم في بيئتهم.

ولا نجد في قصائد الشعر الأسدي إطالة في وصف الناقة، وإنما يصفها الشاعر بأبيات قليلة، ثم يشبهها ببقرة وحشية أو حمار أو ظليم، فينتقل إلى وصف هذا الحيوان، وقد يروي بعض مشاهد صيده. غير أن بشراً قدم في قصيدة ميمية أكمل صورة للناقة في الشعر الأسدي، إذ وقف طويلاً عندها فدقق في أجزائها وأعضائها وهيئتها، ووقفها وسيرها حتى استغرق وصفه إياها ثمانية عشر بيتاً، استوفى فيها صفات هذا الحيوان الذي أثار إعجاب الجاهلي وحيرته وتأمله، وكأنّ بشراً أراد لناقته أن تضارع ناقة طرفه التي تعد أوفى صورة للناقة في الشعر الجاهلي.

ب- الخيل:

شغلت الخيل شطراً واسعاً من حياة الأسدي، واحتلت مكانة أثيرة في نفسه، لا يدانيها فيها حيوان آخر، حتى الإبل التي كان عليها عماد حياته في حلّه وترحاله وغذائه وكسائه، ولعل ذلك يعود إلى طبيعة الحياة الحربية التي عاشتها القبيلة، مما دفعها إلى امتلاك أسباب القوة متمثلة في الخيل والسلاح، فعلى ظهورها تفاجئ الأعداء، وتصبحهم بالغارة الشعواء، وعلى ظهورها تتحصن منهم في صحراء مترامية النواحي لا أطام فيها ولا حصون.

وإذا كان ذلك ينطبق على سائر القبائل العربية قبل الإسلام، التي خاضت فيما بينها صراعاً دائماً، فإن عناية أسد بالخيل ومعرفتهم بها فاقت أقرانهم من

القبائل الأخرى، حتى أن أبناء القبائل كانت تخاف أن تشتري الفرس منهم.^(١) وكان حظهم من اقتناء كرائمها وعتاقها وافرأ، وقد وقفت على ذكر لسته وثلاثين فرساً من أفراسهم المنسوبة.^(٢)

وبطبيعة الحال فإن عنايتهم بالخيّل تجلت في أشعارهم، فشغلت حيزاً واضحاً من شعر القبيلة، وحوى ديوانها عدداً وافرأ من الشعراء الفرسان الذين ذكروا أفراسهم بأسمائها، وتحدثوا بإعجاب وتقدير عن بطولاتها في الشدة والبلاء، فتداخلت بطولاتهم ببطولات خيلهم، وفخرهم بأنفسهم بفخرهم بأفراسهم، والمطالع في شعر القبيلة يرى بوضوح أن أسداً تفخر بخيولها في الحرب فخرها بفرسانها وربما أكثر، قال بشر:

وَخَيْلٍ قَدْ لَبَسَتْ بِجَمْعٍ خَيْلٍ
عَلَى شَقَاءٍ عَجْزِلَةٍ وَقَاحٍ
إِذَا خَرَجَتْ يَدَاهَا مِنْ قَيْلٍ
أُيْمَمُهَا قَيْلاً ذَا سِرَالِحٍ^(٣)

ولست الخيل وقاء للقبيلة في الحرب وحسب، وإنما هي مفخرة ومكرمة في السلم تنافس بها أبناء القبائل الأخرى في السبق والرهان، قال فضالة يخاطب فرسه «ناصرها»:

(١) انظر المعاني الكبير ١: ١١٠.

(٢) انظر هذا البحث ص: ٤٦-٤٧.

(٣) ديوان بشر: ٤٧. والشقاء: الطويلة. والعجزلة: القوية. والوقاح: الصلبة الحافر.

أَنَا صِرْحُ كَمْشٍ لِلرَّهَّانِ فَإِنَّهَا

غَدَاةُ رَهَّانٍ جَمَعَتْهَا الْحَلَاكِبُ^(١)

وإذا كانت الخيل الحصن والعتاد في الحرب، والبهاء والزينة في السلم، فمن حقها على أصحابها الإكرام والصيانة وحسن السياسة، لذلك آثر الأسدي فرسه على نفسه، فبات طاويا وأطعمه، واحتمل القر وأدفاه بردائه، قال فضالة يخاطب «ناصحا»:

أَتَذْكُرُ الْبَاسِيكَ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ

رِدَائِي وَإِطْعَامِيكَ وَالْبَطْنُ سَاغِبُ^(٢)

وعُدوا أفراسهم من العيال، وقربها بعضهم أكثر من عياله، فحفظه بن فاتك كان يؤثر فرسه على أولاده فيطعمه قوتهم:

أَعْدَدْتُ حَزْمَةً وَهِيَ مُقَرَّبَةٌ

تُقَفِّي بِقُوتِ عِيَالِنَا وَتَصَانُ^(٣)

وحبس مطير بن الأشيم اللبن على فرسه «زَوْبَر» من دون عياله، فقال:

(١) القسم الثاني من هذه الرسالة: م(٢١٠). وكمش: جدٌ وأسرع. والحلبة: الدفعة من

الخيول.

(٢) القسم الثاني: م(٢١٠).

(٣) المصدر السابق: م(٣٤٢). حزمة: فرسه. وتقفي: تؤثر.

جَزَّتْنِي مَا جَفَّنَتْ لَهَا عِيَالِي

وَصَبْرِي فِي الْمَقِيطِ لَهَا لِقَاحِي^(١)

والفرس التي آثرها الفارس على نفسه وأهله، لم تخيب ظنه وقت الشدة، بل جزته أحسن الجزاء، وهذا ما ذكره مطير، وكثير هم الشعراء الذين أثنوا على أفراسهم وذكروا حسن جزائها إياهم، قال حنظلة:

جَزَّتْنِي أَمْسٍ «حَزْمَةٌ» حُسْنِ سَعْيِي

وَمَا أَقْفَيْتُهَا دُونَ الْعِيَالِ^(٢)

وتغنى الشاعر الأسدي بامتلاكه الفرس واحتفاظه به على العدم والإقتار، فلا يبيع فرسه مهما ضاقت به السبل والمسالك، قال فضالة:

أَنَا صِخْ هَذِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ

عَلَيَّ وَنَذِرُ لَا أَيْبُكَ وَاجِبٌ^(٣)

وصور هؤلاء الشعراء زوجاتهم يلمنهم ويعذلنهم، ليبعوا أفراسهم، ويغريهم بارتفاع أثمانها غير أن الشعراء يعرضون عما تقوله الزوجات، ويظهرون ولعهم بخيلهم وإعجابهم بجمالها، قال حاجب بن حبيب:

(١) المصدر السابق: م (٢٥٧). وجفت: منعت. والصبر: الحبس.

(٢) المصدر السابق: م (٣٤١).

(٣) المصدر السابق: م (٢١٠). والهدي: النعم التي تنحر في البيت الحرام.

وَبَاتَتْ تَلُومٌ عَلَى ثَادِقٍ
لِيُشْرَى فَقَدْ جَدَّ عَصِيَانَهَا
أَلَا إِنَّ نَجْوَكَ فِي ثَادِقٍ
سَوَاءٌ عَلَيَّ وَإِعْلَانُهَا
وَقَالَتْ: أَغْنَيْنا بِهِ إِنِّي
أَرَى الْخَيْلَ قَدْ ثَابَ أَمَانُهَا
فَقُلْتُ: أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّهُ
كَرِيمُ الْمَكْبَةِ مَبْدَأُهَا
وَقُلْتُ: أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّهُ
جَمِيلُ الطَّلَالَةِ حُسَّانُهَا^(١)
ولإعجاب الشعراء بخيلهم راحوا يدققون في أوصافها، فيصفون أجزائها
وأعضاءها، ويصورونها في الجري والوقوف. وكانوا يستحبون فيها الصلابة
والقوة والضحامة وشدة الفتل لتكون قادرة على تلبية مطالبهم في ظروف
طبيعية قاسية، قال عمرو بن شأس:
مُدْمَجٌ سَابِغُ الضُّلُوعِ طَوِيلُ الشَّـ
خُصِّ عَيْلُ الشَّوَى مُمَرُّ الْأَعَالِي^(٢)

(١) المصدر السابق: ق (٤٨). وثاب: ارتفع. وكريم المكبة، أراد: على الأعداء، أي يهزمهم.

(٢) شعر عمرو: ٩٦. وعيل الشوى: غليظ القوائم. وممر: محكم شديد الخلق.

وأحبوا أن تكون مضمرّة مهضومة الحشا، فذلك أسرع لها، لذلك شبهها
الجميع بالقناة المستقيمة، فقال:

جَرْدَاءٌ كَالصَّعْدَةِ الْمَقَامَةِ، لَا

قُرْزَوَى مَتْنَهَا وَلَا حَرِمٌ^(١)

وتحدث بشر عن تضييرهم الخيل كل يوم حتى تراها حسيمة نهدة فيها
ضمرور وانضمام، قال:

يُضَمَّرُ بِالْأَصَائِلِ، فَهُوَ نَهْدٌ

أَقْبُ مُقْلَصٌ فِيهِ أَقْوَرَارٌ^(٢)

والسرعة من أحب الصفات في الفرس فهي عماد الكر، والفرّ، تمكّن
فارسها من الانقضاض السريع على الأعداء، ومن النجاء إذا عضت به الحرب،
لذلك صوروا سرعة جريها، وشبهوها بحيوانات عرفت بسرعة العدو أو بطيور
لاحمة عرفت بقوة الطيران وسرعة الانقضاض فشبه عبيد الخيول بكلاب الصيد
الجائعة أرسلها صاحبها في أثر الطريدة:

مُسْرِعَاتٍ كَأَنَّهُنَّ ضِرَاءٌ

سَمِعَتْ صَوْتَ هَاتِفٍ كَلَابٍ^(٣)

^(١) القسم الثاني: ق(١٠). وجرءاء: قصيرة الشعر. وزوى: شنج. والحريم: الحرمان.

^(٢) ديوان بشر: ٧٧. وقوله: «اقورار»، وصل همزة القطع للضرورة. والأقب: الضامر

البطن. والاقورار: الضمرور.

^(٣) ديوان عبيد: ٢٣.

وشبه بشر فرسه وهي تعدو مسرعة بعقاب لينة الجناح، تقلبه كيفما
شاءت، فقال:

يُشَبِّهُ شَخْصُهَا، وَالْخَيْلُ تَهْفُو

هُفُوءًا ظِلَّ قَتَحَاءِ الْجَنَاحِ^(١)

كما صور خفة الخيل ونشاطها في أرض المعركة، فهي تختلف في المعرك
وتضرب الأرض بأيديها، وكأنها قطعاً وقع في شرك، فهو ينزو ويشب من النواحي.^(٢)
وشبه ضرار بن الأزور فرسه بسهم منطلق في الجو، فقال:

أُنْهَضُهُ عَنِّي نَفْسَهُ وَكَأَنَّهُ

بِذِي الرِّمِّثِ وَالْغَضِيَاءِ مَرِيخُ مُعْتَلٍ^(٣)

ولم يكتف الشاعر الأسدي برسم الصورة الخارجية لفرسه في العدو، وإنما
تحدث عن نبضات قلبه السريعة، وارتفاع نفسه بعد الجري، ففرس مُطِير بن
الأشيم يتقطع حزامه بالزفير والشهيق بعد طول الجري، قال:

لَهُ زَفْرَةٌ بَعْدَ طُولِ الْجِرَاءِ

يُقَطِّعُ مِنْهَا الْحِزَامَ الشَّدِيداً^(٤)

(١) ديوان بشر: ٤٧.

(٢) انظر ديوان بشر: ٤٦.

(٣) القسم الثاني: م (٢٣٧). وذو الرمث والغضياء: منبت الرمث والغضا. والمريخ:

السهم ينظر كم مدى ذهابه.

(٤) المصدر السابق: م (٢٥٨).

وشبه بشر نفس فرسه وهو يخرج من منخره عندما يشند جريه بكير حداد
استعاره مستعير، فهو ينفخ فيه بشدة ليقضي حاجته قبل إرجاعه إلى صاحبه، قال:

كَأَنَّ حَفِيفَ مَنَخْرِهِ إِذَا مَا

كَتَمْنَ الرَّبَّوْ كَبِيرٌ مُسْتَعَارٌ^(١)

ودقق الشعراء في وصف أعضاء أفراسهم وأجزائها ولونها، وأحبوا من صفاتها
طول القوائم والعنق، وصغر الأذنين ودقتهما، وملاسة المتن واستدارته، فوصف
مُطَيَّر فرسه بطول العنق، ففارسها يزيد لها العنان ذراعاً على مافيه من طول:

تَزِيدُ الْعِنَانَ عَلَى طُولِهِ

ذِرَاعاً وَتُؤَنِّسُ شَخْصاً بَعِيداً^(٢)

كما وصف أذنيها بالدقة وكأنهما شوكتا جريدة، فقال:

وَسَامِعَتَانِ كَسُـلَّاتِنِي

عَسِيرِيَّةٍ مُؤَنِّسٍ مِنْ يَهُودَا^(٣)

وأحبوا في أوراكها الاستدارة والملاسة، وقد شبه عبيد وركيها بالقارورة
التي كبس فيها الطيب، فقال:

(١) ديوان بشر: ٧٨.

(٢) القسم الثاني: م (٢٥٨).

(٣) المصدر السابق.

أَمَّا إِذَا مَا أَدَبَرْتُ فَكَأَنَّهَا

قَارُورَةٌ صَفَرَاءُ ذَاتُ كَبِيرٍ^(١)

وتحدثوا عن ألوان خيولهم ودققوا في هذا الوصف، ففرس كليب بن نوفل
كميت اللون ماعدا ركبتها فهي من لون مغاير:
فَجَاءَتْ كُمَيْتًا مَا خَلَا رُكْبَاتِهَا

وَجَاءَ سِوَاهَا حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدًا^(٢)

ولولعهم بهذه الخيول صوروها في حالات شتى، فمطير صور فرسه واقفة
والذباب يدنو من عينيها، فتضربه بجفنيها فتقتله، قال:

تَكُوبُ الذُّبَابَ لَدَى طَرْفِهَا

أَمَامَ الْيَدَيْنِ وَقِصًّا لِهَيْدَا^(٣)

وصور طليحة بن خويلد فرسه عارية وصورها عليها جلالها، وصورها في
المعركة يضيء وجهها لمعان السيوف، فقال:

فَيَوْمًا تَرَاهَا فِي الْجِلَالِ مَصُونَةً

وَيَوْمًا تَرَاهَا غَيْرَ ذَاتِ جِلَالٍ

(١) ديوان عبيد: ٧٠.

(٢) القسم الثاني: م (١٢٨).

(٣) المصدر السابق: م (٢٥٨). والوقيص: الذي يُدَقُّ وَيُكْسَر. واللهد: الصدمة الشديدة.

ويوماً تَضِيءُ الْمَشْرِقِيَّةُ وَجْهَهَا

وَيَوْمًا تَرَاهَا تَحْتَ ظِلِّ عَوَالٍ^(١)

ومما تقدم نتبين أهمية هذا الحيوان الجميل النبيل في حياة الأسديين، والعرب عامة، حتى بلغ من اهتمامهم به أنهم قربوه واعتزوا به وفخروا باقتنائه، وأولوه من العناية والاهتمام مما لا نجد عند غيرهم من الأمم.

- ٢ -

بعد هذا التوقف عند أبرز موضوعات الشعر الأسدي، ثمة سؤال يطرح نفسه بإلحاح، وهو ما الذي يميز موضوعات الشعر الأسدي من غيرها من موضوعات أشعار القبائل؟

مما لا شك فيه أن موضوعات شعر أسد هي موضوعات الشعر الجاهلي عامة، تلك الموضوعات التي عبر من خلالها الشعراء الجاهليون عن القضايا التي شغلت أذهانهم وأثارت وجدانهم، وحركت مشاعرهم، إذ رسم هؤلاء الشعراء صورة صادقة عن البيئة الجاهلية ومعاناة إنسانها وطموحاته وأحلامه، فكان هذا الشعر لوحة غنية زاخرة بألوان الحياة والموت، والرّي واليبس، والفرح والحزن، واللذة والألم.

غير أن الاختلاف في البيئة الطبيعية وفي نمط الحياة الاجتماعية بين التجمعات القبلية في الجزيرة أدى إلى فروق بسيطة بين أشعار هذه البيئات، إذ نجد بعض التمايز في الأغراض والمعاني والصور بين شعر البيئة النجدية وأعلى

^(١) المصدر السابق: م (٣٠٨). والمشرقية: السيف. والعوالي: الرماح.

الحجاز وبين أشعار أهل القرى، أو أشعار القبائل الجبلية كهذيل، أو التي سكنت سيف البحر كعبد القيس وبكر.

وإذا كانت موضوعات الشعر الجاهلي واحدة فإن بعض الموضوعات كانت تضم في شعر بيعة، وتربو في شعر أخرى، فبوادي نجد وأعالي الحجاز سكنتها قبائل بدوية رعوية عاشت في رحلة وانتقال وغزو واقتال، مما وسم أشعارها بسمات متشابهة، تختلف عن سمات أشعار القبائل التي سكنت يثرب ومكة والطائف وغيرها من القرى، وعملت في الزراعة أو التجارة وليس هذا الاختلاف كبير، لأن النظام القبلي والتقاليد البدوية كانت سائدة في تلك القرى فأهلها أقرب إلى البداوة منهم إلى الحضارة.

والباحث في أشعار القبائل النجدية كأسد، وغطفان، وعامر، وطئ، وتميم يلمس بوضوح أن ثمة أغراضاً معينة تكثر في أشعار هذه القبائل وأن أغراضاً أخرى تقل أو تندثر فيها. وأن ثمة أغراضاً هي قسمة مشتركة في أشعار الجاهليين عامة.

ولعل من الصعوبة بمكان أن نجد ملامح فارقة بين أشعار القبائل النجدية، كأن نبحت عن سمات وملامح ينفرد بها شعر أسد دون غيره من أشعار غطفان وعامر، أو تميم وهوازن، أو غيرها من القبائل التي كان بينها وبين أسد حلف أو حوار، أو وقائع وغارات، فالأغراض التي يدور حولها الشعر الأسدي هي الأغراض نفسها التي تدور في أشعار هذه القبائل. وقد نجد اختلافاً في الخصائص والسمات بين شاعرين ينتميان إلى قبيلة واحدة، أكثر مما نجد من اختلاف في الطابع العام بين شعر قبيلتين نجديتين.

والفخر والهجاء أوسع أغراض الشعر الأسدي، وهما أوسع أغراض الشعر

القبلي، فالتنافس بين القبائل كان يدفع الشعراء إلى الفخر بقبائلهم وهجاء خصومها. والشعر الجاهلي في معظمه شعر قبلي، فمن البدهي أن يكون الفخر والهجاء أوسع أغراضه. ولعل نظرة يسيرة في أشعار القبائل تظهر ذلك بجلاء، إذ تضح أشعار القبائل النجدية وأعالي الحجاز بالفخر أولاً وبالهجاء ثانياً، ونلمس ذلك جلياً في شعر لييد وعامر بن الطفيل العامرين، وحاتم وزيد الخيل الطائيين، والنابعة والشماع الذبيانيين، وأوس وعلقمة التميميين، وعنزة وعروة العبسيين، ونجد الظاهرة نفسها في أشعار القبائل التي سكنت سيف البحر وأعالي الجزيرة إلى الفرات كشعر طرفة والأعشى والحارث بن حلزة البكرين، ومهلhel وعمر بن كلثوم والأحنس بن شهاب التغلبيين. ومثل ذلك نجد في أشعار أهل القرى كشعر قيس بن الخطيم الأوسي، وحسان بن ثابت الخزرجي، وأبي محجن الثقفي، وأشعار اليهود كالسموئل وسعية بن الغريض، ولا يخلو ديوان الحكيم المتأله أمية بن أبي الصلت من الفخر.^(١)

وشعراء القبائل كلها تفخر بأحسابها وأنسابها وسيادة قبيلتها، وعزتها وكثرتها، وشجاعتها وكرمها، وأيامها ووقائعها، وتهجو خصومها بالجن والفرار، والقلة والذلة، والخسة والغدر، واللوم والبخل. ونجد بعض الهجاء الفاحش في أشعار القبائل كلها وليس ذلك بدعاً في أسد.^(٢) وكما رأينا شعراء أسديين هجوا أقوامهم أو عاتبوهم فإن شعراء من القبائل الأخرى فعلوا ذلك كأفنون التغلي، وذو الإصبع العدواني، والنابعة الذبياني.^(٣)

(١) انظر ديوان أمية: ق ٩٣، وق ٩٤.

(٢) انظر مثلاً ديوان لييد: ٣٤٣، وديوان المتلمس: ق ٦.

(٣) انظر المفضليات: ٦٦م، وم ٣١، وديوان النابعة: ق ٤٤.

وإذا كانت كثرة الفخر والهجاء في شعر أسد والقيم التي فخر بها شعراؤها،
والمثالب التي هجوا بها خصومها، ليست أموراً خاصة ببني أسد، وإنما تنتظم أشعار
القبائل جميعها، فإن ثمة ظواهر في الفخر والهجاء تميز بها شعر القرى، مما لا نجده في
الشعر الأسدي والبدوي عامة، فليثرب والطائف وغيرها من القرى العربية التي
تعتمد الزراعة قيمها الاجتماعية النابعة من طبيعة حياتها الزراعية على الرغم من أن
التقاليد البدوية عميقة في نفوس أهل هذه القرى، فامتلاك الزروع والنخيل من
مظاهر الجاه والغنى في هذه المجتمعات، ومن ثم هو موضوع مفاخرة ومباهاة، وقد
فخر حسان بن ثابت بأنه ترك لولده داراً واسعة ونخلًا شارعة:

أُبْلِغُ عَيْدًا بِأَنِّي قَدْ تَرَكْتُ لَهُ

مِنْ خَيْرِ مَا يَتْرُكُ الْآبَاءُ لِلْوَلَدِ

الدَّارُ وَسِيعَةٌ وَالنَّخْلُ شَارِعَةٌ

وَالْبَيْضُ يَرْفُلُنَ فِي الْقَسِيِّ كَالْبَرَدِ^(١)

كما فخر بأن قومه الخزرج سكنوا يثرب، وفيها ما يشتهون من الأعناب:

وَفِيمَا اشْتَهَوْا مِنْ عَصِيرِ الْقِطَافِ

وَعَيْشٍ رَحِيٍّ عَلَى غَيْرِ هَمٍّ^(٢)

وفخر أمية بن أبي الصلت الثقفي بأن قومه قوم زراعة وفلاحة، عمّروا
البساتين والأشجار الكثيرة، فقال:

(١) ديوان حسان: ٦٣.

(٢) المصدر السابق: ٢٢٢.

فَأَنْبَتْنَا خَضَارًا فَـأَخِرَاتِ

يَكُونُ نِتَاجُهَا عِنْبًا وَتِينًا^(١)

هذا الجانب من الفخر لا نجد في شعر أسد، فالبيئة النجدية ليست بيئة زراعة واستقرار، والأعراب يأنفون من العمل في الزراعة أو الصناعة، ويرون في ذلك معرةً وغضاضة، وقد عيرت العرب بني أسد لأن رجلاً منهم، هو المهالك ابن عمرو بن أسد، عمل في صناعة الحديد.^(٢) كما عير الأخطل التغلبي في الإسلام بني النجار قوم حسان بأنهم قوم فلاحه وزراعة.^(٣)

وثمة ظاهرة في هجاء أهل القرى ولاسيما مكة حاضرة التجارة العربية آنذاك لا نجد في الشعر الأسدي أو غيره من الشعر البدوي، ولا تخطر للأعراب على بال في مجتمعهم الرعوي، تلك أمور نابعة من صميم حياة التجارة، فقد عير شعراء مكة تجار قريش بالطبائع الخسيسة للتجار كالرشوة، والسمسرة، والانشغال عن المكارم والمحامد بشمير المال في قوافل التجارة الذهبية والآية، والإقبال على أطيب الطعام، ومن ذلك ما نلجده في هجاء عبد الله بن الزبير لبي قصي بن كلاب، إذ ذكر ابن سلام أن الناس أصبحت بمكة وعلى دار الندوة مكتوب:

أَلْهَى قُصَايَا عَنِ الْمَجْدِ الْأَسَاطِيرُ

وَرِشْوَةٌ مِثْلُ مَا تُرْشَى السِّقَاسِيرُ

(١) ديوان أمية: ٥٠٦.

(٢) انظر جمهرة النسب: ١: ٢٦٤.

(٣) انظر شعر الأخطل ٢: ٤٨٣.

وَأَكْلُهَا اللَّحْمَ بَحْتًا لَا خَلِيطَ لَهُ
وَقَوْلُهَا: رَحَلْتُ عَيْرٌ مَضَتْ عَيْرٌ

وعُلم أن الذي كتبها ابن الزُّبَيْرِ^(١)
والرثاء غرض وجداني، ومن طبائع الأمور أن نجده قسمة مشتركة بين
البيئات الجاهلية كلها، فالموت يتخطف الناس كل يوم، والأهل والعشيرة تحزن
على موتها وتبكيهم.

غير أن الرثاء يأخذ حيزاً أوسع ويتسم بشجن أعمق في أشعار القبائل التي
كثرت أيامها وحروبها، وبنو أسد من تلك القبائل التي كثر فيها القتل والقتال،
لذلك اتسم رثاؤها بالحزن العميق واللوعة الصادقة، فبكى شعراؤها قتلاهم،
وعددوا مناقبهم، وعزموا على الثأر بهم، وكثر رثاء الشواعر اللواتي بكين
قتلاهن من فرسان أسد وأبطالها، وبذلك التقى شعراء أسد وشعراء القبائل
الحرية الأخرى، فكان رثاؤهم أشبه برثاء مهلهل التغلبي كليباً، ودريد بن
الصِّمَّة الجُشمي عبد الله، فعبيد في رثائه دودان استنكر بكاء الطلول من الشوق
لأنه محزون كليب على رهطه الذين قتلتهم الغساسنة.^(٢) وكذلك مهلهل
استنكر البكاء على الطلول لأن في الصدر غليلاً لم يبرد من مقتل كليب:

أَزْجُرِ الْعَيْنَ أَنْ تُبْكِيَ الطُّلُولَا
إِنَّ فِي الصَّدْرِ مِنْ كُؤِيبٍ غَلِيلَا

^(١) طبقات فحول الشعراء ١: ٢٣٥-٢٣٦.

^(٢) ديوان عبيد: ١١٢-١١٣.

إِنَّ فِي الصَّدْرِ حَاجَةً لَّنْ تَقْضَى
 مَا دَعَا فِي الْغُصُونِ دَاعٍ هَدِيداً
 كَيْفَ أَنْسَاكَ يَا كُلَيْبُ وَلَمَّا
 أَقْضِ حُزْناً يُنُوبُنِي وَغَلِيلاً^(١)
 ولا يرجو عبيد ليان العيش بعد ذهاب قومه، ولن ينسأهم طول الحياة،^(٢)
 وكذلك مهلهل لا يرجو لذة العيش بعد نداماه:
 مَا أَرْجِي فِي الْعَيْشِ بَعْدَ نَدَامَا
 يَ أَرَاهُمْ سُقُوا بِكَأْسِ حَلَاقٍ^(٣)
 وأبنت ابنة عامر الأسدية معقلاً الذي قتلته بنو تغلب، فوصفت شجاعته
 وإقدامه في الحروب:
 فَإِنْ تَكُنِ الْغَارَاتُ أُرْدَيْنَ مَعْقِلاً
 وَأَصْبَحَ رَهْنَ الْقَاعِ يَيْنَ الْأَعَاوِلِ
 فَمَا كَانَ وَقَافاً إِذَا الْخَيْلُ أَحْجَمَتْ
 وَلَا طَائِشاً نِكَسَا غَدَاةَ الْمَنَاضِلِ^(٤)

(١) الأغاني ٥: ٥٦.

(٢) دبران عبيد: ١١٢-١١٣.

(٣) الأغاني ٥: ٥٤.

(٤) القسم الثاني: م(١٠٤). والأعاول: من العويل. والوقاف: المحجم عن القتال.
والنكس: الضعيف.

وما أشبه هذا الرثاء برثاء دريد بن الصِّمَّة أخاه عبد الله الذي قتلته غطفان،
إذ قال:

فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَّى مَكَانَهُ

فَمَا كَانَ وَقَافاً وَلَا طَائِشَ الْيَدِ^(١)

ورثاء شاعرات أسد أشبه برثاء الخنساء السُّلمية أخاها صخرأ، وسعدى
الجهنية أخاها أسعد، ولعل سمة النواح والندب هي السمة الأكثر بروزاً في مرثي
النساء، ومر معنا نواح هند بنت معبد على ابن عمها خالد، وليس ببعيد عن
ذلك نواح الجهنية على أخيها أسعد، إذ تقول:

وَأَيَّتُ مُخْلِيةً أَبْكِي أَسْعَدًا

وَلِمَثْلِهِ تَبْكِي الْعُيُونُ وَتَهْمَعُ

وَتَيَّيْنُ الْعَيْنُ الطَّلِيحَةَ أَنَّهَا

تَبْكِي مِنَ الْجَزَعِ الدَّخِيلِ وَتَدْمَعُ

فَلْتَبْكِي أَسْعَدَ فِتِيَّةً بِسَبَابٍ

أَفُورُوا وَأَصْبَحَ زَادُهُمْ يُتَمَزَعُ^(٢)

ومثل ذلك بكاء الخنساء صخرأ، وهو ذائع مشهور، نكتفي منه بهذين
البيتين:

(١) الأصمعيات: ١٠٨.

(٢) الأصمعيات: ١٠٢. والطليحة: المتعبة. والسبب: المفازة. ويتمزع: يتقسم.

فَابْكِي أَخَاكَ لِأَيْتَامٍ وَأَرْمَلَةٍ
 وَابْكِي أَخَاكَ إِذَا جَاوَزْتَ أَجْنَابَا
 وَابْكِي أَخَاكَ لِخَيْلٍ كَالْقَطَا غُصْبَا
 فَقِذْنِ، لَمَّا ثَوَى، سَيِّئاً وَأُنْهَابَا^(١)

ويتشابه رثاء الأقارب عند شعراء القبائل كلها، فالشعر الأسدي لا يتميز
 بسمات خاصة في هذا الموضوع، ورثاء أبي ذؤيب ذؤيباً لا يبعد عن رثاء لبيد
 أربد، فالمصاب الجلل كان يوم ذؤاب:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ عَلَى التَّحْلُدِ وَالْأَسَى
 أَنَّ الرِّزْيَةَ كَانَ يَوْمَ ذُؤَابِ^(٢)
 وكذلك مصاب لبيد بأربد لا يوازيه مصاب آخر:

إِنَّ الرِّزْيَةَ لَا رَزْيَةَ مِثْلَهَا
 فَقَدَانُ كُلِّ أَخٍ كَضَوْءِ الْكَوْكَبِ^(٣)
 وذهب أهبان في رثاء أبيه إلى أنه كريم المخبر لطيف المعشر والخلال، فقال:
 كَرِيمُ النَّشَا حُلُوُ الشَّمَائِلِ بَيْنَهُ
 وَيَيْنَ الْمَرْجَى نَفْنَفٌ مُتَبَاعِدُ^(٤)

(١) ديوان الخنساء: ١١.

(٢) القسم الثاني: ق(٦٠).

(٣) ديوان لبيد: ١٥٥.

(٤) القسم الثاني: ق(٨١). والمرجى: ناقص الشرف.

وإلى ذلك ذهب ليبد في رثاء بعض أهله، فقال:

جَمِيلُ الْأَسَى فِيمَا أَتَى الدَّهْرُ دُونَهُ

كَرِيمُ النَّشَا حُلُو الشَّمَائِلِ مُعْجَبٌ^(١)

والحزن العميق واللوعة الحارقة التي نجدها في رثاء الأسدين أولادهم نجدها في رثاء زهير المزني سالماً، وأبي خراش الهذلي عروة، فأبو ذؤاب لن ينسى ولده أبداً الدهر:

مَا أَنْسَ لَا أَنْسَاهُ آخِرَ عَيْشِنَا

مَالَا حَ بِالْمَعْزَاءِ رَيْعُ سَرَابٍ^(٢)

وأبو السَّمَال لا آسى لجراح قلبه:

يُعَيِّرُنِي الْأَقْوَامُ بِالصَّبْرِ بَعْدَهُ

وَلَيْسَ لِصَدْعٍ فِي فُؤَادِي شَاعِبٌ^(٣)

وكذلك أبو خراش الهذلي لن ينسى أخاه عروة مادام حياً:

فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَى قَتِيلًا رُزْتُهِ

بِحَاثِبِ قَوْسَى مَامَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ^(٤)

(١) ديوان ليبد: ٧.

(٢) القسم الثاني: ق (٦٠). والمعزاء: الأرض الغليظة.

(٣) القسم الثاني: م (٢٧٣). والشاعب: المصلح.

(٤) ديوان الهذليين ٢: ١٥٨.

ويرى زهير أن ولده سالماً هو جلدة ما بين أنفه وعينه:

يُدِيرُونَنِي عَنْ سَالِمٍ وَأُدِيرُهُمْ

وَجِلْدَةُ يَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ^(١)

وتخلو قصائد الرثاء الأسدي من القصص الحزين التي يحفل بها على نحو خاص رثاء هذيل، فقصيدة الرثاء عند الشعراء الهذليين معرض لصور الصراع الدامي، تعبر عن إحساسهم بعمق مأساة الحياة وشمولها، إذ تصور الإنسان والحيوان والطير، فدالية ساعدة بن جُوَيْة في رثاء ابن أبي سفيان، صور فيها ساعدة جزعه من الموت، وحزنه على الميت، وذكر مناقب المرثي، ثم انصرف يروي قصة عن قوة القدر وريب الدهر الذي لا يدع أحداً مطمئناً في هذه الحياة، فصور وعلاً يتبعه الصياد حتى رماه بسهم من قوسه دخل فيه ونفذ منه:

أَرَى الدَّهْرَ لَا يَبْقَى عَلَى حَدَنَانِهِ

أَبُودُ بِأَطْرَافِ الْمَنَاعَةِ جَلَعَدُ^(٢)

ورثى أبو خراش أخاه عروة بلامية، صور فيها شجوه والتياعه، ثم انتهى إلى تصوير فواجع الدهر من خلال مأساة حمار وحشي، اندفع بأتنه إلى الماء لإرواء العطش، فبرز له الصياد، وكانت النهاية الدامية:

(١) شعر زهير: ٢٦٧.

(٢) ديوان الهذليين ١: ٢٤٠. والأبود: المتوحش. والمناعة: بلد. والجلعد: الغليظ.

أَرَى الدَّهْرَ لَا يَتَّقِي عَلَى حَدَثَانِهِ

أَقْبُ تَبَارِيهِ جَدَائِدُ حَوْلٍ^(١)

إنها المفارقة العجيبة، فقد أتاه سهم الموت من حيث أراد الحياة. أما عينية أبي ذؤيب التي تعد من عيون قصائد الرثاء العربي، فعرض فيها أبو ذؤيب أربعة مشاهد، تصور ريب الدهر ومأساة الحياة، فتحدث عن فجيعته بأولاده، ثم روى مأساة حمار وحشي، ثم مقتل ثور، ثم انتهى إلى وصف صراع هائل بين فارسين بطلين، وكانت نهايتهما الدامية ونهاية القصيدة معاً:

وَكِلَاهُمَا قَدْ عَاشَ عَيْشَةً مَاجِدٍ

وَجَنَى الْعَلَاءَ لَوْ أَنَّ^(٢) شَيْئاً يَنْفَعُ^(٣)

وكان أبا ذؤيب يقف على أشلاء القتيلين ليصور نهاية كل شيء في هذا العالم. وليست هذه إلا أمثلة قليلة من القصص الحزين في شعر الرثاء الهذلي.

ولعل إحادته هذيل لفن الرثاء وشيوعه عندهم، يعود إلى حياة الحرمان التي عاشوها قرب مناطق الغنى، وإلى الصعلكة التي اتخذوا منها مذهباً في الحياة فكانت القبيلة تودع كل يوم قتيلاً أو أكثر، يقول الدكتور أحمد زكي: «نعم كانوا محرومين فاضطربوا بين ماض مؤلم ومستقبل مظلم، وثار في فؤادهم محيط من الأشجان. وجدوا له متنفساً في الشعر الحزين، فاستعبروا على كل بائس

^(١) المصدر السابق ٢: ١١٧. والأقب: الحمار الخميص البطن. والجدائد: التي لا لبن لها.

والحول: التي لم تحمل من عامها.

^(٢) وصل همزة القطع للضرورة.

^(٣) المصدر السابق ١: ٢١.

يدب على الأرض أو يحلق في السماء».^(١)

وليس في الشعر الأسدي رثاء يشبه المديح، ذاك الرثاء الذي يشيد بفضائل المرثي ويعدد مناقبه وصفاته، دون وقدة حزن ولوعة تضطرم في نفس الشاعر، وإنما تدفعه إلى القول عاطفة الوفاء لسيد ممدّح جواد، نال نوافله وعطاياه في حياته، ذلك أننا لا نجد في شعر أسد رثاء للملوك أو سادة ممدحين من غير بني أسد، كالذي نجده في مرثي الشعراء المداحين، كرثاء النابغة الذبياني للنعمان الغساني،^(٢) أو أمية ابن أبي الصلت الثقفي لقتلى بدر من المشركين،^(٣) أو أوس ابن حجر التميمي لفضالة بن كلدة الأسدي،^(٤) أو زهير بن أبي سلمى المزني لهرم بن سنان،^(٥) فهذا الرثاء لا يندفع بإحساس عميق بالفاجعة على ما هناك من تفاوت لا نود الخوض فيه، بين صدق العاطفة في رثاء زهير لهرم وأوس لفضالة، وجهود العاطفة في رثاء أمية للقرشيين والنابغة للنعمان، ولا أدل على جهود عاطفة النابغة من ظنه بأن رجالاً يرون أنه غير حزين على النعمان، وهو يؤكد بطلان ما يزعمون لأن تلاده وإبله وفرسه من نوافله:

يَقُولُ رِجَالٌ يَجْهَلُونَ خَلِيقَتِي

لَعَلَّ زِيَاداً - لا أَبَالَكَ - غَافِلٌ

(١) شعر الهذليين: ١٩٨.

(٢) انظر ديوان النابغة: ق ١٤.

(٣) انظر ديوان أمية: ق ٨.

(٤) انظر ديوان أوس: ق ٤، ق ٢٦، ق ٤٠، ق ٤١.

(٥) انظر شعر زهير: ق ٤٨.

أَبَى غَفَلَتِي أَنِّي إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ
تَحَرَّكَ حُزْنٌ فِي حَشَا الْقَلْبِ دَاخِلٌ
وَأَنَّ تِلَادِي إِذْ نَظَرْتُ وَشِكْتِي
وَمُهْرِي وَمَا ضَمَّتْ إِلَيَّ الْأَنَامِلُ
حِثَّاءُكَ وَالْعِيسُ الْعِتَاقُ كَأَنَّهَا
هِيحَانُ الْمَهَا تَرُدِّي، عَلَيْهَا الرَّحَائِلُ^(١)

ويعود خلوه هذا اللون من الرثاء في الشعر الأسدي إلى ضمور شعر المديح فيه، وقلة الشعراء المداحين في القبيلة لأسباب مر ذكرها. وكان للبيئة الصحراوية والحياة الرعوية التي عاشتها أسد أثر في كثرة الحديث عن الإبل والخيّل، إذ ذكروها في حديث اليسر والشبع، والقحط والجدوبة، والفخر والهجاء، والرحلة والانتقال، والحرب والقتال، والصيد والقتل، ودققوا في أوصاف هذين الحيوانين.

وشاطر شعراء القبائل من الخليج العربي إلى أعالي الحجاز شعراء أسد عنايتهم بالإبل والخيّل، وبرز حديث الخيّل في الشعر النجدي خاصة. وضعف هذا الجانب في شعر الهذليين، وأشار الدكتور أحمد كمال زكي إلى هذه الحقيقة، فقال: «وإذا كان قد غلب على شعراء المعلقات أن يصفوا الناقة أو الفرس، فإن الهذليين لم يعنوا بهما، خاصة الفرس، وحتى هؤلاء الذين وصفوا

(١) انظر ديوان النابغة: ١١٨.

الحيوان الأخير أخطووا في وصفهم لأنه لم يكن في حياتهم دائماً^(١) كما تضاءل حديث الناقة في شعر شعراء القرى، فلم يزد مجموع أبياتها في شعر حسان على ثلاثين بيتاً، وردت في خمس قصائد، ولم يدقق في وصف هذا الحيوان إلا في موضع واحد، أما حديثه عنه في بقية المواضع فكان مجملاً خاطفاً.^(٢) ونذكر ضالة هذا القدر من شعر حسان إذا عرفنا أن ديوانه اشتمل على إحدى وستين ومئتي قصيدة ومقطعة ضمت قدراً كبيراً من الشعر. ويبدو الأمر أكثر وضوحاً في ديوان قيس بن الخطيم، إذ بلغ مجموع الأبيات التي وصف فيها الإبل أو ذكرها ذكراً عشرة أبيات، ووصف الناقة في قصيدته لا يزيد على ثلاثة أبيات، ولم يصفها إلا في ثلاث قصائد،^(٣) كما ذكرها في سياق التشبيه في ثلاثة أبيات متفرقة.^(٤) كما اختفى أو كاد حديث الخيل عند قيس، فلم يصفها إلا بيت واحد، وذكرها ذكراً في بيت ثان.^(٥) وذكر الحبيبة الطاعنة في مطالع بعض قصائده، ولكنه لم يصف رحلة الطعائن. ونذكر حديث الناقة والرحلة في ديوان أمية بن أبي الصلت، فلم يرد ذكرها إلا في موضعين، موضع ذكر فيه رحلته على المطايا في ثلاثة أبيات،^(٦) وموضع ثان ذكر فيه عقر أحمر ثمود ناقة صالح عليه السلام.^(٧) واختفى حديث الخيل عنده إذ وصفها ببيت

(١) شعر الهذليين: ٢١٤.

(٢) انظر ديوان حسان: ٧٣، ٩٦، ١٢٤، ٢٠٧، ٢٢٨.

(٣) انظر ديوان قيس: ٧٩، ١٣٦، ١٥٠.

(٤) انظر ديوان قيس: ٣٤، ٨٠، ١٣٦.

(٥) انظر ديوان قيس: ١٥١، ١٤٣.

(٦) انظر ديوان أمية: ٤٢٤-٤٢٥.

(٧) انظر المصدر السابق: ٤٠٦.

واحد، وذكرها في سياق فخره ببيت ثان.^(١)

وتخلو أشعار الأسديين من أية ملامح ترسم حياة الملاحين أو صيادي اللؤلؤ أو حيوانات البحر، ولا يعتد بالقصيدة (٣٠) من ديوان عبيد التي وصف فيها الحوت في سبعة أبيات لأنها من الشعر المنحول. ونلمس هذا الجانب في موضوعات أشعار القبائل التي سكنت سيف البحر كبكر بن وائل، فقد روى المسيّب بن علس حكاية طويلة عن صيد اللؤلؤ بلغت أربعة عشر بيتاً في قصيدته التي أولها:

أَصْرَمْتُ حَبْلَ الْوَصْلِ مِنْ فِتْرٍ

وَهَجَرْتُهَا وَلَجَجْتُ فِي الْمَهْجَرِ^(٢)

وبدا الحكاية بقوله:

كَجُمَانَةِ الْبَحْرِ جَاءَ بِهَا

غَوَاصُّهَا مِنْ لُجَّةِ الْبَحْرِ

ولممة موضوع من موضوعات البيئة الجبلية كثر الحديث عنه في شعر الهذليين، لا نجد له أثراً في الشعر الأسدي والنجدي عامة، ذلك هو قصة اشتيार العسل^(٣) إذ بيني النحل خلاياه في كهوف جبالهم، ومن ثم يشكل اشتيार العسل أحد موارد رزقهم. ومن الجدير بالذكر أن امرأ القيس، وهو ابن البيئة النجدية روى قصة مشتار العسل في قصيدة له، أولها:

(١) انظر المصدر السابق: ٤٨٧، ٥٠٦.

(٢) الصبح المنير: ٣٥١.

(٣) انظر ديوان الهذليين: ٤١-٤٣، ٧٥-٨٠، ٨٧-٨٩، ١٤١-١٤٤، ١٥٨، ١٧٧-

إِنَّ الْخَلِيْطَ نَأْوِكَ بِالْأَمْسِ

وَاسْتَيْقَنْتُ بِفِرَاقِهِمْ نَفْسِي^(١)

واستغرقت حكاية المشتار أحد عشر بيتاً، بدأها بوصف طيب فم محبوبته، فشبها بمن شربت بالعشي حمراً بارداً أو ذائباً من عسل النحل، فقال:

فَكأنَّمَا اغْتَبَقْتُ شَمْوُلاً بَارِداً

أَوْ مَائِعاً مِنْ مَائِعِ الْجَلَسِ

ثم وصف هذا المائع والرجلين اللذين اشتاراه وطريقة اشتيائه. ولعل امرأ القيس شاهد ذلك في زيارته اليمن أيام لهوه وشبابه، وهو اليمني الأصل، ولاسيما أن القصيدة من شعر المرحلة الأولى، قبل أن ينهض للشار بأبيه، لأنها قصيدة غزل خالص.

هذه أبرز الملامح التي تميز موضوعات الشعر الأسدي من موضوعات أشعار القبائل الأخرى ولاسيما القبائل القريبة المنازل من الخليج العربي، وأشعار القرى، وشعر هذيل. ولعل من الواضح أن التمايز في بعض الموضوعات يعود إلى اختلاف البيئة الطبيعية، وما تركته من أثر في الحياة الاجتماعية والمعاشية لهذه القبائل.

^(١) ديوان امرئ القيس: ق ٦٢.

الفصل الثاني

الخصائص المعنوية

- ١ -

الشعر الأسدي ابن البيئة النجدية البدوية، تمثلت فيه مظاهر هذه البيئة خير تمثيل، إذ استمد الشعراء الأسديون معانيهم وصورهم من مرابع نجد وأنوائها، ومن مشاهد حيوانها وطيرها. ولم يترك الشاعر الأسدي جانباً من جوانب الحياة البدوية إلاّ تحدث عنه أو صورته أو استمد معانيه منه، ولعلنا لا نجد قصيدة أو مقطوعة من الشعر الأسدي إلا فيها نفحة البادية وسمّة الصحراء، فالمعاني كلها تكاد تكون منتزعة من هذه البيئة مصورة لها أصدق تصوير، لا يشذ عن ذلك شاعر أسدي واحد، إذ كانت القبيلة خالصة البداوة، لم تتصل بأسباب الحضارة.

ولعل الناقة أقرب الحيوانات إلى الأسدي، وأكثرها لصوقاً بحياته، لذلك كان لها سهم وافر في معانيه وأخيلته، إذ استمد من هيئتها وخلقها وصفاتها وما يتصل بها كثيراً من تلك المعاني، فلماذا أراد الأسدي أن يصف كرم قومه في السنة الشهباء صور تلك السنة ناقة حائلاً ومعروفهم لقاح هذه الناقة:

إِذَا سَنَةٌ حَالَتْ بِأَزْمٍ تَلَقَّحَتْ

بِمَعْرُوفِنَا حَتَّى تُرَى غَيْرَ حَايِلٍ^(١)

(١) القسم الثاني: م (١٣٢).

ولما أراد اشتعال الحرب الشديدة تصورها ناقة عاقراً حملت بعد أن أتى عليها حول ولم تحمل:

قَوْمِي بَنُو دُودَانَ أَهْلُ الْحِجَا
يَوْمًا إِذَا أُلْقِيَتْ الْحَائِلُ^(١)

ومن حركة الجمال القوية استمد بشر صورة نهوض قومه، فشبه نهوض بني أسد للقتال بنهوض الجمال التي بزلت أنيابها، فهي في تمام شدتها وقوتها، فقال:

إِذَا مَا شَمَرَتْ حَرْبٌ سَمَوْنَا
سُمُو الْبُزْلِ فِي الْعَطَنِ الرَّحِيبِ^(٢)

وتكرر مثل هذا التشبيه في مواطن عدة من ديواني بشر وعبيد.^(٣)
ورأى الشاعر الأسدي أن الإنسان الذي لا يتسم بسمات خاصة حسنة أو قبيحة كلحم ولد الناقة لا طعم له، قال الأشعر الرقبان:

وَأَنْتَ مَسِيخٌ كَلْخَمِ الْخَوَارِ
فَلَا أَنْتَ حُلُوٌّ وَلَا أَنْتَ مُرٌّ^(٤)

وطلب الجميع من زوجه أن تصير وتنتظر حتى يصيب خيراً في الغزو، فتعيش في خفض ودعة، فعبر عن عيشها الخصب الخفيض بملبها النوق في سقاء

(١) ديوان عبيد: ٩٩.

(٢) ديوان بشر: ٢٣. والعطن: مبرك الإبل.

(٣) انظر ديوان بشر: ٤٥، ٤٨، ١٧٢، ١٧٩، وديوان عبيد: ٩٣.

(٤) القسم الثاني: م (٨٠).

واسع من جلود الضأن:

فَاقْنِي لَعَلَّكَ أَنْ تَحْظَيْ وَتَحْتَلِبِي

فِي سَحْبِلٍ مِنْ مُسُوكِ الضَّأْنِ مَنْجُوبٍ^(١)

واستمد الأسديون من الناقة بعض معانيهم في تصوير الأنواء، فشبه عبيد صوت الرعد بخنين النوق العشار إذا كان في صوتها خشونة وغلظة، فقال:

كَأَنَّ فِيهِ عِشَاراً جِلَّةً شُرْفاً

شُعْنًا لَهَا مِيمَ قَدْ هَمَّتْ بِإِرْشَاحِ

بُحاً حَنَاجِرُهَا هُذْلاً مَشَافِرُهَا

تُسِيمُ أَوْلَادَهَا فِي فَرْقَرٍ ضَاحِيٍ^(٢)

كما شبه الريح التي تنزل المطر بمرّي الأجير للنوق عند الحلب.^(٣)

واستمد حاجب معاني حسن الجوار من رعي الإبل وورودها الماء، فوصف حسن جوار قومٍ وكرم أخلاقهم بأنهم يرعون إبلهم يوماً ويتركونها يوماً ويوردونها الماء كل يوم نصف النهار، فلا يضايقون حيرانهم، وإن بدرت من واحد منهم حناية على مشاربه يعطفهم الكرم عليه:

(١) المصدر السابق: ق(٢). والسحبِل: الواسع. والمُسوك: الجلود. والمنجوب: المدبوغ.

(٢) ديوان عبيد: ٣٦. والجللة: المسنة. وشُرْفاً: هرمة. واللهميم: النوق الغزيرة. والإرشاح، هنا: الحنين. والفرقر: الأرض المطمئنة اللينة. وضاح: واضح.

(٣) انظر ديوان عبيد: ٨٩.

وَيُلْأَمُ^(١) قَوْمٌ رَأَيْنَا أُمْسٍ سَادَتَهُمْ

فِي حَادِثَاتٍ أَلَمْتُ خَيْرَ جِرَانِ

يَرْعَيْنَ غِبَاءً وَإِنْ يَقْضُرْنَ ظَاهِرَةً

يُعْطِفُ كِرَامَ عَلَى مَا أَحْدَثَ الْجَانِي^(٢)

ورأوا أن السيادة بين الأقوام كراس الناقة، وأن المذلة والضعف كذنبها.^(٣)
وعبر عمرو بن مسعود عن عدم تعرضه لقوم بالأذى بأنهم مأرغى لهم فصيل،
فقال:

أَيُّغِي آلُ شَدَّادٍ عَلَيْنَا

وَمَا يُرْغَى لَشَدَّادٍ فَصِيلُ^(٤)

وشبه حضرمي خصمه بعد أن أراده قتيلاً بطعنة من رمح البعير المستلقي،
فقال:

تَرَكْتُ الرُّمَحَ يَبْرُقُ فِي صَلَاةِ

صَرِيْعاً كَالْبَعِيرِ الْمُجْلَخِدِ^(٥)

(١) وصل همزة القطع للضرورة.

(٢) القسم الثاني: ق (٤٩).

(٣) انظر ديوان عبيد: ٢٣.

(٤) القسم الثاني: م (١١٥).

(٥) المصدر السابق: م (٢٢٣). والمجلخد: المستلقي.

وشبه عمرو بن شأس آثار السيوف بمشافر الإبل القرحي^(١) كما شبه كَلْدَةَ الرمح وقد خرج من خصمه بالخلال، وهو العود الذي يُجعل في لسان الفصيل لئلاً يرضع.^(٢) واستمد الجميع صورة الفقير الأشعث الشعر الخلق الثياب من صورة الناقة التي تعقل عند قبر صاحبها، لا تعلف ولا تسقى حتى تموت، فقال:

أَوْ مَنْ لَأَشْعَثَ بَعْلٍ أَرْمَلَةٌ

مِثْلُ الْيَلَّةِ سَمَلَةِ الْهَذَمِ^(٣)

وكما استوحى الشاعر الأسدي كثيراً من معانيه من مشاهد الإبل وصفاتها، فقد استوحى بعض معانيه من صور الخيل، فصور مضرّس الخباء الذي تلعب فيه الأرواح فتخفق جوانبه بشدة كأنّ به مهراً مربوطاً نزقاً شديد الوثب، يرفع يديه ويطحرحهما ويضرب برجليه بشدة، فقال:

وَفَتَيَانِ بَنَيْتُ لَهُمْ خِبَاءً

عَلَى قَوْسَيْنِ طَمَّاحاً نَزُوحاً

كَأَنَّا رَابِطُونَ بِهِ فُلُوءاً

شَدِيدَ النَّزْقِ قَمَّاصاً رَمُوحاً^(٤)

(١) انظر شعر عمرو: ٨٥.

(٢) القسم الثاني: م (١٠٢).

(٣) القسم الثاني: ق (١٣)، البيت (١٣).

(٤) المصدر السابق: ق (١٧٣)، البيتان (٨، ٩). والطمّاح: المرتفع. والنزوح: البعيد.

وشبه عبيد تكشف البرق الذي يلمع فوق جبل شَطْب بتكشف خاصرتي
الفرس الأبلق وقت عدوه، فقال:

كَأَنَّ رَيْقَهُ لَمَّا عَلا شَطْبًا

أَقْرَابُ أَبْلَقَ يَنْفِي الْخَيْلَ رَمَّاحٌ^(١)

واستمد شعراء أسد معاني هجائهم من حياتهم الرعوية، فجعل سيرة أبا
مهجوه راعي معز، وراعي المعز والشاء عند العرب ذليل مهين، وراعي الإبل
عزيز شريف،^(٢) قال:

أَبَاكَ الَّذِي يَكُويْ أَنْوْفَ عُنُقِهِ

بَأَظْفَارِهِ حَتَّى أَنْسَ وَأُمَحَقَا^(٣)

ولما أراد الأشعر الرِّقْبَان أن يصف ابن عم له بالأخير فيه ولا نفع يرتجى منه
شبهه بالحليب الفاسد الذي يخرج من الشاة أول الحلب، والحالب يشخب أول
شعبة في الأرض مخافة أن تكون نغراً فاسداً، فشبهه بهذا الفاسد الذي لا ينتفع
به، فقال:

كَأَنَّكَ ذَاكَ الَّذِي فِي الضُّرِّ

عُ قَدْ دَامَ ضَرَّاتُهَا الْمُتَشِيرُ^(٤)

(١) ديوان عبيد: ٣٥.

(٢) اللسان (عنق).

(٣) القسم الثاني: م (٤٤). والعنوق: أنثى الماعز. وأنس: بلغ جهده.

(٤) المصدر السابق: م (٨٠).

ومن الجدير بالملاحظة أن معظم المعاني في الأشعار السابقة معان مجردة، لكن الشعراء الأسديين خرجوا بها من المجرد إلى المحسوس، وجسدوها في صور مادية ملموسة فمعروفهم ناقة لاقح، واشتداد الحرب ناقة حملت بعد عقر، والإنسان الذي لا خير فيه ولا شر كلحم الحوار، والرّفه والخفض احتلاب في سقاء واسع، ولعل هذه الحسية في المعاني تعبر عن طفولة الفكر في تلك المرحلة، وعن اندماج الشعراء اندماجاً تاماً في بيئتهم، وسيطرتها على نفوسهم، على نحو حدد خيالهم بمحدود تلك البيئة، فراحوا يستمدون منها معانيهم وصورهم، ويكتشفون بعين المصور النافذة المدققة العلاقات بين الأشياء، فيعقدون الأواصر بينها، ويؤدون المعاني بسيطة واضحة لا غموض فيها ولا تعقيد، وقد زادها وضوحاً وجلاء هذه المقارنات وأوجه الشبه التي عقدوها بين الحسي والحسي، وبين المجرد والحسي، فتحولت الأفكار على أيديهم إلى أشياء يدركها الإنسان بحواسه الخمس.

ولم يترك الشاعر الأسدي مظهراً من مظاهر باديته إلا استمد منها بعض معانيه وكان لحيوانها الوحشي والأليف وطيرها الجارح والضعيف سهم وافر في معانيه، وأسعفته هذه الحيوانات في التعبير عن المعاني التي أرادها في الأغراض كلها، فإذا شاء التغزل بالمرأة كنى عنها بالعين من البقر، قال الحارث بن سُليل:

فَقَدْ أَرُوحُ لِلذَّاتِ الْفَتَى جَذِلاً

وَقَدْ أُصِيبُ بِهَا عَيْناً مِنَ الْبَقَرِ^(١)

(١) القسم الثاني: م (٩٦).

وتشبيه النساء بالظباء والغزلان والجاذر كثير في شعر أسد، والشعر الجاهلي عامة.^(١)

ومن حيوانات البادية استمد كلحب معاني هجائه، فلما هجا عِترماً الطائي وآباءه شبههم بدويات الأرض، فقال:

فَهَلْ أَنْتَ إِلَّا خُنْفَسَاءُ لَيْيَمَةٍ

وَحَالِكٌ يَرْثُو عِ وَجَدُكَ شَيْهَمٌ^(٢)

وشبه مغلس رجلاً ذليلاً صار إلى النعيم وحسن الحال يُجرّد سمين، فقال:

لَقَدْ دَافَعْتُ عَنْكَ النَّاسَ حَتَّى

رَكِبْتَ الرَّخْلَ كَالْجُرَذِ السَّمِينِ^(٣)

أما الذين يتندرون الشاعر بالشر والأذى فهم ذئاب، وصحبة الذئاب شر صحبة، قال مغلس:

قَرِينَيْنِ كَالذَّئْبَيْنِ يَتَنَدِرَانِي

وَشَرُّ صَحَابَاتِ الرِّجَالِ ذَنَابُهُمَا^(٤)

(١) انظر على سبيل المثال ديوان عبيد: ٢٣، ٤٠، وديوان بشر: ٢، ٨، وديوان عمرو: ٦٣، والقسم الثاني: م(١٩٢).

(٢) القسم الثاني: م(٩٥). والشيهم: القنفذ.

(٣) المصدر نفسه: م(٣١).

(٤) القسم الثاني: ق(١٩)، البيت (٢).

وتكرر تشبيه الأعداء بالذئاب عند مغّلس.^(١) وشبهوا أعداءهم بالكلاب والضباع الغلّمة التي تطمع بالسفاد.^(٢) وشبهوا الجهل وخفة الخلوم بريش العصافير الذي يتطاير في أجواء البلد فيفسدها، قال سيرة:

يَا نَصْرُ هَلْ غَيْرُ مَا جَهْلٍ فَلِإِنِّكُمْ

رِيشُ الْعَصَافِيرِ قَدْ أَفْسَدْتُمُ الْبَلَدَ^(٣)

كما استمد الشعراء الأسديون من حركة الحيوانات السريعة الهائجة معاني النهوض والمواثبة والحركة القوية، فشبه الجميع امرأته لما وثبته بلبوة ذات جراء تحمي أجمتها وتدفع الشر عن جرائها:

أَمَّا إِذَا حَرَدَتْ حَرْدِي فَمُجْرِيَّةٌ

جَرْدَاءُ تَمْنَعُ غِيلاً غَيْرَ مَقْرُوبٍ^(٤)

وشبه عبيد خيولهم المغيرة في الحرب بكلاب صيد برية، سمعت صوت الصياد يدعوها للحاق بالفريسة.^(٥)

أما خيول حاجب، وهي ترد عمان عجالاً، فأشبهه بأسراب القطا كثرة وسرعة:

(١) المصدر نفسه: ق (٣٠)، البيت (١٠).

(٢) المصدر نفسه: م (٣٦)، م (١٠٥).

(٣) المصدر نفسه: م (٣٨).

(٤) المصدر نفسه: ق (٢). وحردت: قصدت. ومجرية: ذات جراء.

(٥) ديوان عبيد: ٢٣.

وَهُنَّ يَرْدُنَ وَرُودَ الْقَطَا

عَمَّانَ وَقَدْ سُدَّ مُرَائُهَا^(١)

ونجد مثل هذا التشبيه في عدة مواضع من ديوان عبيد.^(٢) أما تراحم الخيل في المعركة وهي تشب من هنا وهناك تروم النجاة، فأشبهه بسرب قطاً وقع في شرك الصيد، فهي تجاذب الشرك تبغي الخلاص وقد علقت جناحها، قال بشر:

وَمُعْتَرِكٍ كَأَنَّ الْخَيْلَ فِيهِ

قَطَا شَرَكٍ يَشِبُّ مِنَ النُّوَاجِي^(٣)

وفرس جُرِّيَّة إذا ازداد في حربه يشبه بازياً مسرعاً في إثر أرنب.^(٤) ورأية جيش أسد، وهي مرفوعة بسنان الرمح تشبه طائراً يتقلَّب.^(٥) وانقضاض الأسدين على أعدائهم وكرهم عليهم كانقضاض الغربان الجائعة في أيام البرد الشديدة، إذا رأت لحوماً على أوضاع في الساحات الواسعة.^(٦)

وكما استمد الشعراء معانيهم من صور الحيوانات ومشاهدها فقد استمدوا بعض معانيهم في وصف الحيوان من صورة الإنسان ومشاهد حياته، فالظباء الكانسة من شدة الحر تشبه عذارى أرخي عليهن السُّرُّ لثلاً يراهن أحد، قال مضرّس:

(١) القسم الثاني: ق (٤٨). وسُدَّ: سُدِّدَ، والمُرَّان: الرماح.

(٢) ديوان عبيد: ٥٩، ١١٧.

(٣) ديوان بشر: ٤٦.

(٤) القسم الثاني: م (٢٦٨).

(٥) انظر ديوان عبيد: ٦.

(٦) القسم الثاني: ق (١٩٣)، البيتان (١٥، ١٦).

وَيَوْمٍ مِنَ الشَّعْرِى كَأَنَّ ظِبَاءَهَا

كَوَاعِبُ مَقْصُورٍ عَلَيْهَا سُتُورُهَا^(١)

ورؤوس هذه الظباء متدلية من شدة الحر كأنها أصيبت بالصداع أو أن نساء أمالتها تغليها بحثاً عن القمل:

سُجُوداً لَدَى الْأَرْضِى كَأَنَّ رُؤُوسَهَا

عَلَاهَا صُدَاعٌ أَوْ فَوَالِ تَصُورُهَا^(٢)

أما عيون السمك والضفادع وغيرها من بنات الماء فتشبه الشامة السوداء على الخد، قال حاجب:

تَظَلُّ فِيهِ بَنَاتُ الْمَاءِ أَنْحِيَةً

كَأَنَّ أَعْيُنَهَا أَشْبَاهُ خِيَلَانٍ^(٣)

وجسد الشاعر الأسدي معانيه المجردة في صور ومشاهد مادية مستوحاة من حياة المجتمع البدوي، فالذين يسعون في بعث الإحن والضعف في النفوس بعد حمودها كفريقين، فريق يأتي بجذوة النار، وفريق يجمع الحطب، قال مضرّس:

إِذَا قُلْتُ مَاتَ الدَّاءُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ

سَعَى حَاطِبٌ مِنْهُمْ لِأَخَرٍ يَقْبِسُ^(٤)

(١) المصدر السابق: ق (١٨١)، البيت (٧). والشعرى: كوكب طلوعه في شدة الحر.

(٢) المصدر السابق: ق (١٨١)، البيت (٩). وتصورها: تمثيلها وتثنيها.

(٣) المصدر السابق: ق (٤٩)، البيت (٨).

(٤) المصدر السابق: م (١٨٧).

وبنو عامر أدلة سواء أمالوا إلى هذا الحي أم ذاك، فهم في أي حي كانوا حجر
الرحى السفلى تدور عليه الحجر العليا وتطحن الحب، قال الجميع مخاطباً بني عامر:

إلى أيما الحيين ترمكوا فإنكم

ثفال الرحى من تحته لا يريهما^(١)

والنكت بالعهد والعقد والخفر بالذمة كانقطاع حبل الدلو، كلاهما يفسد
الأمر، هذا يفسد الأمر على صاحب الدلو، وذاك يفسد الأمر بين بني أسد وبين
بني لأم الطائيين، قال بشر:

إذا عَقَدُوا لِجَارٍ أَخْفَرُوهُ

كَمَا غَرَّ الرَّشَاءُ مِنَ الذَّنُوبِ^(٢)

وأعجب ابن أبي عون بتجسيد الغدر في هذه الصورة فجعل البيت في كتابه
التشبيهات.^(٣)

وشبه مطير عناد زوجه بمياض واسعة تنضح عطش الإبل، وبوطاب من لبن
تروي الناس، فقال:

أَلَا إِنَّ هِنْدًا عِزُّهَا مِنْ صَدِيقِهَا

عِنَادٌ لَهَا مِثْلُ النَّضِيجِ وَأَوْطَبُ^(٤)

^(١) القسم الثاني: م (١١). وتركوا: تُسَبَّوْا.

^(٢) ديوان بشر: ٢١. وَغَرَّ: انقطع. والرشاء: الحبل. والذنوب: الدلو.

^(٣) التشبيهات: ٣٦٦.

^(٤) القسم الثاني: م (٢٥٥).

وصور جُرَيَّة الطعن والضرب الذي أوقعته بنو أسد ببيكر بن وائل ميرة
امتارتها أسد لبكر، لكنها ميرة ثقيلة أصابتهم بالتحمة، فقال:

وَقَدْ شَبَّهُوا الْعِيرَ أَفْرَاسَنَا

فَقَدْ وَجَدُوا مِيرَهَا ذَا بَشَمٍ^(١)

وعبر مضرّس عن سنة القحط برد المستعير القدر وفيه شيء من المرق،
وكانوا يفضلون ذلك في الجذب، فقال:

فَلَا تَسْأَلْنِي وَاسْأَلْنِي عَنْ خَلِيقَتِي

إِذَا رَدَّ عَافِي الْقَدْرِ مَنْ يَسْتَعِيرُهَا^(٢)

وكذلك استمد الشاعر الأسدي معانيه الحسية من معطيات حياته البدوية،
فالعرق الذي يتجمع بذفري الناقة يشبه الدواء الذي يصنعه صاحب الإبل من
أبوالها وأخلاط أخرى، يعالج بها إبله الجربى.^(٣) والمطر الشديد الذي يدق
الأرض فيكشطها يشبه لاعباً بمدحاة يمر بمدحاته على الأرض فتجتحف ما تأتي
غليه.^(٤) والغزلان والجآذر المنطوية في الديار الخالية من أهلها تشبه خلاخيل
الفضة والذئبل المطرحة في الملاعب.^(٥) وعين الناقة تشبه مرآة الصّناع.^(٦) وصدر

(١) المصدر السابق: م (٢٧١).

(٢) المصدر السابق: ق (١٨١)، البيت (٣). والعافي: بقية المرق في القدر.

(٣) انظر ديوان بشر: ١٩٨.

(٤) انظر ديوان عبيد: ٣٥.

(٥) انظر القسم الثاني: ق (١٧٩)، البيتان (١٣، ١٤).

(٦) انظر شعر عمرو: ٣٠.

الفرس المخضب بدماء الطرائد يشبه مداك العروس الذي يسحق عليه الطيب.^(١)
والفرس في سرعتها كالسهم البعيد المرمى، قال عبيد:

تَحْتَي مَسْوْمَةً جَرْدَاءُ عَجْزِلَزَةٍ

كَالسَّهْمِ أَرْسَلَهُ مِنْ كَفِّهِ الْغَالِي^(٢)

وأعجب العسكري بهذا البيت فقال عنه في الصناعتين: «فهذا نظم حسن وتأليف مختار».^(٣)

وشبه عمرو بن شأس صدر زوجه بجمرة الخزف،^(٤) كما شبه أعناق الإبل في ملاستها بجرار حَتَمَ، وهي جرار من خزف يحمل فيها الخمر.^(٥) وكثر تشبيه الدموع الغزيرة، والعرق الذي يتصبب من الفرس في جريه بالقربة الخلق أو المزادة المشعوبة.^(٦) كما شبهوا قامة المرأة بالقناة المستوية،^(٧) وأنفها بعرق الذهب.^(٨) وشبه بشر رأسه بعد أن صلع بالموضع الذي فحصته القطاة وملسته

^(١) انظر ديوان عبيد: ٧٠.

^(٢) ديوان عبيد: ١٠٢. المسوومة: الفرس المعلمة للحرب. والعجلزة: الشديدة الغليظة.

والغالي: الرامي.

^(٣) الصناعتين: ١٧٢.

^(٤) انظر شعر عمرو: ٧٩.

^(٥) انظر شعر عمرو: ١٠١.

^(٦) انظر ديوان بشر: ٤٩، والقسم الثاني: ق (٣٠) البيت (٦)، م (١٢٢)، م (٢٧٠).

^(٧) انظر ديوان عبيد: ٢٢.

^(٨) انظر شعر عمرو: ٦٣.

لتضع فيه بيضها.^(١) كما شبه الغبار الذي تحمله ريح الشمال وريح الدبور بالرماد بين الأنافي، وشبه هذا الأخير بوشم النُّور الذي توشم به النساء، فقال:

وَجَرَّ الرَّامِسَاتُ بِهَا ذُيُولاً

كَأَنَّ شَمَالَهَا بَعْدَ الدُّبُورِ

رَمَادٌ يُنَّ أَطْأَرِ ثَلَاثَ

كَمَا وَشِمَ الرَّوَاهِشُ بِالنُّورِ^(٢)

وأورد ابن طباطبا هذين البيتين في فصل «التشبيهات البعيدة الغلو»، وقدم لها بقوله:

«ومن التشبيهات البديعة التي لم يلطف أصحابها فيها، ولم يخرج كلامهم في العبارة سلساً سهلاً»^(٣) ونقل المرزباني كلام ابن طباطبا، وقال بعد أن أورد البيتين: «فشبه الشمال والدُّبور بالرماد».^(٤)

وكانت مشاهد البادية برمالها وكتبانها، وجبالها ووديانها ونباتها، وحرها وصقيعها، ذات أثر كبير في نفوس الأسديين، مدت أخیلتهم بمعین لا ينضب من المعاني والأحاسيس والأفكار، فالدرع المضاعفة اللينة في صفائها ولعانها تشبه مطمئناً من الأرض اجتمع فيه ماء المطر، قال الجميع:

(١) انظر ديوان بشر: ١٥.

(٢) ديوان بشر: ٩٤-٩٥.

(٣) عيار الشعر: ٨٩-٩٠.

(٤) الموشح: ٨٦.

مُدَّرِعَا رِيْطَةً مُضَاعَفَةً

كَالْنَهْيِ وَفِي سِرَارِهِ الرَّهْمُ^(١)

وثمة علاقة بين الفم وبعض نبات الصحراء، فالجميع رأى أن الرائحة الكريهة التي تخرج من بعض الأفواه كأنها النكعة، وهي صمغة منتنة الرائحة تخرج من القتادة.^(٢)

ورأى بشر أن ثغور الحسان أقحوان ندى سقاه قطر المطر، فقال:

يُفْلَجُنَ الشُّفَاةَ عَنِ أَقْحُوَانٍ

جَلَاهُ غِيبٌ سَارِيَةٌ قَطَارُ^(٣)

ووصف العسكري هذا البيت بأنه أحسن ما قيل في هذا المعنى.^(٤)
ولما عبر أبو ذؤاب عن حزنه على ولده أبد الدهر، وجد في اضطراب السراب الدائم في صحارى العرب مادة ملائمة لأداء المعنى، فقال:

مَا أَنْسَ لَا أَنْسَاهُ آخِرَ عَيْشِنَا

مَالَا حَ بِالْمَعْرَاءِ رَيْعُ سَرَابٍ^(٥)

ووجد بشر في صورة شجر الألاء ذي الزهر الأبيض اللين، وقد لبده

(١) القسم الثاني: ق (١٠)، البيت (٩). وسراره: وسطه. والرهم: المطر.

(٢) المصدر السابق: م (٦).

(٣) ديوان بشر: ٦٣. وقوله: «أقحوان»، وصل همزة القطع للضرورة.

(٤) المصون: ١٥.

(٥) القسم الثاني: ق (٦٠)، البيت (١١).

الصقيع، مادة ملائمة لإيضاح منظر أصحابه، ودسم شحم السنام على لحاهم، فقال:

تَرَى وَدَكَ السَّيِّفِ عَلَى لِحَاهُمْ

كَلَوْنِ الرَّاءِ لَبَدَهُ الصَّقِيعُ^(١)

وشبه الجميع جيش أسد والأصوات ترتفع منه وتختلط بالمطر الذي لا ينقطع رعداه.^(٢) وشبه بعضهم عدو الحمار الوحشي أو الثور بانقضاض الكوكب في السماء، كما شبهوا بياض الثور بالكوكب المتقد.^(٣)

ولا يقتصر الأمر عند الشعراء الأسدين على متح المعاني الحسية من طبيعة البادية وأنوائها وإنما عبروا عن الأفكار والمعاني المجردة وخلجات النفوس وخباياها بالاستعانة بجوانب هذه الطبيعة، فنقلوا المجرّد إلى المحسوس، وعبروا عن عمق أثر البادية في نفوسهم، فما زالوا يدققون في مظاهر البادية ومشاهدها ويلتقطون الصور البارة منها، وقد نفذ بشر إلى دخيلة نفس بجير بن أوس فوجده حسن المظهر سيء المخبر، فعقد مقارنة بينه وبين شجر الألاء الذي يبدو أخضر اللون معجباً، لكنه مرّ المذاق كريه، فالناس تأباه وتكرهه:

فَإِنْكُمْ وَمِدَحَتَكُمْ بُجَيْراً

أَبَا لَجَأٍ كَمَا امْتَدَحَ الْأَلَاءُ

(١) ديوان بشر: ١٣٤.

(٢) القسم الثاني: ق (١٣)، البيت (٧).

(٣) انظر ديوان عبيد: ٢٤، وديوان بشر: ٣٧، ٥٥، ٦٥، ١٠٣، ١٢١.

يَرَاهُ النَّاسُ أَخْضَرَ مِنْ بَعِيدٍ

وَتَمْنَعُهُ الْمَرَارَةُ وَالْإِبَاءُ^(١)

وأدرج ابن أبي عون البيتين في كتابه التشبيهات، وهذا دليل إعجابه بهما.^(٢) وخبر عبيد الحياة فرأى أن الشر تسبقه نذره، ثم ينبعث شديداً، فيفسد أمور الأقوام ويأتي على كل من وقع بساحته، كذلك السيل الجارف يبدأ بالمطر ثم يشتد فيأتي على الآطام والسهول، ويهلك كل ما يصادفه من حيوان ونبات وإنسان:

وَالْخَيْرُ لَا يَأْتِي عَلَى عَجَلٍ

وَالشَّرُّ يَسْبِقُ سَائِلُهُ مَطَرُهُ^(٣)

أما غضبة بني نصر وتدافعهم لقتال ضَمْرَةَ النَّهْشَلِي وقومه فقد رآها سيرة وكأن وادي قُرَاقِرَ سال بهم ليهلكم، فقال:

أَتَنْسَى دِفَاعِي عَنْكَ إِذْ أَنْتَ مُسْلِمٌ

وَإِذْ سَالَ مِنْ نَصْرِ عَلَيْكَ قُرَاقِرُ^(٤)

ولم تكن الطبيعة الصامتة والمتحركة المصدر الوحيد الذي استقى منه الشعراء الأسديون معانيهم، وإنما استقوا من معارف مجتمعتهم وخلاصة تجاربه،

(١) ديوان بشر: ٣-٤.

(٢) التشبيهات: ٣٣٢.

(٣) القسم الثاني: م (١٦٤)، والبيت من المستدرک على ديوان عبيد.

(٤) المصدر السابق: م (٤٠).

ومما هو شائع سائر بينهم، والأمثال خلاصة تجارب الناس على مر السنين، وتكثيف شديد لمواقفهم من الحياة والمجتمع، وهي تعبير دقيق عن طريقة حياة القوم والأفكار النازمة لها، يقول المستشرق (رودلف زولهايم) عنها:

«هي الأنغام اللغوية الصغيرة للشعوب، ينعكس فيها الشعور والتفكير، وعادات الأفراد وتقاليدهم على وجه العموم، كما يظهر فيها بصورة حية الطبقات الاجتماعية عند الشعوب على وجه الخصوص».^(١)

والأمثال كثيرة الدوران على ألسنة الناس، واستفادة الشاعر منها أو تضمينه إياها في شعره يجعل الشعر أكثر سيراناً وحيوة، لما يصادف في نفس السامع من قبول حسن، وسهولة في ترده، واستخدامه في المواقف المشابهة، وتنبه العسكري إلى هذه الميزة، فقال: إنها «أحب إلى النفوس لحاجتها إليها عند المحاضرة والمجالسة».^(٢) وثمة ميزات بيانية تجتمع في المثل قد لا تجتمع في غيره من فنون الكلام، فهو نهاية البلاغة كما قال النظام الذي رأى أن في المثل أربعة لا تجتمع في غيره، وهي: «إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية».^(٣)

لذلك اعتمد الشعراء الأسديون على الأمثال السائرة في مجتمعاتهم، فأكثرُوا من إيرادها في أشعارهم، وربما صاغوا بعض المعاني التي ذهبت مثلاً، وقد أفاد سيرة من المثل القائل «دُونَهُ خَرُّطُ الْقَتَادِ» لما أراد أن يعبر عن الأمر الشاق، فقال:

(١) الأمثال العربية القديمة: ١٣.

(٢) الصناعتين: ٤٤٤.

(٣) مجمع الأمثال ١: ٦.

لَا شَيْءَ يَغْدِلُهَا وَلَكِنْ دُونَهَا

خَرَطُ الْقَتَادِ تَهَابُ شَوْكَتِهَا الْيَدُ^(١)

وأفاد عمرو بن مرثد من المثل «أَلَحِمَ مَا أَسْدَيْتَ»، ويقال لمن بدأ معروفاً وتريد أن يتممه،^(٢) فقال عمرو:

يَا رَاكِباً بَلَغَ حَيِّبَ بْنِ خَالِدٍ

فَأَسَدِ الْيَنَّا مَا اسْتَطَعْتَ وَالْحِمِ^(٣)

وكررت الأمثال في شعر حضرمي ففي عتابه بعض قومه بأنه احتملهم على ما فيهم من عيب وأذى، استخدم المثل القائل: «طويته على بُلَّالَه» فقال:

وَلَقَدْ طَوَيْتُكُمْ عَلَى بُلَّالَتِكُمْ

وَعَلِمْتُ مَا فِيكُمْ مِنَ الْأَذْرَابِ^(٤)

وذهب مثلاً عجز بيته التالي:

كَيْمَا أَعِدَّكُمْ لِأَبْعَدَ مِنْكُمْ

وَلَقَدْ يُجَاءُ إِلَى ذَوِي الْأَلْبَابِ^(٥)

(١) القسم الثاني: م (٣٦). وانظر المستقصى ٢: ٨٢.

(٢) اللسان (لحم).

(٣) القسم الثاني: م (١٢٦).

(٤) المصدر السابق: م (٢٢١)، وانظر الميداني ١: ٤٢٨.

(٥) مجمع الأمثال ١: ٤٢٨، وفصل المقال: ٢٣١.

والعرب تضرب المثل بظلم الحية، فتقول: «هو أظلم من حية»،^(١) وأفاد
مضرّس من هذا المثل حين حذّر قومه عواقب ظلمهم إياه، فقال:

فَلَا تَجْعَلَنَّ الْأَرْضَ لَيْلًا فَإِنِّي

أَخَافُ عَلَيْكُمْ حَيَّتِي حِينَ تُلَمَسُ^(٢)

وضمن شعره المثل القائل «كَفَى قَوْماً بِصَاحِبِهِمْ خَبِيراً» فجعله عجز هذا
البيت:

إِذَا لَا قَيْتَ قَوْمِي فَاسْأَلِيهِمْ

كَفَى قَوْماً بِصَاحِبِهِمْ خَبِيراً^(٣)

وقال ابن منظور في شرح هذا المثل إنه «من المقلوب، ومعناه كفى بقوم
خبيراً صاحبهم».^(٤)

ولخالد بن نضلة، وهو جاهلي قديم، بعض القول الذي ذهب مثلاً بين
الناس.^(٥) ولعل من أشعاره ما حوى كلاماً مأثوراً أو مثلاً شائعاً في عصره،
ومنها ما سار مثلاً لما اختزن من حكمة وتجربة غنيتين في أسهل لفظ وأيسره،
وقد اختار له صاحب المثل السائر بيتين سارا بين الناس، وهما:

(١) المستقصى: ١: ٢٣٢.

(٢) القسم الثاني: م (١٨٧).

(٣) المصدر نفسه: م (١٨٥).

(٤) اللسان (كفى).

(٥) انظر الجيم ١: ١٨٤.

لَعَنَرِي لَرَهْطُ الْمَرْءِ خَيْرٌ بَقِيَّةً
عَلَيْهِ وَلَوْ عَالُوا بِهِ كُلَّ مَرْكَبٍ
مِنَ الْجَانِبِ الْأَقْصَى، وَإِنْ كَانَ ذَا نَدَى

كثِيرٍ وَلَا يُنْبِيكَ مِثْلُ الْمَعْرَبِ^(١)

وعجز البيت الثاني شبيه بالمثل السائر في بلادنا الشامية «اسأل مجرباً ولا تسأل حكيماً». ومن الأمثال السائرة قوله:

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عَدَى لَسْتَ مِنْهُمْ

فَكُلْ مَا عُلِفَتْ مِنْ خَبِيثٍ وَطَيْبٍ^(٢)

وقوله «كُلْ مَا عُلِفَتْ» مثل يضرب للموافقة،^(٣) وقال البطليوسي في شرح البيت: «الأكل والعلف ههنا مثلاً مضروباً للموافقة وترك المخالفة». ^(٤) ولا نعلم فيما إذا كان هذا مثلاً شائعاً ضمنه خالد بيته، أم أنه ذهب مثلاً من مقالة خالد، ومن أبيات خالد التي جرت مجرى الأمثال قوله:

وإِنْ حَدَّثْتُكَ النَّفْسُ أَنَّكَ قَادِرٌ

عَلَى مَا حَوَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ فَكَذِبٌ^(٥)

^(١) المثل السائر ٣: ٢٠٣، وانظر القسم الثاني: م (٨٢).

^(٢) القسم الثاني: م (٨٢).

^(٣) الميداني ١: ٦٠.

^(٤) الاقتضاب ٣: ٢٢٢.

^(٥) القسم الثاني: م (٨٢).

وقد جاء أحد أصحاب عمرو بن العاص إلى أمه في أمر فتمثلت الأم بهذا البيت.^(١)

ومن الأشعار التي ذهبت أمثالاً بين الناس ماقاله علباء الكاهلي، إذ ذكر أن امرأ القيس أقبل في جموع اليمن، فلما كانت الليلة التي يصبح فيها أسداً جعل القطا ينفر فيمر على علباء، فقالت ابنته: مارأيت كالليلة ذات قطا، فقال:

أَلَا يَا قَوْمَنِيَا ارْتَحِلُوا وَسِيرُوا
فَلَوْ تَرَكْتُ الْقَطَا لَيْلًا لَنَامَا

فذهب قوله: «لو ترك القطا ليلاً لناما» مثلاً.^(٢)
وسارت بعض أشعار عبيد أمثالاً بين الناس، ومن ذلك قوله:

الْخَيْرُ أَبْقَى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ
وَالشَّرُّ أَحْبَبْتُ مَا أَوْعَيْتَ مِنْ زَادٍ
فضرب قوله: «والشرُّ أحبُّ ما أوعيتَ مِنْ زَادٍ» مثلاً في اجتناب الذم.^(٣)
كما ذهب مثلاً قوله:

هِيَ الْخَمْرُ بِالْهَزْلِ تُكْنَى الطَّلَا
كَمَا الذُّئْبُ يُكْنَى أَبَا جَعْدَةَ

(١) انظر المحاسن والأضداد: ٧١.

(٢) فصل المقال: ٣٨٥. وانظر القسم الثاني: م (١٢٠).

(٣) المستقصى ١: ٣٢٦.

إذ قال عنه الثعالبي: «يضرب مثلاً لمن يبرّ باللسان، وهو يريد لصاحبه الغوائل. ومعنى البيت أن الذئب وإن كان له كنية حسنة، فإن فعله قبيح». (١)
ومن الجدير بالذكر أن المعري ذهب إلى أن هذا البيت موضوع في الإسلام وليس لعبيد. (٢)

وتضرب العرب الأمثال بحمق الحمامة، فتقول: «أَحْمَقُ مِنْ حَفَامَةٍ» لأنها تعتش بثلاثة أعواد في مهب الريح، فيبضها أضيع شيء، وأفاد عبید من هذا المثل السائر، فقال:

عَيُّوا بِأَمْرِهُمْ كَمَا
عَيَّتْ بِيَضَّتْهَا الْحَمَامَةُ
جَعَلَتْ لَهَا عُودَيْنِ مِنْ
نَشْمٍ وَآخَرَ مِنْ ثَمَامَةٍ (٣)

وقال ابن قتيبة في شرح البيت الثاني: «النشم شجر يتخذ منه القسي صلب، والثمام نبت ضعيف، يقول قرنت هذا بهذا فسقط البيض فانكسر». (٤)
وقال البطليوسي: «وأما تشبيه أمر بني أسد بأمر الحمامة فتلخيصه أنه ضرب النشم مثلاً لذوي الحزم وصحة التدبير، وضرب الثمام مثلاً لذوي العجز والتقصير، فأراد أن ذوي العجز منهم شاركوا ذوي الحزم في آرائهم، فأفسدوا

(١) ثمار القلوب: ٢٥٢.

(٢) انظر رسالة الغفران: ٥٠٥.

(٣) المستقصى ١: ٧٨. وانظر ديوان عبید: ١٢٦.

(٤) المعاني ١: ٣٥٩.

عليهم تدبيرهم، فلم يقدر الحكماء على إصلاح ما جناه السفهاء»^(١).
ومن شعر بشر الذي سار مثلاً قوله:

فَكَانُوا كَذَاتِ الْقَدْرِ لَمْ تَذِرْ إِذْ غَلَتْ

أُنْزِلُهَا مَذْمُومَةً أَمْ تُذِيئُهَا^(٢)

والبيت مثل في اختلاط الأمر على القوم، قال القاسم بن سلام إن أصل هذا البيت قولهم:

«ما يدري أيختر أم يُذيب»^(٣). وقال ابن الأعرابي في شرح البيت: «هذه امرأة كانت تسلاً سناً، فرأت ركباً فكرهت أن تطعمه من القدر، وكرهت أن تنزلها مذمومة لم تحكمها أو تصلحها»^(٤).

وتضرب العرب المثل للمفقود الذي يفوت فلا يرجع بالقارظ العنزي، وهو رجل من عنزة خرج ينجي القرظ فمات ولم يرجع إلى أهله^(٥). وأفاد بشر من هذا المثل في رثاء نفسه، فأدى المعنى الذي أراده خير أداء في قوله لابنته:

فَرَجَّحِي الْخَيْرَ وَأَنْتَظِرِي إِيَّايَ

إِذَا مَا الْقَارِظُ الْعَنْزِيُّ آبَا^(٦)

(١) شرح شافية ابن الحاجب ٤: ٣٥٩.

(٢) ديوان بشر: ١٦.

(٣) الأمثال لابن سلام: ٢٩٨، وفصل المقال: ٤٢٢.

(٤) المعاني الكبير: ٩٣١.

(٥) الميداني ١: ٧٥، والذرة الفاخرة ١: ٢٨٢، والمستقصى ١: ١٢٨.

(٦) ديوان بشر: ٢٦.

وضربت العرب المثل «بطوق الحمامة» فقالت: «تقلدها طوق الحمامة» أي «تقلداً لازماً باقياً».^(١) وورد المثل في شعر لبشر وذلك في قوله:

حَبَاكَ بِهَا مَوْلَاكَ عَنْ ظَهْرِ بَغْضَةٍ

وَقُلْدَهَا طَوْقَ الْحَمَامَةِ جَعْفَرُ^(٢)

وأراد أن هذه السببة علقت ببني جعفر كطوق الحمامة لا تنحل ولا تنقطع. وتكثر الأمثال على نحو خاص في شعر بشر، وقد وقفت في شعره على نيفٍ وعشرين بيتاً حوت أمثالاً أو عبارات مثلية أو جرت مجرى الأمثال.

واستفاد الشاعر الأسدي من العادات والتقاليد والمعتقدات الشائعة بين العرب الجاهليين، فكانت مصدراً من مصادر معانيه. والمعتقدات والعادات كالأمثال صورة حية عن وجدان القوم ومشاعرهم ونمط تفكيرهم، وإدراج الشاعر إياها في شعره يقربه من سامعيه، ويجعل شعره أكثر شيوعاً ودورانياً على الألسنة. ومن هذه المعتقدات الشائعة ما كانوا يزعمونه من أن التقليد بأثرار القسي يرد العين ويدفع المكاره، لذلك كانوا يتقلدونها ويقلدونها أفراسهم وكلابهم.^(٣) وذكر ذلك مغلس بن لقيط، لما شبه خروجه إلى أعدائه بخروج الثور، وقد أحاطت به كلاب الصيد المقلدة الأوتار، فقال:

(١) المستقصى ٢: ٣٠.

(٢) ديوان بشر: ٨٩.

(٣) اللسان (وتر).

خَرَجْتُ خُرُوجَ الثَّوْرِ قَدْ عَرِسَتْ بِهِ

مُقَلَّدَةً الْأَوْتَارِ خُضِعَ رِقَابُهَا^(١)

وكانوا يعتقدون أن المرأة المقلات التي لا يعيش لها ولد، إذا توطأت رجلاً كريماً، قُتِلَ غدرًا، سبع مرات عاش ولدها. وذكر ذلك بشر في حديثه عن ابن ضبَّاء الأسدي الذي قتله بنو جعفر، فقال:

تَظَلُّ مَقَالِيْتُ النَّسَاءِ يَطَانُهُ

يَقْلُنْ، أَلَا يُلْقَى عَلَى الْمَرْءِ مِئْزَرٌ^(٢)

وتتشاءم العرب بتيس الظباء إذا أتاهم من الخلف، وضمن عبيد هذا الزعم شعره، حين ذكر أن بني جديلة نفرت كئيب لقتال بني أسد، وقد جرى لهم تيسٌ من ورائهم فلم يتشاءموا، ولم يزجروا طائرهم، فيعلموا أن الدائرة ستدور عليهم، قال:

أُنْبِئْتُ أَنَّ بَنِي جَدِيلَةَ أَوْعَبُوا

نُفَرَاءَ مِنْ سَلَمَى لَنَا وَتَكَبُّوا

وَلَقَدْ جَرَى لَهُمْ فَلَمْ يَتَعَفَّوْا

تَيْسٌ قَعِيدٌ كَالْوَلِيَّةِ أَعْضَبُ^(٣)

(١) القسم الثاني: ق (١٩)، البيت (١٢)، وهي إحدى روايات البيت، انظر الحاشية (٢).

(٢) ديوان بشر: ٨٨.

(٣) ديوان عبيد: ٢-٣.

وكذلك، كانت العرب تتشائم بالغراب ونعيبه، ويسمونه طير الشؤم، وأفاد عبيد من هذا المعتقد الشائع في فخره بيوم الجفار وهجائه بني دارم الذين قُتلوا في ذلك اليوم، فقال:

وَلَقَدْ شَبَّيْنَا بِالْجِفَارِ لِدَارِمٍ

نَاراً بِهَا طَيْرُ الْأَشَائِمِ تَنْعَبُ^(١)

ومن عاداتهم زجر الطير، وكان النجديون يتيامنون بالسانح ويتشاءمون بالبارح، خلاف أهل الحجاز.^(٢) وذكر زجر الطير كثير في الشعر الأسدي والجاهلي عامة، ومن ذلك قول مضرّس:

رَأَى طَيْرًا تَمُرُّ بَيْنَ سَلْمَى

وَقِيلُ النَّفْسِ إِلَّا أَنْ تُرِيحَا^(٣)

ومن الأوهام الشائعة عند الجاهليين أن عين الإنسان إذا اختلجت فإنه سيرى من يحب، فإن كان غائباً توقع قدومه، وذكر ذلك بشر في بيت له، فقال:

إِذَا اخْتَلَجَتْ عَيْنِي أَقُولُ لَعَلَّهَا

فَتَأْتِي عَمْرٍو بِهَا الْعَيْنُ تَلْمَعُ^(٤)

(١) ديوان عبيد: ٥.

(٢) التنبيهات: ١٢٥.

(٣) القسم الثاني: ق (١٧٣)، البيت (١٦). والقيّل: القيلولة.

(٤) ديوان بشر: ١١٨.

ومن أوهامهم أنهم يعتقدون أن الإنسان إذا مات خرجت روحه على هيئة طائر صغير، ثم يكبر حتى يصير كضرب من البوم، يتوحش ويصدق في الديار الخالية.^(١) وعبر عبيد عن هذا الاعتقاد فذكر أنه سيصبح ريماً تحت التراب، لكن روحه ستبقى كالبومة ترتفع إلى التلال العالية وتهبط إلى الوهاد، فقال:

أَشْرِي التَّلَادَ بِحَمْدِ الْجَارِ أَبْذُلُهُ
حَتَّى أَصِيرَ رَمِيماً تَحْتَ أَلْوَا حِ
أَوْصِرْتُ ذَا بُومَةٍ فِي رَأْسِ رَابِيَةٍ

أَوْ فِي قَرَارٍ مِنَ الْأَرْضَيْنِ قِرْوَا حِ^(٢)
وكانت العرب تعتقد أن الغول تزأى للناس، فتتلون تلوناً في صور شتى، وتضلهم عن الطريق وتهلكهم، والسَّعْلاة أنثى الغول، وقيل هي أخصب الغيلان، وقيل إن السعالي هم سحرة الجن لهم تلبيس وتخيل.^(٣) ولتصورهم هذا عن السعالي أكثر الشعراء، ومنهم الأسديون، من تشبيه خيلهم في نشاطها ومراحها وسرعتها بالسعالي، فقال عبيد:

أَوْحَشَتْ بَعْدَ ضُمِّرٍ كَالسَّعَالِي
مِنْ بَنَاتِ الْوَجِيهِ أَوْ حَالَبِ^(٤)

(١) انظر مروج الذهب ٢: ١٣٣.

(٢) ديوان عبيد: ٤٠-٤١.

(٣) انظر اللسان (غول) و(سعل).

(٤) ديوان عبيد: ٢١.

وتكرر هذا المعنى عند عبيد،^(١) ونجد نظيره عند عمرو بن شأس.^(٢)
 واستمد الشعراء الأسديون الذين خالطوا مراكز الحضر أو وفدوا عليها،
 وهم قلة، بعض المعاني القليلة من البيئة الحضرية، فعبيد الذي كان يفد على
 ملوك الحيرة، شبه الأطباء، وهي متعطفة على صغارها، بأباريق من الفضة، فقال:
 وَطِبَّاءٌ كَأَنَّهُمْ أَبَارِيقُ

قُلُ لُجَيْنٍ تَخْنُو عَلَى الْأَطْفَالِ^(٣)

وشبه الأوانس بالدمى،^(٤) وشبه فرسه بالتمثال،^(٥) كما شبه المطر النازل
 بشعاع ضوء الصباح،^(٦) ولعله شاهد التماثيل والمصابيح في الحيرة. وشبه بشر
 النساء بتمائيل صنعاء، فقال:

كَأَنَّ عَلَى الْحُدُوجِ مُحَدَّرَاتٍ

دُمَى صَنْعَاءَ خُطَّ لَهَا مِثَالُ^(٧)

كما شبه الثيران، وهي تعدو بتجار النبط عليها البرانس.^(٨) وشبه مضرّس

(١) انظر ديوان عبيد: ١١٦.

(٢) انظر شعر عمرو: ٨٦.

(٣) ديوان عبيد: ١٠٦.

(٤) ديوان عبيد: ١٣٨.

(٥) ديوان عبيد: ١٠٩.

(٦) ديوان عبيد: ٣٥.

(٧) ديوان بشر: ١٦٧.

(٨) انظر ديوان بشر: ١١٣.

سبحال الظباء بالنصارى المطأطئة الرؤوس لأجبارها.^(١) وشبه بشر أرجل قوم
عرجان بالصُّلبان وسط البيعة.^(٢) كما شبه أخفاف الناقة التي بليت وتشققت
بالزجاج المهشّم.^(٣)

وكرر في شعر عبيد تشبيه الرسوم الدارسة بالكتاب والصحيفة والسطر،^(٤)
ولا نجد نظير هذا المعنى عند غيره من شعراء أسد سوى تشبيه واحد للرسوم
بسطور الكتاب في شعر مضرس.^(٥) وتشبيه الرسوم بالكتابة على المهارق أمر
شائع في الشعر الجاهلي باديه وحاضره.^(٦) ونجد في شعر بشر تشبيهاً للأطلال
والدمن بالألواح عليها نقوش وتصاوير.^(٧) كما شبه عبيد وبشر وعمرو الظعن
بالسفن.^(٨) وذكر بشر عصر الزيت.^(٩)

وبذلك نجد أن البادية بطبيعتها وأدواتها وأحداثها ذات تأثير شديد في
معاني الشعر الأسدي، وأن كثيراً من هذه المعاني مستمد من الإبل وما يتصل

(١) انظر القسم الثاني: م (١٧٦).

(٢) انظر ديوان بشر: ٢٢٧.

(٣) المصدر السابق: ١٩٨.

(٤) انظر ديوان عبيد: ٢١، ٥٢، ٦٨.

(٥) انظر القسم الثاني: م (١٨٢).

(٦) انظر على سبيل المثال ديوان امرئ القيس: ٨٥، وديوان الهذليين: ٦٤، وديوان لييد:

٢٩٩، ١٣٨، والمفضليات: م ٥٤.

(٧) انظر ديوان بشر: ٣١.

(٨) انظر على التوالي ديوان عبيد: ٣٠-٣١، ١٣٢، وديوان بشر: ٣٥، وشعر عمرو

٧٤-٧٥.

(٩) انظر ديوان بشر: ٨٩.

بها، فالشعر الأسدي في طابعه العام شعر بدوي أعرابي، وظهور بعض معالم الحضارة على نحو قليل في شعر قلة من الشعراء الأسديين من زوار الحواضر والملوك لا يبدل من هذه الحقيقة.

- ٢ -

ومما لا شك فيه أن الشاعر الأسدي كان يستمد بعض معانيه من تراث قبيلته الشعري ويتلمذ على أشعار شعرائها السابقين، وعبيد بن الأبرص شاعر قديم، ولعله أعظم شعراء أسد، لذلك كان شعره مورداً يرده شعراء قومه، والناظر في أشعار شعراء أسد يلمس ذلك التأثير بوضوح، ولعل المتبع لشعر بشر يقف على معان كثيرة استمدتها بشر من شعر عبيد، فقد كان كثير الاتباع له، وكأنه تتلمذ عليه حقاً، ولعل هذا ما جعل صاحب جمهرة أشعار العرب يقول إن هبيداً كان شيطان عبيد ثم صار شيطان بشر.^(١)

ونسوق بعض الأمثلة على تأثر بشر بعبيد واقتفائه أثره ومتحه من معانيه، وقد وصف بشر الطعائن، فقال:

تَبَيَّنْ حَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظُعَائِي

غَرَّاءَ أَبْكَارٍ بِبُرْقَةٍ ثَمَثَمٍ^(٢)

وذلك قول عبيد:

(١) انظر جمهرة أشعار العرب ١: ٤٥.

(٢) ديوان بشر: ١٩٣.

تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنِ
يَمَانِيَةِ قَدْ تَغْتَدِي وَتَرُوحُ^(١)

وقال عبيد في الفخر:

حَتَّى سَقَيْنَاهُمْ بِكَأْسٍ مُرَّةٍ
فِيهَا الْمُثْمَلُ نَاقِعاً فَلْيَشْرَبُوا^(٢)

فقال بشر مفتخراً:

حَتَّى سَقَيْنَاهُمْ بِكَأْسٍ مُرَّةٍ
مَكْرُوهَةٍ حُسُواتِهَا كَالْعَلَقَمِ^(٣)

ووصف عبيد ليلة باتت على ثور وحشي فقال:

فَبَاتَتْ عَلَيْهِ لَيْلَةٌ رَجَبِيَّةٌ
نَصْباً تَسُحُّ الْمَاءَ أَوْ هِيَ أَبْرَدُ^(٤)

فاحتذى بشر حذوه، فقال:

فَبَاتَتْ عَلَيْهِ لَيْلَةٌ رَجَبِيَّةٌ
تُكَفِّهُ رِيحٌ خَرِيقٌ وَتُمِطِرُ^(٥)

(١) ديوان عبيد: ٣٠.

(٢) ديوان عبيد: ٦. والمثمل: السُّم.

(٣) ديوان بشر: ١٨٤.

(٤) ديوان عبيد: ٤٤.

(٥) ديوان بشر: ٨٢. وتكفئه: تضربه فتميله.

وبكى عبيد قومه، فقال:

يَاعَيْنِ فَاَبْكِي مَا يَنِي

أَسَدٍ فَهُمْ أَهْلُ النَّدَامَةِ^(١)

فبكى بشر أخاه سُميراً بقوله:

أَلَا يَا عَيْنِ مَا فَاَبْكِي سُمِيراً

إِذَا ظَلَّ الْمَطِيُّ لَهَا صَرِيفٌ^(٢)

وقال عبيد في الغزل:

أَمِنْ أُمَّ سَلَمٍ تِلْكَ لَا تَسْتَرِيحُ

وَلَيْسَ لِحَاجَاتِ الْفُؤَادِ مُرِيحٌ^(٣)

فقال بشر:

أَمِنْ لَيْلَى وَجَارَتِهَا تَرْوُحُ

وَلَيْسَ لِحَاجَةِ مِنْهَا مُرِيحٌ^(٤)

وقال عبيد يتغزل:

(١) ديوان عبيد: ١٢٥.

(٢) ديوان بشر: ١٥١. والصريف: صوت الأنياب، كناية عن الكلال والإعياء.

(٣) ديوان عبيد: ٢٩.

(٤) ديوان بشر: ٤٩.

فَأَقْرَضْتُهَا وَدِّيَ لِأَجْزَاهُ إِنَّ مَا
تَدُقُّ أَيَادِي الصَّالِحِينَ قُرُوضٌ^(١)

فقال بشر يمدح:

يَكُنْ لَكَ فِي قَوْمِي يَدٌ يَشْكُرُونَهَا
وَأَيْدِي النَّدَى فِي الصَّالِحِينَ قُرُوضٌ^(٢)

وذكر المرزباني أن النقاد أنكروا على بشر هذا البيت، وقال: «قال ابن طباطبا هذا البيت من الأبيات التي زادت قريحة قائلها على عقولهم». ^(٣) وشبهه عبيد الظعن بالسفين، فقال:

كَعَومٍ سَافِرِينَ فِي غَوَارِبِ لُجَّةٍ
تُكَفِّهُهَا فِي وَسْطِ دِجْلَةٍ رِيحٌ^(٤)

فقال بشر:

فَكَأَنَّ طُعْنَهُمْ غَدَاةَ تَحَمُّلُوا
سُفُنٌ تَكْفَأُ فِي خَلِيجِ مُغْرَبٍ^(٥)

(١) ديوان عبيد: ٨٠.

(٢) ديوان بشر: ١٠٧.

(٣) الموشح: ٥٩.

(٤) ديوان عبيد: ٣١.

(٥) ديوان بشر: ٣٥.

هذه أمثلة ناصعة على اقتفاء بشر إثر عبيد واحتذائه حذوه، ومن يدقق في الديوانين يقف على شواهد أخرى كثيرة استمد بشر معانيها من شعر عبيد، على نحو قد يبدو أقل ظهوراً من الأمثلة التي سقناها. وفي شعر عمرو بن شأس ملامح من شعر عبيد، ومن أمثلة ذلك قول عمرو:

فَانْظُرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى طُعْناً

كَالدَّوْمِ أَوْ أَشْبَاهِهَا الْأُنْثَى^(١)

ولعل هذا البيت يذكر بوصف عبيد للطعائن الذي مر سابقاً. وقال عبيد في وصف الناقة:

رَفَعْنَا عَلَيْهِنَّ السَّيَاطَ فَقَلَصَتْ

بِنَا كُلُّ قَتْلَاءِ الذِّرَاعَيْنِ مِرْقَالِ^(٢)

فقال عمرو:

عَلَى كُلِّ قَتْلَاءِ الذِّرَاعَيْنِ جَسْرَةٌ

تَمُرُّ عَلَى الْحَاذِينَ ذَا حُصْلٍ جُنْلاً^(٣)

وشبه عبيد الخيل بالسَّعَالِي، فقال:

(١) شعر عمرو: ٤٠.

(٢) ديوان عبيد: ١١٣.

(٣) شعر عمرو: ٤٤.

نَحْنُ قُدْنَا مِنْ أَهَاضِيبِ الْمَلَا أَلْ

خَيْلَ فِي الْأَرْسَانِ أَمْثَالَ السَّعَالِي^(١)

وحذا عمرو حذوه، فقال:

وَأَفْرَاسُنَا مِثْلُ السَّعَالِي أَصَابَهَا

قَطَارٌ وَبَلَّتْهَا بِنَافِجَةٍ شَمْلُ^(٢)

وشبه عبيد ميلان المرأة بميلان الكئيب، فقال:

فَتَعَاطَيْتُ جِيدَهَا ثُمَّ مَالَتْ

مَيْلَانَ الْكَيْبِ بَيْنَ الرِّمَالِ^(٣)

وأتى عمرو بتشبيه قريب منه، فقال:

تَعْمِلُ عَلَى ظَهْرِ الْكَيْبِ كَأَنَّهَا

نَقَا كُلَّمَا حَرَكْتَ جَانِبَهُ مَالُ^(٤)

ونسج مضرس بن ربيعي على منوال عبيد في وصف الطعن، فقال:

تَبْصُرُ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنِ

إِذَا مِلْنَ مِنْ قَفٍ عَلَوْنَ رِمَالاً^(٥)

(١) ديوان عبيد: ١١٦.

(٢) شعر عمرو: ٨٦.

(٣) ديوان عبيد: ١١٠.

(٤) شعر عمرو: ٩٨.

(٥) القسم الثاني: م (١٩٢).

أما مطير بن الأشيم فاستمد معناه في وصف الفرس من بيت لبشر، فقال:

لَهُ زَفْرَةٌ بَعْدَ طُولِ الْجِرَاءِ

يُقَطَّعُ مِنْهَا الْحِزَامُ الشَّدِيدَا^(١)

وذلك قول بشر:

عَلَى كُلِّ ذِي مَيْعَةٍ سَابِحٍ

يُقَطَّعُ ذُو أَبْهَرَيْهِ الْحِزَامَا^(٢)

وعاب ابن قتيبة بيت بشر لأن للفرس أبهر واحد لا أبهرين.^(٣)

وشبه عمرو بن شأس آثار السيوف من المجالدة بمشافر الإبل القرchy وقد تهذلت بسبب القروح، فقال:

وَأَسْنِيَا فَنَّا آثَارُهُنَّ كَأَنَّهَا

مَشَافِرُ قَرْحَى فِي مَبَارِكِهَا هُذُلُ^(٤)

وذكر ابن قتيبة أن عمراً سَبَقَ إلى هذا المعنى، فأخذه عنه الكميت، فقال:

تُشَبِّهُ فِي الْهَامِ آثَارَهَا

مَشَافِرُ قَرْحَى أَكَلْنَ الْبَرِيرَا^(٥)

(١) المصدر السابق: م (٢٥٨).

(٢) ديوان بشر: ١٨٨.

(٣) الشعر والشعراء ١: ٢٧٠.

(٤) شعر عمرو: ٨٥.

(٥) الشعر والشعراء ١: ٤٢٦.

ودعا أبو المهورش ضيوفه بإيقاده النار تحت القدر في موضع عال لئلا
الأضياف:

رُفِعَتْ لَهُ قِدْرُ الضُّيُوفِ فَمَا اهْتَدَى

إِلَّا بِدَائِعِي الْحَيِّ فِي الْإِيقَادِ^(١)

ونجد نظير هذا المعنى عند مضرّس في قوله:

رَفَعْتُ لَهُ نَارِي فَلَمَّا اهْتَدَى لَهَا

زَجَرْتُ كِلَابِي أَنْ يَهْرَّ عَقُورُهَا^(٢)

ولا ندرى أي الشاعرين أخذ عن الآخر، فهما متعاصران.

وإذا كان الشعراء الأسديون يسمدون من تراثهم الشعري، فهل اقتصر
هؤلاء الشعراء على الاستناد إلى تراثهم يأخذون منه دون غيره؟ وهل كان
الموروث الشعري الأسدي وقفاً على شعراء القبيلة وحدهم دون غيرهم؟ أم أن
ثمة تأثيراً وتأثيراً؟

مما لا شك فيه أن الشعر الأسدي ليس كله إبداعاً، وليس كله اتباعاً،
فالمعاني والصور الجاهلية شائعة بين الشعراء، والطرق إليها موطأة الأكناف
واضحة المعالم يطرقها الشعراء كلهم، والناظر في ديوان أي شاعر جاهلي يرى
وجوه شبه في المعاني والصور والصياغة مع غيره من شعراء الجاهلية، وقد لاحظ
ذلك الأعلام الشتمري أحد شراح الشعر الجاهلي، فقال: «شعر العرب كلّ

(١) القسم الثاني: م (٢٨٧).

(٢) المصدر السابق: ق (١٨١)، البيت (٢).

متشابه الأغراض متجانس المعاني».^(١)

ومن المعروف أن الشاعر كان يلزم غيره من الشعراء، يروي شعره ويتعلم منه فنون القول وقوانين النظم، قال حازم القرطاجني: «وأنت لا تجد شاعراً مجيداً منهم إلّا وقد لزم شاعراً آخر المدة الطويلة، وتعلم منه قوانين النظم، واستفاد عنه الدربة في أنحاء التصاريف البلاغية، فقد كان كثير أخذ الشعر عن جميل، وأخذه جميل عن هدبة بن خشرم، وأخذه هدبة عن بشر بن أبي حازم...».^(٢)

وسأحاول تلمس معالم هذه العلاقة بين شعر أسد وغيرها من أشعار القبائل سواء أكانت تأثيراً في أشعار غيرهم أم تأثراً بها. ولعل الوشائج قوية والأواصر متينة بين امرئ القيس الكندي وبين بني أسد، فامرؤ القيس نشأ في ديار أسد، وشغلت هذه القبيلة من شعره حيزاً كبيراً، والديار التي وقف عليها في شعره وبكى ظعنها ووصفها بأجود الوصف كلها ديار بني أسد.^(٣) فهل استمد هذا الشاعر بعض معانيه وأغراضه من معاصريه والسابقين عليه من شعراء أسد؟ قال المرزباني في ترجمة مرة بن الرواع الأسدي: «جاهلي قديم كثير الشعر، يقال: إنه كان في عصر امرئ القيس بن حجر وإن امرأ القيس كان يعلم قيانة أشعار ابن الرواع».^(٤)

^(١) ديوان امرئ القيس: ٣.

^(٢) منهاج البلغاء: ٢٧.

^(٣) انظر جمهرة أشعار العرب: ١٠٤، والشعر والشعراء ١: ١٠٥، وشرح سقط الزند

٤٦٠: ١.

^(٤) معجم الشعراء: ٢٩٤.

وبناء على مقالة المرزباني يمكن الترجيح بأن مُرَّةً كان أكبر سناً من معاصره امرئ القيس، وأن شعره أسهم في التكوين الفني للشاعر الآخر. وليس بين أيدينا من أشعار مُرَّة إلا تسعة أبيات، فهي لا تمنحنا الفرصة لإثبات العلاقة الفنية بين الشعارين أو نفيها ولكنها قد تشير إلى تلك العلاقة، ومن هذه الأبيات سبعة أبيات من قصيدة واحدة، نلمح شبيهاً قوياً في المعاني بينها وبين القصيدة الثانية والستين من ديوان امرئ القيس، وهذه الأبيات الثلاثة الأولى منها:

إِنَّ الْخَلِيْطَ أَجَدُّوْا الْبَيْنَ فَادَّجَوْا
وَهُمْ كَذَلِكَ فِي آثَارِهِمْ لَحَجْجُ
بَانُوا وَفِيهِمْ كَيْبٌ مَا يُكَلِّمُنِي
وَبَعْضُ سَادَاتِهِمْ بِالْبَيْنِ مُبْتَهَجُ
وَقَدْ لَحِقْتُ بِأُولَى الْخَيْلِ تَحْمِلُنِي
وَالْفَضْلَتَيْنِ وَسَيَفِي سَهْوَةً حَرَجُ^(١)

أما أبيات قصيدة امرئ القيس التي اعتمد فيها على بعض المعاني من أبيات مُرَّة، فهي:

إِنَّ الْخَلِيْطَ نَأْوُكَ بِالْأَمْسِ
وَاسْتَيْقَنْتَ بِفِرَاقِهِمْ نَفْسِي

(١) القسم الثاني: م (٨٦). والفضلة: بقية الماء في المزادة. والسهوة: الناقة اللينة السير.

والحرج: الناقة الجسيمة.

بَانُوا فِيهِمْ حُرَّةً مَيَّالَةً

حَوْرَاءُ آنَسَتْ مِنَ اللُّغْسِ

فَلَقَدْ أَجْوَزُ الْخَرْقَ تَحْمِلُنِي

وَالْفَضْلَتَيْنِ وَقَيْتَنِي عَنْسِي^(١)

ولمة الشاعر أخ شاعر هو كعب بن الرواع، لم يصل إلينا من شعره إلا خمسة أبيات، منها قوله:

ذَكَرَ ابْنَةَ الْعَرَجِيِّ فَهُوَ عَمِيدُ

شَغَفًا شَغِفَتْ بِهَا وَأَنْتَ وَلِيدُ^(٢)

وأثر البيت واضح في هذا المطلع لامرئ القيس:

أَذْكَرْتَ نَفْسَكَ مَالَنْ يَغُودَا

فَهَاجَ التَّذْكَرُ قَلْبًا عَمِيدًا^(٣)

ويجمع المؤرخون على أن عبيداً معاصر لحجر والد امرئ القيس، وبلغ من مكانته في شعره وقومه أن استبقاه حجر رهينة عنده، لما طرّد بني أسد إلى تهامة، وتمكن الشاعر الرهينة بسعيه وشعره أن يستلّ سخيمة الملك، فيعفو عن قومه.^(٤) كل ذلك وامرؤ القيس في ميعة الصبا وجهل الشباب، فهو أصغر أولاد

^(١) ديوان امرئ القيس: ٢٧٢-٢٧٤.

^(٢) القسم الثاني: م(١٠١).

^(٣) ديوان امرئ القيس: ٢٥١.

^(٤) انظر الأغاني ٩: ٨٢ وما بعدها.

حجر. ولهذا وما إليه يمكن القول إن عبيداً كان متقدماً في السن على معاصره
امرئ القيس، ولعل الفارق في السن بينهما هو الفارق بين المعلم والتلميذ، فإذا
وجدنا سمات معنوية مشتركة في شعر الشاعرين، فقد يكون ذلك دليلاً على
علاقة التلمذة هذه.

وإن قراءة متأنية في ديواني الشاعرين توضح هذه الحقيقة. ونبدأ بالغزل
فنسوق بعض المعاني التي أتى بها الشاعران، قال عبيد في وصف مذاق فم
المحوبة:

إِذَا ذُقْتُ فَاهَا قُلْتُ: طَعْمُ مُدَامَةٍ

مُشَعَّشَةٍ تُرَخِّي الإِزَارَ قَلْدِيحٌ^(١)

فقال امرؤ القيس:

إِذَا ذُقْتُ فَاهَا قُلْتُ: طَعْمُ مُدَامَةٍ

مُعْتَقَةٍ مِّمَّا يَجِيءُ بِهِ التُّجْرُ^(٢)

وقال عبيد في وصف الريق:

تَحَالُ رِيْقٌ ثَنَاهَا إِذَا ابْتَسَمَتْ

كَمَزَجٍ شَهْدٍ بَأْتُرْجٍ وَتَفَّاحٍ^(٣)

(١) ديوان عبيد: ٢٩.

(٢) ديوان امرئ القيس: ١١٠.

(٣) ديوان عبيد: ٤٠.

فقال امرؤ القيس:

كَأَنَّ الْمَدَامَ بَأْتِيَابَهَا

وَصَوَّبَ الْغَمَامَ بِمَاءٍ غَلِيٍّ

وَطَعَنَ السَّيْفَ فَرَجَلٍ وَالزُّنْجِيَّ

لِغُلٍّ بِهِ وَبَصَافِي الْعَسَلِ^(١)

وشبه الشاعران النساء بالدمى، فقال عبيد:

وَأَوَانِسٍ مِثْلِ الدُّمَى

حُورِ الْعُيُونِ قَدْ اسْتَيْبِنَا^(٢)

وقال امرؤ القيس:

وَلَقَدْ تَوَاعَدُنِي الْأَوَانِسُ كَالدُّمَى

بَعْدَ الْهَدْوِ فَيَلْتَقِي الْوَعْدُ^(٣)

وقال عبيد في وصف وجه المرأة:

كَأَنَّ سُنتَهَا فِي كُلِّ دَاجِيَةٍ

حِينَ الظَّلَامُ بِهِمْ ضَوْءُ مِصْبَاحٍ^(٤)

(١) ديوان امرؤ القيس: ٢٩٨.

(٢) ديوان عبيد: ١٣٨.

(٣) ديوان امرؤ القيس: ٢٣٠.

(٤) ديوان عبيد: ٤٠. والسُّنَّة: الوجه أو دائرته أو الجبهة والجبينان.

فقال امرؤ القيس:

يُضِرِّيْءُ الْفِرَاشَ وَجْهَهَا لِضَجِيعِهَا

كَمِصْبَاحِ زَيْتٍ فِي قَنَادِيلٍ ذُبَالٍ^(١)

وزعمت زوج عبيد أنه كبر وأسن، فقال:

زَعَمْتُ أَنَّنِي كَبِرْتُ وَأَنْنِي

قَلَّ مَالِي وَضَنَّ عَنِّي الْمَوَالِي

وَصَحَا بَاطِلِي وَأَصْبَحْتُ شَيْخَا

لَا يُؤَاتِي أَمْثَالَهَا أَمْثَالِي^(٢)

وكذلك زعم النساء في امرئ القيس، فقال:

وَزَعَمْتُ أَنَّنِي قَدْ كَبِرْتُ وَإِنَّمَا

تِلْكَ الْمَكَاذِبُ لَيْسَ لِي عَهْدُ^(٣)

وقال أيضاً:

أَلَا زَعَمْتُ بِسَبَاسَةِ الْيَوْمِ أَنَّنِي

كَبِرْتُ وَأَلَا يُحْسِنُ اللَّهُ أَمْثَالِي^(٤)

(١) ديوان امرئ القيس: ٢٩.

(٢) ديوان عبيد: ١٠٧.

(٣) ديوان امرئ القيس: ٢٣٠.

(٤) المصدر السابق: ٢٨.

وبيت المعشوقة يفوح المسك من نواحيه عند كلا الشاعرين، قال عبيد:

وَيَبْتَ يَفُوحُ الْمِسْكُ مِنْ حَجَرَاتِهِ

تَسَدِّيْتُهُ مِنْ بَيْنِ سِرٍّ وَمَخْطُوبٍ^(١)

فقال امرؤ القيس:

وَيَبْتَ يَفُوحُ الْمِسْكُ فِي حَجَرَاتِهِ

بَعِيدٍ مِنَ الْآفَاتِ غَيْرِ مُرَوِّقٍ^(٢)

وتسدى عبيد الكعاب ذات الحللي، فقال:

وَقَدْ تَبَطَّنْتُ مِثْلَ الرِّيمِ أَنْسَةً

رُودَ الشَّبَابِ كَعَابِ ذَاتِ أَوْضَاحٍ^(٣)

وتبطن امرؤ القيس الكعاب ذات الخلخال، فقال:

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلذَّوِّ

وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِيَا ذَاتِ خَلْخَالٍ^(٤)

بعد هذه المعاني من غزل الشاعرين يمكن الزعم بأن غزل عبيد كان الأساس الذي اعتمده امرؤ القيس، ثم راح يطوره وينميه ويتزيد في جوانب الصراحة والمعاينة فيه.

(١) ديوان عبيد: ٢٥. وحجراته: نواحيه. وسرّ ومخطوب: موضعان.

(٢) ديوان امرئ القيس: ١٧١. وغير مروّق: ليس له رواق.

(٣) ديوان عبيد: ٤٠. والأوضاح: الحللي من الفضة.

(٤) ديوان امرئ القيس: ٣٥.

وننتقل إلى المعاني التي ساقها الشاعران في وصف الفرس، ويكثر هذا الغرض كثرة بالغة في شعريهما، وقلما تخلو قصيدة من قصائد الديوانين منه، غير أن امرؤ القيس غالباً ما قرن وصف الفرس بمشاهد الصيد والطرْد، ولم يفعل عبيد ذلك إلا في قصائد قليلة، وهذه بعض المعاني من كلا الوصفين، قال عبيد:

وَقَدْ أَغْتَدِي قَبْلَ الْغَطَاطِ وَصَاحِبِي
أَمِينُ الشَّظَا رِخْوُ اللَّبَانِ سَبُوحٌ^(١)

فقال امرؤ القيس:

وَقَدْ أَغْتَدِي قَبْلَ الْعُطَاسِ بِهِيْكَلِ
شَدِيدِ مَشَلِّ الْجَنْبِ فَعِمِ الْمُنْطَقِ^(٢)

وشبه عبيد صدر الفرس بمداك العروس، فقال:

وَإِذَا اقْتَنَصْنَا لَا يَجِفُ خِضَابُهَا
وَكَأَنَّ بِرِمَكَّتْهَا مَذَاكُ عَرُوسِ^(٣)

وشبه امرؤ القيس كاهل الفرس بمداك العروس، فقال:

(١) ديوان عبيد: ٣١. والغطاط: الصبح. والشظا: رقيق في وظيف الفرس، واللّبان: الصدر.

(٢) ديوان امرؤ القيس: ١٧٢. والهيكل: الفرس الضخم. ونعم المنطق: ممتلئ الجوف.

(٣) ديوان عبيد: ٧٠. والبركة: الصدر.

كَأَنَّ عَلَى الْكِفَّيْنِ مِنْهُ إِذَا انْتَحَى

مَذَاكَ عَرُوسٍ أَوْ صَرَائَةَ حَنْظَلٍ^(١)

وشبه الشاعران فرسهما بالعقاب المُلحّة في طلب الصيد، فقال عبيد:

كَأَنَّهَا لِقَوَّةٌ طَلُّوبُ

تَجِنُّ فِي وَكْرَهَا الْقُلُوبُ^(٢)

وقال امرؤ القيس:

كَأَنَّهَا لِقَوَّةٌ طَلُّوبُ

كَأَنَّ خُرْطُومَهَا مِنْشَالُ^(٣)

ويكثر وصف البرق والسحاب والمطر والسيل عند الشعاعرين، ويرعان في ذلك براعة فائقة، ولعل وصف البرق والسحاب والمطر في حائية عبيد، ووصف البرق والسيل في معلقة امرئ القيس، من أجمل ما قيل في هذا الغرض في الشعر الجاهلي كله،^(٤) وربما من قبيل المصادفة أنّ وصف عبيد استغرق أحد عشر بيتاً، ومثله استغرق وصف امرئ القيس. وهذه بعض المعاني التي ساقها الشاعران في هذا الوصف، قال عبيد:

^(١) ديوان امرئ القيس: ٢١. والصراية: الحنظلة الصفراء البراقة.

^(٢) ديوان عبيد: ١٨. وتجنّ: تتغير رائحتها.

^(٣) ديوان امرئ القيس: ١٩٢. والمنشال: حديدة كالخطاف.

^(٤) انظر ديوان عبيد: ٣٣ ومابعداها، وديوان امرئ القيس: ٢٤ ومابعداها.

صَاحَ تَرَى بَرْقاً بَتُّ أَرْقُبُهُ

ذَاتَ الْعِشَاءِ فِي غَمَائِمٍ غُرٍّ^(١)

وقال امرؤ القيس:

أَحَارَ تَرَى بَرْقاً كَأَنَّ وَمِضَّه

كَلَمَعَ الْيَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلٍ^(٢)

ووصف عبيد انصباب المطر، فقال:

سَقَى الرَّبَابَ مُحَلِّجِلُ الْـ

أَكْنَافٍ لَمَّاحٍ بُرُوقُهُ

جَوْنٌ تُكْرِمُ رُءُ الصَّبَا

وَهُنَا وَتَمْرِيهِ خَرِيقُهُ^(٣)

ونجد صدى البيتين في قول امرئ القيس:

سَقَى دَارَ هِنْدٍ حَيْثُ شَطَّتْ بِهَا النُّوَى

أَحَمُّ الذُّرَا دَانِي الرَّبَابِ نَحِينُ

(١) ديوان عبيد: ٦٣. وتكركره: تردده.

(٢) ديوان امرئ القيس: ٢٤. والحبي: ما ارتفع من السحاب. والمكلل: الذي كالأكليل.

(٣) ديوان عبيد: ٨٩. والوهن: منتصف الليل. وتمريه: تنزل مطره. والخريق: الريح

الشديدة.

لَهُ فِرَقٌ كُلُّهُ تَكْرُكُهُ الصَّبَا

كَأَنَّ تَدَاعِي رَعْدِهِنَّ رَنِينَ^(١)

وندع المعاني التي ساقها الشاعران في أغراضهما، وتتناول بعض المعاني التي وردت في قصيدتين لهما، الأولى قصيدة عبيد التي قيل إنها من المعلقات، والثانية القصيدة (٣٣) في ديوان امرئ القيس، والقصيدتان من مخلع البسيط، وهو وزن نادر في الشعر الجاهلي. قال عبيد:

عَيْنَاكَ دَمْعُهُمَا سَرُوبُ

كَأَنَّ شَأْنِيهِمَا شَيْعِبُ

فقال امرؤ القيس:

عَيْنَاكَ دَمْعُهُمَا سِرْجَالُ

كَأَنَّ شَأْنِيهِمَا أَوْ شَالُ

وقال عبيد:

أَوْ جَذُولٌ فِي ظِلَالٍ نَخْلٍ

لِلْمَاءِ مِنْ تَحْتِهِ سُكُوبُ

فقال امرؤ القيس:

(١) ديوان امرئ القيس: ٢٨٢. والأحم: الأسود. وكلف: سود. وتداعي: تجاوب.

والرنين: الصوت.

أَوْ جَدُولٌ قِي ظِلَالٍ نَخْلٍ
لِلْمَاءِ مِنْ تَحْتِهِ مَجَالٌ

وقال عبيد:

قَطَعْتُهُ غُدُوَّةَ مُشْرِيحاً
وَصَاحِي بِإِدْنِ خَبُوبٍ

فقال امرؤ القيس:

قَدْ أَقْطَعُ الْأَرْضَ وَهِيَ قَفْرٌ
وَصَاحِي بِإِزْلِ شِمْلَالٍ

وقال عبيد:

عَيْرَانَةٌ مُوجَدٌ فَقَارُهَا
كَأَنَّ حَارِكَهَا كَثِيبٌ^(١)

فقال امرؤ القيس:

نَاعِمَةٌ نَائِمٌ أَبْجَلُهَا
كَأَنَّ حَارِكَهَا أَثَالٌ^(٢)

(١) ديوان عبيد: ق ٥٥. والخبوب: السريع. وعيرانة: كالعير. وموجد فقارها: موثقة الخلق.
(٢) ديوان امرؤ القيس: ق ٣٣. والوشل: الماء القليل. والشمال: الناقة السريعة.
والأبجل: عرق في الرجل. وأثال: اسم جبل.

ولعلنا نلمس التأثير بشعر امرئ القيس عند بشر بن أبي خازم، وعمرو بن شأس، كما نلمح بعض التأثير عند مضر بن ربيعي. ولا نجد أثراً لاستفادة الشعراء الأسديين الآخرين من شعره، ولعل السبب في ذلك يكمن في ضالة القدر الذي وصل إلينا من أشعارهم على نحو لا يمكن الدراس من تلمس هذه العلاقة.

وإذا نظرنا في ديوان بشر فإننا نقف على بعض المعاني التي استمدتها من سابقه امرئ القيس، وهذه بعض تلك المعاني، قال امرؤ القيس يصف منسم ناقته الدامي:

تَحْدِي عَلَى الْعِلَاتِ سِيَامِ رَأْسُهَا
رَوْعَاءُ مَنْسِمُهَا رَثِيمٌ دَامٌ^(١)

فقال بشر:

إِذَا انْبَعَثَ مِنْ مَبْرَكٍ فَنَعَالُهَا
رَعَايِلُ يُثْرِنَ التُّرَابَ مِنْ الدَّمِ^(٢)

وشبه امرؤ القيس سرعة ناقته بسير النعامة السريع في الهاجرة، فقال:

وَمُجِدَّةٌ نَسَّاتُهَا فَتَكَمَّشَتْ
رَتَكَ النِّعَامَةِ فِي طَرِيقِ حَامٍ^(٣)

(١) ديوان امرئ القيس: ١١٦. وتحدي: تسرع. وسام: مرتفع. والرثيم: الذي جرحته الحجارة.

(٢) ديوان بشر: ١١٩. والرعبولة: القطعة. ويثرين: يندئين التراب من الدم.

(٣) ديوان امرئ القيس: ١١٥. وتكمشت: أسرع. ورتك النعامة: تقارب خطواتها.

فشبه بشر إرقال ناقته بسير النعامة السريع، فقال:

فإِلَى ابْنِ أُمِّ إِسَاسَ عَمِّرُوا رَقَلْتُ

رَتَكَ النِّعَامَةَ فِي الْجَدْيِبِ السَّبَسَبِ^(١)

ووصف امرؤ القيس فرسه وهو يزحف زحفاً فيعلق ببطنه التراب، فقال:

وَجَاءَ خَفِيًّا يَسْفِينُ الْأَرْضَ بَطْنُهُ

تَرَى التُّرْبَ مِنْهُ لَاصِقًا كُلَّ مُلْصَقٍ^(٢)

فنقل بشر هذا المعنى إلى وصف الثور الوحشي، فوصف بقية العلف تعلق

ببطنه، فقال:

وَأَضْحَى لَاصِقًا بِالصُّلْبِ مِنْهُ

ثُمَّائِلُهُ كَمَا قَلَّ الْمَنِحُ^(٣)

وذكر الحائمي أن بشراً اعتمد على امرئ القيس في قوله:

أَرَا حَتَّ فِي السَّمَاءِ بَنَاتُ نَعَشٍ

وَقَدْ دَارَتْ كَمَا عَطَفَ السَّوَارُ

وكذلك قول امرئ القيس:

(١) ديوان بشر: ٣٨.

(٢) ديوان امرئ القيس: ١٧٢. ويسفن: أي يمسخ.

(٣) ديوان بشر: ٥٣. والثماثل: مفردها ثميلة وهي البقية من العلف والشراب في بطن

البعير. والمنيح: من أقذاح الميسر.

وَقَدْ رَقَدَتْ وَسَطَ السَّمَاءِ نَجْمُهَا

رُكُودَ نَوَادِي الرَّبِّ الْمَتَوَرِّقِ^(١)

وثمة ثمانية أبيات من قصيدة لبشر في وصف الثور الوحشي اعتمد فيها اعتماداً كاملاً على قصيدة لامرئ القيس، والأبيات في القصيدتين متفقة في الموضوع والوزن والروي، حتى يخال الناظر فيهما أن أبيات بشر منحولة عليه، ولكن القصيدتين أصيلتان رواهما لهما علماء ثقات. وهذه أبيات امرئ القيس، ونظائرها في قصيدة بشر، وبدأ امرؤ القيس وصف الثور بقوله:

كَأَنِّي وَرَحْلِي فَوْقَ أَحْقَبَ قَارِحٍ

بِشَرَبَةٍ، أَوْ طَاوٍ بِعَرْزَانٍ مُوجِسٍ^(٢)

وبدأ بشر الوصف بقوله:

كَأَنِّي وَأَقْنَادِي عَلَى حَمْشَةِ الشَّوَى

بِحَرْبَةٍ أَوْ طَاوٍ بِعُسْفَانَ مُوجِسٍ

وقال امرؤ القيس:

تَعَشَّى قَلِيلاً، ثُمَّ أَنْحَى ظُلُوفَهُ

يُشِيرُ التُّرَابَ عَنْ مَيِّتٍ وَمَكْنَسٍ

(١) الرسالة الموضحة: ١٤٧. والربرب: القطيع من بقر الوحش. والنوادي: المجتمعة منها.

والمتروق: التي أكلت الورق.

(٢) ديوان امرئ القيس: ق ١٢، وديوان بشر: ق ٢١.

فقال بشر:

تَمَكَّتْ حِينًا، ثُمَّ أَنْحَى ظُلُوفَهُ
يُثِيرُ التُّرَابَ عَنْ مَبِيتٍ وَمَكْنَسٍ

وقال امرؤ القيس:

يَهِيلُ وَيُذْرِي تَرْبَهَا وَيُثِيرُهُ
إِنَارَةَ نَبَاتِ الْهَوَاجِرِ مُحْمِسٍ

فقال بشر:

بِرُحِّ كَأَصْدَافِ الصَّنَاعِ قَرَائِنِ
إِنَارَةَ مِعْطَاشِ الْخَلِيقَةِ مُحْمِسِ

وقال امرؤ القيس:

فَبَاتَ عَلَى حَدِّ أَحَمٍّ وَمَنْكِبِ
وَضِجْعَتِهِ مِثْلُ الْأَسِيرِ الْمَكْرَدَسِ

فقال بشر:

وَبَاتَ عَلَى حَدِّ أَحَمٍّ وَمَنْكِبِ
وَدَائِرَةِ مِثْلِ الْأَسِيرِ الْمَكْرَدَسِ

وقال امرؤ القيس:

فَصَبَّحَهُ عِنْدَ الشُّرُوقِ غُدْيَةً
كِلَابُ ابْنِ مُرٍّ أَوْ كِلَابُ ابْنِ سِنْبِسٍ

فقال بشر:

فَبَاكَرَهُ عِنْدَ الشُّرُوقِ غُدْيَةً

كِلابُ ابْنِ مُرٍّ أَوْ كِلَابُ ابْنِ سِنِيسِ

وقال امرؤ القيس:

فَأَذْرَكْنَهُ يَأْخُذُنَ بِالسَّاقِ وَالنَّسَا

كَمَا شَبَّرَقَ الْوِلْدَانُ ثَوْبَ الْمُقَدِّسِ

فقال بشر:

وَأَذْرَكْنَهُ يَأْخُذُنَ بِالسَّاقِ وَالنَّسَا

كَمَا خَرَّقَ الْوِلْدَانُ ثَوْبَ الْمُقَدِّسِ

وقال امرؤ القيس:

فَأَذْبَرَ يَكْسُوهَا الرِّغَامَ كَأَنَّهُ

عَلَى الصَّمَدِ وَالْأَكَامِ جَذْوَةٌ مُقْبِسِ

فقال بشر:

وَمَرَّ يُبَارِي جَانِيئِهِ كَأَنَّهُ

عَلَى الْبَيْدِ وَالْأَشْرَافِ شُعْلَةٌ مُقْبِسِ

وقال امرؤ القيس:

وَعَوَّرَنَ فِي ظِلِّ الْغَضَى وَتَرَكْنَهُ

كَقَرْمِ الْهَجَانِ الْفَادِرِ الْمُتَشَمِّسِ^(١)

فقال بشر:

يَقُومُ إِذَا أَوْقَى عَلَى رَأْسٍ هَضْبَةٍ

قِيَامَ الْفَيْيَقِ الْجَافِرِ الْمُتَشَمِّسِ^(٢)

ولعل تأثير امرئ القيس في عمرو بن شأس ضعيف باهت تجلّى في قصيدة واحدة استمد عمرو بعض معاني الغزل فيها من قصيدة لامرئ القيس، والقصيدتان لامتتان من البحر الطويل، وبدأ عمرو قصيدته بتذكر ليلي التي ضل في حبها:

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى لَا تَ حِينَ ادَّكَارَهَا

وَقَدْ حُنِيَ الْأَصْلَابُ ضُلًّا بِتَضْلَالِ^(٣)

ولعل هذا المطلع صدى لبیت امرئ القيس:

نَوَاعِمٌ يُتَبَغَّنَ الْهَوَى سُبُلَ الرَّدَى

يَقْلَنَ لِأَهْلِ الْحِلْمِ ضُلًّا بِتَضْلَالِ^(٤)

(١) ديوان امرئ القيس: ١٠١-١٠٤.

(٢) ديوان بشر: ١٠١-١٠٤.

(٣) شعر عمرو: ٩٧، وفيه «ضُلٌّ» والصواب ما أثبتته.

(٤) ديوان امرئ القيس: ٣٥.

وشبه عمرو ليلي ببيضة نعامة في أرض سهلة يحلها الناس، فقال:

وَمَا يَبْضَةُ بَاتِ الظِّلِيمِ يُحْفَهَا

إِلَى جُؤْجُوءٍ بِمِثْلَاءِ مُحْلَالٍ^(١)

وكان امرؤ القيس قد وصف بيض النعام في أرض مماثلة فتشابه الوصفان، قال:

وَتَحْسَبُ سَلْمَى لَا تَزَالُ تَرَى طَلًا

مِنْ الْوَحْشِ أَوْ يَبْضًا بِمِثْلَاءِ مُحْلَالٍ^(٢)

وقال عمرو في وصف ليلي:

لَطِيفَةٌ طَيِّ الْكَشْحِ مُضْمَرَةُ الْحَشَا

هَضِيمُ الْعِنَاقِ هَوْنَةٌ غَيْرُ مِتْفَالٍ^(٣)

وليس هذا المعنى إلا استلال من معنى بيتين لامرؤ القيس، بعد أن خبا بريقهما في بيت عمرو، والبيتان هما:

لَطِيفَةٌ طَيِّ الْكَشْحِ غَيْرُ مُفَاضَةٍ

إِذَا انْفَتَلَتْ مُرْتَجَّةٌ غَيْرُ مِتْفَالٍ

(١) شعر عمرو: ٩٨.

(٢) ديوان امرؤ القيس: ٢٨.

(٣) شعر عمرو: ٩٨.

إِذَا مَا الضَّجِيعُ ابْتَرَّهَا مِنْ ثِيَابِهَا
تَمِيلُ عَلَيْهِ هَوْنَةً غَيْرَ مِجْبَالٍ^(١)

ولا نجد في شعر مضرّس أخذاً عن امرئ القيس سوى ما ذكره الخالديان، إذ قالوا:
«فأما أول من شبه المشي بمشي السكران للثني والانعطاف فامرؤ القيس،
في قوله:

وَإِذْ هِيَ تَمْشِي كَمْشِي النَّزِي—
فِ يَصْرَعُهُ بِالْكَيْبِ الْبُهُرُ

أخذه مضرّس الفقعسي، فقال:

تَسَاكُرُ سَلَمَى مِنْ سَجِيَّةٍ مَشِيهَا
وَمَا سُكَّرُ سَلَمَى مِنْ طِلَاءٍ وَلَا خَمَرٍ^(٢)

هذا ما وقفت عليه من علائق معنوية بين امرئ القيس وشعراء أسد، غير أن
هذه العلائق لا تقتصر على شعر امرئ القيس، فثمة سمات معنوية وملامح
مشتركة بين الشعر الأسدي وسائر أشعار القبائل، والمعنى الذي ساقه عبيد في
حديث الطعائن في قوله:

تَبَصَّرُ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنِ
يَمَانِيَةٍ قَدْ تَغْتَدِي وَتَرْوُحُ^(٣)

(١) ديوان امرئ القيس: ٣٠-٣١.

(٢) الأشباه والنظائر ١: ٢١٠.

(٣) ديوان عبيد: ٣٠.

توارد عليه جماعة من الشعراء منهم: امرؤ القيس،^(١) والمرقش الأصغر البكري،^(٢) وزهير المزني،^(٣) والطفيل الغنوي،^(٤) ولعل هذا القول كان شائعاً في أشعار الشعراء قبل عبيد، فأخذه عبيد، كما أخذه الشعراء الذين أتوا بعده. ويتشابه المعنى إلى حد كبير في صورتين من صور الغزل عند عبيد وطرفة، قال عبيد:

تُدْفِي الضَّجِيعَ إِذَا يَشْتُو وتُخْصِرُهُ

فِي الصَّيْفِ حِينَ يَطِيبُ الْبَرْدُ لِلصَّاحِ^(٥)

وقال طرفة:

تَطْرُدُ الْقُرَّ بِحَرٍّ صَادِقٍ

وَعَيْكَ الْقَيْظُ إِنْ جَاءَ بِقُرٍّ^(٦)

كما نلمح تشابهاً في المعنى عند الشاعرين، في قول عبيد:

غَدَاةٌ بَدَتْ مِنْ سِتْرِهَا وَكَأَنَّمَا

تَحْفُ نَنَائَاهَا بِحَالِكٍ إِنْ مَدَّ

(١) انظر ديوان امرؤ القيس: ٤٣.

(٢) انظر المفضليات: ٢٤٥.

(٣) انظر ديوان زهير: ٧، ٢٥٩، ٢٨٧.

(٤) انظر ديوان طفيل: ٨٢.

(٥) ديوان عبيد: ٤٠.

(٦) ديوان طرفة: ٥٨.

وَتَبَسُّمٌ عَنْ عَذْبِ اللَّثَاتِ كَأَنَّهُ

أَفَاحِي الرَّبِّي أَضْحَى وَظَاهِرُهُ نَدِي^(١)

وقول طرفة:

وَتَبَسُّمٌ عَنْ أَلْمَى، كَأَنَّ مُنَوَّرًا

تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصَ لَهُ نَدِي

سَقَّتُهُ إِيَّاءَ الشَّمْسِ إِلَّا لِثَاتِهِ

أُسِفَ وَلَمْ تَكْدِمِ عَلَيْهِ بِإِثْمِدِ^(٢)

وشبه عبيد عطاء الملوك بماء الفرات، وذلك في قوله:

مَنْ سَيَّيْهُ سَحُّ الْفَرَاتِ وَحَمْلُهُ

مُزْنُ الْجِبَالِ وَنَيْلُهُ لَا يَنْفَدُ^(٣)

فتداول الشعراء هذا المعنى، منهم أوس بن حجر التميمي،^(٤) وزهير،^(٥)

والنابغة الذبياني.^(٦)

(١) ديوان عبيد: ٥٣.

(٢) ديوان طرفة: ٩-١١.

(٣) ديوان عبيد: ٤٥.

(٤) انظر ديوان أوس: ١٠٥.

(٥) انظر شعر زهير: ١٥٤.

(٦) انظر ديوان النابغة: ٢٢-٢٤.

وشبه عبيد وبشر الخيل بالكلاب الضارية، فقال عبيد:

مُسْرِعَاتٍ كَأَنَّهُنَّ ضِرَاءُ

سَمِعَتْ صَوْتَ هَاتِفِ كَلَابٍ^(١)

ونجد نظير هذا المعنى عند الطفيل الغنوي، قال:

تُبَارِي مَرَاخِيهَا الزُّجَاجَ كَأَنَّهَا

ضِرَاءٌ أَحَسَّتْ نَبَأَهُ مِنْ مُكَلِّبٍ^(٢)

وهجا أوس بن حجر بني لبني بأن أمهم خرج رحمها عند الولادة، فخطاها
ثفراها بالزند، فقال:

أَنِبِي لُبَيْبِي إِنَّ أُمَّكُمْ

دَحَقَتْ فَخَرَّقَ ثَفْرَهَا الزَّيْدُ^(٣)

وسبقه إلى هذا المعنى الجميح الأسدي الذي هجا بني عامر بأن أمهم يخرج
رحمها بعد الولادة، فهي تستحشي بالدرع والخمار خشية خروجه، قال:

وَأُمُّهَا خَيْرَةُ النَّسَاءِ، عَلَى

مَا خَانَ مِنْهَا الدَّحَاقُ وَالْأَتَمُّ

(١) ديوان عبيد: ٢٣. وانظر المعنى في ديوان بشر: ٦.

(٢) ديوان طفيل: ٧٠.

(٣) ديوان أوس: ٢١.

تَشْمِذُ بِالذَّرْعِ وَالْخِمَارِ فَلَا

تَخْرُجُ مِنْ جَوْفِ بَطْنِهَا الرَّحِمِ^(١)

وقال بشر في مديح أوس بن حارثة:

إِذَا مَا الْمَكْرُمَاتُ رُفِعْنَ يَوْمًا

وَقَصَّ رَمْتُهُنَّ عَنْ مَدَاهَا

وَضَاقَتْ أَذْرُعُ الْمُثْرِينَ عَنْهَا

سَمَّا أَوْسٌ إِلَيْهَا فَاحْتَوَاهَا^(٢)

ورأى الحائمي أنَّ ثمة علاقة بين قول بشر وقول الشماخ الذياني في مديح

عرابة الأوسي:

إِذَا مَارَايَةَ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ

تَلَقَّاهَا عُرَابُةٌ بِالْيَمِينِ^(٣)

وأعجب ابن سنان الخفاجي وحازم القرطاجني بإيجاز الشماخ وحسن

عبارة. ^(٤) غير أن صاحب المستجد روى لبشر هذا البيت:

(١) القسم الثاني: ق (١٠)، البيتان (١٣، ١٤). والدحاك: أن يخرج الرحم بعد الولادة.

والأتم: أن يصير المسلكان واحداً. وتشمذ بالدرع: تستحشي به.

(٢) ديوان بشر: ٢٢٢.

(٣) انظر الخزائن ١: ٤٥٥، ط بولاق، وانظر البيت في ديوان الشماخ: ٣٣٦.

(٤) انظر سر الفصاحة: ٢٠٥، ومنهاج البلغاء: ١٩٣.

إِذَا مَا رَايَةَ رُفَعَتْ لِمَجْدٍ

أَقَامُوهَا لِيَبْلُغَ مُتَهَاَهَا^(١)

وبذلك يكون الشماخ قد أخذ صدر البيت عن بشر، وليس الفضل له في الإيجاز وحسن العبارة.

ونقل البغدادي في الخزانة قول الأعشى البكري:

الْوَاهِبُ الْمَائَةَ الْهَجَانَ وَعَبْدَهَا

قَطَنًا تُشَبِّهُهَا النَّخِيلَ الْمُكَرَّعَا

وقوله:

هُوَ الْوَاهِبُ الْمَائَةَ الْمُصْطَفَا

ةً إِمَّا مَخَاضًا وَإِمَّا عِشَارًا

ثم قال: «وقد سبق الأعشى في هذا المعنى إما بشر بن أبي خازم، وإما أوس ابن حجر، فإنهما متعاصران، وكانا قبله. قال الأول بمدح عمرو بن أم إياس:

وَالْمَانِحُ الْمَائَةَ الْهَجَانَ بِأَسْرِهَا

تُزَجِّي مَطَافِلَهَا كَجَنَّةٍ يَشْرِبُ

وقال الثاني:

(١) المستجاد من فعلات الأجواد: ١٦٧، وانظر القسم الثاني: م (١٥٤).

الْوَاهِبُ الْمَائَةَ الْمِغْطَاءَ يَشْفَعُهَا

يَوْمَ الْقَصَارِ بِأُخْرَى غَيْرَ مَحْهُودٍ^(١)

وسبق بشر الأعشى في تشبيه صوت النّسع بصوت الرمح السّمهري في
الثّفاف قال بشر:

بِحُرِّ جُوجٍ يَطُّ النَّسْعُ فِيهَا

أَطِيطَ السَّمُهْرِيَّةُ فِي الثَّقَافِ^(٢)

فقال الأعشى:

مُفَرَّجَةً يَطُّ النَّسْعُ فِيهَا

أَطِيطَ السَّمُهْرِيَّةُ أَنْ تُقَامَا^(٣)

وأخذ زيد الخيل الطائي صدر بيت عن بشر، فقال:

نُسُوفٍ لِلْجِزَامِ بِمِرْقَقِيهَا

شَنُونِ الصُّلْبِ صَمْعَاءِ الْكُغُوبِ^(٤)

وذلك قول بشر:

(١) الخزّانة ٢: ١٨٢، ط بولاق.

(٢) ديوان بشر: ١٤٥. والخرجوج من الإبل: الضامر. ويطن: يصوت.

(٣) ديوان الأعشى: ٢٣١.

(٤) المعاني الكبير: ١٥٨.

نَسُوفٍ لِلْحَزَامِ بِمِرْقَيْهِهَا

يَسُودُ خَوَاءَ طُيْبَيْهَا الْغُبَارُ^(١)

وضبُّ اللثاة مثل يضرب للنهم الحريص الطامع، وأورده حسان بن ثابت الخزرجي في قوله:

حَتَّى تَضِبَّ لِثَاتُهُمْ، فَغَدَتْ بِهِمْ

سَوْدَاءَ، أَصْلُ فُرُوعِهَا كَالْعُنُقْرِ^(٢)

وسبقه إلى هذا المثل بشر في قوله:

وَلَمَّا أَلْقَ خَيْلًا مِنْ نَمِيرٍ

تَضِبُّ لِثَاتُهَا تَرْجُو النَّهَابَ^(٣)

وثمة استعارة لصدر بيت بين النابغة الذبياني وبشر بن أبي خازم، وهما متعاصران، قال النابغة:

عَلَى أَنْيَابِهَا بِغَرِيضٍ مُزْنٍ

تَضَمَّنَهُ الْجَنَازَةُ مِنَ الْغَمَامِ^(٤)

وقال بشر:

(١) ديوان بشر: ٧٤. والطبي لكل ذات حافر كالضرع لكل ذات ظلف.

(٢) ديوان حسان: ٩٥.

(٣) ديوان بشر: ٢٩.

(٤) ديوان النابغة: ١٦١.

عَلَى أَنْيَابِهَا بِغَرِيضٍ مُزْنٍ

أَحَالَتْهُ السَّحَابَةُ فِي الرِّصَافِ^(١)

وشبه المثقّب العبدى ما مس الأرض من ناقته بتعريس من قطعاً فحصت الأرض، فقال:

كَأَنَّ مَوَاقِعَ الثَّفَنِاتِ مِنْهَا

مُعَرَّسٌ بِأَكِرَاتِ الْوَرْدِ جُؤُنِ^(٢)

وذهب ابن قتيبة إلى أن المثقّب سَبَقَ إلى هذا المعنى، وتداوله الشعراء من بعده.^(٣) غير أننا نجد هذا المعنى عند امرئ القيس.^(٤) ومن الذين تداولوه بعد المثقّب الحادّرة في مفضليته،^(٥) وبشر في فائيته، غير أن بشراً نقل صدر بيت المثقّب كما هو، فقال:

كَأَنَّ مَوَاضِعَ الثَّفَنِاتِ مِنْهَا

إِذَا بَرَكَتْ، وَهُنَّ عَلَى تَجَافِي

(١) ديوان بشر: ١٤٤. والرصاف: الماء المنحدر على الصخر فيصفو.

(٢) المفضليات: ٢٩٠.

(٣) انظر الشعر والشعراء ١: ٣٩٧-٣٩٨.

(٤) ديوان امرئ القيس: ٢٧٥-٢٧٦.

(٥) انظر المفضليات: ٤٨.

مُعْرَسُ أَرْبَعٍ مُتَقَابِلَاتٍ

يُيَادِرْنَ الْقَطَا سَمَلَ النَّطَافِ^(١)

واستعار عمرو بن شأس عدداً من معانيه من شعراء الجاهلية من غير بني
أسد، فاستمد من المتلمس البكري معنى بيته:

أَلَكِنِّي إِلَى قَوْمِي السَّلَامَ رِسَالَةً

بِأَيَّةٍ مَا كَانُوا ضِعَافاً وَلَا عُزْلاً^(٢)

وذلك قول المتلمس:

أَلَكِنِّي إِلَى قَوْمِي ضُبَيْعَةً أَنَّهُمْ

أُنَاسِي، فَلَوْمُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَوْدَعُوا^(٣)

وأخذ عن الأعشى البكري معنى هذا البيت:

وَلَنَا فَوَارِسُ يَرْكَبُونَ لَنَا

فِي الرُّوْعِ لَا مَيْلٌ وَلَا عُزْلٌ^(٤)

وذلك قول الأعشى في لاميته:

^(١) ديوان بشر: ١٤٦. ومعْرَس: مبيت. والسَّمَل: بقية الماء في الحوض. والنطاف: المياه.

^(٢) شعر عمرو: ٩٠.

^(٣) شعر المتلمس: ١٥٩.

^(٤) شعر عمرو: ٤١.

نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْخَنُوزِ ضَاحِيَةً
 جَنِّي فُطَيْمَةً لَا مِيلَ وَلَا عُزْلُ^(١)
 وشبه علقمة بن عبدة التميمي عين الناقة بمرآة الحاذقة الصنّاع، فقال:
 بَعَيْنِ كَمِرَاةِ الصَّنَّاعِ تُدِيرُهَا
 لِمَخْرِجِهَا مِنَ النَّصِيفِ الْمُتَّقِبِ^(٢)
 فأخذ عمرو هذا المعنى، فقال:
 وَعَيْنُ كَمِرَاةِ الصَّنَّاعِ وَهَامَةٌ
 كَحَنْدَلَةِ الضَّبِّ الْأَصَمِّ الْمُحَرَّسِ^(٣)
 وقال زهير بن أبي سلمى المزني بمدح سنانا المري:
 إِذَا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ بِالنَّاسِ أَجْحَفَتْ
 وَنَالَ كِرَامَ الْمَالِ فِي الْجَحْرَةِ الْأَكْلُ
 رَأَيْتَ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ يُوتِهِمْ
 قَطِيناً بِهَا، حَتَّى إِذَا نَبَتَ الْبَقْلُ^(٤)

(١) شرح القصائد العشر: ٤٤٨.

(٢) ديوان علقمة: ٨٦.

(٣) شعر عمرو: ٣٠.

(٤) شعر زهير: ٣٧. والجحرة: السنة الشديدة البرد.

وأخذ عمرو هذا المعنى، فقال يفخر ببني أسد:

رَأَيْتَ ذَوِي الْحَاجَاتِ يَتَّبِعُونَنَا

نُهَيْنُ لَهُمْ فِي الْجَحْرَةِ الْمَالَ وَالرَّسْلَةَ^(١)

وشبه عمرو الشيء اليسير بحبة الخردل، فقال:

فَمَا أَفْلَحْتُ فِي الْغَزْوِ كِنْدَةَ بَعْدَهَا

وَلَا أَذْرَكُوا مِثْقَالَ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ^(٢)

ونجد المعنى نفسه في قول النجاشي الحارثي:

قَبِيلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ

وَلَا يَظْلُمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ^(٣)

ولا نعلم أي الشعارين استعار المعنى من الآخر لأنهما متعاصران.

وشبه حميد بن ثور الهلالي النوق، وقد طأطأت رؤوسها لتركبها النساء،

بالنصارى التي تطاطى رؤوسها لأحبارها، فقال:

فَلَمَّا لَوَيْنَ عَلَى مِعْصَمٍ

وَكَفَرٍ خَضِيبٍ وَأَسْوَارِهَا

(١) شعر عمرو: ٤٦. والرسل: القطيع من الإبل.

(٢) شعر عمرو: ٥٦.

(٣) الشعر والشعراء ١: ٣٣١.

فُضُولَ أَرْمَتْهَا أَسْجَدَتْ

سُجُودَ النَّصَارَى لِأَحْبَارِهَا^(١)

فأخذ مضرّس الأسدي هذا المعنى، ووصف به أولاد الأطباء، فقال:

وَسِخَالٍ سَاجِيَةِ الْعُيُونِ خَوَاذِلُ

بِجَمَادٍ لَيْنَةٍ كَالنَّصَارَى السُّجَدِ^(٢)

ولعل تتبع المعاني التي أخذها الشعراء الأسديون من غيرهم، أو أخذها غيرهم منهم يطول الحديث عنه، وتتعدد وجوه وطرائقه كأن نقول إن الأسديين شبهوا الخيل في ضمورها بالقنا، وفي سرعتها بالقطا، وهذه التشابه نجدها عند غيرهم من شعراء القبائل. ومثل هذا كثير فمعاني الشعر الجاهلي متشابهة متجانسة يطرّقها الشعراء كما تطرّق أخفاف الإبل الطريق.

- ٣ -

وإذا كنا قد تتبعنا علاقات التأثر والتأثير، وأوجه الشبه والالتقاء بين معاني الشعر الأسدي وغيره من أشعار القبائل، فهذا لا يعني أن القبائل التي سكنت الريف أو الجبل أو سيف البحر، لا يتسم شعرها ببعض الخصائص المعنوية التي تميزه من الشعر الأسدي والنجدي عامة. فإذا كانت البيئة الصحراوية والحياة

(١) اللسان (سجد).

(٢) القسم الثاني: م (١٧٦). وساجية العيون: فاترة الطرف. والخواذل من الأطباء: التي تنفر مع ولدها. والجماذ: ما ارتفع من الأرض.

الرعوية تطبع شعراءها بطابعها العام، فتتشابه المعاني والصور المستمدة من البيئة المحيطة بالشعراء، فمما لا شك فيه أن للبيئة الزراعية والجبليّة والبحرية سماتها الخاصة التي يستمد منها شعراؤها معانيهم وتشبيهاتهم.

وكانت الخط وهجر والبحرين منازل بعض القبائل العربية كعبد القيس وبكر بن وائل، فتركت بيئتهم البحرية أثرها في معانيهم، ولكنها لم تطغ على المعاني المستمدة من البيئة الصحراوية الرعوية في ذلك الشعر، ذلك أن الصحراء تلامس شواطئ الخليج العربي، وقد عاشت هذه الأقوام حياة رعوية قبلية، كالتّي عاشتها القبائل النجدية والحجازية، فتشابهت الأغراض والموضوعات والمعاني. أما أثر البيئة البحرية فتجلى في تلك المعاني المستقاة من مشاهد البحر، والتي ربطت بين الحياة البحرية والحياة الصحراوية، فرأوا أن ثمة علاقة بين السفن التي تخر عباب البحر وبين النوق التي تقطع الصحارى الواسعة، فشبهوا رواحهم في الصحراء بالسفن في عرض الماء، ومن ذلك قول المثقّب العبدى:

كَأَنَّ الْكُورَ وَالْأَنْسَاعَ مِنْهَا

عَلَى قَرَوَاءَ مَآهِرَةٍ دَهِينِ

يَشُقُّ الْمَاءَ جُؤْجُؤُهَا وَيَعْلُو

غَوَارِبَ كُلِّ ذِي حَدَبٍ بَطِينِ^(١)

وشبه المرقش الأكبر البكري السوط الذي يستحث به ناقته بمجذاف السفينة:

(١) المفضليات: ٢٩١. والكور: حشبة الرحل. والقرواء: السفينة الطويلة الظهر. والجوؤ: الصدر. والحذب: الموج. والبطين: البعيد الواسع.

تَعْدُو إِذَا حُرِّكَ مِجْدَافُهَا

عَدُو رَبَّاعٍ مُفْرِدٍ كَالزُّلْمِ^(١)

واستمد المرقش من مشهد البحر بعض صور مدحه، فقال:

يِيْضُ مَصَالِيْتُ وَجُوهُهُمْ

لَيْسَتْ مِيَاهُ بِحَارِهِمْ بِعُمَمٍ^(٢)

كما شبه الآل، وهو يلف الجبال في الصحراء، فتبدو رؤوسها وتختفي، بمياه الخليج تنغمس فيها رؤوس الجبال، فتطفو تارة وتغرق أخرى:

وَأَعْرَضَ أَعْلَامُ كَأَنَّ رُؤُوسَهَا

رُؤُوسُ جِبَالٍ فِي خَلِيجٍ تَغَامَسُ^(٣)

وشبه المثقّب والمرقش وغيرهما الظعن، وهي تنجد وتتهم بالسفن في عرض البحر، تعلو وتنخفض مع تدافع الموج.^(٤) وفاق طرفة أقرانه فدقق وفصل حين شبه مراكب النساء بسفن البحرين أو سفن ابن يامن ذلك الملاح الهجري الذائع الصيت في زمنه، وهذه السفن تعدل عن خط سيرها تارة، وتمضي إلى القصد تارة أخرى، فقال:

(١) الفضليات: ٢٣٠. والرباع: الثور الوحشي. والزلم: قدح الميسر.

(٢) الفضليات: ٢٣٩.

(٣) الفضليات: ٢٢٦.

(٤) انظر الفضليات: ٢٨٨، ٢٢٧.

كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدُوَّةٌ

خَلَائِيَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدٍ

عَدْوِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامِنٍ

يَجُورُ بِهَا الْمَلَأُ طَوْرًا وَيَهْتَدِي

يَشُقُّ حَبَابَ الْمَاءِ حَيْزُومُهَا بِهَا

كَمَا قَسَمَ التُّرْبُ الْمُفَايِلُ بِالْيَدِ^(١)

ولعل هذا التشبيه لا يأتي به إلا ابن البيئة البحرية الذي خبر البحر وعرف ملاحيه كما عرف القرى التي اشتهرت بامتلاك السفن أو صناعتها.

غير أن هذه المعاني والصور لا تقتصر على الشعراء الذين سكنوا البحرين وما والاها وإنما نجد شيئاً منها في شعر الأسديين وغيرهم ممن سكنوا نجداً والحجاز، لأن الرحلة كانت جزءاً من حياة شعراء القبائل، ولأن الشعراء يستمدون من التراث الشعري الجاهلي كله، إذ لم تكن الذخيرة الشعرية لقبيلة ما وقفاً على شعرائها، ولكن شتان بين شاعر يستمد معانيه من ثقافته الشعرية أو من مشاهدة عابرة، وبين شاعر يلتقط صوره ومعانيه من مظاهر الطبيعة المحيطة به الفاعلة في نفسه، فهذه المعاني في شعر الأسديين قليلة عابرة، إذ يخلو المجموع من شعر أسد خلواً تاماً من هذه المعاني، ونقف في ديوان عبيد على صورتين يشبه فيهما الظعن بالسفين، إحداها م جملة لا تفصيل فيها، وهي:

(١) ديوان طرفة: ٧-٨. والخيزوم: الصدر. والمفايلة: لعبة يلعبها الصبيان.

تَبَيَّنَ صَاحِبِي أَتَرَى حُمُولاً
يُشَبِّهُ سَيْرُهَا عَوْمَ السَّفِينِ^(١)

أما الثانية فوفر لها عبيد مقومات الجمال، ووفّأها حقّها من العناية، فقال:

تَبَصَّرُ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَانٍ
يَمَانِيَّةٍ قَدْ تَغْتَدِي وَتَرْوُحُ
كَعَوْمِ سَفِينٍ فِي غَوَارِبِ لُحَّةٍ
تُكَفِّئُهَا فِي وَسْطِ دِجْلَةٍ رِيحُ
جَوَانِبِهَا تَغْشَى التَّلَافَ أَشْرَفَتْ
عَلَيْهِنَّ صُهْبٌ مِنْ يَهُودَ جُنُوحِ^(٢)

كما نقف في شعر عمرو بن شأس على صورة يتيمة، شبه فيها الظعائن
بالسفن، فقال:

وَجِلْتُ ظَعَانِيّاً مِنْ آلِ لَيْلَى
بِجَنْبِ غَنِيْزَةٍ أَصْلاً سَافِينَا
جَاجِيْهَا تَشُقُّ اللَّجَّ عَنْهَا
وَيَهْدِي مَأْوَها خَشَباً دِهِينَا^(٣)

(١) ديوان عبيد: ١٣٢.

(٢) ديوان عبيد: ٣٠-٣١.

(٣) شعر عمرو: ٧٤-٧٥.

وانفرد بشر بتصوير السفينة في الماء في سبعة أبيات،^(١) وشبه الظعن بالسفن في بيت واحد.^(٢)

ولعل خبو هذا الجانب في شعر أسد يشاطرها به شعر القبائل النجدية الأخرى، وأشعار أهل القرى، إذ تخلو دواوين زيد الخيل، وحاتم وأبي زبيد الطائيين، والنابعة الذبياني، ولبيد العامري، وحسان الخزرجي، وقيس بن الخطيم الأوسي، خلواً تماماً من تشبيه الظعن أو الراحلة بالسفن، ونقف على صورة واحدة باهتة في ديوان زهير، شبه بها سير الطاعنين «بعوم السفين».^(٣) أما تشبيه سيب الممدوح بلج البحر أو ماء الفرات فأمر شائع في الشعر الجاهلي كله. ونجد في شعر هجر والبحرين، وكذلك في شعر أهل القرى معاني مستمدة من الحياة الزراعية، حيث عرف الناس الفلاحة والزراعة، واعتنوا بالنخيل والأعناب، فطرفة البكري استمد معاني الفخر من إصلاح النخيل:

وَلِيَ الْأَصْلُ الَّذِي فِي مِثْلِهِ

يُصْلِحُ الْآبِرُ زَرْعَ الْمُؤْتَبِرِ^(٤)

واستمد معاني المهجاء من صرمة:

أَنْتُمْ نَخْلٌ نَطِيفٌ بِهِ

فَإِذَا مَا جَزَّ نَصْطَرْمُهُ

(١) انظر ديوان بشر: ٤٧-٤٨.

(٢) انظر ديوان بشر: ٣٥.

(٣) شعر زهير: ٩٨.

(٤) ديوان طرفة: ٦٣. والآبر: الذي يصلح النخل.

وَعَذَارِيكُمْ مُقْلَصَةٌ

فِي دُعَاعِ النَّخْلِ تَجْتَرِمُ^(١)

وفخر حسان بن ثابت الخزرجي بأن قومه عمّروا السواقي وأجروا المياه بين
الأشجار، فقال:

بِهَـا النَّخْلُ وَالْأَطَامُ تَجْرِي خِلَالَهَا

جَدَاوِلُ، قَدْ تَغْلُو رَقَاقاً وَجَرُولاً

إِذَا جَدُولٌ مِنْهَا تَصَرَّمَ مَآؤُهُ

وَصَلْنَا إِلَيْهِ بِالنَّوَاضِحِ جَدُولاً

عَلَى كُلِّ مِفْهَاقٍ خَسِيفٌ غُرُوبُهَا

تُفَرِّغُ فِي حَوْضٍ مِنَ الصَّخْرِ أَنْجَلَا

لَهُ غَلَلٌ فِي ظِلِّ كُلِّ حَدِيقَةٍ

يُعَارِضُ يَعْجُوباً مِنَ الْمَاءِ سَلْسَلَا^(٢)

ووصف أمية بن أبي الصلت الثقفني صورة الجنة كما يتصورها، فجاءت

صورتها مستمدة من بيئته، وكأنه يرسم صورة الطائف بنخلها ورطبها ورماتها

وأعناقها وبارد مائها، قال:

(١) ديوان طرفة: ٧٧.

(٢) ديوان حسان: ٢٠٩.

فَذَا عَسَلٌ وَذَا لَبَنٌ وَخَمَرٌ
 وَقَمْحٌ فِي مَنَاتِيهِ صَرِيحٌ
 وَنَخْلٌ سَاقِطُ الْقِنَوانِ فِيهِ
 خِلَالُ أَصُولِهِ رُطَبٌ قَمِيمٌ
 وَتَفَاحٌ وَرُمَّانٌ وَتِينٌ
 وَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ سَلِيمٌ^(١)

وأتى أبو محجن الثقفي، بمعان في الغزل مستمدة من حياة الزراعة في الطائف
 ويثرب، فذكر أنه آجر نفسه للعمل في زراعة الفول في المدينة، ليصل إلى المرأة
 التي أحبها، فقال:

وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى الشَّمْسِ ودُونَهَا
 حَرَجٌ مِنَ الرَّحْمَنِ غَيْرُ قَلِيلِ
 قَدْ كُنْتُ أَحْسَنِي كَأَغْنَى وَاحِدِ
 وَرَدَ الْمَدِينَةَ عَنْ زِرَاعَةِ فُولٍ^(٢)

واستمد أمية بن أبي الصلت بعض معاني فخره من طبيعة العمران في القرى
 حيث الأطام والحصون، فقال:

(١) ديوان أمية: ٤٧٤.

(٢) أبو محجن حياته وشعره: ٢١٢.

نَحْنُ بَنَيْنَا طَائِفًا حَصِينًا

يُقَارِعُ الْأَبْطَالَ عَنْ بَيْنِنَا^(١)

هذه المعاني المستمدة من حياة البيئة الزراعية لا نجد نظائر لها في الشعر
الأسدي، وإذا ما أردنا التقصي في شعر أسد عن ذكر النخيل وأبره والأعقاب
وقطافها لرأينا أن في أشعار أسد كلها خمسة أبيات في ذكر النخيل، بيتان منها
لعبيد، فهو يذكر النخل في موضع، فيقول:

أَوْ جَدُولٌ فِي ظِلَالِ نَخْلٍ

لِلْمَاءِ مِنْ تَحْتِهِ سُكُوبُ^(٢)

ويشبهه في موضع ثان الخيل وهي عاكفة على «حُجْر» بعد مقتله بالطوال
من النخيل التي لا تطالها يد الجُرّام:

وَالْخَيْلُ عَاكِفَةٌ عَلَيْهِ كَأَنَّهَا

سُحِقُ النَّخِيلِ نَأَتْ عَنِ الْجُرَّامِ^(٣)

أما البيت الثالث فلحنظلة بن فاتك، وهو:

وَأَيَقَنَ أَنَّ الْخَيْلَ إِنْ تَلْتَبَسُ بِهِ

يَكُنْ لِفَسِيلِ النَّخْلِ بَعْدَهُ آبِرُ^(٤)

(١) ديوان أمية: ٥١٦.

(٢) ديوان عبيد: ١٢.

(٣) ديوان عبيد: ١٢٣.

(٤) القسم الثاني: م (٣٤٠).

والبيت الرابع لمطير بن الأشيم، وشبه فيه أذني فرسه بشوكتي جريدة من النخل، فقال:

وَسَامِعَتَانِ كَسُـلَّاءَتِي

عَسِيْبِيَّةٌ مُؤْتَبِرٌ مِنْ يَهُودَا^(١)

والبيت الخامس لبشر، وشبه فيه حمل القوم بنخيل محلم، وهو نهر بالبحرين، فقال:

كَأَنَّ حُمُولَهُمْ لَمَّا اسْتَقَلُّوا

نَخِيْلٌ مُحَلَّمٌ فِيهَا انْحِنَاءُ^(٢)

ومن الواضح أن البيت الأول لا علاقة له بمشاهد الحياة الزراعية، وإنما يرسم مشهداً طبيعياً، وأن المعاني في الأبيات الأربعة الأخرى مزيج من حياة الأعراب ومشاهد الحياة الزراعية.

ويكثر في شعر الهذليين المعاني المستمدة من مشاهد النحل ومشتار العسل، وتكاد تنعدم هذه المعاني في شعر الأسديين، إذ خلا شعرهم كله من مشاهد الاشتيار، وورد فيه معنى واحد مستمد من مشهد خلية النحل، إذ شبه الجميع ديبب الخمر في الشاربين بدبيب صغار النحل وسط الشهد المخلوط بالعسل:

يَدِيبُ حُمَيَّا الْكَأْسِ فِيهِمْ إِذَا انْتَشَوْا

دَيْبَبَ الدُّجَى وَسَطَ الضَّرِيْبِ الْمَعْسَلِ^(٣)

(١) القسم الثاني: م (٢٥٨). والسُّلَّاءُ: شوك النخل.

(٢) ديوان بشر: ٢.

(٣) القسم الثاني: م (٨).

ووردت ثلاثة معان مستمدة من مذاق العسل، فشبّه أسدي جاهلي نفسه
بالعسل في المساحة وحلاوة المعشر:

أنا الصَّابُ إنْ شُورِسْتُ يَوْمًا وإنَّني

جَنَى النُّحْلِ إنْ سُومِخْتُ إِلَّا لَأَكِلٍ^(١)

وشبه عبيد ماء لينة العسل،^(٢) كما شبه ريق الأنسة بمزيج من الشهد
والتفاح والأترج.^(٣)

ولعل عبيداً استمد تشبيهه الأخير من رحلته إلى بلاط الحيرة، فهذا المزيج
شراب الملوك والمنعمين من أهل الخواضر، وليس شراب أهل نجد وبواديها.
هذه هي المعاني المستمدة من النحل والعسل في الشعر الأسدي كله.

وبذلك نخرج إلى أن الشعر الأسدي شعر بدوي الطابع صادق التعبير عن
البيئة النجدية والحياة الرعوية، فمن بوادي نجد ومشاهد حيوانها، ومن الحياة
القبلية وأحداثها استمد شعراء أسد معانيهم وصورهم، فكانت تعبيراً دقيقاً عن
تلك البيئة، إذ قدموا صورة دقيقة عن بادية نجد وأمواهاها، ونبتها وحيوانها،
ومظاهر الحياة الاجتماعية فيها، وأجادوا التعبير عن طبيعة النظام القبلي،
ووجدان الإنسان البدوي ومعاناته ورؤاه. أما المعاني المستمدة من حياة الخواضر
والقرى ومشاهد البحر والجبل فهي قليلة نادرة في شعرهم كالشامة على خد
البدوية الحسنة.

(١) المصدر السابق: م (١٣٢). والصاب: شجر مرّ.

(٢) انظر ديوان عبيد: ٩٧.

(٣) انظر ديوان عبيد: ٤٠.

الفصل الثالث

الخصائص اللفظية واللغوية

يتناول هذا الفصل خصائص بناء القصيدة في الشعر الأسدي، فيعرض لكم القصائد ودلالاته، وطريقة بناء القصيدة وما يتصل بها من وزن وقافية ومطلع وألفاظ، كما يتناول لغة الشعر الأسدي وأثر لغة القبيلة فيها.

أولاً- خصائص بناء القصيدة:

أ- الكم:

يحتوي ديوان الشعر الأسدي على (٣١٢) مقطوعة دون سبعة أبيات، بعضها أبيات مفردة، وعلى (١٣٨) قصيدة، وهذه القصائد أميل إلى القصر منها إلى الطول، فالقصائد التي دون عشرة أبيات اثنتان وأربعون قصيدة، والقصائد التي يتراوح طولها بين (١٠-١٩) بيتاً ست وأربعون قصيدة، والقصائد التي يتراوح طولها بين (٢٠-٣٠) بيتاً ثلاث وثلاثون قصيدة، أما القصائد التي تربو على (٣٠) بيتاً فتسع قصائد.

ومن الجدير بالذكر أن بعض النقاد القدامى يرون أن طول القصيدة أحد مقاييس الجودة، إذ روى ابن قتيبة عن الأصمعي أنه قال: «ما قبلت قصيدة على الزاي أجود من قصيدة الشماخ، في صفة القوس، ولو طالت قصيدة المتخّل

كانت أجود». ^(١) وإلى مثل ذلك ذهب ابن رشيق حين قال: «والمطيل من الشعراء أهيب في النفوس من الموجز وإن أجاد». ^(٢)

ولا نعتقد أن طول القصيدة أو قصرها ذو علاقة بالجودة الفنية، وإنما تتعلق هذه المسألة بعدد من القضايا كالتجربة الشعرية، والطبع والصنعة، والغرض والموضوع، وربما كان التجويد الفني وراء الميل إلى الإيجاز، إذ يحذف الشاعر ما يراه حشواً أو فضول كلام، وقد قيل لأبي المهوش الأسدي: لم لا تطيل في الهجاء؟ فقال: لا أرى المثل السائر إلّا بيتاً أو بيتين. ^(٣)

ولسنا هنا في صدد الحديث عن جودة القصيدة الأسدية أو رداءتها، فليس شعراء القبيلة كلهم طبقة واحدة، إذ نجد فيهم المفلق والمطلق والشويعر، ومن ثم فإن قصائدهم تتفاوت في الجودة. غير أن الأمر الجدير بالملاحظة هو هذا العدد الضخم من المقطعات، ولعل ذلك يعود إلى أمرين، أولهما ضياع ديوان القبيلة، فمما لا شك فيه أن عدداً غير قليل من هذه المقطعات أجزاء من قصائد ضائعة، إذ يبدو جلياً أن بعض هذه المقطعات مطالع قصائد لم نقف عليها، كمقطعة كعب بن الرُّواع التي أولها:

ذَكَرَ ابْنَةُ الْعَرَجِيِّ فَهَوَّ عَمِيْدُ

شَغَفًا شُغِفَتْ بِهَا وَأَنْتَ وَلِيْدُ ^(٤)

^(١) الشعر والشعراء ٢: ٦٥٩.

^(٢) العمدة ١: ١٨٧.

^(٣) العمدة ١: ١٨٧.

^(٤) القسم الثاني: م (١٠١).

ومثلها مقطعة لمضرّس عدتها ثلاثة أبيات، وأولها:

قَفَا تَعْرِفَا يَبْنَ الدَّحَائِلِ وَالْبُتْرِ

مَنَازِلَ كَالْحَيْلَانِ أَوْ كُتِبَ السَّطْرِ^(١)

وكذلك مقطعة لحضرمي عدتها ثلاثة أبيات، لعلها مطلع قصيدة، وأولها:

لَقَدْ شَاقَنِي لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنَ الصَّبَا

لَمَيَّةَ رَبْعٍ بِالْأُنْعَمِ دَارِسُ^(٢)

كما نقف على بيت مفرد لمرة بن الروّاع، يبدو أنه مطلع قصيدة له، وهو:

أَشْأَقَكَ مِنْ فُكَيْهِتِكَ اذْلَاجُ

وَبُتَّ الْحَبْلُ وَانْقَطَعَ الْخِلَاجُ^(٣)

وأما ثاني هذين السبيين فيعود إلى طبيعة الحياة الحربية التي عاشتها القبيلة، فحياة الغزو والإغارة جعلت كثيراً من الشعراء الفرسان يقولون أشعارهم في غمرة المعركة وهم في حال من الحماسة والاندفاع، لا وقت لديهم لتقصيد القصيد أو التجويد الفني، فالحقائد الطوال تحتاج إلى تفكير مستطيل وأناة فنية، وتلك سمة حياة السلم والأمن التي لم تنعم بها بنو أسد طويلاً في تاريخها.

من هنا نجد أن مسألة الكم ذات اتصال وثيق بحياة القبيلة، وقد تسعفنا

(١) المصدر السابق: م (١٨٢).

(٢) المصدر نفسه: م (٢٢٦).

(٣) المصدر نفسه: م (٨٧).

بعض أخبار هذه المقطعات بشواهد على ذلك، فمَعْقِل بن عامر ارتجز وهو يحارب يوم جَبَلَة:

نَحْنُ بَنُو مُجَمَّعِ بْنِ مَوَّالَةٍ
نَحْنُ حُمَاةُ النَّاسِ يَوْمَ جَبَلَةٍ
بِكُلِّ عَضْبٍ صَارِمٍ وَمِعْبَلَةٍ
وَهِيْكَلٍ نَهْدٍ مَعَاً وَهِيْكَلَةٍ^(١)

وليس بإمكان معقل أن يطيل رجزه في غمرة القتال الشديد. ويروى أن خالد بن نضلة لما أسر حَنْثَر بن الْأَضْبَط ودُودَانَ بن خالد يوم النصار، قال:

تَدَارَكَ إِرْخَاءُ النَّعَامَةِ حَنْثَرًا

ودُودَانَ أَذَّتْ فِي الصَّفَادِ مُكَبَّلًا^(٢)

فقد اكتفى خالد ببيت واحد فخر فيه بفرسه التي مكنته من اللحاق بفارسين مهزومين. ولا نتوقع من خالد أن يطيل في فخره، فالحركة السريعة في اللحاق بخصمه الفارين اقتضت سرعة في القول. ولنستمع إلى عبيد وهو يرى الموت يحل بفنائه، وذلك لما وفد على المنذر يوم بؤسه، فاستنشد المنذر معلقته قبل قتله، فأنشده:

(١) القسم الثاني: م (٨٩).

(٢) المصدر السابق: م (٨٣).

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ عَيْدُ
فَالْيَوْمَ لَا يُثِيدِي وَلَا يُعِيدُ
عَنْتَ لَهُ مَنِيَّةٌ نَكُودُ
وَحَاثَانِ مِنْهَا لَآلَهُ وَرُودُ^(١)

فعيد الذي نظم معلقته وهو يحيا حياة آمنة فأطال فيها وجود، غير قادر على إنشادها وهو يرى الموت يكثّر عن أنيابه، فهو الآن لا ينشئ شعراً جديداً، ولا ينشد شعراً قديماً، وكل ما جادت به قريحته في ذلك الموقف الرهيب يتين وحسب. إذن تعود كثرة المقطعات والأبيات المفردة في شعر أسد إلى سببين سبب خارجي يكمن في الضياع الذي لحق بهذا الشعر، وسبب داخلي نابع من الحياة الشاقة التي عاشتها القبيلة، إذ كثرت وقائعها وغاراتها، كما تعرضت للنفي والتطريد عن موطنها ولعل هذه الحياة المضطربة لم تكن سبباً في كثرة المقطعات في الشعر الأسدي وحسب، وإنما كانت السبب أيضاً في غلبة القصائد القصيرة في هذا الشعر وقلة القصائد الطويلة.

ب- بين التحرر والتصريع:

لعل التصريع من أميز ما يميز القصيدة الجاهلية، فهو الذي يكسبها نغمة توقيعية كان يستطيعها الشاعر الجاهلي ويميل إليها، وكأن الشاعر يبادر القافية ليعلم في أول وهلة أنه أخذ في كلام موزون غير منشور، لذلك وقع التصريع في أول الشعر،^(٢) وربما صرّع الشاعر في غير الابتداء، وأكثر ما يكون ذلك في

(١) ديوان عبيد: ٤٥.

(٢) انظر العمدة ١: ١٧٤.

الانتقال من موضوع إلى موضوع، وصرع بعضهم في الموضوع الواحد، ورأى ابن رشيق أن ذلك دليل على قوة الطبع، وكثرة المادة، وروى ثلاثة أبيات مصرعة والى بينها امرؤ القيس، وهي:

تَرْوُحُ مِنْ الْحَيِّ أَمْ تَبْتَكِرُ
وَمَاذَا عَلَيْكَ بِأَنْ تَنْتَظِرُ
أَمْ رُخٌ خِيَامُهُمْ أَمْ عُشْرُ
أَمْ الْقَلْبُ فِي إِثْرِهِمْ مُنْحَلِرُ
وَشَاقَكَ يَبْنَ الْخَلِيطِ الشُّطْرُ
وَفِيْمَنْ أَقَامَ مِنَ الْحَيِّ هِرُ^(١)

كما روى أبياتاً ثلاثة مصرعة من معلقة عنزة، وهي المطلع، وقوله:

أَعْيَاكَ رَسْمُ الدَّارِ لَمْ يَتَكَلَّمِ
حَتَّى تَكَلَّمَ كَالْأَصَمِّ الْأَعْجَمِ
يَا دَارَ عِبْلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي
وَعِمِّي صَبَاحاً دَارَ عِبْلَةَ وَاسْلَمِي

فصرع الأبيات الأول والثالث والرابع.^(٢)

وإذا نظرنا في قصائد الشعر الأسدي نجد أن التصريع شمل معظم مطالع

(١) العمدة ١: ١٧٤.

(٢) العمدة ١: ١٧٥.

قصائد عبيد وبشر، وندر في قصائد غيرهما من الشعراء، فعبيد وبشر يحرسان حرصاً شديداً على التصريح، إذ نجد في ديوان بشر (٢٦) قصيدة مصرّعة من أصل (٣٣) قصيدة اشتمل عليها الديوان، ونجد في ديوان عبيد (٢٢) قصيدة مصرّعة من أصل (٣١) قصيدة، منها قصيدتان صرعتا مرتين، أولاهما المعلقة، وصرع مطلعها:

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ

فَالْقُطَيْبَاتُ فَالذُّنُوبُ

كما صرع بيتها التاسع والثلاثين، وهو:

كَأَنَّهُمَا لِقَاؤُ طُلُوبٌ

تَجِرْنُ فِي وَكْرِهَا الْقُلُوبُ^(١)

وثانيتها القصيدة (٣٧)، وصرع مطلعها:

تَحَاوَلُ رَسْماً مِنْ سُلَيْمَى دَكَادِكا

خَلَاءَ تَعْفِيهِ الرِّيحُ سَوَاهِكا

كما صرع بيتها السابع، وهو:

وَنَحْنُ قَتَلْنَا الْأَجْدَلَيْنِ وَمَالِكَا

أَعَزَّهْمَا فَقَدْ أَعْلَيْكَ وَهَالِكَا

واقصر التصريح في شعر عمرو بن شأس على أربع قصائد من أصل (١٢)

^(١) ديوان عبيد: ق ٥٠.

قصيدة، كما اقتصر على (٤) قصائد من أصل (١٧) قصيدة وقفت عليها في أشعار الشعراء من غير أصحاب الدواوين، منها قصيدة لحاجب بن حبيب ومطلعها:

أَعْلَنْتُ فِي حُبِّ جُمْلٍ أَيَّ إِعْلَانٍ

وَقَدْ بَدَأَ شَأْنَهَا مِنْ بَعْدِ كِتْمَانٍ^(١)

وقصيدة لمرّة بن الرُّوَّاع، ومطلعها:

إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدَّ الْبَيْنُ فَاذْلَجُوا

وَهُمْ كَذَلِكَ فِي آثَارِهِمْ لَجَجُ^(٢)

وقصيدتان لمضرّس بن ربيعي، ومطلع الأولى:

لَمَنِ الدِّيَارُ غَشِيَتْهَا بِالْإِنْمِدِ

بِصَفَاءِ لَيْنَةِ كَالْحَمَامِ الرُّكْدِ^(٣)

ومطلع الثانية:

تَحْمَلُ مِنْ وَادِي أَشْيَقِرَ حَاضِرُهُ

وَأَلْوَى بَرِيعَانَ الْخِيَامِ أَعَاصِرُهُ^(٤)

^(١) القسم الثاني: ق (٤٩).

^(٢) المصدر السابق: ق (٨٦).

^(٣) المصدر السابق: ق (١٧٦).

^(٤) القسم الثاني: ق (١٧٩).

كما نجد في الذي جمعته من شعر أسد وفي شعر عمرو بن شأس الذي جمعه الدكتور الجبوري من غير مخطوط منتهى الطلب خمس مقطعات وبيتاً مفرداً مصرعات.^(١) وهذه المقطعات ليست سوى مطالع لقصائد ضائعة، كما مر معنا في الحديث عن الكم، أما سائر المقطعات فلا تصرع فيها. والتحرر من التصريع ظاهرة واضحة في شعر المقطعات الجاهلية، وكذلك في كثير من القصائد القصيرة، وهذا سبب رئيسي يكمن وراء التحرر من التصريع في قصائد الشعر الأسدي الذي جمعناه، فكلها قصائد قصيرة دون (٢٠) بيتاً، وبعضها أقل من (١٠) أبيات. وكذلك قصائد عبيد وبشر القليلة التي تحررت من التصريع نجد منها (٤) قصائد دون عشرة أبيات، وبعضها دون عشرين بيتاً. كما نجد ست قصائد دون عشرين بيتاً من أصل تسع قصائد تحررت من التصريع في شعر عمرو. وبعض القصائد حال دون تصريعها ورود مطالعها متصلة، كما نرى في قول عبيد:

يَا خَلِيلِيَّ قَفَا وَاسْتَخْبِرَا أَلْ—

مَنْزِلَ الدَّارِسَ مِنْ أَهْلِ الْحِلَالِ^(٢)

وقوله:

يَا إِذَا الْمُخَوَّفُ قَفَا بِقَتْ—

لِأَيِّهِ إِذْ لَأَوْ حَيْنَا^(٣)

(١) انظر المصدر السابق: المقطعات: ٦٧، ٨٧، ١٠١، ١٨٢، وشعر عمرو: ٨٢-١٠٢.

(٢) ديوان عبيد: ١١٥.

(٣) المصدر السابق: ١٣٦.

وقوله:

سَقَى الرَّبَّابَ مُحَلِّجِلُ الْـ

أَكْنَافٍ لَمَّاحٍ بُرُوقُهُ^(١)

وثمة ظاهرة تتبع التحرر من التصريع، وهي التخلص من المقدمات الغزلية أو الطللية، فمعظم القصائد غير المصرفة لم تبدأ بالغزل أو الوقوف على الديار، وإنما بدأت بغرضها الأساسي، فقصائد الشعر المجموع المتحررة من التصريع جميعها تخلو من مقدمات الغزل، أما قصائد عبيد غير المصرفة، وعددها تسع قصائد، فنجد منها ست قصائد خلّت من المقدمة الغزلية، كما نجد ست قصائد في ديوان بشر تخلّصت من المطلع الغزلي من أصل ثماني قصائد متحررة من التصريع. ولا يشذ عن ذلك سوى شعر عمرو، إذ نجد فيه سبع قصائد بدأت بالغزل من أصل ثماني قصائد غير مصرفة.

ومن الجدير بالملاحظة أنّ التصريع والمقدمات الغزلية غلبت على أشعار عبيد وبشر ومضرّس والأشعار القليلة التي وصلت إلينا من شعر مُرّة بن الرّواع، ولعل هؤلاء الشعراء وعمرو بن شّاس هم الطبقة الأولى في شعراء القبيلة. وإذا استثنينا هؤلاء الشعراء الأربعة فإن سائر الشعراء الأسديين تحرّرت جمهرة قصائدهم من التصريع، وخلّت من المطالع الغزلية أو الطللية، وقد تكون لهذه الظاهرة علاقة بالتجويد الفني وقوة الطبع الشعري.

ج- محور الشعر:

لعلّ الموسيقى أساس الفصل بين الشعر وبين النثر، فهي التي تكسب الشعر

(١) المصدر السابق: ٨٩.

بنية متميزة تنأى به عما عهده الناس في عادي كلامهم، وهي الإطار الذي يعزل التجربة الشعرية عما في الحياة اليومية من أحداث عارضة دخيلة. والموسيقا تمكن الشاعر من رسوم صورة انفعاله للآخرين، والإيحاء إليهم بما قصد إليه، وهي وسيلة فنية قوية يفرض الشاعر بوساطتها جواً نفسياً خاصاً على مستمعي شعره أشبه بجو السحر. واللغة العارية من الوزن قاصرة على تصوير ما يعتمل في صدر الشاعر، وعن أداء جيشان نفسه، قال ابن عبد ربه: «وزعمت الفلاسفة أن النغم فضل بقي من المنطق لم يقدر اللسان على استخراجها، فاستخرجته الطبيعة بالألحان على الترجيع لا على التقطيع، فلما ظهر عشقته النفس وحن إليه الروح»^(١).

وذهب بعض النقاد العرب إلى أن على الشاعر أن يختار الوزن الشعري الذي يلائم معناه ويمكنه من بلوغ الغاية في تصوير تجربته، قال ابن طباطبا: «فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً، وأعدّ له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي يسلس له القول عليه»^(٢) وإلى مثل هذا الرأي ذهب العسكري^(٣).

ولا يمكننا أن نوافق هؤلاء النقاد فيما ذهبوا إليه، فليس أمر البحر بيد الشعراء ولا يطالب الشاعر أن ينظم هذا المعنى على هذا البحر وذاك المعنى على ذاك البحر، فالشعر تجربة شعورية عقلية، وليس تجربة عقلية خالصة بعيدة عن المعاناة النفسية الصادقة، والشاعر الحقيقي لا يختار بحره وقافيته بإرادة واعية،

(١) العقد الفريد ٣: ١٧٧، المطبعة الشرقية، سنة ١٣٠٥هـ.

(٢) عيار الشعر: ٥.

(٣) الصناعتين: ٥.

لأن إحساسه الجياش يصرفه عن ذلك، ونعلم أن الشاعر الجاهلي تغزل ووصف، وعاتب وهجا، وفخر ومدح، في قصيدة واحدة، لها البحر نفسه والقافية نفسها، ولم يطالبه أحد أن يغير شيئاً من قصيدته من أجل ذلك. فكيف نوفق بين هذه الحقيقة وبين ما يراه أصحاب هذا المذهب؟

والذي أذهب إليه أن ثمة ائتلافاً بين الإيقاع النفسي والإيقاع الشعري، بمعنى أن هناك تجاوباً وانسجاماً بين حدة الانفعالات النفسية والدفقة العاطفية وبين الموسيقى الشعرية سواء أكانت داخلية متولدة من تتالي الحروف أم خارجية متمثلة بالبحر والروي. ولعل هذا ما يفسر إحساسنا بالوحدة النفسية في القصيدة الجاهلية على تعدد موضوعاتها وتنوع معانيها من جهة، ويفسر من جهة ثانية نظم الشاعر قصائد مختلفة الأغراض والمناسبات على البحر نفسه.

وإذا رحنا نتقصى البحور التي نظم عليها شعراء أسد، وتبين أي البحور أكثرها من استخدامها، وجدنا أنهم لم ينظموا على بحور الشعر جميعها، وإنما نظموا على عشرة بحور، أما بحرهم الحادي عشر وهو المديد فنظموا عليه بيتين وحسب.^(١) وقد أكثروا من النظم على ستة بحور، هي: الطويل، والوافر، والكامل، والبسيط، والرجز، والمتقارب. أما البحور التي قل استخدامها لها فهي: المنسرح، والخفيف، والرمل، والسريع، وآخرها المديد. وكان توزيع القصائد والمقطعات فيها وفق الجدول التالي:

(١) انظر القسم الثاني: م (٧٣).

البحر	عدد القصائد	عدد المقطعات والأبيات المفردة
الطويل	٥٣	١١٥
الوافر	٢٣	٥٣
الكامل	٢٠	٤٤
البسيط	١٨	٣١
الرجز	٨	٣٢
المتقارب	٦	١٨
المنسرح	٤	٦
الخفيف	٣	٤
الرملي	٢	٥
السريع	١	٣
المديد	-	١
	١٣٨	٣١٢

ونتبين أن الطويل أكثر البحور استخداماً في الشعر الأسدي، وهو كذلك في شعر هذيل.^(١) ولعله أكثر البحور استخداماً في الشعر الجاهلي كله، قال عنه سليمان البستاني:

«فالطويل بحر خضم يستوعب مالا يستوعب غيره من المعاني، ويتسع للفخر، والحماسة والتشايه، والاستعارات، وسرد الحوادث، وتدوين الأخبار، ووصف الأحوال.. خذ مثلاً لذلك معلقات امرئ القيس، وزهير، وطرفة،

(١) انظر شعر الهذليين: ٢٣٦.

ولامية الشنفرى، وقصيدة عبد يغوث الحارثي...»^(١) ويأتي الوافر بعد الطويل في كثرة المنظوم عليه في الشعر الأسدي والوافر كثير في شعر المتقدمين والمتأخرين، قال عنه البستاني: «الوافر ألين البحور، يشتد إذا شددته، ويرق إذا رققته، وأكثر ما يجود به النظم في الفخر كمعلقة عمرو بن كلثوم، وفيه تجود المراثي، ومنها كثير في شعر المتقدمين والمتأخرين»^(٢) وتحدث الشاعر الناقد عبد الله الطيب عن نعمة الوافر، فقال: «إنها ترشحه للأداء العاطفي سواء أكان ذلك في الغضب الثائر أو الحماسة أو في الرقة الغزلية والحنين»^(٣).

ثانياً- خصائص لغوية:

نبحث في هذه الدراسة لغة الشعر الأسدي، فتبين ماوافق منها الخصائص اللغوية التي نسبها العلماء إلى لهجة أسد، وما خرج منها عن هذه اللهجة، فكان أدخل في لغة الثقافة الأكثر شيوعاً ورقياً، تلك التي تفهمها القبائل كلها، فتمنح الشاعر انتشاراً أوسع وقبولاً أفضل لدى القبائل الأخرى.

ولعلّ من أبرز ما نسب إلى لهجة أسد الكشكشة والنعنة والإمالة. وأما الكشكشة فهي إبدال كاف المونث شيئاً، فيقولون: «عَلَيْشِ، بمعنى عَلَيْكَ»^(٤) وقيل هي وصل الشين بالكاف، فيقولون: عَلِيْكَشْ،^(٥) ونسبها لغويون إلى أسد

(١) مقدمة ترجمة الإلياذة: ٩١. دار إحياء التراث العربي، بيروت دون تاريخ.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المرشد إلى فهم أشعار العرب ١: ٣٢٢. ط ٢، بيروت، ١٩٧٠.

(٤) سيبويه ٤: ١٩٩، والصاحبي: ٥٣.

(٥) الصاحبي: ٥٤.

وتميم،^(١) ونسبها آخرون إلى ربيعة.^(٢) وأما العننة فهي إبدال الهمزة عيناً، فقول
ذي الرُّمَّة:

أَنَّ تَرَسَّمتَ مِنْ خَرَقَاءَ مَنْزِلَةً

مَاءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنَيْكَ مَسْجُومٌ

تقرأه أسد وتميم «أَعْنُ تَرَسَّمتَ».^(٣) وأما الإمالة فهي أن تنحى بالألف نحو
الياء، قال ابن برهان الأسدي: «الألف الممالة مخرجها من موضع بين موضع
الياء وموضع الألف المفخمة.. وبحسب قرب ذلك الموضع من مخرج الياء تكون
شدة الإمالة، وبحسب بعده تكون خفتها. قال الفراء: (ولو شاء الله)، أهل
الحجاز يفتحونها، وما كان مثلها من الياء والواو، فيقولون: شَاءَ وَجَاءَ وَخَافَ
وَكَادَ وَطَابَ وَزَاغَ وَزَاغُوا. وعامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس يشيرون إلى
الكسر في ذوات الياء مثل هذه الحروف، ويفتحون في ذوات الواو، مثل: قَالَ
وَجَالَ، وشبهه».^(٤) ونسبت التثنية في اللسان إلى أسد وعامة العرب، والتثنية
كسر حرف المضارعة، قال ابن منظور: «وَتَعْلَمُ بالكسر لغة قيس وتمر وتمر وأسد
وربيعة وعامة العرب».^(٥) أما ابن فارس فنسبها إلى غير بني أسد، فقال:

(١) انظر سيبويه ٤ : ١٩٩، وأنساب الأشراف ٤ : ١ : ٢٣. ط بيروت، والصاحبي: ٥٣،
والخزانة ١١ : ٤٦١.

(٢) انظر الأغاني ٨ : ٤١، وسر صناعة الإعراب ١ : ٢٣٤.

(٣) المفصل: ١٤٩، والخزانة ١١ : ٢٣٥. والبيت في ديوان ذي الرُّمَّة: ٣٧١.

(٤) شرح اللمع ٢ : ٧٢٤.

(٥) اللسان (وقى).

«كقولنا نَسْتَعِين ونَسْتَعِين. بفتح النون وكسرها. قال الفراء: هي مفتوحة في لغة قيس وأسد، وغيرهم يقولونها بكسر النون».^(١) وترفعت لغة الشعر الأسدي عن الكشكشة والعنينة والتلتلة، وأما الإمالة فلا تعرف إلا بالسماع، ولا يمكن تمييزها في الأشعار المدونة.

ومن خصائص اللهجة الأسدية التي ترفعت عنها لغة أشعارهم ما ذكره سيبويه من أن أسداً وغميماً يلقون على الساكن الذي قبل الهمزة المتطرفة حركة الهمزة، فيقولون: هو البَطْطُو، ومن البَطْطِي، ورأيت البَطْطَا.^(٢) ومن ذلك أيضاً ما ذكره ابن برهان والسهيلي من أن أسداً تقرأ (قيل) بإشمام الضم، فتقول: قُول القَوْل، وُبُوعَ المَتَاعِ^(٣) ولعلّ هذه الظاهرة كالإمالة لا يمكن تمييزها في الأشعار المكتوبة، ولا تعرف إلا مشافهة.

وروى الأنباري عن يونس أن بني أسد يقولون للخنفسَاء: خُنْفَسَة.^(٤) ولم أجد لها في شعر أسد، فكلحب بن شُوبوب اختار اللفظة الأكثر شيوعاً بين القبائل حين قال:

فَهَلْ أَنْتَ إِلَّا خُنْفَسَاءُ لَيْمَة

وَحَالُكَ يَرْبُوعٌ وَجَدُّكَ شَيْهَمٌ^(٥)

(١) الصاحبي: ٤٨.

(٢) سيبويه ٤: ١٧٧.

(٣) انظر شرح اللمع ٢: ٧٢٨، والروض الأنف ٣: ٤٥.

(٤) المذكر والمؤنث: ١٢١.

(٥) القسم الثاني: م (٩٥).

وإذا ابتعد الشعر الأسدي عن بعض خصائص لهجة القبيلة فإن ثمة خصائص من هذه اللهجة بدت جلية واضحة في هذا الشعر، ومن ذلك قصرهم الممدود،^(١) وتكررت هذه الظاهرة في مواضع عديدة من ديوان الشعر الأسدي، إذ قصر جُحْريّة بن الأشيم «الضراء» في قوله:

فَلَا تَذْفِنْنِي فِي ضَرًّا وَاذْفِنْنِي

بِدَيْمُومَةٍ، تَنْزُو عَلَيَّ الْجَنَادِبُ^(٢)

وقصر مطير بن الأشيم «الدّهناء»، فقال:

فَإِنْ تَكُ بِالذَّهْنَا صَرَمْتَ إِقَامَةً

فَبِاللّٰهِ مَا كُنَّا مَلَلْنَاكَ عَلَقَمًا^(٣)

وقصرت هند بنت معبد أربع كلمات في أربعة أبيات متتالية، وهي: «الإساء، والخفاء، والحياء، والإباء»، فقالت:

وَأَبْنَ حَبِيبٍ فَاثْبِكِيَا خَالِدًا

لِطَغْنَةٍ يَقْضُرُ عَنْهَا الْإِسَا

إِنْ ثَبَكِيَا لَا ثَبَكِيَا هِنَّا

وَمَابِمَا مَسَّكُمْ مِنْ خَفَا

(١) انظر البحر المحيط ١: ١٣٨.

(٢) القسم الثاني: م (٢٦٧).

(٣) المصدر نفسه: م (٢٦٢).

إِذْ يُخْرِجُ الْكَاعِبَ مِنْ حِذْرِهَا
يَوْمُكَ لَا تَذْكُرُ فِيهِ الْحَيَا
أَخْلَى مِنَ التَّمْرِ وَأَحْمَى مِنَ الْ
جَمْرِ وَأَبَى عِنْدَ جِدِّ الْإِبَا^(١)

وقال الفراء: «القصا يُمدّ ويُقصر»، واستشهد على ذلك بيت بشر:

وَحَاطُونَا الْقَصَا وَلَقَدْ رَأَوْنَا
قَرِيباً حَيْثُ يُسْتَمَعُ السَّرَارُ^(٢)

ومن الإبدال في لهجة أسد ما ذكره الصغاني من أن أسداً تبدل الدال تاء، فتقول: التفتّر للدفتر.^(٣) وكما أبدلوا الدال تاء فقد أبدلوا التاء دالاً، فقالوا: اجدز واجتز، قال مضرّس:

وَقُلْتُ لِحَاطِي لا تَحِيسَ نِي
بِنَزْعِ أَصُولِهِ واجْدَزْ شَيْحاً^(٤)

وأراد «اجتز». وقريب من هذا الإبدال إبداهم الطاء تاء، فيقولون: المتغترف والمتغطرف، قال مغلس:

^(١) القسم الثاني: م (٦٨).

^(٢) انظر المنقوص والممدود: ٢٧. والبيت في ديوان بشر: ٦٨.

^(٣) التكملة ٣: ١٤٨.

^(٤) القسم الثاني: ق (١٧٣)، البيت (٤).

فَإِنَّكَ إِنْ عَادَيْتَنِي غَضِبَ الْحَصَى

عَلَيْكَ وَذُو الْجُبُورَةِ الْمُتَغَتِّفِ^(١)

وذكرت من قبل أنني لم أقف على شواهد على العننة في شعر أسد،^(٢) غير أنني وقفت على شواهد من إبدالهم الهمزة هاء، إذ قالوا في «إِيَّاكَ» «هِيَّاكَ» وفي «إِنَّكَ» «هِنَّكَ»، قال مضرّس:

فَهِيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعَتْ

مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ^(٣)

وقال مغلس:

أَصْلَمَعَةَ بُنَ قَلَمَعَةَ بُنَ قَقَعِ

لَهْنِكَ لَا أَبَالَكَ تَزْدَرِينِي^(٤)

وروى ابن منظور بيت مغلس، وقال: «وأصله لإنك فأبدلت الهمزة هاء، كما قالوا في إِيَّاكَ هِيَّاكَ، وإنما جاز أن يجمع بين اللام وإن، وكلاهما للتوكيد، لأنه لما أبدلت الهمزة هاء زال لفظ إن فصار كأنه شيء آخر».^(٥)

وذكر أبو الطيب اللغوي عن قطرب أنّ «الشَّرَى» بمعنى «البيع» في لغة

(١) انظر المصدر السابق: م(٢٦)، الحاشية رقم (٣).

(٢) العننة إبدال الهمزة عيناً.

(٣) القسم الثاني: م(١٧٨).

(٤) القسم الثاني: م(٣١).

(٥) اللسان (لهن).

غاضرة، بعض بني أسد.^(١) وورد الشراء بمعنى البيع في شعرين، أولهما لحاجب ابن حبيب في قوله:

وَبَاتَتْ تَلُومٌ عَلَى ثَادِقٍ

لِيُشْرَى فَقَدْ جَدَّ عَصِيَانُهَا^(٢)

وثانيهما لعمر بن شاس، في قوله:

فَأَقْسَمْتُ لَا أَشْرِي زُبَيْبًا بَغَيْرِهِ

لِكُلِّ أَنْسٍ فِي بَعِيرِهِمْ خَبِيرٌ^(٣)

وذكر الزمخشري في المفصل أن «هَيْهَاتَ» بفتح التاء لغة أهل الحجاز، وبكسرهما لغة أسد وقيس، ومن العرب من يضمها.^(٤) ووردت في شعر هند بنت عبيد مكسورة على لغة قومها أسد، فقالت:

أُمَيْمٌ هَيْهَاتِ الصَّبَا ذَهَبَ الصَّبَا

وَأَطَارَ عَنِّي الْحِلْمُ جَهْلَ غَرَابِي^(٥)

وروى السيوطي أن أسداً وقيساً يسكنون الواو والياء في «هُوَ، وَهْيَ، فيقولون: هُوَ، وَهْيَ». ^(٦) وذكر ابن جني أن أصحاب هذه اللغة إذا حذفوا الياء

(١) الأضداد ١: ٣٩٣.

(٢) القسم الثاني: ق (٤٨).

(٣) المصدر السابق: م (٣٦٩). والبيت من المستدرک على شعر عمرو.

(٤) المفصل: ٦٤.

(٥) القسم الثاني: م (٦٦).

(٦) همع الهوامع ١: ٦١.

في الوصل اضطراراً واحتاجوا إلى الوقف ردها حينئذ، فقالوا: هي، فصار الحرف المبدوء به غير الموقوف عليه.^(١) ووقفت على مواضع عديدة في ديوان الشعر الأسدي سكنت فيها الواو والياء، منها ثلاثة مواضع في شعر عبيد، وهي قوله:

أَحْلَفَ مَا بَازِلًا سَدِيسُهَا

لَا حَقَّةَ هِيَ وَلَا نَيْبُوبُ^(٢)

وقوله:

وَرَكْضُكَ لَوْلَا هُوَ لَقِيتَ الَّذِي لَقُوا

فَأَصْبَحْتَ قَدْ جَاوَزْتَ قَوْمًا أَعَادِيَا^(٣)

وقوله:

قَدَبْتُ أَلْعِبُهَا طَوْرًا وَتُلْعِنُنِي

ثُمَّ انْصَرَفْتُ وَهِيَ مَنِّي عَلَى بَالٍ^(٤)

وبنو أسد تحذف علامة النصب من الواو والياء، فيقولون: لن يرمي ولن يغزو، يجرونها مجرى الرفع والجر الذي تكون فيه الياء والواو ساكتتان، قال ابن جني: «ومن العرب من يشبه الياء بالألف لقربها منها، فيقول: (لن يرمي)

(١) انظر الخصائص ١: ٨٩.

(٢) ديوان عبيد: ١٧.

(٣) القسم الثاني: م (١٦٨)، والبيت من المستدرک على ديوان عبيد.

(٤) ديوان عبيد: ١٠٣.

بإسكان الياء، ويقول على هذا: (رأيت قاضي) فيجعل الاسم في الأحوال الثلاث على صورة واحدة»، واستشهد على ذلك بقول بشر:

كَفَى بِالنَّأْيِ مِنْ أَسْمَاءَ كَافِي

وَلَيْسَ لِحُبِّهَا مَاعِشْتُ شَافِي

وأراد: كافياً.^(١) ومثل ذلك نجده في قول مضرّس:

فَلَا تَسْأَلْنِي وَاسْأَلِي عَنْ خَلِيقَتِي

إِذَا رَدَّ عَافِي الْقَدْرَ مَنْ يَسْتَعِيرُهَا^(٢)

إذ رأى بعض شراح البيت أن موضع «عافي» النصب على المفعولية، قال ابن الأنباري:

«فيكون عافي القدر حينئذ في موضع نصب، وسكن الياء كما تسكن في الرفع والخفض، فهؤلاء لا يحركونها: النصب فيها عندهم كالرفع والخفض». ^(٣)
وإذا كان بشر ومضرّس قد سكنا ياء المنقوص في النصب فإنّ مضرّس حذف ياء المنقوص المعرف بآل، فقال:

فَطَرْتُ بِمُنْصُلِي فِي يَغَمَلَاتِ

دَوَامِي الْأَيْدِ يَخْبُطُنَ السَّرِيحَا^(٤)

^(١) شرح المنصف ٢: ١١٤. وانظر مايجوز للشاعر في الضرورة: ٣٩.

^(٢) القسم الثاني: ق (١٨١)، البيت (٣).

^(٣) شرح المفضليات: ٣٤٨.

^(٤) القسم الثاني: ق (١٧٣)، البيت (٢).

وأراد: الأيدي. ويرى البصريون مثل هذا الحذف في غير القافية ضرورة شعرية، أما الكوفيون فيرونه لغة،^(١) ولعلها لغة أسد.

وذكر سيبويه والسيرافي وابن رشيق أن أسداً وقيساً يحذفون في القوافي الواو التي هي ضمير جماعة المذكرين والياء التي هي ضمير الأنثى المخاطبة، ويجرونهما مجرى الحرف الذي هو من الكلمة نفسها، نحو ياء «يقضي» وساقوا شاهداً على ذلك قول ابن مقبل التميمي:

لَا يُنْعِدُ اللَّهُ أَصْحَاباً تَرَكَتْهُمْ

لَمْ أَذِرْ بَعْدَ غَدَاةِ الْيَمِينِ مَاصِنَعُ

وأراد: ماصنعوا.^(٢) وقال ابن رشيق: «وكذلك ينشدون:

فَقَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً

عَلَى النَّخْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مَحْمَلُ

فإذا وصلوا جعلوه كالكلام وتركوا المدة لعلمهم أنها في أصل البناء. قال

سيبويه: سمعناهم ينشدون:

أَقْلِي اللَّوْمَ عَاذِلُ وَالْعِتَابُ

إذا كان منوناً أثبتوا تنوينه ووصلوه كما يفعلون بالكلام المنشور».^(٣)

(١) انظر عبث الوليد: ٧٦.

(٢) انظر سيبويه ٤: ٢١١، وشرح أبيات سيبويه ٢: ٣٨٣، والعمدة ٢: ٣١١-٣١٢.

(٣) العمدة ٢: ٣١٢.

ولعل تسكين أسد القوافي في الإنشاد، إذ لا يحفلون بالضمة أو الكسرة أو الفتحة تلحق قافية البيت، كان من أسباب شيوع الإقواء في شعرهم، واشتهار بعضهم بذلك، إذ نقل صاحب الأغاني عن أبي عبيدة قوله: «كان فحلان من الشعراء يقويان: النابغة وبشر بن أبي خازم.. وأما بشر بن أبي خازم فقال له أخوه سودة: إنك تقوي. قال: وما ذاك؟ قال: قولك: ويُنْسي مثل مأنسيت جُذَامُ. ثم قلت بعده «إلى البلدِ الشَّامِ» ففطن ولم يعد». ^(١) كما أقوى من شعراء أسد بَعَثَ بن لقيط، ^(٢) وعدد غير قليل من شعرائهم المخضرمين مما ستنينه في الحديث عن خصائص شعرهم الإسلامي.

وليس هذا العيب في القوافي وفقاً على شعراء أسد، إذ وقع فيه عدد كبير من شعراء الجاهلية كامرئ القيس ^(٣) والأعشى ^(٤) والنابغة ^(٥) والحارث بن حِزْزَة ^(٦) ودريد بن الصَّمَّة ^(٧) وغيرهم إلا أنه أكثر شيوعاً في ديوان الشعر الأسدي.

وتأثر بعض شعراء أسد بلغة حيرانهم وحلفائهم الطائيين، فاستخدموا فعل

^(١) الأغاني ١١: ١٠، وانظر الشعر والشعراء ١: ٢٧٠، والموشح: ٥٩، والخزانة ٤:

٤٤١.

^(٢) انظر القسم الثاني: م(٥٦).

^(٣) انظر ديوان امرئ القيس: ٨٣، ١١٦، ٣٥٣.

^(٤) انظر ديوان الأعشى الكبير: ٣٨٩.

^(٥) انظر ديوان النابغة: ٢٩، ٢٥٨.

^(٦) انظر شرح القصائد العشر: ٣٩١.

^(٧) انظر الأصمعيات: ١٠٩.

«فَنَى»، قال الأنباري: «وَفَنَى، أصلها: فَنَى، وهي لغة طائية».^(١) ووقفت عليها في شعرين من شعر أسد، أحدهما قيل في الجاهلية، وثانيهما قيل في الإسلام، أما الجاهلي منهما فهو لبشر، وذلك قوله:

بِذِ عِلْيَةٍ بَرَّاهَا النَّصُّ حَتَّى

بَلَّغْتُ نَضَارَهَا وَفَنَى السَّيْنَامُ^(٢)

واستخدم الشعراء الأسديون بعض الألفاظ الأعجمية، فوردت لفظة «المَرَّازِبَةُ» وهي فارسية معربة، في قول بَغْثَر بن لقيط:

كَأَنَّ بِهِ عِيراً مِنَ الْمِسْكِ حَلَّهَا

دَهَاقِينَ مُلْكٍ تَحْتَتِي وَمَرَّازِبُهُ^(٣)

والمَرَّازِبَةُ: جمع مَرَّزُبَان، وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك. كما وردت لفظة «الدَّهَاقِينَ» وهي فارسية معربة، في بيت بَغْثَر السابق، وفي بيت بشر:

تَمْشَى بِهَا الثَّيْرَانُ تَرْدِي كَأَنَّهَُا

دَهَاقِينَ أَنْبَاطٍ عَلَيْهَا الصَّوَامِعُ^(٤)

والدهاقين: جمع دُهَقَان، وهو التاجر. واستخدم بشر لفظة رومية، فقال:

(١) شرح المفصليات: ٦٥٢.

(٢) ديوان بشر: ٢٠٤.

(٣) القسم الثاني: م (٥٧).

(٤) ديوان بشر: ١١٣.

كَأَنَّ بِذِفْرَاهَا عَيْنَيَّةَ مُجْرِبٍ

يَحْشُ بِهَا طَالِ جَوَانِبَ قُمْقُمٍ^(١)

والقُمْقُم: لفظ رومي، قال ابن سيده: «قال الأصمعي: هو رومي معرّب، وقد تكلمت به العرب، وجاء في الشعر الفصيح. قال عنتره:

وَكَأَنَّ رُبًّا أَوْ كُحَيًّا مُعَقَّدًا

حَشَّ الْوَقُودُ بِهِ جَوَانِبَ قُمْقُمٍ»^(٢)

واستخدم الشعراء الأسديون بعض الألفاظ ذات الأوزان النادرة كمُفْعَل ومُفْعَل، ونجد ذلك في شعر مضرّس،^(٣) وفي قول بغثر:

أَمَّا حَكِيمٌ فَالْتَمَسْتُ دِمَاغَهُ

وَمَقِيلٌ هَامَتِهِ بِحَدِّ الْمُنْصُلِ^(٤)

والمُنْصُل والمُنْصَل: السيف، قال ابن منظور: «قال ابن سيده: لا نعرف في الكلام اسما على مُفْعَل ومُفْعَل إِلَّا هَذَا وَقَوْلُهُمْ مُنْخُلٌ وَمُنْخَلٌ».^(٥) ووجدت في نوادر أبي مسحل لفظة ثالثة على هذا الوزن، وهي «الموسى»، قال: «وقال الأموي: سمعت بني أسد يذكرون المَوْسَى، مَوْسَى الْحَجَّام، ويجرونه، فيقولون:

^(١) ديوان بشر: ١٩٨.

^(٢) المخصص ١٤: ٤١.

^(٣) القسم الثاني: ق (١٧٣)، البيت (٢).

^(٤) المصدر السابق: م (٥٨).

^(٥) اللسان (نصل).

هذا موسى كما ترى. وهو (مُفْعَل) من أَوْسَيْتُ. قال: ويجرون اسم الرجل إذا كان اسمه موسى، فيقولون: هذا موسى قد جاء فيلحقونه بأَوْسَيْتُ فيجرونه. ومن جعله أعجمياً لم يجره، وجعله بمعنى (فُعْلَى)». (١)

وفي شعر جُرَيْبِة بن الأشيم لفظة نادرة على وزن نادر هو «فُعْلُل» وهي «كُذْبُذْبُ» قال:

فَإِذَا سَمِعْتَ بَأْتِنِي قَدْ بَعْتُهُ

بِوَصَالِ غَانِيَةٍ فَقُلْ كُذْبُذْبُ (٢)

والكُذْبُذْبُ: الكَذَّاب، وقال ابن جني: «ولسنا نعرف كلمة فيها ثلاث عينات غير كُذْبُذْبُ وَذُرْخُرْخُ». (٣)

كما نجد بعض الجُمُوع النادرة التي جاءت على غير قياس «كَذَوَاخِن» وهي جمع «ذُخَان»، قال بشر:

فَعَلَاهُمَا سَبِطٌ كَأَنَّ ضَبَابَهُ

بِجُنُوبِ صَارَاتٍ دَوَاخِنُ تَنْضُبِ (٤)

وثمة جمع غريب في شعر بشر لم تذكره كتب اللغة، وهو «الْخُدَارَى» ولعله جمع «خُدَارَى» أي الأسود، وذلك في قوله:

(١) نوادر أبي مسحل ١: ٨٥.

(٢) القسم الثاني: م (٢٦٦).

(٣) الخصائص ٣: ٢٠٤.

(٤) ديوان بشر: ٣٧.

عَلَيْهِنَّ أَمْثَالٌ خُذَارَى، وَفَوْقَهَا

مِنَ الرَّيْطِ وَالرَّقْمِ التَّهَاقُلُ كَالدَّمَ^(١)

وفي أمثال هذه الأبنية الغريبة قال الدكتور عبد الحفيظ السطلي: «وهذا الخروج على أبنية الألفاظ من حيث الأفراد والتثنية والجمع له نظائر في أشعار العرب حملت على أفراد فصول خاصة بها في بعض المصادر».^(٢)

واستخدم الأسديون صيغ الجمع في موضع التثنية والأفراد، كما استخدموا التثنية في موضع الأفراد، قال مغلس:

فَلَوْلَا رَجَائِي أَنْ تَوُوبَا وَلَا أَرَى

عُقُولَكُمَا إِلَّا شَدِيداً ذَهَابَهَا^(٣)

وأراد: عقليكما، قال ابن الشجري في شرح البيت: «... وقال عقولكما فجمع العقل في موضع التثنية».^(٤)

وجمع حاجب في موضع الأفراد، فقال:

يَنْتَابُ مَاءٌ قُطَيَّاتٍ، فَأَخْلَفَهُ

وَكَانَ مَوْرِدُهُ مَاءً بِحَوْرَانِ^(٥)

(١) ديوان بشر: ١٩٣.

(٢) العجاج حياته ورجزه: ٤٤٨.

(٣) القسم الثاني: ق (١٩)، البيت (٥).

(٤) الأمايلي الشجرية ٢: ٢٠٣.

(٥) القسم الثاني: ق (٤٩)، البيت (٧).

وأراد: قُطَيْة، وهي ماء بين جبلي طَيِّ و تيماء^(١) وثنى أبو المهوش في موضع الإفراد، فقال:

وَمَا قَاتَلْتُ يَوْمَ الْوَقِيطَيْنِ نَهْشَلٌ

ولا الإسكْتُ الشُّؤْمَى فُقَيْمٌ بَنُ دَارِمٍ^(٢)

وأراد: يوم الوقيط. ^(٣) وقال ابن سلام في ذلك: «وقد تفعل هذا العرب». ^(٤) وثمة قضايا لغوية ونحوية كثيرة في الشعر الأسدي أثارت اهتمام اللغويين والنحاة، وكانت معيناً ثراً متحوا منه شواهدهم على المسائل اللغوية التي بحثوها، كما وجدوا في بعض هذه الأشعار ضرورة أو شذوذاً، لأنها لا تندرج في النظام اللغوي الذي استقرؤوه فهي صياغات قليلة نادرة. ولعل من هذه القضايا استخدام مُغْلَس الضمير المتصل في موضع الضمير المنفصل في قوله:

وَقَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي تَطِيبُ لِضَغْمَةٍ

لِضَغْمَهِمَا هَا يَقْرَعُ الْعَظْمَ نَابِهَا^(٥)

وأراد: لِضَغْمِي إِيَّاهُمَا، قال ابن الشجري: «أي يقرع عظمها نابي، لضغمي إِيَّاهُمَا ضغمة واحدة». ^(٦)

(١) انظر معجم البلدان ٤ : ٣٧٨.

(٢) القسم الثاني: م (٢٩٥).

(٣) انظر العمدة ٢ : ٢١٥.

(٤) فحول الشعراء ١ : ١٧٩.

(٥) القسم الثاني: ق (١٩)، البيت (٩).

(٦) الأمالي الشجرية ٢ : ٢٠٣. وانظر الشاهد في سيبويه ٢ : ٢٦٥، وشرح المفصل ٣ :

١٠٥، والخزانة ٥ : ٣٠١.

ورحّم مُرّة بن الرّوّاع المستغاث به وفيه اللام فقال:

كَلَّمَا نَادَى مُنَادٍ مِنْهُمْ

يَا لَتَيْمِ اللَّهِ قُلْنَا يَا لَمَالٍ^(١)

وأراد: يا ماللك. وعدّ النحاة ذلك ضرورة أو شذوذاً.^(٢)

وفي شعر مغلس عملت «ما» في الخير الموجب بـ «إلا»، وذلك في قوله:

وَمَاحِقُ الَّذِي يَغْتَوْنَهُاراً

وَيَسْرِقُ لَيْلُهُ إِلَّا نَكَالاً^(٣)

وقال البغدادي: «ومنع الجمهور نقض النفي، وأولّوا البيت بوجوه

كثيرة». ^(٤)

وحذف حضرمي ألف الاستفهام وليس في الكلام عنها دليل، فقال:

أَفَرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الْكِـرَامَ وَأَنْ

أُورَثَ ذَوْداً شَصَائِصاً نَبِـلاً^(٥)

وأراد: أففرح، وهو استفهام على سبيل الاستنكار. وهذا الحذف جائز عند

الكوفيين، ولا يجوز عند البصريين. ^(٦)

^(١) القسم الثاني: م (٨٨).

^(٢) انظر حاشية الصبان ٣: ١٧٦.

^(٣) القسم الثاني: م (٢٨).

^(٤) انظر حاشية على شرح بانت سعاد ١: ٣٧٥.

^(٥) القسم الثاني: م (٢٢٨).

^(٦) انظر ما يجوز للشاعر في الضرورة: ٢٢١.

وئمة صياغات فيها تعدية للأفعال أو حذف للضمائر والأسماء الظاهرة في الشعر الأسدي، رأى اللغويون أن الضرورة الشعرية اضطرتهم إليها، ومن ذلك فعل «خصَّ» الذي تعدى إلى مفعولين في قول الجميع:

وَقَلْتُ الْخَيْلُ عِنْدِي وَاحْتَلَلْتُ لَهَا

وخصَّني الشُّركُ أَرْبابُ الْمَنَاجِبِ^(١)

وأراد: خصَّني بالشُّرك، فحذف الحرف وأوصل الفعل، قال ابن منظور: «قال ابن سيده: لم نسمع في الكلام خصصته متعدية إلى مفعولين». ^(٢) ومثله فعل «فرَّشَ» الذي تعدى إلى مفعولين في بيت قرآن:

وَبَذَلْتُ مَا جَمَعْتُ مِنْ نَشَبٍ

وَفَرَّشْتُ خَدَّكَ سَاعِدِي وَيَدِي^(٣)

وأراد: فرَّشْتُ لِخَدِّكَ، فحذف حرف الخفض من المعمول ووصل العامل إليه بنفسه، ورأى ابن عصفور أنها ضرورة شعرية. ^(٤) وحذف أبو المهوش حرف الخفض في قوله:

فَتَرَفُّعُوا هَدَجَ الرُّئَالِ فَإِنَّمَا

تَجْنِي الْهُجَيْمُ عَلَيْكُمْ وَالْعَنْبَرُ^(٥)

(١) القسم الثاني: م (١).

(٢) اللسان (خصص).

(٣) القسم الثاني: م (٢٦٩).

(٤) انظر ضرائر الشعر: ١٤٦.

(٥) القسم الثاني: م (٢٨٩).

وأراد: فترفعوا عن هَدَج الرُّئَال، قال البغدادي: «وهَدَج الرُّئَال منصوب بنزع الخافض، أي عن هَدَجِهِ».^(١)

وحذف عبيد النون من جمع المذكر السالم في غير الإضافة، فقال:
وَلَقَدْ يَغْنَى بِهِ جِيرَانُكَ الْـ

مُتْسِكُوا مِنْكَ بِأَسْبَابِ الرِّصَالِ^(٢)

وأراد: الْمُتْسِكُونَ. وقال العكبري في شرح بيت للمتني: «وقوله (الحاسدو) حذف النون، لأنه شبهه بالاسم الموصول، كأنه قال: (والذين حسدوك) وقد جاء مثله في الشعر الفصيح، قال عبيد بن الأبرص: (البيت)».^(٣)
وحذف عُرفُطَةُ بن الطَّمَّاح الخير لأن عليه دليلاً، أو الفعل لعلم السامع في قوله:

وَحَادَعْتُ الْمَيِّتَةَ عَنْكَ سِرّاً

فَلَا جَزَعَ الْأَوَانَ وَلَا رُؤَاعَا^(٤)

فقوله «جَزَعَ الْأَوَانَ» يحتمل أمرين، قال أبو زيد عنهما في النوادر: «أحدهما أن يكون أراد (فلا جَزَعَ لي) فحذف الخبر لأن عليه دليلاً، كما يقول (لا بأس) يريد (لا بأس عليه). ويبنى (لا) مع (جزع) فتجعلها اسماً واحداً

(١) الخزانة ٦: ٣٧٤.

(٢) ديوان عبيد: ١١٥.

(٣) شرح ديوان المتني ٤: ٥٦.

(٤) القسم الثاني: م (٩٤).

كخمسة عشر، ولهذه العلة حذف التنوين، وهذا جيد في العربية لا ضرورة فيه. وقد يجوز أن يكون أراد (فلا أجزع جزعاً) ثم حذف الفعل لعلم السامع كقولهم في الدعاء: لا سَقِيّاً ولا رَغِيّاً، يريدون لا سقاه الله ولا رعاه، وحذف التنوين من «(جزعاً)» لسكونها وسكون اللام التي بعدها لما اضطر تشبيهاً بحروف المدّ واللين، وإنما كان حق التنوين أن يحرك لالتقاء الساكنين».^(١)

وحذف مغلّس المضاف في قوله:

سَقَيْتُكُمْ قَبْلَ التَّفَرُّقِ شَرِبَةً

شَدِيداً عَلَى بَاغِي الظَّلَامِ طِلَابَهَا^(٢)

وأراد: على باغي جزاء الظلام.^(٣)

وقلب مضرّس المعنى يجعله حرف الخفض (الباء) في غير موضعه، في قوله:

إِذَا لَاقَيْتَ قَوْمِي فَاسْأَلِيهِمْ

كَفَى قَوْماً بِصَاحِبِهِمْ خَبيراً^(٤)

قال ابن منظور: «هو من المقلوب، ومعناه كفى بقوم خبيراً صاحبهم، فجعل

الباء في الصاحب، وموضعها أن تكون في قوم وهم الفاعلون في المعنى».^(٥)

^(١) النوادر في اللغة: ٣٦٨.

^(٢) القسم الثاني: ق (١٩)، البيت (٦).

^(٣) انظر الأمالي الشجرية ٢: ٢٠٣.

^(٤) القسم الثاني: م (١٨٥).

^(٥) اللسان (كفى).

وأكثر الشعراء الأسديون من ترخيم الاسم في غير النداء للضرورة الشعرية، ونجد ذلك في شعر مغلس، وقيس بن هلال،^(١) وفي أشعار عديدة من شعرهم الإسلامي.

وقطع حاجب بن حبيب همزة الوصل في أول النصف الثاني من البيت لضرورة الشعر في قوله:

وَلَا تَبَادِرُ فِي الشُّتَاءِ وَلَيْدَنَا

أَلْقَدَرَ تَنْزِلَهَا بِغَيْرِ جَعَالٍ^(٢)

وذهب المعري إلى أن قطع همزة الوصل جائز في النصف الثاني من البيت لأن مقتضى النصف الأول الوقف، لكنه هنا قبيح لأن الكلام لم يتم.^(٣) وثمة مسألة أخيرة في لغة الشعر الأسدي، لا بد من التنويه بها، وهي كثرة الغريب في هذا الشعر، وغرابة اللغة ليست مما يشوه جمال الشعر الأسدي، لأنها نابعة من طبع أصيل، فهم يتكلمون بألفاظ تجري على ألسنتهم، ويتداولونها في باديتهم، لذلك تحمل قدراً كبيراً من الأصالة والجمال، وتعبر عن معاني حياتهم تعبيراً دقيقاً. فهي ليست غريبة في بيتهم وزمنهم، وإنما قلّ استعمالها على مدى الأيام، حتى صرنا نجعل مدلولاتها، ونمجها أذواقنا. وليست الغرابة سمة عامة في الشعر الأسدي، وإنما تتجلى في الموضوعات والمعاني الخالصة البداوة، فالشاعر الأسدي يعبر عن هذه المعاني والموضوعات بالوحشي الوعر من الألفاظ،

^(١) انظر القسم الثاني: ق(٣٠)، البيت (١٠)، وم(١٢٧).

^(٢) القسم الثاني: م(٤٧).

^(٣) انظر عبث الوليد: ٢١٧-٢١٨.

لنستمع إلى الجميع يتحدث عن ناقتة:

تَحَرَّمَ ثَفْرُهَا أَيَّامَ حَلَّتْ
عَلَى نَمَلَى فَجِيبَ لَهَا أَدِيمُ
فَجِيَّاهَا النَّسَاءُ فَجَاءَ مِنْهَا
قَبْعَاءُ وَرَادِفَةٌ رَذُومٌ^(١)

وبلغت الغرابة في أبيات من الرجز لمعروف بن الكميت حداً جعل اللغويين والعلماء يضطربون في موضوعها، فقال بعضهم إنها في وصف السهم، وقال آخرون إنها في الهجاء،^(٢) والأبيات هي:

أَنْعَتُ أَعْيَاراً رَعِيْنَ كِيرَا
مُسْتَبْطِنَاتٍ قَصَباً ضُمُورَا
يَحْمِلْنَ عَنَقَاءَ وَعَنْقَفِيْرَا
وَأُمَّ حَشَّافٍ وَحَنْشَفِيْرَا
وَالذُّلُورَ وَالذَّيْلَمَ وَالزَّفِيْرَا^(٣)

ويبدو أن في الشعر الأسدي كلمات لم يتمكن اللغويون من معرفة حقيقة معناها، بعد أن عزف الناس عن استخدامها، كقولهم «يا فيء مالي»، قال الأسدي:

(١) القسم الثاني: م (١٢).

(٢) انظر اللسان (دلم).

(٣) القسم الثاني: م (٣٢٢).

يَافِيءَ مَالِي مَنْ يُعَمَّرُ يُفْنِيهِ

مَرُّ الزَّمانِ عَلَيْهِ وَالتَّقْلِيلُ^(١)

وروي «ياشيء مالي» و«ياهيء مالي» وقيل إنها كلمات معناها الأسف والتلهف والتعجب، أما ابن فارس، فقال: «فأما قولهم: يافيء مالي، فيقولون إنها كلمة أسف. وهذا عندي من الكلام الذي ذهب من كان يحسن حقيقة معناه». ^(٢)

وإذا كان في الشعر الأسدي ألفاظ غريبة وحشية أو كلمات ذهب من كان يحسن حقيقة معناها، فإن فيه ألفاظاً رقيقة قريبة المعنى خفيفة الإيقاع، ولا سيما في موضوعات الغزل والرثاء، كهذه الأبيات التي يرثى بها عرفطة بن الطَّمَّاح ولده:

بِأَهْلِي مَنْ تَرَكْتُ وَلَمْ يُوسِّدْ

بِقُفٍّ أَرَابٍ وَأَنْطَلَقُوا سِرَاعًا

رَأَيْتُ مَكَانَهُ فَصَدَرْتُ عَنْهُ

وَمَا لِلْمَرْءِ إِلَّا مَا اسْتَطَاعَا

فَلَا فِي الْعَيْشِ سُؤْتُكَ مَا اصْطَحَبْنَا

وَلَا فِي الْمَالِ تَجَعُّلُهُ مَتَاعَا

^(١) القسم الثاني: م (١٦)، وق (٢٠٠)، روايات للبيت (١٩).

^(٢) مقاييس اللغة ٤ : ٤٣٦.

أَقُولُ فِدَاكَ مَا اسْتَهْلَكْتَ مِنْهُ

وَأَجْعُلُكَ الْمُسَوَّدَ وَالْمَطَاعَا^(١)

ولا يختلف الشعر الأسدي في هذه السمة عن غيره من أشعار القبائل البدوية، إذ تغلب الألفاظ الغريبة والوحشية على الأشعار التي تتناول موضوعات ومعاني وثيقة الصلة بالحياة البدوية، في حين تغلب الرقة والوضوح على ألفاظ الأشعار التي تتناول موضوعات إنسانية عامة، يقول أحمد كمال زكي عن هذه الظاهرة في شعر هذيل: «وفتش في دواوين هذيل فستعثر كثيراً ودائماً على كلمات تقف بينك وبين ماتريد من فهم وتذوق واستمتاع»^(٢) ثم يقول: «ولكننا أحياناً لا نجد هذه العنجهية، وإنما تلقانا ألفاظ رقيقة. وأقول رقيقة دون أن أفسرها بالميوعة والإسفاف. ونراها في الغزل بنوع خاص وفي بعض الرثاء»^(٣).

(١) القسم الثاني: م (٩٤).

(٢) شعر الهذليين: ٢٣٧.

(٣) شعر الهذليين: ٢٣٩.

الفصل الرابع

الشعر الأسدي الإسلامي

تناولنا في الفصول السابقة الشعر الأسدي الجاهلي، وبتناول بالدراسة في هذا الفصل الشعر الأسدي الذي قيل في الإسلام، معتمدين في معرفته على موضوعه، أو المناسبة التي قيل فيها، أو ذكره حوادث جرت في الإسلام، أو مذكوره الرواة من أن هذا الشعر قيل في الإسلام.

ونعرض لموضوعات هذا الشعر، فندرس موضوعاته الإسلامية الجديدة، وموضوعاته التقليدية التي عرفها الشعر العربي جاهليته وإسلاميته، ثم نعرض لخصائصه المعنوية، فخصائصه اللفظية واللفظية. محاولين في ذلك كله تلمس الجديد الوافد والقديم التالد في هذا الشعر، وموقعه بين أشعار القبائل التي قبلت في الإسلام.

أولاً- موضوعات الشعر:

نبدأ الحديث عن الموضوعات الإسلامية في هذا الشعر، ثم نتطرق إلى الموضوعات التقليدية كالفرح والفرح، والمديح والرثاء، وغيرها من الموضوعات التي طرقها الشعراء الأسديون.

شعر العقيدة الإسلامية:

يصور هذا الشعر ثلاثة أحداث كبرى عاشتها القبيلة في ظل الإسلام، أولها

وفود شعراء أسد ووجوهها على النبي ﷺ عام الفتح، يعلنون دخولهم في دين الله، وتركهم عبادة الأوثان والأصنام بعد أن أنار الله قلوبهم بنور الإسلام. وثانيها موقف الشعراء الأسديين المسلمين من ردة قومهم التي تزعمها طليحة بن خويلد. وثالثها جهاد القبيلة في الفتوحات الإسلامية ولا سيما في القادسية.

وانفرد أبو أحمد بن جحش وأخوه عبد الله، وهما أسبق شاعرين أسديين دخلا الإسلام، بالدفاع عن المسلمين الأوائل قبل الفتح، وصور أبو أحمد هجرتهم إلى المدينة، وهجا كفار قريش، وكان لقومه بني غنم سابقة في الإسلام، فصور دخولهم في الدين الحق، فقال:

دَعَوْتُ نَبِيَّ غَنَمٍ لِحَقِّ دِمَائِهِمْ
وَلِلْحَقِّ لَأَحَ لِلنَّاسِ مُلْحَبُ
أَجَابُوا بِحَمْدِ اللَّهِ لَأَدَعَاهُمْ
إِلَى الْحَقِّ دَاعٍ وَالنَّجَاحِ فَأَوْعَبُوا
وَرُغْنَا إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
فَطَابَ وَلَاةُ الْحَقِّ مِنَّا وَطَيَّبُوا^(١)

ولما طلب النبي ﷺ من المسلمين الهجرة إلى المدينة عزم أبو أحمد على ذلك، لم يقعد به عماه، ولا رغبة زوجة في البقاء بمكة أو في الرحيل إلى بلد غير المدينة، إن كان لا بد راحلاً:

(١) القسم الثاني: ق (٢٥٠)، الأبيات (٨، ٩، ١٣).

وَلَمَّا رَأَتْنِي أَنَّمْ أَحْمَدَ غَادِيَاً
 بِذِمَّةٍ مِّنْ أَخَشَىٰ بِغَيْبِ وَأَرْهَبُ
 تَقُولُ: فَإِنَّمَا كُنْتَ لَابِداً فَاعِلاً
 فَيَمُّمُ بِنَا الْبُلْدَانَ وَلَتَنَّا يَثْرِبُ
 فَقُلْتُ لَهَا: بَلْ يَثْرِبُ الْيَوْمَ وَجْهَهَا
 وَمَا يَشَأُ الرَّحْمَنُ فَالْعَبْدُ يَرْكَبُ^(١)

وصور في أبيات أخرى نزول قومه بمكة وإقامتهم فيها، ثم هجرتهم عنها
 مثني وواحداً في سبيل الله، لما ضيقت عليهم قريش وآذتهم، وبين مالقيه وأهله
 في سبيل الله، فقال:

فَلَوْ حَلَفْتُ بَيْنَ الصَّفَا أَنَّمْ أَحْمَدُ
 وَمَرَوْتَهَا بِاللَّهِ بَرَّتْ يَمِينُهَا
 لَنَحْنُ الْأَلَى كُنَابِهَا ثُمَّ لَمْ نَزَلْ
 بِمَكَّةَ حَتَّى عَادَ غَثًّا سَمِينُهَا
 بِهَا خِيَمَتْ غَنَمُ بَنِ دُودَوَانَ وَأَبْتَنَتْ
 وَمِنْهَا غَدَتُ غَنَمٌ فَخَفَّ قَطِينُهَا

(١) المصدر السابق: ق (٢٥٠)، الأبيات (١-٣).

إِلَى اللَّهِ تَغْدُو يَتَنَ مَثْنَىٰ وَوَاحِدٍ

وَدِينُ رَسُولِ اللَّهِ بِالْحَقِّ دِينُهَا^(١)

وبعث النبي (ﷺ) عبد الله بن جحش على رأس سرية من المهاجرين إلى نخلة في الشهر الحرام فمرت بهم غير لقريش تحمل تجارة، فقتلوا عمرو بن الحضرمي وأسروا رجلين وقدموا على النبي بالعين والأسيرين، وثار ثائرة قريش، وعدوا مقتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام أمراً عظيماً، فقال عبد الله يرد على كفار قريش:

تَعْدُونَ قَتْلَىٰ فِي الْحَرَامِ عَظِيمَةً

وَأَعْظَمُ مِنْهُ لَوْ يَرَى الرَّشْدَ رَاشِدٌ

صُدُّوكُمْ عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ

وَكُفِّرْ بِهِ وَاللَّهُ رَأِيٌّ وَشَهِيدٌ

وَإِخْرَاجُكُمْ مِنْ مَسْجِدِ اللَّهِ أَهْلُهُ

إِلَّا يُرَىٰ لِلَّهِ فِي الْبَيْتِ سَاجِدٌ^(٢)

وبعد انتصار المسلمين على كفار قريش وفتح مكة، توافدت قبائل العرب من كل حذب وصوب على النبي، تعلن ولائها وطاعتها ودخولها في الدين الجديد. وقدم وفد أسد على النبي، وفيهم ضرار بن الأزور، وكان له ألف بعير

^(١) القسم الثاني: م (٢٥٤).

^(٢) المصدر السابق: م (٣٣٨).

برعائها فتركها في ديار قومها، كما ترك عادات الجاهلية وأوزارها، وأتى النبي مسلماً وملازماً، وأنشده:

خَلَعْتُ الْقِدَاحَ وَعَزَفَ الْقِيَا
نِ وَالْخُمْرَ أَشْرَبْتُهَا وَالثَّمَالَا
وَكَرِّيَ الْمَحَبَّرَ فِي غَمْرَةٍ
وَجَهْدِي عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْقِتَالَا
فِيَارِبٌ لَا أُغْنِنُ صَفْقَتِي
فَقَدْ بَعْتُ أَهْلِي وَمَالِي بِدَالَا^(١)

ويقال إن النبي (ﷺ) قال له: «مَا غُنِيَتْ صَفْقَتُكَ يَا ضِرَارَ». ^(٢)
وأنشد سلمة بن عياض النبي (ﷺ) في وفادته عليه شعراً يبين فيه أن رسول
الله نشر كتاباً جاء بالحق الواضح، وشرع للناس شرعة الهدى، لينقذهم من
الضلالة وظلمة الجاهلية، فقال:

رَأَيْتُكَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
نَشَرْتَ كِتَاباً جَاءَ بِالْحَقِّ مُعْلِماً
شَرَعْتَ لَنَا فِيهِ الْهُدَى بَعْدَ رَجْعِنَا
عَنِ الْحَقِّ لَمَّا أَصْبَحَ الْأَمْرُ مُظْلِماً^(٣)

(١) المصدر السابق: م (٢٣٨).

(٢) الإصابة ٢: ٢٠٠.

(٣) القسم الثاني: م (٣٥٦).

أما حريية بن الأشيم الذي أوصى أولاده في الجاهلية أن يعقلوا مطيته على قبره ليركبها في الحشر،^(١) فقد بذل بذلك الدين الذي قدم ديناً جديداً قويمًا، فاستقام ولن يَأْثَمَ بعد ذلك:

بُذِلْتُ دِينًا بَعْدَ دِينٍ قَدْ قَدُمُ
كُنْتُ مِنَ الدِّينِ كَأَنِّي فِي حُلُمٍ
يَأْقِيَمُ الدِّينَ أَقِمْنَا نَسْتَقِمُ
فَإِنْ أَصَادِفْ مَأْثَمًا فَلَمْ أَلِمْ^(٢)

ولما ارتد طليحة بن خويلد وسارت وراءه عامة بني أسد وغطفان وقف الشعراء الأسديون الذين ثبتوا على الدين الحنيف يحرضون أبناء قبيلتهم على التمسك بالإسلام، ويكذبون ما ادعاه طليحة من نبوة، ويعاتبون المرتدين من قومهم عتاباً شديداً، ومن هؤلاء الشعراء حُبَيْش الذي قال:

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ
طَلِيحَ وَأَنَّ الدِّينَ دِينُ مُحَمَّدٍ^(٣)

ورد جَعْفَوْنَةُ بن مَرْثَدٍ على سفهاء قومه الذين عابوا عليه ثباته على الإسلام، ويبيّن لهم سوء ما فعلوا، فقال:

(١) انظر القسم الثاني: ق (٢٦٦).

(٢) القسم الثاني: م (٢٧٢).

(٣) المصدر السابق: م (٣٥٧).

يَنِي أَسَدٍ قَدْ سَاعَنِي مَا فَعَلْتُمْ
وَلَيْسَ لِقَوْمٍ حَارَبُوا اللَّهَ مُخْرِمٌ
فَلَنِي وَإِنْ عِبْتُمْ عَلَيَّ سَفَاهَةً
خَنِيفٌ عَلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ وَمُسْلِمٌ^(١)

وعبر زفر بن يزيد عن أسفه وحزنه لارتداد قومه عن الإسلام بعد أن
أغواهم طليحة بأكاذيبه وأباطيله، فقال:

لَهْفِي عَلَى أَسَدٍ أَضَلَّ سَبِيلَهُمْ
بَعْدَ النَّبِيِّ طَلِيحَةُ الْكَذَّابِ^(٢)

وأرسل عبد الرحمن بن الأزور إلى أخيه ضرار يخرضه والمسلمين من
الأنصار على جهاد المرتدين من قومه، فقال:

قَدْ قُلْتُ لِلْمَرْءِ الشَّقِيقِ ضَرَّارٍ
طَالَ الْبُكَاءُ لِفِرْقَةِ الْأَنْصَارِ^(٣)

وأرسل ضرار من المدينة إلى قومه بني ثعلبة بن دودان، ينهاهم عن نهبهم مال
الصدقة، ويعاتبهم لأنهم عصوا عقلاءهم وحكماءهم وذوي الرأي فيهم، واتبعوا
طليحة وعيينة بن حصن الفزاري، وما أمر هذين الرجلين إلا أمر شوم، فقال:

(١) المصدر السابق: م (٣٥٤).

(٢) المصدر السابق: م (٣٥٨).

(٣) المصدر السابق: م (٣٦٠).

وَأَعْلَمُ حَقًّا أَنَّكُمْ قَدْ غَوَيْتُمْ
يَنِّي أَسَدٍ فَاسْتَأْخِرُوا أَوْ تَقَدَّمُوا
نَهَيْتُكُمْ أَنْ تَنْهَبُوا صَدَقَاتِكُمْ
وَقُلْتُ لَكُمْ يَا آلَ ثَعْلَبَةَ اعْلَمُوا
عَصِيَّتُمْ ذَوِي أَخْلَامِكُمْ وَأَطَعْتُمْ
ضُحَيْمًا وَأَمْرُ ابْنِ اللَّقِيطَةِ أَشْنَأُ^(١)

وصور الشعراء الأسديون من فرسان المسلمين ومقاتلتهم جهادهم في سبيل
الله وبلاءهم في نصر دينه، ومناضلتهم المرتدين من العرب، وكان زيد بن
الأزور في جند المسلمين يوم اليمامة، فقاتل حتى قطعت ساقاه فصار يحبو
ويقاتل، حتى داسته الخيل ومات، وارتجز وهو يقاتل في أوار المعركة، معبراً عن
رغبته في الشهادة متعجلاً الموت لملاقاة النبي (ﷺ) في الدار الباقية، فقال:

هَلْ تَأْسَ حَيَوَيَاتُ عَنِّي مَشْهَدِي
حِينَ أَرَدْتُ الْمَوْتَ أَذْنَى مِنْ يَدِي
مُلَفَّقًا فِي نَوْبِهِ الْمَوْرَدِ
آخِرَ هَذَا الْيَوْمِ أَقْصَى مِنْ غَدِ
إِلَى مُلَاقَاةِ النَّبِيِّ أَحْمَدِ^(٢)

(١) المصدر السابق: ق (٢٣٩).

(٢) القسم الثاني: م (٣٤٣).

وخاطب ضرار نفسه طالباً منها الصدق في الجهاد، إذا قصر المقصرون أو حاول المنافقون تثبيط الهمم:

وَكُونِي مَعَ التَّالِي سَبِيلَ مُحَمَّدٍ
وَإِنْ كَذَبَتْ نَفْسُ الْمُقْصِرِ فَاصْذُقِي
إِذَا قَالَ سَيْفُ اللَّهِ: كُورُوا عَلَيْهِمْ
كَرَرْنَا وَلَمْ نَحْفَلْ بِقَوْلِ الْمُعَوَّقِ^(١)

وانتهت حروب الردة، كما هو معروف، بانتصار المسلمين وخزي المرتدين، وكان طليحة بن خويلد قد لجأ إلى الشام منفياً طريداً بعد هزيمته ببزاحة، وعبر عن مذله وهوانه في منفاه بقوله:

وَتَرَكِي بِلَادِي، وَالْحَوَادِثُ جَمَّةً،

طَرِيداً، وَقَدْ مَأْكُنْتُ غَيْرَ مُطَرِّدٍ^(٢)

ثم انطلقت جحافل العرب المسلمين من الجزيرة إلى العراق والشام مجاهدين فاتحين، وكانت كئائب أسد في جيش العراق، وأحسن البلاء يوم القادسية، وتغنى الشعراء الفرسان من أسد ببطولاتهم في ذلك اليوم، ففي يوم أرمات، وهو أول أيام القادسية، برز أهل النجدات فانشبوا القتال، وخرج من فرسان فارس أمثالهم، فاعتوروا الطعن والضرب، وخرج غالب بن عبد الله الأسدي، وهو يرتجز:

(١) المصدر السابق: م (٢٣٦).

(٢) المصدر السابق: م (٣٠٦).

قَدْ عَلِمْتُ وَارِدَةُ الْمَسَالِحِ
ذَاتُ الْبَنَانِ وَاللَّبَّانِ الْوَاضِحِ
أَنْي سِمَامُ الْبَطَلِ الْمُشَايِحِ
وَفَارِجُ الْأَمْرِ الْمُهِمِّ الْفَادِحِ^(١)

ولما أرسل الخليفة عمر أربعة سيوف يقسمها سعد فيمن انتهى إليه البلاء،
أصاب طليحة بن خويلد، وحمّال بن مالك، والرّئيل بن عمرو، ثلاثة سيوف،
فذهبت بنو أسد بثلاثة أرباع السيوف، وفخر الرّئيل بذلك، فقال:

لَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَا أَحَقُّهُمْ

إِذَا حَصَلُوا بِالْمُرْهَقَاتِ الْبَوَاتِرِ^(٢)

وأصيبت فخذ عفاق الكاهلي يوم عُماس، وهو من أيام القادسية، فظل
يقاتل، ويرتجز:

صَبْرًا عِفاقُ إِنَّهَا الْأَسَاوِرَةُ
صَبْرًا وَلَا تَغَرُّكَ رِجْلُ نَادِرَةَ^(٣)

وارتجز أخو عفاق في ذلك اليوم، وهو يجالّد بالسيف، مفتخرًا ببلائه،
ومصبراً عفاقاً على جراحه، فقال:

(١) القسم الثاني: م (٣٤٦).

(٢) المصدر السابق: م (٣٤٩).

(٣) المصدر السابق: م (٣٦٥).

أَنَا ابْنُ حَرْبٍ وَمَعِيَ مِخْرَاقِي
أَضْرِبُهُمْ بِصَّارِمِ رَقْرَاقِ
صَبْرًا عِفَاقُ إِنَّهُ الْفِرَاقُ^(١)

ولما انتهت القادسية بانتصار المسلمين تحدث عنها الشعراء الأسديون،
فصوروا شدة أيامها، وبلاء أسد، وذودها عن كائب العرب، ولاسيما ما كان
منها يوم أرمات، قال عمرو بن شأس:

تَذَكَّرْتُ إِخْوَانَ الصَّفَاءِ تَيَّمَّمُوا
فَوَارِسَ سَعْدٍ وَاسْتَبَدَّ بِهِمْ جَهْلًا
وَدَارَتْ رَحَى الْمَلْحَاءِ فِيهَا عَلَيْهِمْ
فَعَادُوا خِيَالًا لَمْ يُطِيقُوا لَهَا ثِقْلًا
عَشِيَّةَ أَرْمَاتٍ وَنَحْنُ نَذُودُهُمْ
ذِيَادَ الْهَوَافِي عَنْ مَشَارِبِهَا عُكْلًا^(٢)

أما مُحْصَنُ بن الحارث فلم يشهد القادسية، وإنما كان في جيش خالد بن
الوليد الذي خرج من الحيرة إلى الشام، فوصف أميره خالدًا، وتحدث عن صبره
وثباته وشدته على الأعاجم في المعركة حتى إن بعضهم كان يود لو تخلف عن

^(١) القسم الثاني: م(٣٦٦). وفي البيت الأخير إقواء.

^(٢) شعر عمرو بن شأس: ٨٨. وفيه: «لَمْ يُطِيقُوا» و«عُكْلًا»، والصواب عن معجم
البلدان (أرمات).

القتال للمالقيه من خالد والمسلمين:

إِذَا رَأَيْتَ خَالِدًا مُخَفَّفًا
وَكَانَ يُّنَ الْأَعْجَمِينَ أَنْصَفًا
فِي فَيْلَقٍ بِالنَّقْعِ قَدْ تَلَحَّفَا
وَهَبَّتِ الرِّيحُ شَمَالًا حَرْجَفَا
فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ إِذَا الْمَوْتُ هَفَا
لَوَدَّ بَعْضُ الْقَوْمِ لَوْ تَخَلَّفَا
لَيْسَ أَخُو الْإِسْلَامِ إِلَّا مَنْ وَفَى^(١)

وبعد،

ما الذي يميز الشعر الأسدي المتأثر بالإسلام من أشعار القبائل الأخرى ذات الصبغة الإسلامية، أو من أشعار المهاجرين والأنصار؟
إنّ المضامين الإسلامية التي طرقها الشعراء الأسديون، نجد لها نظائر في أشعار القبائل الأخرى. فأشعار أبي أحمد وعبد الله التي عبرت عن عواطف المسلمين المستضعفين في مكة، نجد نظائرها في أشعار المهاجرين، فعبد الله بن الحارث السَّهْمِي، وهو من المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة، وصف في شعره ما يلقاه المسلمون من أذى قريش وعدوانها، فقال:

^(١) القسم الثاني: م (٣٣٤).

يَا رَاكِبًا بَلَغْنِ عَنِّي مُغْلَغَلَةً
 مَنْ كَانَ يَرْجُو بَلَاغَ اللَّهِ وَالَّذِينَ
 كُلَّ امْرِئٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مُضْطَهَدٍ
 يَبْطُنْ مَكَّةَ مَقْهُورٍ وَمَفْتُونٍ
 أَنَا وَجَدْنَا بِلَادَ اللَّهِ وَاسِيعَةً
 تُنْجِي مِنَ الذُّلِّ وَالْمَخْزَاةِ وَالْهُونِ^(١)
 وأشعار الأنصار التي صورت مناضلة المسلمين المشركين بروح إسلامية
 ظاهرة التأثير بالدين الحنيف كثيرة، منها أشعار حسان، وكعب بن مالك،
 وغيرهما، قال كعب في يوم بدر:
 شَهِدْنَا بِأَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ
 وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بِالْحَقِّ ظَاهِرُ
 وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ قَالَ أَقْبِلُوا
 فَوَلُّوا وَقَالُوا: إِنَّمَا أَنْتَ سَاحِرُ
 لِأَمْرِ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهْلِكَُوا بِهِ
 وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمَّةُ اللَّهِ زَاجِرُ^(٢)

(١) السيرة النبوية ١: ٣٣٠-٣٣١.

(٢) السيرة النبوية ٢: ١٤-١٥.

والذي نجده في شعر الوفد الأسدي على النبي من هجر لعادات الجاهلية وآثامها، ونبذ لأصنام الجاهلية وضاللتها، نجد مثيله في أشعار الوفود المسلمة من القبائل الأخرى، فقد صور جُهَيْش بن أُوَيْس النخعي تلك النقلة العظيمة من عبادة أصنام لا تضر ولا تنفع إلى عبادة الله الواحد، لما وفد على النبي (ﷺ) مع أصحابه من مَذْحِج، فقال:

أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ مُصَدِّقٌ

فَبُورِ كُنْتَ مَهْدِيًّا وَبُورِ كُنْتَ هَادِيًّا

شَرَعْتَ لَنَا دِينَ الْخَنِيفَةِ بَعْدَ مَا

عَبَدْنَا كَأَمْثَالِ الْحَمِيرِ الطَّوَاعِيَا^(١)

أما سُوَيْد بن عدي الطائي فعزف عن الشعر، وودع بطالات الجاهلية وأوزارها، وأقبل على كتاب الله يتدبر معانيه، ويتذوق حلاوة بيانه، ويهتدي بنوره، قال:

تَرَكْتُ الشُّعْرَ وَاسْتَبَدَّلْتُ مِنْهُ

إِذَا دَاعَيْ صَلَاةَ الصُّبْحِ قَامَا

كِتَابَ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

وَوَدَّعْتُ الْمَدَامَةَ وَالنَّدَامَا^(٢)

^(١) الإصابة ١: ٢٥٦.

^(٢) الإصابة ٢: ١١٦.

غير أن هناك كثيراً من أشعار وفود القبائل لم يمسسها أثر الإسلام، وإنما تغلب عليها العصبية القبلية ومفاخر الجاهلية، مما لا نجد له مثيلاً في أشعار الشعراء الأسديين الذين وفدوا على النبي، ومن هذا الضرب ما نجده في شعر وفد تميم على النبي، إذ قال شاعرهم الزبيرقان:

نَحْنُ الْكِرَامُ فَلَا حَيٌّ يُعَادِلُنَا
مِنَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُنْصَبُ الْبَيْعُ
وَكَمْ قَسَرْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ كُلَّهُمْ
عِنْدَ النَّهَابِ وَفَضْلُ الْعِزِّ يُتْبَعُ^(١)

وكذلك لا يمتاز شعر أسد في الردة من شعر غيرها من سائر القبائل البدوية التي ارتدت عن الإسلام، إذ نجد الشعراء فريقين، فريقاً ثبت على الإسلام، وهما المتنبة والكذبة من قبيله أو من غيرها، وفريقاً ارتد مع المرتدين، فصور بلاءه في قتال جيش المسلمين. وقد مرت معنا أشعار عديدة لشعراء أسديين هجوا متنبئ قومهم طليحة، وحذروا قبيلتهم من أن يضلّها وحرّضوها عليه، ومثل ذلك نجد في شعر الشعراء المسلمين من القبائل الأخرى، فقيس بن عاصم التميمي هجا سجاحاً نبية قومه، وسخر من أنّ نبيتهم أنثى وأنبياء غيرهم ذكور، فقال:

أَضَحَّتْ نَبِيَّتُنَا أَنْثَى نُطِيفُ بِهَا
وَأَصْبَحَتْ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ ذُكْرَانَا^(٢)

(١) السيرة ٢: ٥٦٣.

(٢) مروج الذهب ٢: ٣١٠.

في حين صور الشعراء المرتدون صبرهم وثباتهم على قتال جيش أبي بكر
(رضي الله عنه) فطليحة الأسدي الذي قاد ردة الحليفين أسد وغطفان، فخر بشأره بأخيه
حبال بقتله الصحابين عكاشة بن محصن الأسدي وثابت بن أقرم البلوي،
وصور منازلته الأقران وملاقاته الفرسان، فقال:

ذَكَرْتُ أَخِي لَمَّا عَرَفْتُ وَجُوهَهُمْ
وَأَيَّقَنْتُ أَنِّي نَائِرٌ بِحِيَالِ
عَشِيَّةٍ غَادَرْتُ ابْنَ أَقْرَمَ ثَاوِيَا
وَعُكَّاشَةَ الْغَنَمِيِّ عِنْدَ مَجَالِ
فَمَا ظَنُّكُمْ بِالْقَوْمِ إِذْ تَقْتُلُونَهُمْ

أَلَيْسُوا وَإِنْ لَمْ يُسَلِّمُوا بِرَجَالٍ^(١)
ونسوق مثلاً من أشعار المرتدين من القبائل الأخرى أحياناً للحطيئة العبسي،
حرض فيها على قتال المسلمين، وتغنى ببلاء المرتدين من ذبيان في الغمر، فقال:

أَلَا كُلُّ أَرْمَاحٍ قِصَارٍ أَدْلَى
فِدَاءٍ لِأَرْمَاحٍ رُكُزْنَ عَلَى الْغَمْرِ
فَإِنَّ الَّذِي أُعْطِيْتُمْ أَوْ مَنَعْتُمْ
لَكَاتَمَرٍ أَوْ أَحَلَّى لِخُلْفٍ يَنْبِي فَهَرٍ

(١) القسم الثاني: م (٣٠٨).

فِدَى لَبْنِي ذِيَّانَ أُمِّي وَحَالَتِي

عَشِيَّةٌ يُحْدَى بِالرَّمَاكِ أَبُو بَكْرٍ^(١)

وبطبيعة الحال فإن شعر الفتوح كان قسمة بين أبطال الفتح الإسلامي وشعرائه من قبائل العرب، إذ ضربت فيه كل قبيلة بسهم، وكثير من الفرسان والمقاتلين من غير الشعراء دفعتهم الحماسة في غمرة القتال إلى قول أبيات من الشعر، وتشابه أشعار الفتوح في مضامينها، فهي تفخر بالنصر وتتغنى بالقوة وشدة البأس وحسن البلاء، نجد ذلك في شعر القعقاع بن عمرو، وأبي محجن الثقفي، وقيس بن مكشوح المرادي، وبشر بن ربيعة الخثعمي، وغيرهم، قال بشر:

تَحْنُ بِبَابِ الْقَادِسِيَّةِ نَاقَتِي

وَسَعْدُ بْنُ وَقَّاصٍ عَلَيَّ أَمِيرُ

تَذَكَّرْ هَذَاكَ اللَّهَ وَقَعَ سُيُوفُنَا

بِبَابِ قُدَيْسٍ وَالْمَكَّرِ عَسِيرُ

عَشِيَّةً وَدَّ الْقَوْمُ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ

يُعَارُ جَنَاحِي طَائِرٍ فَيَطِيرُ^(٢)

ويذكرنا البيت الثاني برجز محسن بن الحارث الأسدي:

(١) ديوان الخطيبة: ١٤٢.

(٢) فتوح البلدان: ٣٦٥.

لَوَدَّ بَعْضُ الْقَوْمِ لَوْ تَخَلَّفَا^(١)

وأواصر المودة في المضامين والمعاني وشيجة بين قصيدة قيس بن المكشوح
المرادي وقصيدة عمرو بن شأس الأسدي، اللتين قيلتا في القادسية، قال قيس:
جَلَبْتُ الْخَيْلَ مِنْ صَنْعَاءَ تَرُدِّي

بِكُلِّ مُدَجَّحٍ كَاللَّيْثِ سَامٍ
وَجِنَّا الْقَادِسِيَّةَ بَعْدَ شَهْرٍ

مُسَوِّمَةً دَوَابِرُهَا دَوَامِي
فَنَاهَضْنَا هَذَاكَ جَمْعَ كِسْرَى

وَأَبْنَاءَ الْمَرَازِبَةِ الْكِرَامِ
فَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ الْخَيْلَ جَالَتْ

قَصَدْتُ لِمَوْقِفِ الْمَلِكِ الْهَمَامِ
فَأَضْرَبُ رَأْسَهُ فَهَوَى صَرِيْعاً

بَسَيفٍ لَا أَقْلَ وَلَا كَهَامِ^(٢)

وقال عمرو بن شأس:

(١) القسم الثاني: م (٣٣٤).

(٢) فتوح البلدان: ٣٦٤.

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَكْنَافِ نَيْقٍ
 إِلَى كِسْرَى فَوَافَقَهَا رِعَالاً
 تَرَكْنَ لَهُمْ عَلَى الْأَنْسَامِ شَجْوَاً
 وَبِالْحَقُوتَيْنِ أَيَّاماً طِوَالاً
 وَدَاعِيَةً بِفَارِسٍ قَدْ تَرَكْنَا
 تُبَكِّى كُلَّمَا رَأَتْ الْهِلَالَ
 قَتَلْنَا رُسْتُمًا وَبَيْنَهُ قَسْراً
 تُبِيرُ الْخَيْلُ فَوْقَهُمُ الْهِلَالَ
 وَفَرَّ الْبَيْرُ زَانٌ وَلَمْ يُحَامِ
 وَكَانَ عَلَى كَيْبَتَيْهِ وَبَالاً^(١)

وندع شعر العقيدة لننظر في الموضوعات والأغراض الأخرى التي طرقها
 الشعراء الأسديون الإسلاميون، ونبدأ بالهجاء، وهو أوسع هذه الأغراض.

الهجاء:

يحتل الهجاء حيزاً واسعاً من الشعر الأسدي الإسلامي، وهو في معظمه هجاء
 سياسي يختلف عن الهجاء القبلي الذي عرفناه في الشعر الأسدي الجاهلي، فالأحداث
 والفنن السياسية التي عصفت بالأمة مزقتها إلى أحزاب وشيع، وانحاز الشعراء إلى هذا
 الحزب أو ذاك، بعضهم عن عقيدة وإيمان، وبعضهم رغبة في المكاسب والعطايا.

(١) شعر عمرو: ٨٦-٨٧.

وإذا ما رحنا نتلمس بدايات الهجاء السياسي في الشعر الأسدي الإسلامي
وجدناه يعود إلى عهد النبي (ﷺ)، وذلك في غمرة الصراع بين المسلمين
والمشركين، فبعد أن هاجر بنو جحش إلى المدينة عمد أبو سفيان إلى دارهم
بمكة فباعها، فعاتبه أبو أحمد عتاباً مرّاً ممذوقاً بهجاء غير شديد، فقال:

أَقْطَعْتَ عَنْهُ ذَكَ يَنْتَنَا

وَالْخَازِيَرَاتُ إِلَى نَدَامَاهُ

عَقْدِي وَعَقْدُكَ قَائِمٌ

أَلَّا عَقُوقَ وَلَا أُنَامَاهُ

أُبْلِغَ أَبَا سُفْيَانَ عَنْ

أَمْرِ عَوَاقِبُهُ نَدَامَاهُ

دَارَ ابْنِ عَمِّكَ بَعْتَهَا

تَقْضِي بِهَا عَنْكَ الْغَرَامَةَ

وَجَرَيْتَ فِيهِ إِلَى الْعُقُوقِ

قِ وَأَسْوَءَ الْخُلُقِ الرَّغَامَةَ^(١)

ثم كان الهجاء السياسي في الشعر الأسدي بعد مقتل عثمان (رضي الله عنه) وتهيو
معاوية لقتال الإمام علي (كرم الله وجهه) وكان عَقِيبة بن هُبَيْرَة الأسدي من
المتشيعين للإمام كمعظم قومه الأسديين الذين نزلوا الكوفة، فقال يهجو معاوية

(١) القسم الثاني: ق (٢٥٣).

لما بلغه أنه يتهاى لمحاربة علي:

أَرَى ابْنَ أَبِي سُفْيَانَ يُزْجِي جِيَادَهُ

لِيَغْزُو عَلِيًّا ضِلَّةً وَتَحَامُقًا^(١)

ولما صارت الأمور إلى معاوية، والأمور إلى مصائر، وتوضحت نظرة معاوية إلى الحكم، وتبين الناس سياسة الأمويين ومراميهم، وأحست القبائل وطأة السلطة الجديدة عليها، تلك السلطة التي حازت المغام والأموال وأمّرت العبيد والأرذال، نهض عقية يهجو معاوية وولده يزيداً، ويفضح السياسة الأموية، وكان في عقية جراءة وإقدام، إذ وفد على معاوية ودفع إليه رقعة فيها هذ الهجاء:

مَعَاوِي إِنَّنَا بَشَرٌ فَأَسْجَحْ

فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَدِيدِ

فَهَبْنَا أُمَّةً ذَهَبَتْ ضِيَاءُ

يَزِيدُ أَمِيرُهَا وَأَبُو يَزِيدِ

أَكَلْتُمُ أَرْضَنَا فَجَرَدْتُمُوهَا

فَهَلْ مِنْ قَائِمٍ أَوْ مِنْ حَصِيدِ

ذَرُّوا خَوْنَ الْخِلَافَةِ وَاسْتَقِيمُوا

وَتَأْمِيرَ الْأَرَاذِلِ وَالْعَبِيدِ^(٢)

(١) المصدر السابق: م (٢٨٥).

(٢) القسم الثاني: م (٢٨٠).

وكما هجا معاوية هجا واليه على الكوفة زياد بن أبيه، فعرض بنسبه وذكر
أنه من النبط لا من قريش، فقال:

لُبْسُ زِيَادٍ كِسَاءُ الْخَزْ مُنْكَرَةٌ

لَكِنْ كِسَاءُ زِيَادٍ كَانَ مِنْ صُوفٍ
نَجَارٌ فَهَرٍ مُبِينٌ فِي تَوَشُّمِهِمْ

لَكِنْ نَجَارُ زِيَادٍ غَيْرُ مَعْرُوفٍ
لَسْتُمْ قُرَيْشاً وَلَكِنْ أَتُمْ نَبَطٌ

صُهْبُ اللَّحَى وَالنَّوَاصِي صُهْبَةُ اللَّيْفِ^(١)

وكذلك هجا عقيبة أسماء بن خارجة الفزاري، لأنه زوج بنته هنداً من عبدة
الله بن زياد، وأفحش في هجائه، فقال:

جَزَاكَ اللَّهُ يَا أَسْمَاءُ خَـ حـ

لَقَدْ أَرْضَيْتَ فَيْشَلَةَ الْأَمِيرِ
بِذِي صَدْعٍ يَفْوَحُ الْمِسْكُ مِنْهُ

عَظِيمٍ مِثْلِ كِرْكِرَةِ الْبَعِيرِ
لَقَدْ أَهْدَيْتَهَا بَيْضَاءَ رُؤْدَا

شَدِيداً رَهْزُفَا فَوْقَ السَّرِيرِ

(١) المصدر السابق: م (٢٨٣).

إِذَا أَخَذَ الْأَمِيرُ بِمَنْكِبَيْهِ

سَمِعَتْ لَهَا أَهْنًا كَالصَّرِيرِ^(١)

غير أنّ ثمة شعراء أسديين كانوا أمويي الهوى، ومن هؤلاء فضالة بن شريك الذي وفد على عبد الله بن الزبير بمكة، واستمنحه العطاء، فلم يعطه، فانصرف من عنده يهجو، قال:

أَقُولُ لِغُلَامَتِي شُدُّوا رِكَابِي

أَجَاوِزُ بَطْنِ مَكَّةَ فِي سَوَادٍ

فَمَالِي حِينَ أَقْطَعُ ذَاتَ عِرْقٍ

إِلَى ابْنِ الْكَاهِلِيَّةِ مِنْ مَعَادٍ

شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنْ نَقَبْتُ قُلُوبِي

فَرَدَّ جَوَابَ مَشْدُودِ الصَّفَادِ^(٢)

وولّى ابن الزبير عبد الله بن مطيع بن الأسود على الكوفة، فذهب ابن مطيع إليها، ودعا الناس إلى مبايعة أمير المؤمنين، دون أن يسميه. فلما ظهر المختار بالكوفة طرد ابن مطيع عنها، فاغتتم فضالة الفرصة وهجا ابن مطيع، ووصفه بأنه من رعاة قومه، خشن الكف، ليس من الأشراف ذوي الأيدي الناعمة اللطيفة، الذين يصلحون للخلافة والإمارة، وصرح بولائه لأهل الشام من الأمويين، فقال:

(١) المصدر السابق: م (٢٨١).

(٢) القسم الثاني: ق (٢١٢).

دَعَا ابْنُ مُطِيعٍ لِلْيَاسَعِ فَجِثُّهُ
إِلَى يَنْعَةٍ قَلْبِي بِهَا غَيْرُ عَارِفٍ
فَقَرَّبَ خَشْنَاءَ لَمَّا لَمَسَتْهَا
بِكَفِّي لَمْ تُشْبِهْ أَكْفَ الْخَلَافِ
مِنَ الشَّيْثَاتِ الْكُزْمِ أَنْكَرْتُ لَمْسَهَا
وَلَيْسَتْ مِنَ الْبَيْضِ السُّبَاطِ اللَّطَائِفِ
مَتَى تَلْقَ أَهْلَ الشَّامِ فِي الْخَيْلِ تَلْقَنِي
عَلَى مُقَرَّبٍ لَا يُزْدَهِي بِالْمَجَازِفِ^(١)

ونجد في الشعر الأسدي بعض الهجاء الذي لا يدرج في الهجاء السياسي، وإن كان غير بعيد عنه، ومن ذلك هجاء فضالة عاصم بن عمر بن الخطاب، فقد مرّ فضالة بعاصم، وهو متبدلٌ بناحية المدينة، فلم يقره شيئاً، ولم يبعث إليه ولا إلى أصحابه بشيء، فارتحل عنه، وقال لمولى عاصم: قل له أما والله لأطوقنك طوقاً لا يلى. وقال يهجو:

أَلَا أَيُّهَا الْبَاغِي الْقِرَى لَسْتُ وَاجِداً
قِرَاكَ إِذَا مَابَتْ فِي دَارِ عَاصِمٍ

^(١) المصدر السابق: م(٢١٧). والشثن: الغليظ الخشن. والكُزْم: القصيرة الأصابع. والسبطة: السخية السمحة. والمقرب: الفرس التي تُقرب. ويزدهى: يستخف. والمجازف: السياط.

إِذَا جِئْتُهُ تَبْغِي الْقَرَى بَاتَ نَائِمًا
 بَطِينًا وَأَمْسَى ضَيْفُهُ غَيْرَ نَائِمٍ
 فَتَى مِنْ قُرَيْشٍ لَا يَحُودُ بِنَائِلٍ
 وَيَحْسَبُ أَنَّ الْبُخْلَ ضَرْبَةٌ لَزِمَ

فلما بلغت الأبيات عاصماً استعدى عليه أمير المدينة سعيد بن العاص،
 فهرب فضالة إلى الشام وعاذ يزيد بن معاوية، فشفع له عند عاصم.^(١)
 وبعيداً عن الهجاء السياسي ثمة هجاء قبلي قليل، ذلك أن أحداثاً قبلية
 جرت في الإسلام كتلك الأحداث التي عرفتھا القبائل في جاهليتها، ففي زمن
 عثمان بن عفان قتل زُمَيْل بن أُبَيْرِ الْفَزَارِي سَالم بن دَارَة أحد بني عبد الله بن
 غطفان، لأن سَالمًا أكثر من هجاء زُمَيْل وأمه أم دِينَار.^(٢) وكان بين أسد وابن
 دَارَة تهاج، ولا يخفى أن فزارَة كانوا حلفاء بني أسد في الجاهلية، لذلك سُرَّ
 الكميّ بن ثعلبة بقتل زُمَيْل سَالمًا، وقال قصيدة عيّر فيها بني عبد الله بن
 غطفان، وهجاهم، وفخر بفزارَة وبما فعله الفزاري، فقال يخاطب غطفان:

فَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِ
 سُحَيْمًا وَأَبْلَغْ بَاعِثًا وَالْمَرْقَعَا
 خُذُوا الْعَقْلَ إِنْ أَعْطَاكُمُ الْعَقْلَ قَوْمُكُمْ
 وَكُونُوا كَمَنْ سِيمِ الْهَوَانِ فَأَرْتَعَا

(١) الأغاني ١٢: ٧٣-٧٤. وانظر الأبيات في القسم الثاني: م (٢١٨).

(٢) انظر أسماء المغتالين: ١٥٦-١٥٧.

وَلَا تُكْثِرُوا فِيهَا الضُّجَاجَ فَإِنَّهُ
 مَحَا السَّيْفُ مَا قَالَ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعَا
 وَأَقْبَلَ أَقْوَامَ بِحُرٍّ وَجُوهِهِمْ
 وَأَذْبَرَ أَقْوَامَ بِلَطْمَةٍ أَسْفَعَا^(١)

وبذلك نجد أن الهجاء السياسي غلب على الهجاء في الشعر الأسدي، بسبب الصراع السياسي الدائر في الحياة العربية وقتذاك، غير أن الهجاء القبلي لم يختف تماماً، فنار العصبية القبلية لم تنطفئ في صدر الإسلام، وإذا فترت إلى حين فقد عادت جذعة في العصر الأموي.

المديح:

المديح والهجاء وجهان لقضية واحدة في الشعر الأسدي الإسلامي، لذلك نجد تلازماً بين المديح والهجاء في القصيدة أو المقطعة، لأن كلا الغرضين صادر عن موقف سياسي واحد، ولعل أول مديح وهجاء نقف عليه في أشعار المخضرمين الأسديين ثلاثة أبيات في التحكيم بين علي (كرم الله وجهه) ومعاوية يوم صفين، قالها خُرَيم بن فاتك والد أيمن وقد أشاد فيها بخصال عبد الله بن عباس، وذمَّ أبا موسى الأشعري، فوصفه بضعف الحيلة وقلة الدهاء، فقال:

لَوْ كَانَ لِلْقَوْمِ رَأْيٌ يَرْشُدُونَ بِهِ
 أَهْلَ الْعِرَاقِ رَمَوْكُمْ بِابْنِ عَبَّاسٍ

^(١) القسم الثاني: ق (٣٠٤)، الأبيات (٩-١٢).

لَهُ دَرُّ أَيِّهِ أَثَمًا رَجُلٍ
مَا مِثْلُهُ فِي فَصَالِ الْقَوْلِ فِي النَّاسِ

لَكِنْ رَمَوْكُمْ بِشَيْخٍ مِنْ ذَوِي يَمَنِ
لَمْ يَذِرْ مَا ضَرَبُ أَحْمَاسٍ لِأَسَدَاسٍ^(١)

ولما هجا فضالة بن شريك عبد الله بن الزبير فاضل بينه وبين الأمويين،
وانعطف من هجاء ابن الزبير إلى مديح بني أمية، فوصفهم بالسيادة والشجاعة
والكرم، وأوضح حبه لهم، فقلبه لا يهفو إلى البيت الحرام إذا لم يكن الأمويون
فيه، قال:

أَرَى الْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي حُنَيْبٍ
نَكِذْنَ وَلَا أُمَيَّةَ بِالْبِلَادِ
فَإِنْ وَلَيْتُ أُمَيَّةً أَبْدَلْتُكُمْ
بِكُلِّ سَمِيدٍ وَارِي الزُّنَادِ
مِنَ الْأَعْيَاصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ
أَغْرُ كُفْرَةَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ
إِذَا لَمْ أَلْقَهُمْ بِمَنْىَ فَلَمَّانِي
بَيْتٍ لَا يَهْشُ لَهُ فُؤَادِي

^(١) القسم الثاني: م (٣٣١).

سَيُذْنِنِي لَهُمْ نَصُّ الْمَطَايَا

وَتَغْلِيْقُ الْأَدَاوَى وَالْمَزَادِ^(١)

ولم يقتصر المديح الأسدي على المديح السياسي لأولي الأمر والنفوذ في الدولة الإسلامية، وإنما نجد، على قلة، مديحاً قليلاً إذا جاز التعبير، إذ نقف في قصيدة الكميت بن ثعلبة التي هجا بها بني عبد الله بن غطفان على مديح لفزارة ولزُميل الفزاري أشبه بمن يفخر بقومه وقبيله، وكأن الكميت مازال يرى في فزارة حليفاً لأسد على الرغم من أن الإسلام أبطل ما كان في الجاهلية من عصبيات وأحلاف قبلية، قال:

مَنْ مَبْلَغٌ عَلِيًّا مَعْدٍ وَطِيئاً

وَكَئِدَةٌ مَنْ أَصْغَى لَهَا وَتَسَمَّعَا

يَمَانِيَهُمْ مَنْ حَلَّ نَجْرَانَ مِنْهُمْ

وَمَنْ حَلَّ أَطْرَافَ الْغَطَاطِ فَلَعَلَعَا

أَلَمْ يَأْتِيَهُمْ أَنَّ الْفَزَارِيَّ قَدْ أَبَى

وَأِنْ ظَلَمُوهُ أَنْ يُتَلَّ فَيُصْرَعَا

شَرَى نَفْسَهُ مَجْدَ الْحَيَاةِ بِضَرْبَةٍ

لِيَرْحَضَ خِزْيَاً أَوْ لِيَطْلُعَ مَطْلَعَا

(١) المصدر السابق: ق (٢١٢).

فَإِنْ مَاتَ زِمْلٌ فَلِإِلَهِ حَسْبِيهِ

وَإِنْ عَاشَ زِمْلٌ فَاسْقِيَاهُ الْمَشْعَشَعَا^(١)

ولعلنا لا نلاحظ أية تأثيرات إسلامية في شعر المديح الأسدي، وإنما هو مديح جاهلي في معناه ومبناه يعتمد اعتماداً تاماً على القيم والأعراف الجاهلية.

الرثاء:

لانتقف في الشعر الأسدي الإسلامي إلا على مقطعتين صغيرتين في الرثاء، الأولى يمكن إدراجها في الشعر السياسي، إذ رثى فيها فضالة يزيد بن معاوية، أما الثانية ففي رثاء أم لولدها، إذ رثت فيها سعدة أم الكميث ولدها. وصور فضالة في رثائه يزيد عويل هند ورملة ابنتي معاوية، وشدة حزنهما على أخيهما يزيد، فقال:

وَإِنَّكَ لَوُ شَهِدْتَ بُكَاءَ هِنْدٍ

وَرَمْلَةَ إِذْ تَصْكُكُ إِنْ الْخُدُودَا

رَمِمْتَ بِكُلِّ مُعْوَلَةٍ تَكُولِ

أَبَانَ الدَّهْرُ وَاحِدَهَا الْفَقِيدَا

رَمَى الْحَدَثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ

بِفَقْدَانِ سَمْدَنْ لَهُ سُؤْدَا

(١) المصدر نفسه: ق (٣٠٤).

فَرَدَّ شُبْعُورُهُنَّ السُّودَ بِيضاً

وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سُوداً^(١)

ولم يذكر فضالة في رثائه أية مناقب أو فضائل اتصف بها يزيد. أما سعدة فذكرت في رثائها ولدها الفضائل الكريمة التي ضمها قبر الكمية بأكناف طُورَى، وصورت شدة همها وحزنها ووسواس صدرها وتحديثها نفسها، فقالت:

لَأُمِّ الْبِلَادِ الْوَيْلُ مَاذَا تَضَمَّنَتْ

بِأَكْنَافِ طُورَى مِنْ عَفَافٍ وَنَائِلِ

يُعْزِي الْمَعْزِي عَنْ كُمَيْتٍ فَتَنْتَهِي

مَقَالَتُهُ وَالصَّدْرُ جَمُّ الْبَلَابِلِ^(٢)

عتاب الأهل والأقارب:

وجدنا في الشعر الأسدي الجاهلي أشعاراً غير قليلة في عتاب الأهل، كعتاب الزوج والأخوة وأبناء العم والعشيرة، وكان بعضه عتاباً رقيقاً ينبئ عن موحدة في النفس، وبعضه عتاباً مرأً شديداً يقترب من الهجاء، وينبئ عن عداوة وضغن بين الشاعر ومن يعاتبهم من الأهل والعشيرة. وامتد هذا الغرض الشعري إلى أشعارهم في الإسلام فوجدنا قدراً غير قليل منه في شعرهم الإسلامي. ولعل أول ألوان هذا العتاب عتاب الشاعر زوجته، ولعمرو بن شأس في

(١) القسم الثاني: م (٢١٤).

(٢) المصدر نفسه: م (٣١٩).

ذلك شعر شائع، تردّد في كثير من كتب الأدب، إذ كان لعمر و زوج يؤثرها
ويحبها، تكنى أم حسان، إلا أنها كانت تبغض عراراً ولد عمرو لأمة سوداء،
فتؤذيه وتشتمه، فعاتبها عمرو في ذلك وجهد في أن يصلح بينها وبين ولده،
وتهدها بالفراق والطلاق إن لم تصلح أمرها وتحسن معاملته، فقال:

أَلَمْ يَأْتِهَا أَنِّي صَحَوْتُ وَأَنْنِي
تَحَلَّمْتُ حَتَّى مَأْعَارِمُ مَنْ عَرَمُ
أَرَادَتْ عِرَاراً بِالْهَوَانِ وَمَنْ يُرِدُ
عِرَاراً لَعْنَرِي بِالْهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمُ
فَإِنَّ عِرَاراً إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ
فَلِإِنِّي أُحِبُّ الْجَوْنَ ذَا الْمَنْكِبِ الْعَمَمِ
وَإِنَّ عِرَاراً إِنْ يَكُنْ ذَا شَكِيمَةٍ

تَقَاسِيْنَهَا مِنْهُ فَمَا أَمْلِكُ الشَّيْمِ^(١)

وإذا كنا نجد رقة في عتاب عمرو أم حسان ورغبة صادقة في إصلاح الأمر
بينها وبين ابنه، فإن قرآن بن يسار عاتب زوجه بالسيف حين وجد قوماً من
أبناء عمها يتحدثون إليها، إذ عقرها، وقال:

قُلْتُ لَهُمْ بَغُّوا لِلَّيْلِ عُصِيَّةً
تَقُومُ عَلَيْهَا أَوْ قَنَاءَ مِنَ السُّدْرِ

(١) شعر عمرو: ٦٩-٧١. وذكر ابن الأعرابي أن هذه القصيدة قيلت في الإسلام.

وَفَارَقْتُ لَيْلَى عَنْ قَلْبِي وَتَرَكْتُهَا

كَمَا سَاءَ لَيْلَى مِنْ كَسَادٍ وَمِنْ عَقْرِ^(١)

ولقرآن عتاب شديد في ابن عم له كان يعين عليه ويستجلب له العداوة والأذى، ثم يظهر المودة فيسأله عن حاله، وكأنه لم يسع في جلب الشر والضرر إليه، قال قرآن:

جَزَى اللَّهُ عَنَّا مُرَّةَ الْيَوْمِ مَا جَزَى

شِرَارَ الْمَوَالِي حِينَ يَجْزِي الْمَوَالِيَا

وَيَسْأَلُنِي أَنْ كَيْفَ حَالِي بَعْدَهُ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ سَاءَهُ الدَّهْرُ حَالِيَا

فَحَالِي أَنِّي قَدْ حَلَلْتُ بِلَدَةٍ

أَصَبْتُ بِهَا دَاراً لِأَهْلِي وَمَالِيَا

وَحَالِي أَنِّي سَوْفَ أُهْدِي لَهُ الْخَنَّا

وَأَمْشِي لَهُ الْمَشْيَ الَّذِي قَدْ مَشَى لِيَا^(٢)

وصف الشيب والهرم:

يطالعنا في أشعار الأسدين الحديث عن الهرم والشيب، فالشعراء المعمرّون من المخضرمين الأسدين وصفوا لنا ما عاينوه وجربوه من كبر وهرم وسقم

(١) القسم الثاني: م(٣١٢). وفي البيت الأول خرم.

(٢) المصدر السابق: م(٣١٤).

وارتعاش أطراف، وصوروا مشاعر الإنسان في خريف العمر، وكان أبو السَّمَّال سمعان بن هبيرة من هؤلاء المعمرين الذين عاشوا طويلاً في الجاهلية والإسلام، حتى بلغ أرذل العمر، فوصف ذلك في قصيدة رائية، صور فيها سخرية النساء من شببته، وترحمه على نفسه، وطول جلوسه في فناء الدار بعد أن اُحدودب الظهر وصلع الرأس، وعقد مقارنة بين طموح الشباب إلى المجد وبين ضعف الشيوخ، فقال:

فَكَمْ مِنْ صَاحِبِ عَاشٍ دَهْرًا بِنِعْمَةٍ
فَحَلَّ بِهِ يَوْمٌ أَغْرُ مُشَهَّرُ
فَصَارَ لَقَى فِي الْبَيْتِ لَا يَبْرَحُ الْفِنَا
رَذِيًّا عَلَيْهِ كَأَبَةٍ وَتَوَقَّرُ
وَقَدْ كَانَ مِدْلَاجًا إِلَى الْمَجْدِ مُتَعِبًا
إِلَيْهِ الْمَطَايَا عُمُرُهُ، لَيْسَ يَفْتَرُ
فَلَمَّا تَرَامَتْهُ الْمَنَائِيَا وَرِيَّهَا
تَقَوَّسَ مِنْهُ الظُّهْرُ فَالْخَطُوءُ مُقْصَرُ^(١)
وعمرُ ثوب بن تُلْدَة، فرأى أن الإنسان إذا عاش أكثر من مائتي عام فإنه يصبح رهناً لأحداث المنايا وتلهيه عن الموت الأمانى الكواذب! قال:

(١) القسم الثاني: ق(٢٧٦)، الأبيات (٤-٧).

وإِنَّ أَمْرًا قَدْ عَاشَ عِشْرِينَ حِجَّةً

إِلَى مِائَتَيْنِ، كُلُّهَا، هُوَ دَائِبٌ

لَرَهْنٍ لَأَخْدَاتِ الْمَنَائِمَا وَإِنَّمَا

يُلْهِمُهُ فِي الدُّنْيَا مَنَاهُ الْكَوَاذِبُ^(١)

وندم عمرو بن شأس على الشباب الفاتت، ووصف نفسه، وأهله حوله،

وهو شيخ أصم لا يسمع عذل العاذلات، فقال:

فَوَا نَدَمِي عَلَى الشَّبَابِ وَوَأَنْدَمُ

نَدِمْتُ وَبَانَ الْيَوْمَ مِنِّي بَغِيرُ ذَمِّ

وَإِذْ أَخَوْتَنِي حَوْلِي وَإِذْ أَنَا شَائِخٌ

وَإِذْ لَا أُجِيبُ الْعَاذِلَاتِ مِنَ الصَّمَمِ^(٢)

تلك أبرز الموضوعات التي طرقها الشعراء الأسديون في الإسلام، ونلاحظ أن وصف الحيوان ولا سيما الناقة والفرس اللذين يشغلان حيزاً واسعاً في الشعر الأسدي الجاهلي قد انحسر الحديث عنهما إلى حد كبير حتى كاد يختفي، فنحن لا نقف إلا على أبيات معدودة في وصف هذين الحيوانين، غير جديرة بأن نفرد لها حديثاً، كما اختفت مشاهد الصيد والقنص ووصف الحيوانات الوحشية في الصحراء ونذر حديث الرحلة والظعن، ولعل ذلك يعود إلى سببين، أولهما

(١) المصدر نفسه: م (٣٣٥).

(٢) شعر عمرو: ١٠٢.

انتقال كثير من الشعراء من البادية إلى الكوفة، وثانيهما أن القصيدة الإسلامية تخلصت من المطالع التقليدية، إذ راح الشعراء يطرقون أغراضهم الشعرية دون مقدمات، كما سنتبين في الحديث عن الخصائص اللفظية.

أما الموضوعات القبلية كالفرح والهجاء والمديح ففقدت هويتها القبلية أو كادت، واتخذت هوية سياسية لسبيين؛ أولهما أن الدين الجديد حرّم العصبية القبلية، وانتقل بالعرب من ضيق الأفق القبلي إلى رحابة الإسلام، وثانيهما أن الفتن والصراعات السياسية في أواخر العصر الراشدي وماتلاه شغلت الشعراء فأدلوها بدلائهم فيها.

ثانياً- الخصائص المعنوية:

هل كان لهذا الجديد الذي طرأ على موضوعات الشعر الأسدي في الإسلام أثر في ظهور سمات وملامح جديدة في خصائص هذا الشعر المعنوية واللفظية؟
كنا قد رأينا أن الشعر الأسدي الجاهلي شعر خالص البداوة، استمد من البيئة الرعوية النجدية معانيه وصوره، وكان صورة صادقة عن حياة الأعراب في مرابع نجد. غير أن ظهور الإسلام في الجزيرة العربية بما حمله إلى العرب من نظرة جديدة إلى الإنسان والحياة، وما دعا إليه من قيم ومثل وأفكار، وحمود العصبية القبلية، وانطلاق العرب أمة واحدة إلى الفتح والجهاد، ثم استقرار كثير من الأعراب في الأمصار، هذه العوامل مجتمعة أدت إلى ظهور معان وصور جديدة في الشعر إلى جانب الصور والمعاني القديمة.

ولعل سطوة الموروث الشعري الجاهلي كانت قوية تركت أثرها العميق في الشعر الإسلامي، ولا سيما البدوي منه، والشعر الأسدي شعر بدوي، لذلك نجد الشعراء الأسديين استمدوا كثيراً من معانيهم وأخيلتهم من البيئة النجدية.

والناقة عماد الحياة البدوية، وهي أقرب الحيوانات إلى الأسد، لذلك كان نصيبها وافرًا من المعاني والصور والأخيلة في الشعر الأسدي الجاهلي، وظل لها تأثير غير قليل في شعرهم الإسلامي، فالشاعر الأسدي يرى مشهد القتل واسته تقطر، فيشبهه بولد الناقة إذا ألقى ما في بطنه، قال عقيبة:

خَرَّ صَرِيْعًا فَاغِرًا تَمْضُلُ اسْتُهُ

بَحَيْثُ التَّقِيْنَا كَالْحَوَارِ الْمُخَزَّقِ^(١)

وبنو أسد في القادسية يوم أرمات يحوزون الفرس ويدفعونهم عن المسلمين كما تحاز الإبل وتساق، قال عمرو بن شأس:

عَشِيَّةَ أَرْمَاتٍ وَنَحْنُ نَذُوذُهُمْ

ذِيَادَ الْهَوَافِي عَنْ مَشَارِبِهَا عَكَلًا^(٢)

والزواج من نساء ليست كرائم كاتخاذ الرجل إبلاً مهازيل، قالت أم الكميث لولدها، لما تزوج من امرأة على مراغمة من أمه:

عَلَيْكَ بِأَنْقَاضِ الْعِرَاقِ فَقَدْ عَلَتْ

عَلَيْكَ بِتَخْدِينِ النِّسَاءِ الْكَرَائِمِ^(٣)

واستمد عمرو بن شأس من مشهد الراكب الذي يسوق إبله بسرعة ليرد

(١) القسم الثاني: م(٢٨٤). والمخزَّق: الذي ألقى ما في بطنه.

(٢) شعر عمرو: ٨٨.

(٣) القسم الثاني: م(٣٢٠). وتخدِين النساء: اتخاذهن أخداماً، أي أصحاباً.

الماء بعد خمسة أيام من عطشها صورة زوجه وهي تسير إلى قومها، وقد طلب منها أن تفارقه، فقال:

وإِلَّا فَسِيرِي مِنْ لَ مَاسَارَ رَاكِبٌ

تَيَّمَمَ خِمْسًا لَيْسَ فِي سَيْرِهِ يَتَمُّ^(١)

والبدوي إذا أراد سقاية إبله وقصر حبله عقده بحبل جاره فسقى إبله، حتى صار عقد الحبل كناية عن الحلف والحوار، قال أبو أحمد يذكر أبا سفيان حلف بني جحش في بني أمية:

وَعَقَّدْتُ حَبْلِي فِي حَبَالِكُمْ

عِنْدَ الْجَمَارِ عَشِيَّةَ النَّخْرِ^(٢)

واستمد الشاعر الأسدي بعض معانيه من صورة الفرس ذلك الحيوان الجميل العزيز على نفس العربي، فبنو أمية مشهورون معروفون في العرب كالغرة البيضاء في جبهة الفرس، قال فضالة:

مِنْ الْأَغْيَاصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ

أَغْرُ كُفْرَةَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ^(٣)

كما متع الشاعر الأسدي كثيراً من معانيه وأخيلته من مشاهد الحيوانات الوحشية، ولعل الشعراء كلهم شبهوا النساء ببقر الوحش، ومنهم فضالة، قال:

(١) شعر عمرو: ٧٢.

(٢) القسم الثاني: م (٢٥٢).

(٣) القسم الثاني: ق (٢١٢)، البيت (٩).

أَنكَحْتُمُ يَأْنِي نَضْرِفَاتَكُمُ

وَجْهًا يَشِينُ وَجُوهَ الرَّبِّ الْعَيْنِ^(١)

كما شبه عوف بن عبد الله السبايا التي استلبها المسلمون يوم بُزاحة بقطيع من بقر الوحش، فقال:

يَوْمَ اخْتَلَسْنَا بِالرَّمَا حِ عَذَارِيَا

بِيضَ الْوُجُوهِ حَوَاسِرًا كَالرَّبْرِ^(٢)

ومن مشهد الذئب الذي يغادر فريسته شلواً استمد أبو السَّمَّال معناه في الذي يفعله الدهر بالإنسان، فقال:

فَذَلِكَ دَهْرٌ قَدْ مَضَى حُلُو عَيْشِهِ

وَعَادَرَنِي شِلْوًا لِي الذِّئْبُ يَكْشِرُ^(٣)

وشبه قرآن قريباً له يستجلب العداوة بكلب ينبع ليستجلب الكلاب، فقال:

إِذَا مَارَأَى مِنْ عَن يَمِينِي أَكْلِبًا

عَوَيْنَ عَوَى مُسْتَجْلِبًا عَن شِمَالِيَا^(٤)

أما عمرو بن شأس فشبه إطرافه متفكراً في الأمر بإطراقة الحية الذكر المتحفز، فقال:

^(١) المصدر السابق: م(٢٢٠). والربرب: القطيع من بقر الوحش.

^(٢) المصدر السابق: م(٣٤٤).

^(٣) المصدر السابق: ق(٢٧٦)، البيت (١٤).

^(٤) المصدر السابق: م(٣١٤).

وَأَطْرَقْتُ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى

مَسَاغَاً لِنَائِيهِ الشُّجَاعُ لَقَدْ أَزَمَ^(١)

واستعار عمرو بيته هذا من المتلمس البكري، فهو القائل:

وَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى

مَسَاغَاً لِنَائِيهِ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا^(٢)

ورأى المرزباني أن عمراً سرق البيت من المتلمس.^(٣) ورأى المظفر العلوي أن عمراً أخذ البيت بجملة وختمه بقافية مستكرهة بعد أن كان عذب القافية عند المتلمس.^(٤)

واستوحى أبو السّمّال من مشهد فرخ النسر الذي لا يهتدى إلى حاجته صورة الرجل وقد بلغ أرذل العمر فهو يهذي ولا يعرف ما يريد، فقال:

وَعَادَ كَفَرُخِ النَّسْرِ أَعْمَى عَنِ التِّي

يُرِيدُ، طَوَالَ الذَّهْرِ يَهْذِي وَيَهْدِرُ^(٥)

وأمدت مشاهد البادية في صيفها وشتائها ونجوم سمائها وداجن غيمها الشاعر الأسدي. معين من المعاني والأفكار، فقد راقب السماء فرأى أن

(١) شعر عمرو: ٧٠. والشجاع: الحية.

(٢) شعر المتلمس: ٣٤.

(٣) معجم الشعراء: ٢٣.

(٤) نضرة الإغريض: ٢١٤-٢١٥.

(٥) القسم الثاني: ق(٢٧٦)، البيت (٨).

الفرقدين نجمان لا يفترقان، فاستمد من ذلك حكمته بأن كلا متلازمين
سيفترقان يوماً إلا الفرقدين، قال حضرمي:

وَكُلُّ قَرِينَةٍ قُرْنَتْ بِأُخْرَى

وَلَوْ ضُنِّتْ بِهَا سَتُفَرِّقَانِ

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ

لَعُمُرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ^(١)

ورأى ضراراً الجيش الكثيف يطلع من بعيد تلفه الظلمة والغيرة، ويشق
ظلمته لمعان السيوف، فصوره سحاباً كثيفاً يتشقق بالبرق، وطلب من نفسه أن
تصير حتى تنجلي حقيقة حال هذا السحاب، فقال مخاطباً نفسه:

مَكَانَكَ حَتَّى تَنْظُرِي عَمَّ تَنْجَلِي

عَمَايَةَ هَذَا الْعَارِضِ الْمُتَأَلِّي^(٢)

وأعجب ابن الأثير بهذا البيت فأورده في كتابه المثل السائر.^(٣)

وكان لمعطيات الحياة في المجتمع البدوي أثر في نفوس الأسديين المخضرمين،
إذ أمدتهم بالصور والمعاني، فجسدوا معانيهم المجردة بمشاهد من الحياة البدوية،
فحسن الصحبة والمعشر كالسمن أصلحة له النّحي ودّهين، قال عمرو:

^(١) المصدر السابق: ق(٢٣٠)، البيتان (٦، ٧).

^(٢) المصدر السابق: م(٢٣٦).

^(٣) المثل السائر ١: ٣٨١.

فَلِنْ كُنْتَ مِنِّي أَوْ تُرِيدِينَ صُحْبَتِي

فَكُونِي لَهُ كَالسَّمْنِ رُبْتُ لَهُ الْأَدَمَ^(١)

والتلطف إلى ذي الضغن حتى تستلّ سخيمته وتصلح الأمر بينك وبينه
كرقع الأديم النغل، قال حضرمي:

حَيِّ ذَوِي الْأَضْغَانِ تَسْبِ عُقُولُهُمْ

تَحِيَّتُكَ الْحُسْنَى فَقَدْ يُرْقَعُ النَّغْلُ^(٢)

وأفاد الشعراء الإسلاميون كسابقهم الجاهليين من الأمثال الدائرة على
ألسنة الناس، فضمنوها أشعارهم أو ساقوا معانيها في هذه الأشعار، لتكون
أقرب إلى قلوب الناس وأكثر شيوعاً بينهم، وقد خاطب ضرار نفسه وقت
الشدة بمثل يقال للمدعور المرتاع، وهو «خَوْدَ رَأْلَهُ» فقال:

أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ خَوْدَ رَأْلَهَا

مَكَانَكَ لَمَّا تُشْفِقِي حِينَ مُشْفَقِ^(٣)

ومن أمثالهم «تقلدها طوق الحَمَامَةِ»^(٤) أي تقلدها تقلداً لازماً باقياً،
واستخدم أبو أحمد المثل في هجائه أبا سفيان، فقال له:

(١) شعر عمرو: ٧١.

(٢) القسم الثاني: م (٢٢٩).

(٣) المصدر السابق: م (٢٣٦). وانظر المستقصى ٢: ١٢٥، والمثل السائر ١: ٣٨١.

(٤) المستقصى ٢: ٣٠.

إِذْهَبْ بِهَا إِذْهَبْ بِهَا

طُوقَتْهَا طُوقَ الْحَمَامَةِ^(١)

وذكر السهيلي أن قول أبي أحمد «منتزع من قول النبي (ﷺ): (مَنْ غَصَبَ شَيْراً مِنْ أَرْضِ طُوقَهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعَ أَرْضِينَ)».^(٢) كما أفاد من هذا المثل فضالة، فقال في هجاء عاصم بن عمر بن الخطاب:

وَلَوْلَا يَدُ الْفَارُوقِ قَلَدْتُ عَاصِماً

مُطَوَّقَةً يُحْدَى بِهَا فِي الْمَوَاسِمِ^(٣)

وتجدر الإشارة إلى أن هذا المثل ورد في الموروث الشعري الأسدي، إذ استخدمه بشر بن أبي خازم من قبل.^(٤)

وتضرب العرب المثل بجن المنزوف، فيقولون: «أَجَبْنُ مِنَ الْمَنْزُوفِ ضَرْطاً».^(٥) ويرون أن المنزوف دابة بين الكلب والذئب تكون بالبادية، إذا صبح بها لم تزل تضرب حتى تموت.^(٦) وأفاد عقيبة من المثل في هجائه عمرو بن قيس الأسدي، فقال:

(١) القسم الثاني: ق (٢٥٣)، البيت (٧).

(٢) الروض الأنف ٢: ٢٤٩.

(٣) القسم الثاني: م (٢١٨).

(٤) انظر ديوان بشر: ٨٩.

(٥) مجمع الأمثال ١: ١٨٠.

(٦) اللسان (نزف).

تَرَاهُ عَظِيمًا ذَا رُؤَاٍ وَمَنْظَرٍ

وَأَجَبَنَ مِنْ مَنزُوفٍ أَنْ صَاحَ نَاعِبٌ^(١)

وكان الجاهليون يكتنون عن الفضائح والمخازي «بقلائد بوزع» وبوزع امرأة من ذوات الرايات، وهي أول امرأة نصبت راية في بني مُسْلِيَّة، لذلك ضربت بها العرب المثل في الخزي والعار،^(٢) وأفاد الكميث بن ثعلبة في هجائه غطفان من المثل، فقال:

أَبَتْ أُمُّ دِينَارٍ فَأَصْبَحَ فَرْجُهَا

حَصَانًا وَقُلْدَتْكُمْ قَلَادَ بَوَزَعَا^(٣)

وكذلك أفاد الكميث من المثل الذي يضرب بعزة عوف بن محَلَم الشيباني ومنعته، إذ تقول العرب: «لا حُرٌّ بوادي عوف»^(٤) فشبه الكميث فزارة بمنعتها وعزتها بعوف، فقال:

فَزَارَةُ عَوْفٍ لَا عَزِيْزَ بِأَرْضِهِ

وَيَمْنَعُ عَوْفٌ مَا أَرَادَ لِيَمْنَعَا^(٥)

(١) القسم الثاني: م(٢٧٨). وقوله: «ان»، وصل همزة القطع للضرورة.

(٢) انظر الخزائن ١١ : ٣٩١.

(٣) القسم الثاني: ق(٣٠٤)، البيت (٨).

(٤) مجمع الأمثال ٢ : ٢٣٦.

(٥) القسم الثاني: ق(٣٠٤)، البيت (١٤).

وتضرب العرب «ضرب الأحماس للأسداس» مثلاً للمماكرة والخداع،
واستخدم حريم بن فاتك المثل في وصفه أبا موسى الأشعري بقلة الدهاء والمكر،
إذ مكر به في التحكيم بين الإمام علي (كرم الله وجهه) ومعاوية، فقال:

لَكِنْ رَمَوْكُمْ بِشَيْخٍ مِنْ ذَوِي يَمَنِ

لَمْ يَذِرْ مَا ضَرَبُ أَحْمَاسٍ لِأَسْدَاسٍ^(١)

ومن أمثال العرب «ما جعل القوادِمَ كالخَوَافِي». ^(٢) وأفادت سعدة أم
الكميت من هذا المثل في عتابها ولدها، فقالت:

لَعَمْرِي لَقَدْ رَأَيْتُ ابْنَ سُعْدَةَ نَفْسَهُ

بِرِيشِ الذُّنَابِيِّ لَا بِرِيشِ الْقَوَادِمِ^(٣)

واستمد الشعراء الأسديون بعض معانيهم من البيئة الحضرية أو الزراعية،
ومن هذه المعاني ماهو متداول في الشعر الجاهلي البدوي كتشبيه الناقة والفرس
ببناء الرومي أو العبادي، قال فضالة يصف فرسه:

مُمَرٌّ كَبْنِيَّانِ الْعِبَادِيِّ مُخْطَفٍ

مِنْ الضَّارِيَاتِ بِالدِّمَاءِ الْخَوَاطِفِ^(٤)

كما شبه وركي ناقته بالنارات المرتفعة على أعمدة، فقال:

^(١) القسم الثاني: م (٣٣١).

^(٢) اللسان (قدم).

^(٣) القسم الثاني: م (٣٢٠).

^(٤) القسم الثاني: م (٢١٧). وممر: موثق الخلق. والخطف: الضم.

كَأَنَّ مَوَاقِعَ الْغُرَبَانِ مِنْهَا

مَنَارَاتُ يُنِينَ عَلَى عِمَادٍ^(١)

ولعل بعض هذه الصور مستمد من مشاهد رآها الشاعر في تلك البيئة، ويبدو أن عمرو بن شأس شاهد طريقة استخراج الملح، فشبه الثلج في الديار بمنائر الملح، فقال:

إِذَا الثَّلَجُ أَضْحَى فِي الدِّيَارِ كَأَنَّهُ

مَنَائِرُ مِلْحٍ فِي السُّهُولِ وَفِي الْأَكْمِ^(٢)

أما عقبة الذي سكن الكوفة، وزر بن حبيش الذي أقام في المدينة، فقد استمدا بعض معانيهما من مشاهد الزرع والحصاد، فشبه عقبة حيازة الأمويين الأرزاق والمغائم دون سائر المسلمين بحصادهم الأرض، فقال:

أَكَلْتُمُ أَرْضَنَا فَجَرَدْتُمُوَهَا

فَهَلْ مِنْ قَائِمٍ أَوْ مِنْ حَصِيدٍ^(٣)

وشبه زرّ الرجال إذا كبرت وشاخت بالزروع التي دنا حصادها، فقال:

إِذَا الرُّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادُهَا

وَارْتَعَشَتْ مِنْ كِبَرٍ أَكْبَادُهَا

(١) المصدر السابق: ق (٢١٢)، البيت (١٥).

(٢) شعر عمرو: ٦٨.

(٣) القسم الثاني: م (٢٨٠).

وَجَعَلْتُ أَسْقَامَهَا تَعْتَادَهَا

تِلْكَ زُرُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا^(١)

واعتمد الشعراء الأسديون في بعض معانيهم على التراث الشعري للقبائل الأخرى، فأخذوا عنهم بعض تلك المعاني فضرار استمد معناه من الممزق العبدى في قوله:

أَرِقْتُ بِيَا نَقِيًّا وَمَنْ يَلْقَ مِثْلَ مَا

لَقِيتُ بِيَانَقِيًّا مِنَ الْجَرْحِ يَأْرِقُ^(٢)

وذلك قول الممزق:

أَرِقْتُ فَلَمْ تَخْدَعْ بِعَيْنِي وَسُنَّةٌ

وَمَنْ يَلْقَ مَا لَقِيتُ لَا بُدَّ يَأْرِقُ^(٣)

وأخذ قرآن عن قيس بن الخطيم الأوسي معنى قوله:

تَزُورُونَهَا وَلَا أَزُورُ نِسَاءَكُمْ

أَلْهَفْ لِأَوْلَادِ الْإِمَاءِ الْحَوَاطِبِ^(٤)

وذلك قول قيس:

(١) المصدر نفسه: م (٣٥٥).

(٢) المصدر نفسه: م (٢٣٦).

(٣) اللسان (حدع).

(٤) القسم الثاني: م (٣١١).

أَصَابَتْ سَرَآةً مِ الْأَغَرِّ سُيُوفُنَا

وَعُودِرَ أَوْلَادُ الْإِمَاءِ الْحَوَاطِبِ^(١)

وأخذ عمرو بن شأس عن زيد الخيل الطائي معنى قوله في القادسية:

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَكْنَافِ نَيْقٍ

إِلَى كِسْرَى فَوَافَقَهَا رِعَالَا^(٢)

وذلك قول زيد الخيل:

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَجَاٍ وَسَلَمَى

تَخُبُّ عَوَاسَاً خَبَبَ الذِّئَابِ^(٣)

وإذا كان الشعراء الأسديون في الإسلام استوحوا كثيراً من معانيهم من البيئة البدوية بنجد، كما استوحوا بعض معانيهم من بيئات زراعية أو حضرارية، واعتمدوا على الموروث الثقافي من الأمثال والأشعار، فإن إسلافهم الجاهليين فعلوا ذلك من قبل، أفيعني هذا أن شعرهم الإسلامي لا يحمل جديداً في معانيه؟ لعل من المغالطة القول إن الإسلام غيّر نفوس الأعراب تغييراً كبيراً، وهذا شاعرنا الأسدي يقول في الإسلام:

(١) ديوان قيس: ٤٤.

(٢) شعر عمرو: ٨٦.

(٣) شعراء إسلاميون: ١٥٥.

وإنَّ التِّي حُدَّتْهَا فِي أُتُونَا

وَأَعْنَاقَنَا مِنَ الْإِبَاءِ كَمَا هِيَ^(١)

ومن مجافاة الحقيقة أيضاً القول إن الإسلام لم يترك أثراً في نفوس الأعراب ووجدانهم، ومن ثم في أشعارهم، ومرّ معنا من قبل صفحات في الدفاع عن الإسلام وعقيدته لشعراء أسديين مجاهدين. فالشعر الذي حمل الخصائص القديمة، حمل في الوقت نفسه خصائص جديدة، ورحنا نرى إلى جانب التقليدي من المعاني معاني مستمدة من روح الإسلام وعقيدته، ولا سيما في أشعار الأسديين الذين صحبوا النبي (ﷺ) أو شهدوا حروب الردّة في جيش المسلمين، وكذلك في بعض أشعار الأسديين التي قيلت في الفتوح. فالمعاني الإسلامية تبدو قوية واضحة في شعر أبي أحمد، على نحو يدل على أنه تدبّر الإسلام وتشرب وجدانه تعاليمه، فهو يرى أن المؤمن الذي يتجه بوجهه وقلبه إلى الله ورسوله لا يخيبه الله، قال:

إلى الله وجهي والرّسولِ ومن يُتِمِّمِ

إلى الله وجهه لا يُخَيِّبُ^(٢)

وأبو أحمد لا يعير كفار قريش مثالبهم، ولا يطعن في أحسابهم، ولا يعرّهم من مفاخر الجاهلية ومآثرها، فهو لا يستمد من القيم الجاهلية معانيه وقيمه، وإنما يستوحي المعاني والقيم التي جاء بها القرآن الكريم والرسول (ﷺ)، ففي دفاعه

^(١) القسم الثاني: م (٣٣٧).

^(٢) المصدر السابق: ق (٢٥٠)، البيت (٤).

عن المسلمين وهجائه كفار قريش بين أنهما فريقان، فريق أضلّه إبليس فطغى
وخاب وخيب، وفريق هداه الله إلى الحق، وراع إلى قول النبي فطاب وطيب،
قال:

وَكُنَّا وَأَصْحَابُ لَنَّا فَارْقُوا الْهُدَى
أَعَانُوا عَلَيْنَا بِالسَّالَاحِ وَأَجْلَبُوا
كَفَوَجَيْنِ: أَمَّا مِنْهُمَا فَمُوقِفٌ
عَلَى الْحَقِّ مَهْدِيٌّ، وَفَوْجٌ مُعَذِّبٌ
طَغَوْا وَتَمَنَّوْا كِذْبَةً وَأَزَلُّهُمْ
عَنِ الْحَقِّ إِبْلِيسٌ فَخَابُوا وَخِيَّوْا
وَرُغْنَا إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
فَطَابَ وَلَاةُ الْحَقِّ مِنَّا وَطَيَّبُوا^(١)

كما نجد الأثر الإسلامي في المعاني التي يسوقها ضرار بن الأزور، فالجهاد
في سبيل الله غنيمة يغنمها المسلم، والله أعلم بعباده المجاهدين، قال:

أَجَاهِدْ إِذْ كَانَ الْجِهَادُ غَنِيمَةً
وَلِلَّهِ بِالْمَرْءِ الْمُجَاهِدِ أَغْلَمُ^(٢)

والشاعر الأسدي الذي يجاهد في سبيل الله يرى أن النصر من الله، قال:

(١) القسم الثاني: ق(٢٥٠)، الأبيات (١٠-١٣).

(٢) المصدر نفسه: ق(٢٣٩)، حاشية البيت (١٠).

نَقَاتِلُ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ

وَسَعَدَ بِيَابِ الْقَادِسِيَّةِ مُعْصِمٌ^(١)

وإذا كان النصر من الله فالهزيمة من الله أيضاً، قال الأباء بن قيس:

لَنْ يَهْزِمَ اللَّهُ قَوْمًا أَنْتَ قَائِدُهُمْ

يا ابن الوليد وَلَنْ يَسْعَى بِكَ الدُّبَرُ^(٢)

والمؤمن يقاتل بسوط الله، ومن يقاتل بسلاح الله فقد حقق أفضل شروط النصر على أعدائه، قال عبد الله بن وهب يوم حنين:

بَسَوطِ اللَّهِ نَضْرِبُ مَنْ لَقِينَا

كَأَفْضَلِ مَا رَأَيْتَ مِنَ الشُّرُوطِ^(٣)

وكما نجد المعاني الإسلامية الجديدة في الشعر الأسدي، نجد فيه القيم الجاهلية التي أبطلها الإسلام وحاربها، ففضالة بن شريك يرى في العمل عيباً لا يليق بأشراف القوم، والذين يصلحون للولاية والخلافة هم من أصحاب الأيدي الناعمة التي لم يَحْشَنَّا العمل، قال يهجو والي الكوفة لعبد الله بن الزبير:

فَقَرَّبَ لِي حَشَنَاءَ مَا لَمْ سُنَّهَا

بِكَفِّي لَمْ تُشَبِّهْ أَكْفَ الْخَلَائِفِ^(٤)

(١) المصدر نفسه: م (٣٦٧).

(٢) المصدر نفسه: م (٣٥٢).

(٣) القسم الثاني: م (٣٥٠).

(٤) المصدر نفسه: م (٢١٧).

وفضالة لا يميز بين الخلافة والملك، فيرى في القائم على أمور المسلمين ملكاً عليه أن يهب العطايا للشعراء والوافدين عليه من وجوه الناس، يوطد ملكه باستمالتهم، قال في هجاء عبد الله بن الزبير:

يَضْرِبُنْ بِنَاقَةٍ وَيَرُومُ مُلْكاً
مُحَالٌ ذَلِكُمْ غَيْرُ السَّدَادِ
وَلَيْتَ إِمَارَةً فَبَخِلْتَ لَهَا
وَلَيْتَهُمْ بِمُلْكٍ مُسْتَفَادٍ^(١)

ونخلص من هذا العرض إلى أن شعر الأسديين في صدر الإسلام كان امتداداً لشعرهم الجاهلي حافظ على تقاليده وطابعه البدوي، فاستمد شعراؤه معانيهم وأخيلتهم من بيئة نجد الرعوية ومن الموروث الثقافي الجاهلي، غير أن ثمة جديداً في هذا الشعر تجلّى في المعاني الإسلامية التي استمدتها الشعراء الأسديون من القيم والأفكار الجديدة التي أتى بها الدين الحنيف.

ثالثاً- الخصائص اللفظية واللغوية:

أ- خصائص بناء القصيدة:

يحتوي الشعر الأسدي الذي قيل في الإسلام على (٥٩) مقطعة دون سبعة أبيات، منها (٩) أبيات مفردة، وعلى (١٣) قصيدة، ليس فيها قصيدة طويلة، فجميعها قصائد دون (٢٠) بيتاً، منها (٩) قصائد دون عشرة أبيات. ولعل كثرة المقطعات وقصر القصائد يعود إلى سببين، أولهما الضياع الذي

(١) المصدر نفسه: ق(٢١٢)، البيتان (٥، ٦).

لحق بهذا الشعر، فبعض المقطعات أو الأبيات المفردات أجزاء من قصائد ضائعة،
فثمة بيت يقيم لعبد الرحمن بن الأزور ذكر ابن حجر أنه أول قصيدة،^(١) كما
ساق بيتاً آخر لزفر بن يزيد وذكر أنه من شعر له،^(٢) ويبدو واضحاً أن بعض
المقطعات مطالع لقصائد لم نقف عليها، كمقطعة طليحة التي أولها:

طَرَقْتُ سُلَيْمَى أَرْحُلَ الرُّكْبِ

أَنْى اهْتَدَيْتِ بِسَبَبِ سَهْبٍ^(٣)

وأما السبب الثاني فيعود إلى أن كثيراً من هذه المقطعات قيلت في حرب
المرتدين أو في القادسية وسواها من معارك الفتح الإسلامي، فالحماسة التي
تشتعل في نفوس الفرسان المجاهدين في ساحة الوغى تدفعهم إلى قول أبيات من
الشعر، وليسوا شعراء، ولا تقصيد القصائد صناعتهم، وأما الشعراء منهم
فالطعن والمجادة والكرّ والفرّ كانت تشغلهم عن تقصيد القصائد وتجويدها.

وإذا نظرنا في مطالع القصائد الإسلامية الأسدية وجدنا أن التصريح اقتصر على
قصيدة واحدة لعمر بن شأس وعلى مطلع أربعة أبيات لطليحة رجحنا أنها مطلع
قصيدة له، وعلى بيت لعبد الرحمن بن الأزور، وهو مطلع قصيدة لم نقف عليها،^(٤) أما
سائر القصائد والمقطعات فتحررت من التصريح، والتحرر من التصريح في المقطعات
والقصائد القصار ظاهرة شائعة في الشعر الجاهلي والإسلامي.

(١) الإصابة ٣: ٩٦. وانظر القسم الثاني: م (٣٦٠).

(٢) الإصابة ١: ٥٦١. وانظر القسم الثاني: م (٣٥٨).

(٣) القسم الثاني: م (٣٠٥).

(٤) انظر شعر عمرو: ٦٧، والقسم الثاني: م (٣٠٥)، م (٣٦٠).

كما نلاحظ أن هذه القصائد الإسلامية تحررت في معظمها من المقدمات
الطلبية والغزلية، فلا نجد فيها سوى ثلاث قصائد بدأت بمقدمة تقليدية، إذ بدأ
عمرو بن شأس قصيدته الإسلامية بالوقوف على الديار، فقال:

دِيَارَ ابْنَةِ السَّعْدِيِّ هِنْدٍ تَكَلِّمِي

بِدَافِعَةِ الْحَوَّامِ وَالسَّفْحِ مِنْ رَمَمٍ^(١)

وبدأ حضرمي إحدى قصائده بذكر الشيب، فقال:

أَلَا عَجِبْتُ عُمَيْرَةُ أُمِّسِ لِمَا

رَأَتْ شَيْبَ الذُّوَابَةِ قَدْ عَلَانِي^(٢)

وبدأ طليحة مقطعته التي أشرنا إليها سابقاً بذكر الطيف. أما سائر القصائد
فبدأت بالغرض الأساسي.

وظاهرتا التحرر من التصريح ومن المقدمات الغزلية والطلبية وجدناها في
الشعر الأسدي الجاهلي، وهي مسألة ذات علاقة بقوة الطبع والتجويد الفني،
لذلك رأينا أن التصريح والمقدمة الغزلية كادا يقتصران في الشعر الأسدي
الجاهلي على قصائد الشعراء الفحول من أسد.

وإذا استقصينا البحور التي نظم عليها شعراء أسد في الإسلام لوجدنا أنهم
اقتصروا على ستة بحور، هي: الطويل، والرجز، والوافر، والبسيط، والكامل،
والمقارب. وكان توزيع القصائد والمقطعات عليها على النحو التالي:

(١) شعر عمرو: ٦٧.

(٢) القسم الثاني: ق (٢٣٠).

البحر	عدد القصائد	عدد المقطعات أو الأبيات المفردة
الطويل	٩	٢٤
الرجز	-	١٣
الوافر	٢	٦
الكامل	١	٦
البسيط	-	٨
المتقارب	١	٢

ومن الجدير بالملاحظة أن هذه البحور هي التي أكثر الشعراء الأسديون الجاهليون من النظم عليها، وكان ترتيبها حسب استخدامهم إياها كالتالي: الطويل، فالوافر، فالكامل، فالبسيط، فالرجز، فالمتقارب. وهو ترتيب مشابه لترتيب استخدامها في الشعر الأسدي الإسلامي، والفارق الوحيد بينهما هو كثرة استخدام الرجز في شعرهم الإسلامي، الذي تقدم إلى المرتبة الثانية بعد الطويل، وكان ترتيبه خامساً في جدول بحور الشعر الجاهلي. ولعل السبب في ذلك أن فرساناً ومقاتلين من غير الشعراء نظموا أشعاراً في الردة والفتوح، فركبوا الرجز حمار الشعر.

ب- خصائص لغوية:

رأينا في الحديث عن الخصائص اللغوية للشعر الأسدي الجاهلي أن هذا الشعر حمل بعض لغيات القبيلة، وترفع عن لغيات أخرى كالكشكشة والعننة والتثنية، كما وجدنا فيه ظواهر لغوية لا علاقة للهجة القبيلة بها. وتبين هنا الظواهر اللغوية للشعر الأسدي الذي قيل في الإسلام، والعلاقة بينها وبين

الظواهر اللغوية التي وجدناها في شعرهم الجاهلي.
ورأينا أن بعض الشعراء الأسديين حذفوا ياء المنقوص المعرف بأل، ورأى
الكوفيون فيها لغة،^(١) ونجد الظاهرة نفسها في الشعر الأسدي الإسلامي، فصرار
قال يوم اليمامة:

وَسَالَ بَفَرْعِ الْوَادِ حَتَّى تَرَقَّرَقَتْ
حِجَارَتُهُ فِيهَا مِنَ الْقَوْمِ بِالْدَمِّ^(٢)

وأراد: الوادي. ومن الحذف ما نجد في شعر أبي السَّمَّال، إذ حذف ألف
«على» وسكن اللام وأدغمها بلام التعريف التي تلتها، فقال: «عَلْبَلَايا» وذلك
في قوله:

وَلَلَمَوْتُ خَيْرٌ لِمَرِيٍّ مِنْ حَيَاتِهِ
بِدَارَةِ ذُلِّ عِلْبَلَايَا يُوقَرُّ^(٣)

ويبدو أن هذه لغة بعض القبائل، ولعل أسداً منهم، إذ قال أبو حاتم
السجستاني: «وآخر حرف في كتاب سيبويه، عِلْمَاءُ بَنُو فُلَانٍ، يريد على
الماء».^(٤)

وثمة إبدال في لهجة أسد، ورأينا أنهم أبدلوا في أشعارهم الجاهلية التاء دالاً،

(١) انظر القسم الثاني: ق (١٧٣)، حاشية البيت (٢).

(٢) القسم الثاني: ق (٢٣٩)، البيت (٧).

(٣) المصدر نفسه: ق (٢٧٦)، البيت (١٦).

(٤) المعمر: ٦٦.

والطاء تاءً، ونقف في شعرهم الإسلامي على إبدال الصاد سيناً، إذ قالوا
«السَّقَر» في «الصَّقَر»، قال عوف بن عبد الله:

وَنَجَّا طُلَيْحَةً مُرْدِفاً إِمْرَاتَهُ

وَسَطَ الْعَجَاجَةَ كَالسَّقَارِ الْمُحْقَبِ^(١)

ومر معنا أن أسداً تسكن القوافي في الإنشاد، وكان ذلك من أسباب شيوع
الإقواء في شعرهم،^(٢) ومن شعرائهم الإسلاميين الذين أقروا ضرار بن الأزور،
وأبو أحمد، وأبو السَّمَال، وعُقَيْبَةُ بن هبيرة، ومعروف بن الكميث، ومُرَّة
الأسدي، وعبد الله بن وَهْب، وأخو عِفَاق الكاهلي.^(٣)

وتأثر الأسديون بلغة جيرانهم الطائيين، فاستخدموا فعل «فَنَى» وهي لغة
طائية في «فَنَى» إذ استخدمه بشر في الجاهلية،^(٤) واستخدمه أبو السَّمَال في
الإسلام، فقال:

تَقُولُ فَنَى سَمْعَانُ بَعْدَ اعْتِدَالِهِ

وَبَعْدَ سَوَادِ الرَّأْسِ فَالرَّأْسُ أَزْعَرُ^(٥)

(١) القسم الثاني: م (٣٤٤). وقوله: «إمراته» وصل همزة القطع للضرورة، والسَّقَار،

أراد: اسَّقَر.

(٢) انظر هذا القسم: ٤٢٧-٤٢٨.

(٣) انظر القسم الثاني: ق (٢٣٩)، (٢٥٠)، (٢٥٢)، (٢٧٧)، (٢٨٦)، (٣٢٠)،

(٣٤٧)، (٣٥٠)، (٣٦٦).

(٤) انظر هذا القسم: ٤٢٩.

(٥) القسم الثاني: ق (٢٧٦)، البيت (٢).

ونجد في أشعارهم الإسلامية بعض الألفاظ الأعجمية، فقرّان بن يسار استخدم لفظة «المَرَّازِبَةُ»، وهي فارسية معربة، فقال:

يَمْشُونَ فِي الْكُتَّانِ كُلِّ عَشِيَّةٍ

إِلَى يَتِّ لَيْلَى مِثْلَ مَشْيِ الْمَرَّازِبِ^(١)

وكان قد استخدمها في الجاهلية بغثر بن لقيط،^(٢) كما استخدم ضرار لفظة «يَلْمَقُ» وأصلها بالفارسية «يَلْمَه» وهي القَبَاءُ المحشوّ، فقال:

نَقَاتِلُ مِنْ أُنْبَاءِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ

كَتَائِبَ تَرْدِي فِي حَدِيدٍ وَيَلْمَقِ^(٣)

واستخدم عقيبة لفظة «برازيق» وهي فارسية معربة، فقال:

وَبُسَ الْفَتَى فِي الْحَرْبِ يَوْمًا إِذَا بَدَتْ

بَرَّازِيقُ خَيْلٍ يَتَّبِعْنَ بَرَّازِقَا^(٤)

والبرازيق: الجماعات، واحدها برزيق.

وكما وجدنا في شعر أسد الجاهلي قضايا لغوية ونحوية أثارت اهتمام اللغويين والنحاة، فإننا نجد بعض هذه القضايا في شعرهم الإسلامي، ومن هذه القضايا وقوع «إلّا» صفة في الاستثناء، في قول حضرمي:

^(١) المصدر نفسه: م (٣١١).

^(٢) انظر القسم الثاني: م (٥٧).

^(٣) انظر القسم الثاني: م (٢٣٦).

^(٤) القسم الثاني: م (٢٨٥).

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ

لَعَمْرُؤُا بِبَيْتِكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ^(١)

وذهب ابن الحاجب إلى أن هذا من قبيل الشاذ لأن شرط وقوع «إلا» صفة أن يتعذر الاستثناء.^(٢) وفي البيت نفسه ثنى حضرمي «الفرقدين» بالألف في موضع النصب، وقال البغدادي في ذلك: «والفرقدان منصوب بفتحة مقدرة على الألف على لغة من يلزم المثني الألف في الأحوال الثلاثة».^(٣) وحذف عقوبة ياء النسب في الجمع، فقال: «الأشعرين» وأراد «الأشعريين»، وذلك في قوله:

لَا يَصْنُرُمُ اللَّهُ الْيَمِينَ التِّي لَهَا

بَوَجْهِكَ يَا بَنَ الْأَشْعَرِينَ نُذُوبٌ^(٤)

وقال المعري: «ورعما جعلوا ياء النسب بمنزلة هاء التأنيث يحذفونها في الجمع، فقالوا: (الأشعرون) يريدون الأشعرين، كأنهم جمعوا الأشعري على الأشعر، ويجوز أن يقال لما جاءت ياء الجمع كرهوا ياء النسب».^(٥) وحذف قرآن ضمير المتكلم المتصل بالاسم، فقال:

^(١) المصدر نفسه: م (٢٣٠).

^(٢) انظر شرح أبيات المغني ٢: ١٠٥.

^(٣) المصدر السابق.

^(٤) القسم الثاني: م (٢٧٩).

^(٥) عبث الوليد: ٩٦.

تَزُورُونَهَا وَلَا أَزُورُ نِسَاءَكُمْ

أَلْهَفَ لِأَوْلَادِ الْإِمَاءِ الْخَوَاطِبِ^(١)

وأراد: ألهفي، وقال الفراء: «خفض كما يخفض المنادى إذا أضافه المتكلم إلى نفسه».^(٢)

وألحق الكميت بن ثعلبة نون التوكيد في جواب الشرط «تمنع» وأبدل النون ألفا في الوقف، فقال:

فَمَهْمَا تَشَأْ مِنْهُ فَزَارَةٌ تُعْطِيكُمْ

وَمَهْمَا تَشَأْ مِنْهُ فَزَارَةٌ تَمْنَعَا^(٣)

وقال النحويون بجواز تقديم الحال على صاحبها المجرور بحرف الجر، وساقوا شاهداً على ذلك بيت طليحة:

فَإِنْ تَكُ أَذْوَادُ أُصَيْنٍ وَنِسْوَةٌ

فَلَنْ تَذْهَبُوا فِرْعَاً بِقَتْلِ حِيَالِ^(٤)

ورخم الأسديون الاسم في غير النداء للضرورة الشعرية، نجد ذلك في شعر ضرار، والكميت بن ثعلبة، وقرآن بن يسار.^(٥)

^(١) القسم الثاني: م (٣١١).

^(٢) معاني القرآن ٢: ٤٢١.

^(٣) القسم الثاني: ق (٣٠٤)، البيت (١٣).

^(٤) انظر شرح الشواهد للعيبي ٢: ١٧٧، وشرح ابن عقيل ١: ٦٤١، والأشعوني ٢:

١٧٧. وانظر البيت في القسم الثاني: م (٣٠٨).

^(٥) انظر القسم الثاني: م (٢٣٨)، حاشية البيت (١)، ق (٣٠٤) البيت (١٥)، م (٣١١).

ومر معنا في شعرهم الجاهلي قطع همزة الوصل في أول النصف الثاني من البيت لضرورة الشعر،^(١) ونجد في شعرهم الإسلامي قطع همزة الوصل في الحشو، وتخفيف الهمزة المتوسطة في كلمة «امراته» لضرورة الشعر، قال عوف بن عبد الله:

وَنَحَا طُلَيْحَةً مُرْدِفاً إِمْرَأَتَهُ

وَسَطَ الْعَجَاجَةَ كَالسَّقَّارِ الْمُحْقَبِ^(٢)

والضرورة الأولى جائزة، وإن كانت قليلة، أما الضرورة الثانية فردية، قال المعري: «ومالزمت هاء التأنيث قولهم امرأة كره فيها التخفيف لأن ما قبل هاء التأنيث لا يكون إلا مفتوحاً ويلزم من قال امرأة أن يقول للمذكر امرأة».^(٣)

تلك هي الظواهر اللغوية التي وقفت عليها في شعر أسد الإسلامي، وهي وثيقة الصلة بالظواهر اللغوية التي رأيناها في شعرهم الجاهلي. ومن البين أن هذا الشعر جاهلياً وإسلامياً أخذ من لهجة أسد أشياء، ومن لغة الأدب والثقافة أشياء، وأنه لقي اهتمام علماء اللغة، فاتخذوه عوناً على ضبط اللغة وتدوين خصائصها.

(١) انظر القسم الثاني: م (٤٧).

(٢) القسم الثاني: م (٣٤٤).

(٣) عبث الوليد: ١٣٩.

خاتمة

تناول هذا المؤلف شعر بني أسد في الجاهلية وصدر الإسلام بالجمع والشرح والتحقيق والدراسة، وكان في قسمين، الأول للدراسة، والثاني للديوان. وبدأت بقسمه الثاني، إذ صنعت ديواناً للشعراء الأسديين من غير أصحاب الدواوين، واستدركت أشعاراً على دواوين الشعراء عبيد وبشر وعمرو بن شأس. فشمل الديوان أشعاراً لأربعة ومائة شاعر، بلغ شعرهم عشرين وأربعمئة وألفاً من الأبيات.

وكان القسم الأول في دراسة الشعر الأسدي كله، سواء الشعر الذي ضمه القسم الثاني من هذا المؤلف أو الشعر الذي حوته دواوين الشعراء الأسديين الثلاثة. وجعلت الدراسة في ثلاثة أبواب.

فكان الباب الأول في الحديث عن قبيلة أسد في الجاهلية وصدر الإسلام، وتوزع في أربعة فصول، إذ تحدثت في الفصل الأول عن أنسابها ومنازلها، وهي قبيلة عدنانية مضرية صريحة النسب، لم يدخلها اختلاط ولا عُرف فيها شَوْب، لتبدّيها ونكد عيشها، نزلت مكة وما حولها، ثم ارتحلت فانساحت في معظم ديار نجد، وجاورت طَيْثاً وشغلت أطرافاً من الحجاز مما يلي نجداً فجاورت عبساً وذبيان.

وفي الفصل الثاني كان الحديث عن حياة أسد الدينية والاجتماعية، إذ دانت

أسد بما دانت به معظم القبائل العربية في الجاهلية، فأمنت بالله وأشركت به، وعظمت الكعبة كما عظمت الأصنام. وكانت حياتها الاجتماعية قائمة على الرعي والغزو في بيئة شحيحة الموارد، لذلك طبع الفقر عيشها بعلامح قاسية. ونبغ الأسديون ببعض المعارف والعلوم، فاشتهروا بمعرفتهم الدقيقة بالخيّل، كما اشتهروا بالزجر والعيافة، وعرفوا باللسن والفصاحة والخطابة والبلاغة.

أما الفصل الثالث فكان في الحياة السياسية والحربية لأسد في الجاهلية، إذ ثارت أسد بملك كندة فقتلته وقوضت ملكه، وحالفت طيماً وذيان، فاشتدت شوكتها، وأبت أن تدين للملوك الغساسنة والمناذرة، وكثرت الأيام والوقائع بينها وبين القبائل البدوية الأخرى، كعامر وغميم وبكر وتغلب وحشم وسليم وهوازن، وكان أشدها تلك التي جرت بينها وبين عامر وغميم.

وتحدثت في الفصل الرابع عن حياة أسد السياسية في الإسلام، فذكرت أن بعض بطونها كان لها سابقة في الإسلام، منهم رجال هاجروا إلى الحبشة والمدينة، وشهدوا المشاهد مع رسول الله. وبعد الفتح أسلمت أسد كلها، ولكن سرعان ما ظهرت الردة فيها، إذ ادّعى طليحة بن خويلد النبوة، وقاد ردة الخلفيين أسد وغطفان، فلما انتهى أمر الردة، وخرج العرب المسلمون إلى الفتح، شاركت أسد غيرها من قبائل العرب شرف الفتح والجهاد، وكان لها مواقف مشهودة في القادسية وغيرها من معارك المسلمين.

وكان الباب الثاني لمصادر الشعر الأسدي وتوثيقه، وتوزع على ثلاثة فصول.

الفصل الأول في الحديث عن مصادر شعر أسد وضياعه، إذ عرضت لعناية الأوائل بشعرهم، وتحدثت عن دواوين شعرائهم، ثم تحدثت عن الضياع الذي

لحق بشعر أسد إذ ضاع ديوان القبيلة الذي صنعه السكري، كما ضاعت دواوين أكثر شعرائها، ولم يصل إلينا سوى ديواني عبيد وبشر، كما ضاع كثير من المصادر التي حوت أشعاراً لشعراء أسديين.

وتحدثت في الفصل الثاني عن الشعر الأسدي المضطربة نسبته، فبدأت بحده الأول، وهو الأهم وعليه المعول، ذلك هو الشعر الذي اضطربت نسبته بين شعراء أسد وغيرهم من شعراء القبائل، فعرضت للشعر المنسوب إلى شعراء أسد وليس لهم، فالشعر الأسدي المنسوب إلى غيرهم وهو لهم، فالشعر المضطربة نسبته دون دليل يقطع بأصحابه. ثم تحدثت عن الحد الثاني من هذا الاضطراب، وهو الشعر الأسدي الذي نسب إلى أكثر من شاعر من شعراء القبيلة.

وكان الفصل الثالث في الحديث عن المتهم الموضوع من شعر أسد، فتحدثت عن الشعر المتهم في ديوان عبيد وديوان بشر والشعر السقيم المردول الذي نسب إلى ضرار بن الأزور وخولة، وعن أشعار قليلة نخلت طليحة وسعدى الأسدية.

ولعل الباب الثاني الذي تم فيه توثيق الشعر الأسدي يعد الأساس الذي تستند إليه دراسة هذا الشعر، لذلك تلاه الباب الثالث في الدراسة الفنية والموضوعية واللغوية لشعر أسد، وهو أوسع الأبواب، وتوزع على أربعة فصول، تناولت الفصول الثلاثة الأولى شعرهم الجاهلي، وتناول الفصل الرابع شعرهم الإسلامي.

إذ عالج الفصل الأول موضوعات الشعر الأسدي الجاهلي كالفتخر، والمهجاء، وعتاب الأهل والأقارب، والرثاء، والغزل، ووصف الحيوان ولا سيما الإبل والخيول. وعرض لوجوه التشابه والاتفاق والتمايز والاختلاف بين

موضوعات الشعر الأسدي وموضوعات أشعار القبائل الأخرى، وخلصت الدراسة المقارنة إلى التشابه بين موضوعات الشعر الأسدي وسائر الشعر النجدي، وإلى كثرة الحديث عن الإبل والخيول في الشعر الأسدي، وضموره في شعر هذيل وأشعار أهل القرى، وإلى خلو الشعر الأسدي من أية ملامح ترسم حياة الملاحين وصيادي اللؤلؤ كالذي نجده في شعر القبائل التي سكنت سيف البحر، ومن ملامح الحياة الزراعية كالذي نجده في شعر أهل القرى، ومن الحديث عن مشتار العسل الذي يكثر كثرة بالغة في شعر هذيل.

وتناول الفصل الثاني الخصائص المعنوية، وخلص إلى أن البداية بطبيعتها وأدواتها وأحداثها ومشاهد حيوانها وطيرها، كانت ذات تأثير قوي في معاني الشعر الأسدي، وأن كثيراً من هذه المعاني مستمدة من الإبل وما يتصل بها، فالشعر الأسدي خالص البداوة لم يتصل بأسباب الحضارة، وظهور بعض معالم الحضارة على نحو قليل في شعر قلة من الشعراء الأسديين من زوار الحواضر والملوك لا يبدل من هذه الحقيقة. كما تتبع هذا الفصل تأثير شعراء أسد بسابقيهم من شعراء القبيلة، وحاول تلمس العلاقة بين شعر أسد وغيرها من أشعار القبائل سواء أكانت تلك العلاقة تأثيراً في أشعار غيرهم أم تأثراً بها.

وتناول الفصل الثالث الخصائص اللفظية واللغوية، فتحدث عن خصائص بناء القصيدة، إذ عرض لكم القصائد، والتحرر والتصريع، وبمحور الشعر التي نظم عليها. وتحدث عن لغة الشعر الأسدي، فتبين ما وافق منها لهجة القبيلة وما خرج منها على هذه اللهجة، فكان أدخل في لغة الثقافة الأكثر شيوعاً ورقياً. وأثار مسألة كثرة الألفاظ الغريبة الوحشية في هذا الشعر.

أما الفصل الرابع فتناول الشعر الأسدي الإسلامي، إذ تحدث عن موضوعاته

الإسلامية الجديدة وقارنها بالموضوعات والمضامين الإسلامية في أشعار القبائل الأخرى وأشعار المهاجرين والأنصار، كما تحدث عن موضوعاته التقليدية التي عرفها الشعر الجاهلي كالهجاء والمديح اللذين غلب عليهما الطابع السياسي في الإسلام. ولوحظ أن وصف حيوان الصحراء والرحلة والظعن انحسرت إلى حد كبير بعد أن كانت تشغل حيزاً واسعاً من شعرهم الجاهلي.

كما تحدث الفصل عن الخصائص المعنوية للشعر الأسدي الإسلامي، وخلص إلى أن معاني شعرهم في صدر الإسلام كانت امتداداً لمعاني شعرهم الجاهلي، إذ استمد الشعراء معانيهم وأخيلتهم من بيئة نجد الرعوية ومن الموروث الثقافي الجاهلي، غير أن ثمة جديداً تجلّى في ظهور بعض المعاني الإسلامية التي استمدوها الشعراء من القيم والأفكار التي أتى بها الدين الحنيف.

ثم تحدث هذا الفصل عن الخصائص اللفظية واللغوية، فخلص إلى كثرة المقطعات في هذا الشعر، وقصر القصائد، وتحررها من التصريع ومن المقدمات الطللية والغزلية، واقتصار الشعراء في نظم أشعارهم على ستة بحور. كما خلس إلى أن الظواهر اللغوية في شعر أسد الإسلام وثيقة الصلة بالظواهر اللغوية في شعرها الجاهلي، وأن هذا الشعر جاهليته وإسلاميه لقي اهتمام علماء اللغة، فاتخذوه عوناً على ضبط اللغة وتدوين خصائصها.

هذه الأبواب من الدراسة عملت متضافرة لتقديم صورة لشعر قبيلة أسد في الجاهلية والإسلام، وأرجو أن أكون قد أفلحت في تحديد معالم هذه الصورة.

ذِيْلُ الدِّرَاسَةِ

- ١- شجرةُ أنساب القبيلة
- ٢- أسماء منازل بني أسد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

۱۱۷۱

附

كيفية
علائق
نحو
نحو
نحو
نحو
نحو

5

3.

حفظہ
میری

بر

三

3

15

●

3

جَنَابُ

3

3

21

عبدالله

٧٠

六

終

三

و

三

سليم الشافعي

عبد الشلبي

صفت علمه در زمان علم

مجلس الشورى

- 018 -

ثانياً- أسماء منازل بني أسد

- أَبَان: «جبل، وهما أبانان، أبان الأبيض، وأبان الأسود، بينهما فرسخ، ووادي الرُّمَّة يقطع بينهما،.. فأبان الأبيض لبني جُرَيْد من بني فزارة خاصة، والأسود لبني والبة، من بني الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد، وقال بعضهم: ويشركهم فيه فزارة».^(١)
- أَبْرَقَا حُجْر: «جبلان على طريق حاج البصرة بين حديلة وفلجة، كان حجر أبو امرئ القيس يجلهما، وهناك قتله بنو أسد».^(٢)
- أُثَال: «بالقصيم من بلاد بني أسد».^(٣)
- أَجْبَال: «موضع في ديار بني أسد، وهناك قتلت بنو أسد بدر بن عمرو أبا حذيفة بن بدر، وهناك قبره».^(٤)

(١) البكري ١: ٩٥، وانظر البكري ١: ١٣، ومعجم البلدان ١: ٦٢-٦٣، وذكرهما بشر، انظر ديوانه: ٦٢، ٩٨.

(٢) معجم البلدان ٢: ٢٢٣.

(٣) البكري ١: ١٠٦، واللسان (أثل)، وانظر معجم البلدان ١: ٨٩، وذكره عبيد، انظر ديوانه: ١٠٥.

(٤) البكري ١: ١١٢.

- الأَجْفَرُ: «السبعان واد لطَيِّئٌ يجيء بين الجبلين، الأَجْيَفَرُ: في أسفل هذا الوادي، وأعلاه الملا وأسفله الأَجْفَرُ، وهو لسُوءَةِ ونُمَيْرٍ من بني أسد، وكانت الأَجْفَرُ لبني يربوع فحلت عليها بنو جذيمة وذلك في أول الإسلام فانتزعتها منهم»^(١).
- الأَجْيَفَرُ: «موضع في ديار بني أسد»^(٢).
- إَحْلِيلَى: «اسم شعب لبني أسد، فيه نخل لهم»^(٣).
- ذو أَحْثَالٍ: «واد لبني أسد فيما بين البصرة والثعلبية»^(٤).
- أَذَنَّة: قُتَّةٌ عظيمةٌ لبطن من بني أسد، يقال لهم بني القَرِيَّةِ»^(٥).
- ذو أُرَاطٍ: «واد لبني أسد عند لُغَاظٍ»^(٦).
- أَرَمَامَ: «واد يصب في الثُّلُبُوت من ديار بني أسد»^(٧).
- أَرِيكَ الأَيْضُ: «في بلد بني أسد»^(٨).
- إِسْنَامَ: «جبل لبني أسد»^(٩).

(١) معجم البلدان ٥ : ١٨٨-١٨٩، وذكره عبيد، انظر ديوانه : ٦٣.

(٢) البكري ١ : ١١٦.

(٣) معجم البلدان ١ : ١١٧.

(٤) المرصع : ٧٧، وانظر البلدان ١ : ١٩٩.

(٥) انظر البكري ٣ : ١٠٣٤.

(٦) معجم البلدان ١ : ١١٧.

(٧) معجم البلدان ١ : ١٥٤، وانظر البكري ١ : ١٤١.

(٨) صفة جزيرة العرب : ٣٢٨.

(٩) التكملة (سنم) ٦ : ٦١.

أَفْعَى:	مَاءة نَاحِيَة هَضْب الْوِرَاق لَبْنِي الطَّمَّاح مِنْ بَنِي أُسْد. ^(١)
الْأَفِيدَاع:	مَوْضِع فِي دِيَار بَنِي أُسْد. ^(٢)
أَكْبَرَة:	«مَوْضِع فِي دِيَار بَنِي أُسْد». ^(٣)
أَلْيَة أَبْرَق:	«مِنْ بِلَاد بَنِي أُسْد قَرَب الْأَجْفَر، يُقَال لَهُ: ابْنُ أَلْيَة». ^(٤)
إِمْرَة:	«إِمْرَة الْحِمَى لَغْنِي وَأُسْد، وَهِيَ أَدْنَى حِمَى ضَرِيَّة، أَحْمَاهُ عَثْمَان لِإِبِلِ الصَّدَقَة، وَهُوَ الْيَوْم لِعَامِر بَن صَعْصَعَة». ^(٥)
أَيْهَب:	«مَوْضِع فِي بِلَاد بَنِي أُسْد قَلِيل الْمَاء». ^(٦)
الْبَشْنَة:	«مَاء لَبْنِي خَالِد بَن نَضْلَة». ^(٧)
الْبُرْعُوم:	«مَوْضِع فِي دِيَار بَنِي أُسْد». ^(٨)
بَزَاخَة:	«هُوَ مَاء لَبْنِي أُسْد، وَيَوْم بَزَاخَة: يَوْم لَخَالِد بَن الْوَلِيد عَلَى طَلِيحَة الْأُسْدِي». ^(٩)
بَسْتَان إِبْرَاهِيم:	«فِي بِلَاد بَنِي أُسْد». ^(١٠)

^(١) انظر البكري ٣: ١٠٣٤.

^(٢) البكري ١: ١٨١، وذكره ضرار بن الأزور، انظر القسم الثاني: م (٢٣٦).

^(٣) البكري ١: ١٨٢.

^(٤) معجم البلدان ١: ٢٤٨.

^(٥) معجم البلدان ١: ٢٥٣.

^(٦) معجم البلدان ١: ٢٩٧.

^(٧) البكري ١: ٢٢٧.

^(٨) البكري ١: ٢٤١.

^(٩) انظر البكري ١: ٢٤٧ والهمداني: ٣٣٥.

^(١٠) معجم البلدان ١: ٤١٤.

البُطاح:	ماء في ديار بني أسد، وهناك كانت الحرب بين المسلمين وأهل الردة. ^(١)
بطان:	«منزل بطريق الكوفة بعد الشُّقُوق من جهة مكة دون الثعلبية وهو لبني ناشرة من بني أسد». ^(٢)
ذو بَقَر:	«موضع في ديار بني أسد». ^(٣)
بَنان:	«موضع في ديار بني أسد بنجد لبني جذيمة بن مالك بن نصر ابن قعين، قاله نصر، وقال غيره: البَنانة ماء لبني جذيمة بطرف بَنان». ^(٤)
تَرْف:	«جبل لبني أسد». ^(٥)
تَرْمُس:	«موضع قرب القنان من أرض نجد، قال نصر: التَّرمُس ماء لبني أسد». ^(٦)

(١) انظر معجم البلدان ١: ٤٤٥. وذكره بشر ومطير، انظر ديوان بشر: ٤٣، والقسم الثاني: م (٢٥٧)

(٢) معجم البلدان ١: ٤٤٦.

(٣) البكري ٣: ٩٧٨.

(٤) معجم البلدان ١: ٤٩٧.

(٥) معجم البلدان ٢: ٢٣، وقال بعضهم:

أراحني الرحمن من قبل تُرَفْ أسفله جَدْب وأعلاه قَرَفْ

معجم البلدان ٢: ٢٣.

(٦) معجم البلدان ٢: ٢٧، وانظر التكملة ٣: ٣٢٩.

ذات التناير: «مُعْشَى بَيْنَ زُبَالَةَ وَالشُّقُوقِ، وَهُوَ وَادٍ شَجِيرٌ فِيهِ مُزْدَرَعٌ

ترعيه بنو سلامة، وبنو غاضرة، وفيه بركة للسلطان وكان

الطريق عليه فصار المعشى بالرسم حياله»^(١).

تَوْبَاد: «أُبَيْرَقَ أُسْدٌ»^(٢).

تُوز: «منزل في طريق الحاج بعد فَيْدٍ للقاصد إلى الحجاز ودون

سُمَيْرَاءَ لبني أسد، وهو جبل»^(٣).

تِيَّاسَان: علمان في ديار بني عبس وقيل لبني أسد، وهما بشمالي قَطَن»^(٤).

التينان: «تخرج من الوُشَل إلى صحراء بها جبلان يقال لهما التينان

لبني نعامه من بني أسد... وقال الزمخشري: التينان جبلان

لبني فقعس بينهما وادٍ يقال له حَوْ»^(٥).

ثَادِق: «وادٍ ضخم يفرغ في الرُّمَّة،... قال: وأسفل ثادق لعبس

وأعلاه لبني أسد لأفنائهم»^(٦).

الثعلبية: «منسوبة إلى ثعلبة بن مالك بن دودان بن أسد، هو أول من

احتفرها، وهي من أعمال المدينة، وهي ماء لبني أسد»^(٧).

(١) معجم البلدان ٢: ٤٧، وذكره مضر، انظر القسم الثاني: ق (١٧٩) البيت (٧).

(٢) معجم البلدان ٢: ٥٥.

(٣) معجم البلدان ٢: ٥٨.

(٤) انظر معجم البلدان ٢: ٦٤.

(٥) معجم البلدان ٢: ٦٨-٦٩. لرامة شعر فيه: ٦٨، ولسلمة: ٣٥٣.

(٦) معجم البلدان ٢: ٧٠-٧١.

(٧) البكري ١: ٣٤١، وذكره عمرو بن شأس، انظر ديوانه: ٦٢.

وقال ياقوت: «الثعلبية من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشُّقُوق، وقبل الخزيمية، وهي ثلثا الطريق، وأسفل منها ماء يقال له الضوبيعة على ميل مشرف منها».^(١)

الثَّلَاثَاء: «ماء لبني أُسد».^(٢)

ثَلَاثَان: ماء لبني أُسد في جنب حبشة، وقيل جبل، وقيل واد، وقال فيه الشاعر:

أَلَا حَبْدًا وَادِي ثَلَاثَانٍ إِنِّي

وَحَدَّثْتُ بِهِ طَعْمَ الْحَيَاةِ يَطِيبُ^(٣)

جُرْثُم: «ماء لبني أُسد بين القَنَان وترْثُم».^(٤)

الجُرَيْرَة: «أسفل من قطن مما يلي المشرق لجرير، واد لبني أُسد به ماء يقال له الجُرَيْرَة يفرغ في ثادق».^(٥)

جُفَاف الطير: «صقع في بلاد بني أُسد، منه الثعلبية التي قرب الكوفة.. قال السكري: جُفَاف من أرض لأسد وحنظلة واسعة فيها أماكن يكون الطير فيها فنسبها إلى الطير».^(٦)

الْجُلْس: من بلاد بني أُسد.^(٧)

(١) معجم البلدان ٢: ٧٨.

(٢) معجم البلدان ٢: ٨٢. وذكره مطير، انظر القسم الثاني: م (٢٥٩).

(٣) انظر التكملة ١: ٣٥٤ (ثلث)، ومعجم البلدان ٢: ٨٢.

(٤) معجم البلدان ٢: ١١٩، وذكره مطير، انظر القسم الثاني: م (٢٥٩).

(٥) معجم البلدان ٢: ١٣٢.

(٦) معجم البلدان ٢: ١٤٦، وانظر البكري ٣: ٨٠٦.

(٧) انظر البكري ١: ١٣.

الجَنِيَّة:	«أرض من ديار بني أسد». ^(١)
الجَوَاء:	«موضع آخر في ديار بني أسد». ^(٢)
جَوَّ:	«موضع في ديار بني أسد». ^(٣)
حَبَشِيَّ:	«جبل في بلاد بني أسد». ^(٤)
حُبِّيَّ:	«موضع بتهامة كان لبني أسد وكنانة». ^(٥)
الحُدَيَاء:	«ماء لبني جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين... فوق غدير الصلب، وهو جبل محدد». ^(٦)
حَزْرَم:	«جبل فوق الهضبة في ديار بني أسد». ^(٧)
روضة الحَزْم:	«ويروى الحَزْن، وهو ماء لبني أسد». ^(٨)
حَزْن غاضرة:	«قال الأصمعي في كتاب جزيرة العرب: الحزون في جزيرة العرب ثلاثة: حزن بني يربوع، وحزن غاضرة من بني أسد، وحزن كلب من قضاة... والحزن منسوب إلى غاضرة أسد، وهو يوالي حزن بني يربوع». ^(٩)

^(١) البكري ٢: ٣٩٩.

^(٢) البكري ١: ١٦١، ذكره بشر في شعره، انظر ديوانه: ٨.

^(٣) البكري ٢: ٢٠٧، وذكره عبيد، انظر ديوانه: ١٠١.

^(٤) التكملة (حبش) ٣: ٤٦٣.

^(٥) البلدان ٢: ٢١٦، انظر البكري ٢: ٤٢٣، وذكره بشر انظر ديوانه: ١٣١، وذكره

مضرس، انظر القسم الثاني: ق (١٧٣)، البيت: ١٥.

^(٦) معجم البلدان ٢: ٢٢٩.

^(٧) معجم البلدان ٢: ٢٥٢، والقاموس (حزرم).

^(٨) معجم البلدان ٣: ٨٨، ذكره مضرس، انظر القسم الثاني: ق (١٧٩)، البيت ١١.

^(٩) معجم البلدان ٢: ٢٥٤.

حَزِيز صَفِيَّة:	«مَاءَ لَبْنِي أُسَد». ^(١)
حِسَاء:	«مَوْضِع فِي دِيَار بَنِي أُسَد». ^(٢)
الْحَفَر:	مَاءَ لَبْنِي كَاهِلٍ مِنْ أُسَدٍ، قَرِيبٍ مِنَ النَّائِعِينَ، وَالنَّائِعَانِ جَبْلَان. ^(٣)
حَقِيل:	«مَوْضِع فِي بِلْدَانِ بَنِي أُسَدٍ، قَتَلَتْ فِيهِ بَنُو أُسَدِ الْحَارِثِ بْنِ مَوِيلِكَ». ^(٤)
حَمَام:	«بِلْدَ لَبْنِي طَرِيفِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ قَعِين». ^(٥)
حَوْمَل:	«اسْمُ رَمْلَةٍ تَرْكَبُ الْقُفَّ، وَهِيَ بِأَطْرَافِ الشَّقِيقِ، وَنَاحِيَةِ الْحَزْنِ، لَبْنِي يَرْبُوعٍ وَبَنِي أُسَد». ^(٦)
الخربة:	مَاءَ لَبْنِي الْكَذَّابِ مِنْ غَنَمِ بْنِ دُودَانَ. ^(٧)
الخرطومتان:	«شُعْبَتَانِ فِي دِيَارِ بَنِي أُسَد». ^(٨)
خُصْلَةٌ:	«مَاءَ لَبْنِي أَبِي الْحِجَاجِ بْنِ مَنَقَذِ بْنِ طَرِيفٍ مِنْ بَنِي أُسَدٍ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: مِنْ مِيَاهِ ثَادِقِ النَّحِيلَةِ وَخُصْلَةٍ، وَبِخُصْلَةٍ مَعْدَنٍ حَذَاءُهَا كَانَ بِهِ ذَهَبٌ». ^(٩)

^(١) معجم البلدان ٢: ٢٥٧.

^(٢) البكري ٢: ٤٤٦. وذكره بشر، انظر ديوانه: ٢.

^(٣) انظر البكري ٣: ٨٦٤.

^(٤) معجم البلدان ٢: ٢٨٠.

^(٥) البكري ٢: ٤٦٧.

^(٦) البكري ٢: ٤٧٧.

^(٧) انظر معجم البلدان ٤: ١٩٤.

^(٨) البكري ٢: ٤٩٤.

^(٩) معجم البلدان ٢: ٣٧٥.

صحراء الخُلَّة:	لبنى ناشرة من بني أسد، وهي تلي جبلاً يقال له الصُّدْر لبني معقل. ^(١)
خيمي:	«ماء لبني أسد». ^(٢)
الخَوَّة:	«ماء لبني أسد في شرقي سُميراء، والنبهانية من شرقي سميراء، بينها وبين الخوة يومان، وبين المَرَّة والخَوَّة يوم». ^(٣)
خَو:	واد بين التينين، وهما جبلان، في ديار بني أسد، يفرغ ماؤه في ذي العشيرة. ^(٤)
الدَّكَادِك:	«موضع في بلاد بني أسد». ^(٥)
الدَّبَّة:	ماء لبني أسد تدخل في حمى ضَرِيَّة. ^(٦)
الدُّنُوب:	من ديار بني سعد بن ثعلبة من أسد. ^(٧)
رَاكِس:	«موضع في ديار بني سعد بن ثعلبة من بني أسد». ^(٨)
الرَّجِيعَة:	«ماء لبني أسد». ^(٩)

(١) انظر البكري ٣: ١٠٣٥، و ٢: ٥٠٩.

(٢) البكري ٢: ٥٢٨.

(٣) معجم البلدان ٢: ٤٠٨.

(٤) انظر معجم البلدان ٢: ٤٠٧، وذكره بغثر، انظر القسم الثاني: م (٥٧).

(٥) البكري ٢: ٥٥٤. ذكره عبيد، انظر ديوانه: ٩٥.

(٦) انظر البكري ٣: ٨٦٤.

(٧) انظر البكري ٢: ٦٢٧. وذكره عبيد وبشر، انظر ديوان عبيد: ١٠، وديوان بشر:

(٨) البكري ٢: ٦٢٧، وذكره عبيد، انظر ديوانه: ١١.

(٩) معجم البلدان ٣: ٢٩، والتكملة (رجع) ٤: ٢٥٩.

الرَّسُّ والرُّسَيْسُ: «الرَّسُّ ماء لبني منقذ بن أعيا من بني أسد،.. وقال الأصمعي: الرَّسُّ والرُّسَيْسُ، فالرَّسُّ لبني أعيا، رهط حمَّاس والرُّسَيْسُ لبني كاهل»:

وقال زهير:

لِمَنْ طَلَّلَ كالوَحْيِ عَافٍ مَنَازِلُهُ

عفا الرَّسُّ منه فالرُّسَيْسُ فَعَاقِلُهُ^(١)

رَقْدُ: هضبة مجلدة مطمئنة غير مرتفعة بين ساق الغروين وبين حبس القنان، وهي بأطراف العُرف بينهن وبين القنان وبين أبان الأسود، وهي مشرفة على جبال لأنها فوق حَزْمٍ من الأرض، وكل هذه الأماكن من بلاد بني أسد».^(٢)

الرُّمْتُ: «واد لبني أسد».^(٣)

الرُّمَّةُ: «فضاء تدفع فيه أودية كثيرة وبين أسفل الرُّمَّةِ وأعلاها سبع ليالٍ من الحرَّة حرَّة فذك إلى القصيم وحرَّة النار، قال: والرُّمَّةُ تجيء من الغور والحجاز، فأعلى الرمة لأهل المدينة وبني سليم، ووسطها لبني كلاب وغطفان وأسفلها لبني أسد وعبس ثم ينقطع في الرمل رمل العيون».^(٤)

^(١) معجم البلدان ٣: ٤.

^(٢) معجم البلدان ٣: ٥٧، وانظر البكري ٢: ٦٦٥. وذكره مغلس، انظر القسم الثاني:

ق(٣٠)، البيت ١.

^(٣) معجم البلدان ٣: ٦٨. وذكره ضرار، انظر القسم الثاني: م(٢٣٧).

^(٤) معجم البلدان ٣: ٧٢.

الرِّنْقَاءُ:	لَبْنِي أُسْد. ^(١)
رَوْنَةٌ:	«اسم بلد في ديار بني أسد به ذكر في أشعارهم». ^(٢)
ذو رَيْد:	موضع في ديار بني أسد من ديار بني سعد بن ثعلبة. ^(٣)
زُلْفَة وزَوْرَاءُ:	«ماءان لبني أسد». ^(٤)
ساق:	«قال الطوسي: «عُنَاب: جبل على طريق المدينة. وساق: جبل حذاء عُنَاب، ويقال لهما جميعاً: الساقان وربما قيل العنابان... وفي شعر لبيد: ساق جبل لبني أسد، بين النَّبَاح والنَّقْرَة». ^(٥)
	وفي التكملة: «ساق الغُرَّوَيْن: جبل لبني أسد». ^(٦)
السَّرَّ:	موضع بنجد في ديار بني أسد. ^(٧)
السَّرَاءُ:	أرض لبني أسد. ^(٨)
سِيلَع السَّرَّ:	«موضع في ديار بني أسد». ^(٩)

^(١) انظر صفة جزيرة العرب: ٣٣٥.

^(٢) معجم البلدان ٣: ٧٥.

^(٣) انظر البكري ٢: ٦٢٧-٦٢٨ وذكره عبيد، انظر ديوانه: ٦٣.

^(٤) معجم البلدان ٣: ١٥٦.

^(٥) البكري ٣: ٧١٤.

^(٦) التكملة ٥: ٨٦.

^(٧) انظر معجم البلدان ٣: ٢١١، وذكره ضرار، انظر القسم الثاني: م (٢٣٤).

^(٨) انظر معجم البلدان ٣: ٢١١، وذكره ضرار، انظر القسم الثاني: م (٢٣٤).

^(٩) معجم البلدان ٣: ٢٣٧.

سَلْمَان:	«فوق الكوفة، وكان من مياه بكر بن وائل، ولعله اليوم لبني أسد، وربما نزلته بنو ضَبَّةَ وبنو غَيْر في النَّجْع» ^(١)
السَّيْلِيلَة:	«ماء لبني بُرْثَن من بني أسد» ^(٢)
سُمْنَان:	«جبل في ديار بني أسد» ^(٣)
الشَّبَكَة:	«ماء لبني أسد قرب حبش قرب سَمِيرَاء» ^(٤)
شَرْج:	«ماء مُرّ لبني أسد، شرقي الأحفر، بينهما عقبة، وهو قريب من فيد» ^(٥)
شِرْك:	«ماء وارد جبل القنان لبني منقذ بن أعيا من أسد» ^(٦)
الشَّرْكَة:	«قرية لبني أسد،.. قال الأصمعي: أبان الأسود لبني أسد وبه قرية يقال لها الشركة وبها عين أجراها محمد بن عبد الملك ابن حبيب الفقعسي» ^(٧)
شُرْمَة:	من ديار بني فقعس ^(٨)

(١) معجم البلدان ٣: ٢٣٩.

(٢) معجم البلدان ٣: ٢٤٣.

(٣) البكري ٣: ٧٥٦.

(٤) معجم البلدان ٣: ٣٢٢.

(٥) معجم البلدان ٣: ٣٣٤، وانظر البكري ٣: ٧٩١، وذكره مضرس، انظر القسم

الثاني: م (١٩٢).

(٦) معجم البلدان ٣: ٣٣٧، والتكملة ٥: ٢١٣.

(٧) معجم البلدان ٣: ٣٣٧، وانظر التكملة ٥: ٢١٣.

(٨) البكري ٣: ٧٩٤. وذكره جزء، انظر القسم الثاني: م (٣٣٧).

- شَطَب: «جبل في ديار بني أسد فيه روضة».^(١)
- شُقُوق: «منزل بطريق مكة بعد واقصة من الكوفة، وبعدها تلقاء مكة
بطان وقبر العبادي، وهو لبني سلامة من بني أسد».^(٢)
- الشَّيْخَة: «رملة بيضاء في بلاد أسد وحنظلة».^(٣)
- الشَّيْقَان: «جبلان في ديار بني أسد. قال الطوسي، وقال ابن الأعرابي:
هما واديان».^(٤)
- صارَة: «جبل في ديار بني أسد».^(٥)
- الصَّرَاد: «موضع تلقاء يأجج،... وأنشد للجعدي:
أُسْدِيَّةٌ تَرعى الصَّرَادَ إِذَا
صَافَتْ وَتَحْضُرُ جَانِبِي شَعْر
فذكر أنها من منازل بني أسد».^(٦)
- صُعْغَة: «ماء لبني أسد عندها هضبة، يقال لها هضبة صُعْغَة، وحزير
يقال له حزير صُعْغَة».^(٧)

^(١) معجم البلدان ٣: ٣٤٣، وذكره عبيد، انظر ديوانه: ٥٩، وبشر، انظر ديوانه: ١٣٨.

^(٢) معجم البلدان ٣: ٣٥٦.

^(٣) معجم البلدان ٣: ٣٨٠، والخزانة ١: ٤٠.

^(٤) البكري ٣: ٨١٨.

^(٥) معجم البلدان ٣: ٣٨٨، ذكره بشر، انظر ديوانه: ٢، ٦٨.

^(٦) البكري ٣: ٨٢٩-٨٣٠.

^(٧) معجم البلدان ٣: ٤١٥.

الصَّفِيحَةُ:	«في بلاد بني أسد». ^(١)
الصَّمَان:	«بلاد لبني أسد». ^(٢)
صمر:	«ماء لبني أسد». ^(٣)
ضَلَفَع:	«قارة طويلة بالقوارة وهي ماء وبها نخل من ديار ليلي لبني أسد بين القصيمة وسادة». ^(٤)
طَثْرَة:	«واد في بني أسد». ^(٥)
طَمِيَّة:	«جبل في ديار بني أسد قريب من شَطَب جبل آخر». ^(٦)
ذو طُوَى:	قال البكري: «فطعنت إِيَاد من منازلها، ونزلوا سِنْدَاد، بناحية سواد الكوفة، فأقاموا بها دهرًا. وقال ابن شبة: افترقت ثلاث فرق: فرقة مع أسد بن خزيمَة بذي طُوَى،...». ^(٧)
ظُلَامَة:	«قرية أخذتها أسد من بني نَبْهَان، فسموها ظُلَامَة، لأنهم أخذوها ظُلْمًا». ^(٨)

^(١) معجم البلدان ٣: ٤١٤، وذكره عبيد، انظر ديوانه: ١٠٥.

^(٢) معجم البلدان ٣: ٤٢٣.

^(٣) معجم البلدان ٤: ٣٦٨.

^(٤) معجم البلدان ٣: ٤٦٢.

^(٥) معجم البلدان ٤: ٢١.

^(٦) معجم البلدان ٤: ٤٢.

^(٧) البكري ١: ٦٩.

^(٨) البكري ١: ٢٨١، وذكرها بشر، انظر ديوانه: ١٥٢.

العاقران:	«ضفירתان ضخمتان من ضفير جرّاد مكتنفتان مهشمة لبني أسد». (١)
عاقل:	«واد بنجد من حزيز أضاخ ثم يسهل فأعلاه لغني، وأسفله لبني أسد وبني ضبة وبني أبان بن دارم». (٢)
العبد:	«جبل لبني أسد بالذّآث». (٣)
العُثانة:	«ماء لبني جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين... بالثّلبوت». (٤)
ذو العثِير:	«موضع بالحجاز يُرى أنه من بلاد بني أسد». (٥)
عرْدَة:	من ديار بني سعد بن ثعلبة من بني أسد. (٦)
العُرف:	«ماء لبني أسد». (٧)
العُرفَتان:	«ببلاد بني أسد». (٨)
عُرْفَة أعيار:	«في بلاد بني أسد». (٩)

(١) معجم البلدان ٤ : ٦٨ .

(٢) معجم البلدان ٤ : ٦٨ ، وكان فيه يوم بين أسد وتغلب، انظر الأنوار ١ : ٢٣٩ وما

بعدها .

(٣) معجم البلدان ٤ : ٧٧ .

(٤) معجم البلدان ٤ : ٨٤ .

(٥) معجم البلدان ٤ : ٨٦ ، وذكره عبيد، انظر ديوانه : ٦٣ .

(٦) انظر البكري ٢ : ٦٢٧ ، وذكره عبيد، انظر ديوانه : ٦٣ .

(٧) البكري ٣ : ٩٣٣ .

(٨) اللسان (عرف) .

(٩) معجم البلدان ٤ : ١٠٦ .

أَبْرَقُ الْعَزَافِ: «ماء لبني أسد بن خزيمه بن مدركة، مشهور، ذكر في أخبارهم، وهو في طريق القاصد إلى المدينة من البصرة يُجاء من حومانة الدُّرَّاج إليه، ومنه إلى بطن نَخْل ثم الطُّرف ثم المدينة. قالوا: وإنما سُمِّي العزاف لأنهم يسمعون فيه عذيف الجن». (١)

عِطْرٍ: ماء ملح لبني أسد يدخل في حمى ضريبة. (٢)

العُقْرِيَّة: «ماء لبني أسد». (٣)

ذو عَلَقٍ: «جبل في ديار بني أسد، ولهم فيه يوم مشهور، وهو يوم ثنية ذي

عَلَقٍ، قتلت فيه بنو أسد ربيعة بن مالك بن جعفر أبا ليبد». (٤)

العَلِيَّة: «موية بالذَّات من بلاد بني أسد بقرب من جبل عبد. قال

فيها الشاعر:

شَرُّ مِيَاهِ الْحَارِثِ بْنِ ثُعَلْبَةَ

ماءٌ يسمَّى بِالْحَزِيزِ الْعَلِيَّةِ» (٥)

العَمْرِيَّة: «ماء بنجد لبني عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة». (٦)

العَنَانَةُ: «موضع بذى بَقَرٍ، ولكن ذا بَقَرٍ في ديار بني أسد». (٧)

(١) معجم البلدان ١ : ٦٨ .

(٢) انظر البكري ٣ : ٨٦٤ .

(٣) معجم البلدان ٤ : ١٣٦ .

(٤) البكري ٣ : ٩٦٤ ، وانظر معجم البلدان ٤ : ١٤٦ .

(٥) معجم البلدان ٤ : ١٤٩ .

(٦) معجم البلدان ٤ : ١٥٦ .

(٧) البكري ٣ : ٩٧٨ .

جبل عُيْزَة: هو أول أجبل فيد على مظهر طريق الكوفة بين الأجر وفيد،

وهو في شق بني سعد بن ثعلبة من بني أسد بن خزيمه.^(١)

عَوَارِض: «جبل لبني أسد».^(٢)

الغاضرية: «منسوبة إلى غاضرة من بني أسد: وهي قرية من نواحي

الكوفة قرية من كربلاء».^(٣)

الغراء: «موضع في ديار بني أسد بنجد، وهي جريعة في ديار ناصفة،

وناصفة قويرة هناك».^(٤)

الغُرْقَدَة: «فوق الثلبوت من أرض نجد مائة يقال الغرقدة لنفر من بني

عمير بن صعصعة، وقال نصر: لنفر من بني عمير بن قعين،

تحت مائة الخربة».^(٥)

غِسْل: «موضع في ديار بني أسد،... وهناك قتلت بنو أسد حبان بن

معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب».^(٦)

الغمر: جبل أحمر طويل لحي من بني أسد، يلي عقر سلمى لبني

نهبان، وبين الغمر وفيد عشرون ميلاً.^(٧)

(١) انظر البكري ٣: ١٥٣٣، وذكرته هند بنت معبد، انظر القسم الثاني. وذكره بشر،

انظر ديوانه: ١٠٩.

(٢) البكري ٣: ٨٥٨، وانظر معجم البلدان ٤: ١٦٤.

(٣) معجم البلدان ٤: ١٨٣.

(٤) معجم البلدان ٤: ١٨٩، وانظر التكملة ٣: ١٤١.

(٥) معجم البلدان ٤: ١٩٤.

(٦) البكري ٣: ٩٩٧.

(٧) انظر البكري ٣: ١٠٣٤.

الغمران: «موضع في بلاد بني أسد».^(١)

الفِرْتَاج: «يسيل في الثُّلُوت واد يقال له الرَّحبة فيه ماء لبني أسد يقال له فِرْتَاج»^(٢) وقال البغدادي: «فِرْتَاج، بفتح الفاء».^(٣)

فَرَق: «هضبة بين البصرة والكوفة لبني أسد وهو جبل متفرق مثل سنام الفالج».^(٤)

وقال العامري:

بِمُجْتَمَعِ الْجَرِيبِ فذاتِ فَرَقٍ
تَخَبُّ بِهَا مَطَافِيلُ الرِّيحِ
ديارٌ لابنة الأسدِيّ هندي

وما أنا عن تذكُّرِها بصاح^(٥)

الفَنّاء: «قال الأصمعي: ثم فوق الثُّلُوت من أرض نجد مائة يقال لها الفَنّاء لبني جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين، وهو إلى جنب جبل يقال له فَنّاء».^(٦)

^(١) معجم البلدان ٤ : ٢١١، وانظر التكملة ٣ : ١٤٥، وذكرته رامة بنت الحصين، انظر القسم الثاني: م (٦٤).

^(٢) معجم البلدان ٤ : ٢٤٦، وذكره مغلس وعمرو بن شأس، انظر القسم الثاني: ق (١٩)، البيت ١٠، وشعر عمرو: ٥٩.

^(٣) الخزائن ٥ : ٣٠٥.

^(٤) معجم البلدان ٤ : ٢٥٥. وذكره عبيد، انظر ديوانه: ١١.

^(٥) البكري ٣ : ١٠٢٢.

^(٦) معجم البلدان ٤ : ٢٧٦.

- الفوارع: من ديار بني أسد وهي تلال مشرفات على الساييل.^(١)
- القاع: «منزل بطريق مكة بعد القبة لمن يتوجه إلى مكة تدّعيه أسد وطبيئ ومنه يُرحل إلى زُبالة».^(٢)
- قَرْن: «جبل لبني أسد من نجد».^(٣)
- القَرْنان: «يلي هضب الوراق جبلان أسودان، يدعيان القرنين، بينهما وبين فيد ستة عشر ميلاً، يطوها الماشي من فيد إلى مكة، وهما لبني الحارث بن ثعلبة من بني أسد، وأقرب المياه إليهما ماء يقال لها النبط، بينها وبينهما أربعة أميال».^(٤)
- القُطَيَّات: من ديار بني سعد بن ثعلبة من أسد.^(٥)
- قَطْن: «جبل بنجد في بلاد بني أسد، على يمينك إذا فارقت الحجاز وأنت صادر من النّقرّة، وقال ابن اسحاق: قطن: ماء من مياه بني أسد بنجد، بعث إليه رسول الله (ﷺ) أبا مسلمة بن عبد الأسد في سرّية، فقتل فيه مسعود بن عروة».^(٦)
- قفاجِبَر: من ديار بني سعد بن ثعلبة من بني أسد.^(٧)

(١) انظر البكري ٢: ٤٤٦، وانظر معجم البلدان ٤: ٢٧٩، وذكره بشر، انظر ديوانه: ٢.

(٢) معجم البلدان ٤: ٢٩٨.

(٣) معجم البلدان ٤: ٣٣٢.

(٤) البكري ٣: ١٠٣٤.

(٥) انظر البكري ٢: ٦٢٧، وذكره عبيد، انظر ديوانه: ١٠، ٩٥.

(٦) البكري ٣: ١٠٨٣-١٠٨٤، ومعجم البلدان ٤: ٣٧٤-٣٧٥.

(٧) انظر البكري ٢: ٦٢٧. وذكره عبيد، انظر ديوانه: ٨.

- قُلاب: «جبل وهو من مَحِلَّة بني أسد على ليلة، وفي عقبه قلاب
 قتلت بنو أسد بشر بن عمرو بن مرثد».^(١)
- قَلَخ: «ظَرِبَ في بلاد بني أسد، والظرب: الرابية الصغيرة».^(٢)
- قَلْهَى: ماء لبني حذيمة بن مالك، أسفل روضة عُرَيْنَةَ.^(٣)
- القَلِيب: من ديار بني سعد بن ثعلبة من بني أسد.^(٤) وهضب القليب:
 جبل بنجد فيه شعاب كثيرة.^(٥)
- القَلِيبُ: «ماء بنجد فوق الخربة في ديار بني أسد لبطن منهم يقال له
 بنو نصر بن قعين».^(٦)
- القنّان: «إذا خرجت من حَبَش؛ جبل يَمْنَة عن سمراء سرت عقبه ثم
 وقعت في القنّان: وهو جبل فيه ماء يدعى العُسَيْلَة، وهو لبني
 أسد».^(٧) وقيل: «القنّان جبلان متصلان».^(٨) وقال الشاعر:

(١) البكري ٣: ١٠٨٨، وانظر معجم البلدان ٤: ٣٨٥، وذكر بشر يوم قلاب، انظر ديوانه: ١٧٥.

(٢) معجم البلدان ٤: ٣٨٧.

(٣) نظر معجم البلدان ٣: ٩٢.

(٤) انظر البكري ٢: ٦٢٧.

(٥) انظر معجم البلدان ٥: ٤٠٧، وذكره مطير بن الأشيم، انظر القسم الثاني: م (٢٥٥).

(٦) معجم البلدان ٤: ٣٩٤.

(٧) معجم البلدان ٤: ٤٠١.

(٨) معجم البلدان ٤: ٤٠٩.

ضَمِنَ الْقَنَانُ لِفَقْعَسٍ سَوَاتِيهَا

إِنَّ الْقَنَانَ لِفَقْعَسٍ لَمُعَمَّرٍ^(١)

قَنَّةُ الْبَقَّارِ:

«جَبِيلُ بَنِي أَسَدٍ».^(٢)

الكوفة:

لَمَّا أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَضَعُوا بَنِيانَ الْكُوفَةِ فِي عَهْدِ عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ أُرْسِلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ لِأَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ فَوَضَعَ
خَطَطَهَا وَجَعَلُوهَا أَسْبَاعاً، وَصَارَتْ أَسَدٌ وَغُطْفَانٌ وَمَحَارِبٌ
وَالنَّمْرُ وَضُبَيْعَةٌ وَتَغْلِبُ سُبُعاً، وَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ زَمَانَ عُمَرَ
وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ حَتَّى رُبِعَهُمْ زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ.^(٣)

وَمَسْجِدُ حَذِيمَةَ فِي الْكُوفَةِ يَنْسَبُ إِلَى حَذِيمَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ
نَصْرِ بْنِ قَعِينٍ.^(٤)

لَغَوَى:

«مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ بَنِي أَسَدٍ».^(٥) قَالَ الْأَخْطَلُ:

أَخْجَرُ لَوْ كُنْتُمْ قَرِيشاً طَعَمْتُمْ

وَمَا هَلَكْتَ جَوْعاً بَلْغَوَى الْمَعَاصِرِ^(٦)

لَيْنَةً:

«مَوْضِعٌ فِي بِلَادِ نَجْدٍ عَنْ يَسَارِ الْمَصْعَدِ بِحِذَاءِ الْهَرَّةِ وَبِهَا رَكَايَا
عَادِيَةٌ نَقَرَتْ مِنْ حَجَرٍ رَخْوٍ وَمَاؤُهَا عَذْبٌ زَلَالٌ، وَقَالَ

(١) معجم البلدان ٤: ٤٠١.

(٢) معجم البلدان ٤: ٤٧٠.

(٣) انظر تاريخ الطبري ٤: ٤٤، ٤٨، ومعجم البلدان ٤: ٤٩٢.

(٤) معجم البلدان ٢: ١١٦.

(٥) البكري ٤: ١١٥٩.

(٦) انظر ديوان الأخطل ٢: ٤٦.

السكوني: لينة هو المنزل الرابع لقاصد مكة من واسط وهي كثيرة الرُّكي والقلب، وماؤها طيب وبها حوض السلطان ومنه إلى الخلّ وهي لبني غاضرة، ويقال إنها ثلاثمائة عين»،^(١) ويروى أن امرأة من عبس تزوجت رجلاً من بني أسد بماء لينة وكان زوجها غنياً ففركه واجتوت الماء على عذوبته وطيبه، فاختلعت منه وتزوجها رجل من أهل بقاء وهو ماء مرّ لبني عبس فأرضاهما، فقالت: فمن يُهد لي من ماء بقاء شربةً

فإنّ له من ماء لينة أربعاً

لقد زادني وجداً ببقاء أنبي

وجدت مطايانا بلينة ظلماً^(٢)

«صحراء في بلاد بني أسد حذاء الأجر». ^(٣)

«المروّة: جبل بمكة يعطف على الصفا.... مائل إلى الحمرة». ^(٤)

«ماء لبني أسد بينها وبين الخوة يوم شرقي سميراء». ^(٥)

ذات المذاق:

المروّة:

مرّ:

^(١) معجم البلدان ٥ : ٢٩، وذكرها عبيد، انظر ديوانه: ٩٧.

^(٢) معجم البلدان ١ : ٧١.

^(٣) المرصع: ٣٢١.

^(٤) معجم البلدان ٥ : ١١٦، وذكرها أبو أحمد، انظر القسم الثاني: م (٢٥٤).

^(٥) معجم البلدان ٥ : ١٠٥، وذكرها فضالة بن شريك، انظر القسم الثاني: ق (٢١٢)،

تعليقة (٢)

المزاهر:	«موضع في ديار بني فقفس» ^(١) .
معروف:	واد لبني أسد ^(٢) .
المُكَلَّل:	موضع في ديار بني أسد ^(٣) .
ملحوب:	«ماء لبني أسد على رأس تلٍ، سمي بملحوب بن لُوَيْم بن طسَم» ^(٤) .
المنحنى:	أرض لبني أسد ^(٥) .
بُرْقَة مُنْشِد:	«ماء لبني تميم وبني أسد» ^(٦) .
مُنْعَج:	«واد لبني أسد كثير المياه، وما بين منعج والوحيد بلاد بني عامر لم يخالطها أحد أكثر من مسيرة شهر» ^(٧) .
النائع:	«موضع بنجد لبني أسد» ^(٨) .
ناحية:	«قال العمراني: ناحية مدينة صغيرة لبني أسد، وهي طوَيْة لبني أسد من مدافع القنان، جبل،... وقال الأصمعي: ناحية ماء لبني قُرّة من بني أسد أسفل من الحُبُش وهي من الرّمث وكُفّة العرفج، وكُفّته: منقطعه ومنتهاه» ^(٩) .

(١) البكري ٤: ١٢٢١.

(٢) انظر اللسان (عرف).

(٣) انظر البكري ٣: ٩٨١، وذكره عمرو بن شأس: ٥١.

(٤) البكري ٤: ١٢٥٥، وذكرها الجميع، انظر القسم الثاني: ق ٢، البيت (٧).

(٥) انظر البكري ٣: ٩٨١، وذكره عمر بن شأس: ٥١.

(٦) معجم البلدان ١: ٣٩٨.

(٧) معجم البلدان ٥: ٢٠٣.

(٨) معجم البلدان ٥: ٢٥٥.

(٩) معجم البلدان ٥: ٢٥٠، وانظر الخزانة ٢: ٣٨٩.

ناظرة:	رسم لبني أسد. ^(١)
النَّوَان:	«ماء نجد لبني أسد، وقيل لبني السَّيِّد من ضَبَّة». ^(٢)
النَّيِّر:	«جبل لغاضرة». ^(٣)
الهَيْمَاء:	«مويهة لبني أسد». ^(٤)

^(١) انظر البكري ٤ : ١٢٨٩ .

^(٢) معجم البلدان ٥ : ٢٥٨ ، والخزانة ١ : ٣٩ .

^(٣) صفة جزيرة العرب : ٣٢٨ .

^(٤) البكري ٤ : ١٣٦٠ .

The fourth chapter is devoted to artistic study of Asad poetry. It talks about the themes of their pre-Islamic poetry and compares them with the poetry themes of other Arab tribes. It, also, talks about the coracteristics of this poetry meanings and compares them with the meanings characteristics of other Arab tribes, poetry. It talks about the pronunciation and linguistic specifics of this poetry, such as those of verse construction and the poetry language, and about what of this language agreed with the accent of Asad tribe and what was far from it. It talks about the themes of their Islamic poetry and its meaningfull linguistic and pronunciation specifics, showing new characteristics that appeared in this poetry owing to Islam and the old characteristics which continued in it.

There is an appendix for this research that contains a detailed relationship tree of the tribe and its branches, and an alphabetical index of the places, mountains, water and valleys, names in the Asad land or mentioned by their poets.

The Poets Of Bani Asad Their News And Poetry, Before and in the beginning of Islam

This research is composed of two parts. The first is a study of Asad tribe poetry, and the second is Asad poetical works.

I began with the second part, and collected the poetry of the Asad poets who hadn't had poetical works (their poetry hadn't been collected). I explained it and put it in two sections. The first is devoted to the poets who lived before Islam, and the second to those who were contemporary with it. These poetical works included thirteen hundred and sixty poetical lines. While the first part is dedicated for studying and it is distributed into four chapters. The first chapter deals in Asad tribe. It talks about its relationships, inhabitancy, and about its religious, social, political and war life before Islam and at its beginning.

The second chapter deals in Asad poets, biographies and news. It talks first, about their poets before Islam, then those who were contemporary with it. It included the biographies of one hundred poets. The poets in this chapter, are arranged according to the order of their mentioning in Asad poetical works (in the second part of this research).

The third chapter is interested in the sources of Asad poetry and in confirming it. It talks about the old books which contained this poetry and their authors.

It also talks about the wasteness that befell this poetry, the dispute about relating some of this poetry to poets who weren't of Asad, or relating it, wrongly, to different Asad poets, as it also talks about the bad silly poetry which was composed by the late poetry narrators and was related to Asad poets.

فهرس الموضوعات

٣مقدمة.
٩الباب الأول: قبيلة بني أسد.
١١الفصل الأول: نسب أسد ومنازلها.
١١أولاً: نسب بني أسد.
٢٢ثانياً: منازل بني أسد.
٣١الفصل الثاني: حياة أسد الدينية والاجتماعية.
٣١أولاً: حياتها الدينية.
٤٦ثانياً: حياتها الاجتماعية.
٥٣الفصل الثالث: علاقات أسد وأيامها.
٥٣تمهيد.
٥٤أسد وكندة.
٦٦أسد والمناذرة.
٧١أسد والغساسنة.
٧٤أحلاف أسد.
٨٥أسد والقبائل الأخرى.
١٠٧الفصل الرابع: قبيلة أسد في الإسلام.
١٠٨أسد في عصر النبي ﷺ.
١١٩أسد في الردة.

١٣٣	الباب الثاني: مصادر شعر أسد وتوثيقه.....
١٣٥	الفصل الأول: مصادر شعر أسد وضياعه.....
١٣٥	أولاً: مصادر شعر أسد.....
١٤٣	ثانياً: ضياع شعر أسد.....
١٤٩	الفصل الثاني: الاضطراب في أشعار أسد.....
١٤٩	أولاً: الشعر المضطرب بين شعراء أسد وغيرهم:.....
١٥٠	الشعر المنسوب إلى بني أسد وليس لهم.....
١٦٧	الشعر الأسدي المنسوب إلى غيرهم وهو لهم.....
١٩٠	الشعر المضطربة نسبته دون دليل يقطع بأصحابه.....
١٩٧	ثانياً: الشعر المضطربة نسبته بين الشعراء الأسديين.....
٢٣٣	ثالثاً: المتهم من أشعار أسد.....
٢٣٩	الباب الثالث: الدراسة الفنية.....
٢٤١	الفصل الأول: موضوعات الشعر الأسدي:.....
٢٤١	أولاً: الموضوعات:.....
٢٤٢	الفخر.....
٢٥٤	الهجاء.....
٢٦٥	الرثاء.....
٢٧٣	المدح.....
٢٨٠	الغزل.....
٢٩٠	وصف الحيوان.....
٢٠٦	ثانياً: دراسة مقارنة.....

٣٢٣ الفصل الثاني: الخصائص المعنوية.
٣٢٣ أولاً: الخصائص
٣٥٤ ثانياً: دراسة مقارنة.
٤٠٥ الفصل الثالث: الخصائص اللفظية واللغوية.
٤٠٥ أولاً: خصائص بناء القصيدة:
٤٠٥ الكم
٤٠٩ بين التحرر والصريح
٤١٤ بحور الشعر
٤١٨ ثانياً: خصائص لغوية.
٤٤٣ الفصل الرابع: الشعر الأسدي الإسلامي.
٤٤٣ أولاً: موضوعات الشعر.
٤٤٣ شعر العقيدة الإسلامية.
٤٦١ موضوعات تقليدية.
٤٧٧ ثانياً: الخصائص المعنوية.
٤٩٣ ثالثاً: الخصائص اللفظية واللغوية.
٤٩٣ خصائص بناء القصيدة.
٤٩٦ خصائص لغوية.
٥٠٣ خاتمة.
٥٠٩ ذيل الدراسة.
٥١١ شجرة أنساب القبيلة.
٥١٩ أسماء منازل بني أسد.

